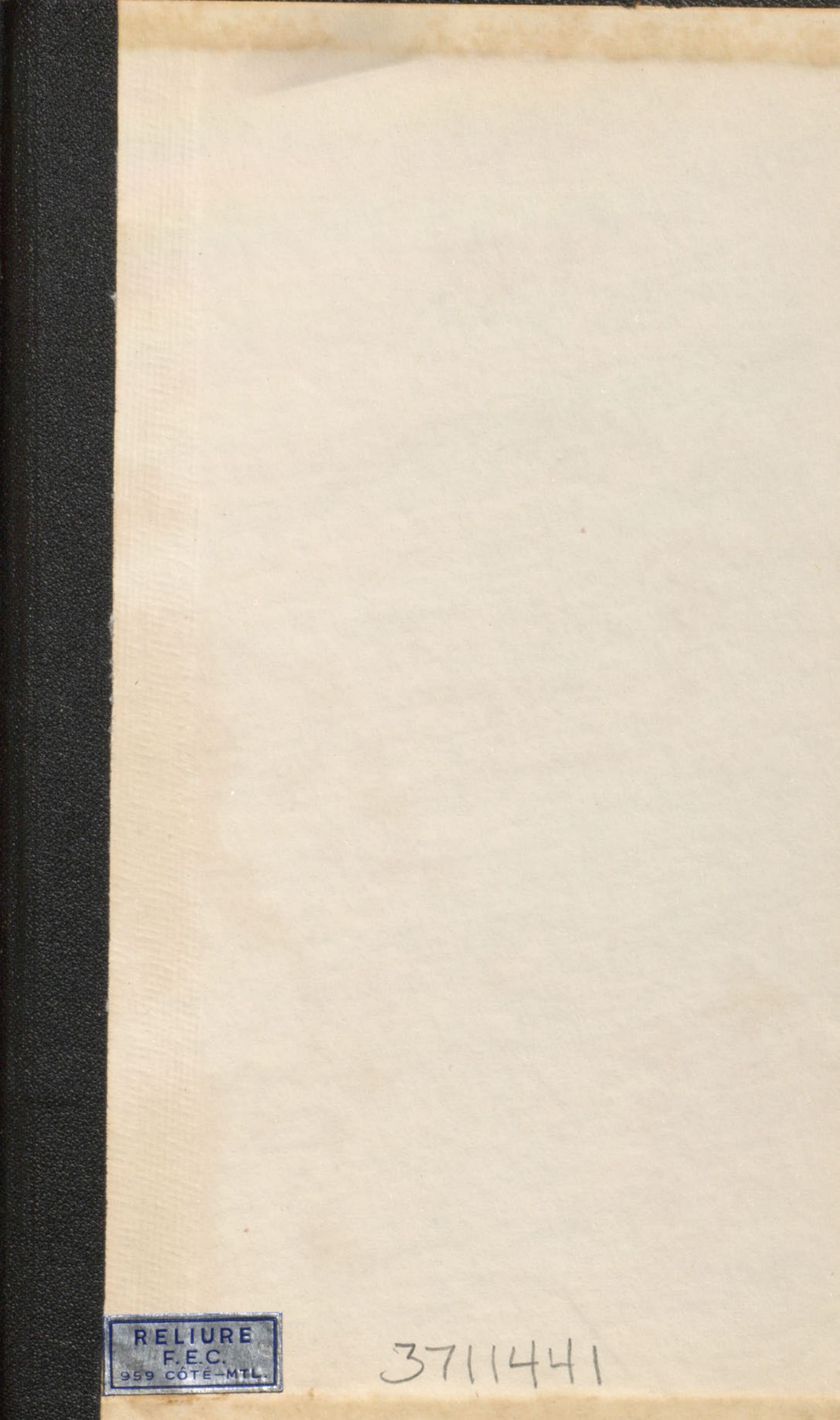
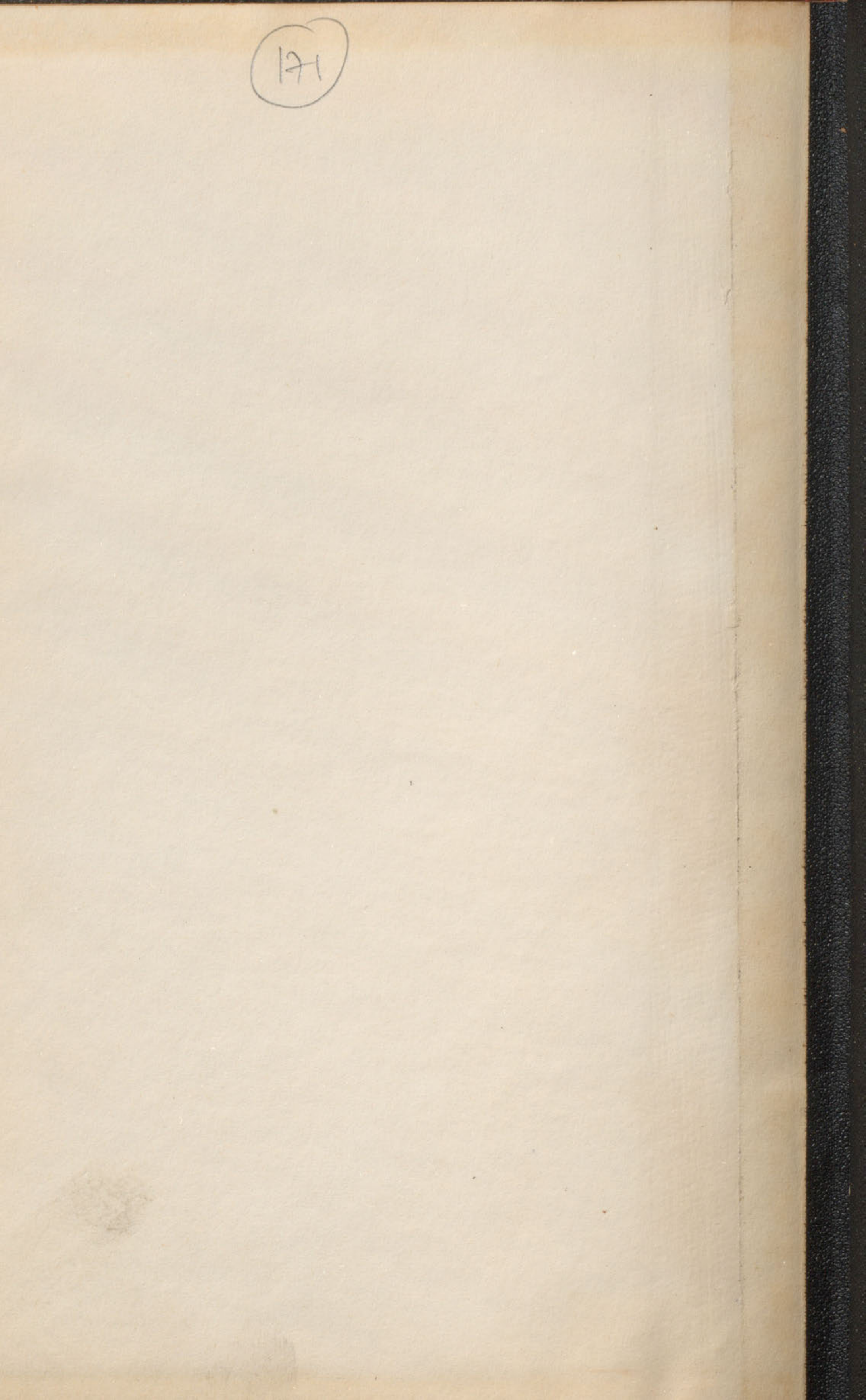
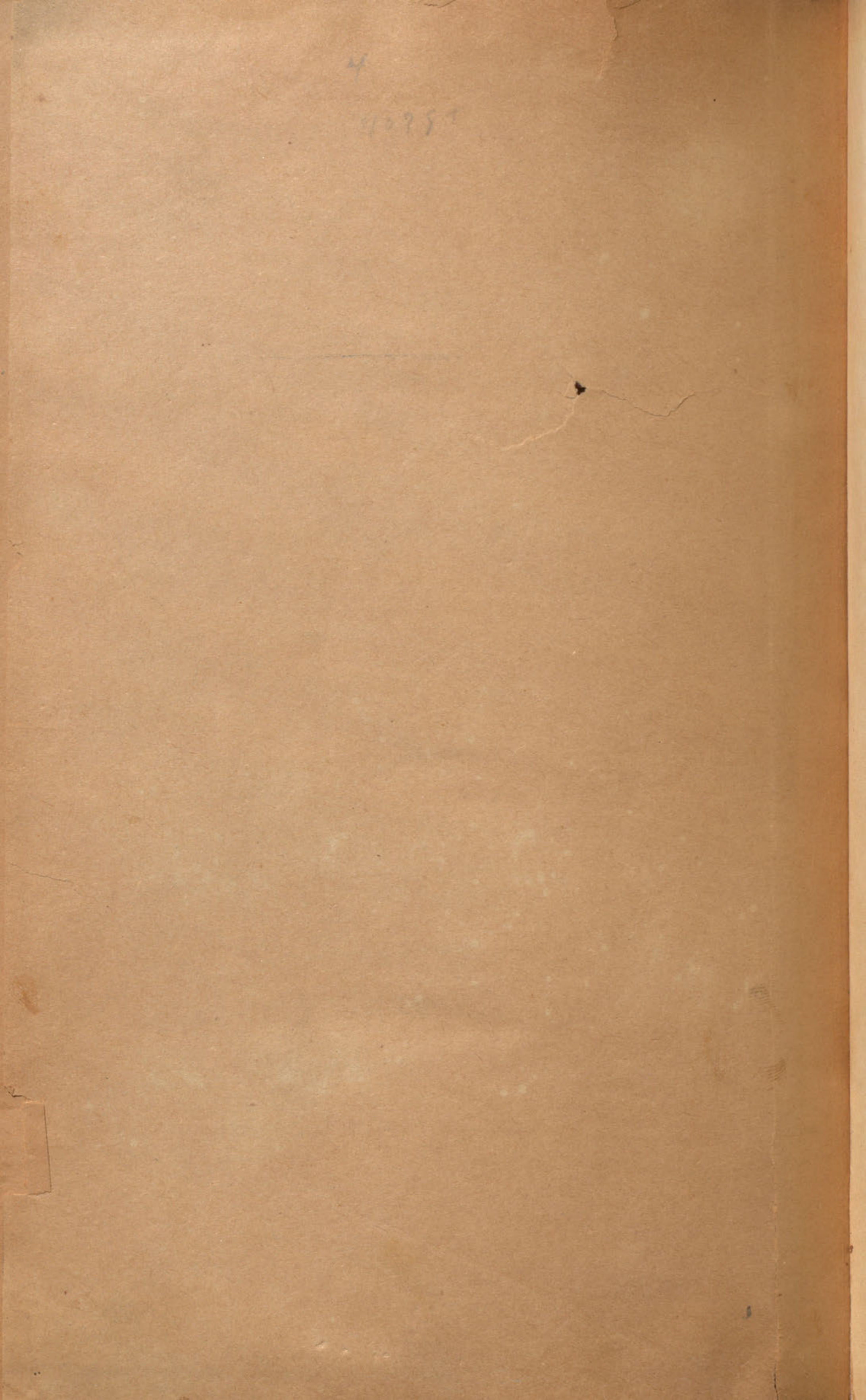

RELIURE
F.E.C.
959 CÔTÉ-MTL.
371441


171



كتاب
جامع الحجج الراهنة
في
ابطال دعاوى الموارنة

تأليف

الحبر العلامة اقليميس يوسف داود

رئيس أساقفة دمشق على السريان رحمه الله

RECUEIL
DE DOCUMENTS ET DE PREUVES
CONTRE
la prétendue Orthodoxie perpétuelle des Maronites

PAR

Monseigneur CLÉMENT JOSEPH DAVID

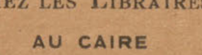
ARCHEVÊQUE SYRIEN DE DAMAS

D'APRÈS DEUX MANUSCRITS ORIGINAUX ÉCRITS EN 1873

EN VENTE

CHEZ LES LIBRAIRES
AU CAIRE

CHEZ OTTO HARRASSOWITZ
LEIPZIG





Préface des Editeurs

L'ouvrage que nous éditons aujourd'hui et qui a pour objet, comme son titre l'indique, de soutenir une opinion défavorable à la perpétuelle orthodoxie des Maronites, a été composé en 1873, par Monseigneur Clément Joseph David, Archevêque Syrien de Damas, décédé en 1890.

L'auteur qui s'était livré à une étude approfondie sur le monothélisme des Maronites avait recueilli des preuves et des documents de la plus haute valeur que, dans l'intérêt de la vérité historique, il serait regrettable de ne pas faire connaître. C'est dans ce but que nous publions cet important ouvrage destiné à jeter sur cette question, tant de fois discutée, une clarté nouvelle, et à fournir aux savants de nombreux éléments pour leur permettre de mieux étudier l'histoire de la nation maronite.

En effet, Mgr. David examine d'abord dans ce «Recueil», à l'aide de textes souvent inédits, les origines religieuses de l'Eglise maronite. Il nous révèle, en même temps, les récits inventés par les Maronites modernes pour le besoin de leur cause et qui ne reposent sur aucun fondement historique. Cette étude fait l'objet des livres I et II de l'ouvrage, page 23 à 111.

Après avoir décrit la formation de l'Eglise maronite, l'Archevêque Syrien passe à l'histoire de Jean Maron, chef

et premier patriarche de la nation. Neuf chapitres, page 118 à 176, sont consacrés à discuter les probabilités de l'existence de Jean Maron, à rechercher la date à laquelle il aurait pu vivre et à critiquer ensuite ses œuvres ou les écrits qui lui sont attribués.

Viennent ensuite dans 32 chapitres (livres IV et V) les témoignages d'historiens contemporains et autres qui sont cités par ordre chronologique à partir du septième siècle. L'auteur ne se contente pas de relier ses citations nombreuses par de longs commentaires, mais il réfute avec compétence et une saine critique, toutes les objections des savants maronites et surtout celles de Monseigneur Joseph Debs, archevêque maronite de Beyrouth, contenues dans le «*Summa confutationum contra assertiones sacerdotis Joseph David*,» qu'il avait publié en 1871.

Le livre VI se composant de 8 chapitres, page 319 à 353, traite des livres liturgiques dont se servait l'Eglise maronite avant son union à l'Eglise romaine. Il ressort de cet examen que tous les livres qui étaient en usage chez les Maronites, même à une époque très avancée (année 1594), étaient, sans exception, entachés d'hérésie.

L'auteur prouve le monothélisme de Jean Maron et des premiers Maronites à l'aide de deux manuscrits coservés à la Bibliothèque vaticane et contenant le 1er, un «Exposé de la foi» attribué à Jean Maron et le 2d, connu sous le titre de «kitab-ul-huda» (livre de la bonne voie), est une espèce de droit canonique de l'ancienne Eglise maronite.

Nous donnons, d'après le manuscrit syriaque 146, une reproduction photographique des deux premières feuilles de l' «Exposé de la foi» cité plus haut, où l'on remarquera les traces de ratures et de corrections faites par les savants Maronites du Collège de Rome afin de se dérober à la preuve éclatante qui ressort de ce document précieux. On en lira les détails aux pages 14, 124, 147 à 158 de ce volume. Ce document sert aussi à éclaircir les véritables origines du nom pris par les Maronites (voir pages 63 et 150).

D'autres questions non moins importantes sont étudiées dans les livres VII et VIII page 354 à 487 et complètent ce

volume qui ne le cède en rien aux meilleurs ouvrages d'histoire et de critique. Nous l'offrons au public sérieux espérant qu'il sera accueilli avec toute l'attention et la bienveillance qu'il mérite.

Il nous a été permis de consulter le manuscrit original écrit par l'auteur lui-même. Cependant, tout en nous efforçant de conserver le texte arabe original, nous avons dû en supprimer quelques passages qui nous ont semblé sortir du cadre de notre sujet. D'autre part, nous y avons ajouté quelques notes et un supplément contenant des documents nouveaux qui ont été découverts après la mort de l'éminent écrivain. Ces documents ne feront que confirmer son jugement sur l'orthodoxie des Maronites.

Le 1er Avril 1908.



شرح الرسم الفتوغرافي

ان الرسم الفتغرافي الذي تراه امامك هو نسخة أربع صفحات من كتاب «معتقد الموارنة» المنسوب ليوحنا مارون والموجود في خزانة الكتب الواتيكانية بعدد ١٤٦ . وهو مخطوط بالسريانية في العمود الاول وبالعربية (باحرف سريانية) في العمود الثاني . واما المتن العربي المحاذي للنص السرياني فهو ترجمته بتصرف وترى شرح ذلك كله في وجه ١٤ و٦٣ و١٢٤ و ١٤٧ الى ١٥٨ من هذا الكتاب .

ثم انك تجد اسم « مكسيموس » الذي حك وكتب بدله « انتيموس » في الصفحة الثالثة من هذا الرسم في السطر العاشر وكتب بحذائه في الهامش « صح قورش » بقلم يختلف عن الكتابة القديمة . وفي السطر الحادي عشر من الصفحة نفسها حكت لفظة مشيئتين وكتب بدلها مشيئة واحدة . ولكن في المتن العربي بقي اسم مكسيموس على حاله كما يشاهد ذلك في السطر الثاني من الصفحة الرابعة .



فاتحة الكتاب

أحمدك يامن احتجب فى عالم القدس عن عقول الأنام . وتجلى على أطوار القلوب بأشراق أنوار أعاجيبه العظام . وأشكرك لانك تنزهت عن كل نقص وريب . واختصصت لذاتك وحدك العصمة من كل خطأ وعيب .

﴿ أما بعد ﴾ فيقول مؤلف هذا الكتاب لا مرآء ان من أخس الخلال التى يستمجها كل عاقل لبيب نكران الجميل والاحسان . ومقابلة المعروف بالنسيان . وكأن الطائفة المارونية الساكنة جبل لبنان . والمستحقة المدح والثناء من وجوه كثيرة يقع على بعض علمائها هذا اللوم . فانهم مع علمهم بكثرة النفقات والاتعاب والمشقات التي تكلفها الكرسي الرسولي الروماني المقدس فى الاحقاب الماضية على يد رهبانه ورسله وقصاده لنشل تلك الطائفة من وهدة الضلال الذي كانت فيه يوماً وتثقيفها وتثبيتها فى محجة الايمان المستقيم . أنكروا ذلك وزعموا ان أجدادهم ثبتوا فى كل الاجيال والقرون على الديانة الصحيحة وعلى طاعة الكنيسة الرومانية أم الكنائس الكاثليكية دون سائر الطوائف الشرقية . وانهم لم يحتاجوا قط الى من يهديهم ويرشدهم من الغرباء . وانهم قد كانوا في كل جيل وكل عصر بين سائر الطوائف النصرانية الشرقية مثل الورد بين الشوك . فهذا الزعم فضلاً عن انه مهين للكنائس المسيحية الشرقية التى فى الاعصار الماضية نبغ فيها الملافنة الجليلون وأولياء الله الاطهار والعلماء الماهرون فى كل فن وكل باب فهو لا يخلو من أن يوجب عدم الشكر والكفران بما للكنيسة الرومانية من الفضل العظم على الأمة المارونية .

ومن أخص الأمور التي تهم كل ذى نخوة ولبابة بيان كذب هذا الزعم وتفنيده وكشف كل ما فيه من الفساد وما يأول اليه من المحذورات • فطالب الحقائق التاريخية المتقفي آثار الأولين للاطلاع عليها يهمه أن يجد ويجهد لنبش العتائق الصادقة ليعرف أيصدق موارنة زماننا فى زعمهم انهم من دون سائر الطوائف الشرقية قد خصهم الله بهذه الموهبة الكريمة العظيمة وهي ان طائفتهم لم تسقط فى ضلال أم كانت كسائر الأمم عرضة للخطأ والاغترار • فلا يعبأ العاقل المتشوق الى حقيقة أحوال الأولين بما يدمدم به بعض المتخوفين في زماننا هذا من ان ترك هذه المسألة والاضراب عنها هو من المستحسنات لسبب انه لا طائل ديني في معاطاتها • وان مباشرتها يفضي الى هيجان الضغينة والعداوة بين المارونيين وغيرهم • فان كلتا هاتين الحجتين فارغتان بل فاسدتان و يضحك منهما • أما الحجة الاولى أى كون هذه المسألة لا تنفع الدين ولا تضره فصدق من وجه ولا ننكره • ولكن يا ترى هل جميع المسائل التى يتباحث بها العلماء تنفع الدين أو تضره • فاذا قد أخطأ مثلا يوسف سمعان السمعانى امام العلماء المارونيين اذ تكلف تصنيف ثلاثة مجلدات المكتبة الشرقية الأخيرة بما لا يوصف من التعب والمشقة فى مسألة لا تخص الا اليعاقبة والنساطرة مما لا ينفع الدين ولا يضره وان كانت هذه المسألة لا تهم بل يجب طرحها فلماذا علماء الموارنة فى كل جيل ما ألوا تعباً ولا نصباً ولا خسارة فى المحاماة عن زعمهم فيها إنْ فى اللغات الافرنجية وان فى العربية • فالموارنة بتصرفهم الدائم يبينون واضحاً جليا ان هذه المسألة تستحق الانتباه اليها • ولذلك أول من يرون أحداً من المؤلفين يتعرض لها ولو من بعيد قاموا عليه وأوتروا قوسهم لرميه • فيهم علماء التاريخ ان يعرفوا بتحقيق أصل الطائفة المارونية وأخبارها الصحيحة • كما يهمهم أن يعرفوا أصل سائر الطوائف شرقاً وغرباً ان حديثة وان قديمة • وأن لا يقصروا فى الاهتمام للوقوف على أصل الموارنة كما لا يقصرون في ما يتعلق بسائر الأمم ولا سيما حيث كان يسوغ أن نقول بكل صدق انه الى الآن لم

يعرف أحدٌ شيئاً عن أصل الملة المارونية . فان علماء هذه الملة الذين بحثوا عنها لا نجد لديهم شيئاً فى ذلك . ولمّا كان غرضهم الأصلي بيان زعمهم الراسخ في أذهانهم أكثر من كل شيءٍ وهو ان الله قد عصم طائفتهم من الاغترار والسقوط في الضلال لم يالوا أن يفتشوا على أصلهم بجدٍّ واعتناء الاّ حيثما كان ذلك يطلبه غرضهم المذكور .

ولهذا فاذا التمست معرفة أصل الملة المارونية عن كتب علمائها المتأخرين فلا تجد الا قتاماً وظلاماً دامساً . فانّ منهم من جعل أصل الموارنة في القرن الرابع . ومنهم في القرن الخامس . ومنهم في القرن السابع . ومنهم من زعم أن اسم الملة المارونية لم يكن فى القرن الثامن نفسه . ثم منهم من جعل اسم الموارنة منسوباً الى مارون الناسك ومنهم الى يوحنا مارون . ومنهم الى رهبان دير مار مارون . ومنهم الى دير ماران .

ثم ان منهم من جعل أول بطاركتهم في القرن السادس . ومنهم في القرن السابع ومنهم وهم أقدمهم لم يقدروا أن يتحققوا زمانه . ثم ان منهم من قال ان اسم الطائفة المارونية نشأ لسبب مقاومتها للبدعة المنوفيسيتية . ومنهم من زعم بل لسبب محاربتها للمونوثليتية . ومنهم من زعم ان سبب انفصال الموارنة من سائر الطوائف لم يكن دينياً بل حربياً . ثم ان من علماء الموارنة من زعم ان أول بطاركتهم نصبه الحبر الروماني في رومية . ومنهم من قال بل ان أساقفة جبل لبنان نصبوه . ومنهم من قال ان يوحنا اسقف فيلادلفيه سامهُ . الى غير ذلك مما يطول شرحه .

فإذ كان الأمر على هذا الحال فمن ترى يقدر أن يجد فى كتب علماء الموارنة حقيقة أصل الملة المارونية . ومن يستطيع فى هذه الاختلافات العظيمة والمناقضات الجسيمة وفي هذه الدياجي الحالكة أن يفرز الحق من الباطل ويميّز الصحيح من المبهم . فاذاً يسوغ لنا بكل أمان أن نقول ان علماء الموارنة لم يطلعونا الى الآن على حقيقة حال مبادئ أمر أجدادهم ولم يقضوا ارب من يلتمس معرفة أصل الملة المارونية فهم في هذا الشأن قد باينوا مباينة عظيمة علماء سائر الطوائف . فان كل طائفة من سائر

الطوائف المتعقّلة الحاصلة على تقدم فى المعارف وفنون الأدب والتمدن لا يطّلع الراغب على حقيقة أصلها وصحة أخبارها القديمة الا فى صحائف علمائها ٠

ولما كان كل أمة متقدمة فى العلوم والمعارف يهم علماؤها خاصـة أن يبحثوا عن عتائقها وعلماء سائر الأمم يتركون البحث عن ذلك الى علماء تلك الأمـة وينتظرون منهم أن يتكلفوه بكل جدٍّ و يبذلوا فيه وسعهم وجهدهم فلا عجب انك لا ترى أحداً من العلماء الافرنجيين الذين بحثوا عن مبادئ كل الأمم والطوائف وأخبارها وأحوالها بجدّ بليغ تكلف مشقة تنقيب الآثار القديمة للاطلاع علي حقيقة أصل الطائفة المارونية لظنّهم ان علماءها قد استوفوا ذلك واستوعبوا كل ما يمكن الحصول عليه في شأن هذه المسألة وانه لا شئ وراء ما أتى به علماء تلك الطائفة ٠ مع كل ذلك فأكثر كتبة الافرنج لم يذهبوا مذهب علماء الموارنة مستندين في الغالب فقط على ما أظهره هؤلاء فى شأنها ٠

فإذ كان علماء الموارنة لا يوفون بالمقصود وكانت هذه المسألة تهمّ المؤرخين كسائر المسائل التاريخيـة فمن يتحرّى تتبع الآثار القديمة والصحائف العتيقة فى طلب حقيقة انشاء الملة المارونيـة وأخبارها الدينية والبيعية يولي علم التواريخ احساناً جليلاً ليس بأقل من سائر ذوي الهمة الذين فتشوا على تواريخ بقيـة الأمم ٠ ثم يهـم أيضاً كل الطوائف النصرانية الشرقيـة أن يعرفوا بتأكيد ويقين أصحيح هو مايدّعيه الموارنة وهو ان الله عز وجل مدة أكثر من ألف سنة أهمل جميع الطوائف الشرقية أن يتسلط عليها روح الطغيان وينشب فيها مخاليبه الضلالية ويستعبدها تحت رقه ٠ ماعدا طائفة واحـدة ساكنة جبالاً ومغاور بعيدة عن المدن الكبيرة وهي الطائفة المارونية ٠ كأن الله تعالي قد وضع عينه عليها وحدها وحرسها وصانها على الدوام بعناية خصوصية ٠ فانه ان كان هذا زعم علماء الموارنة صحيحاً يحق بالحقيقة لسائر الطوائف الشرقية أن تخزى بإزائها وتنقبض استحياءً وخجلاً وتبكي علي شقاوة حظها لدى بارئ العوالم ٠ ولطائفة

الموارنة أن ترفع رأسها وتتعظم وتتباهى بهذه الموهبة الجليلة التي خصها بها الله دون سائر أمم الشرق . وان كان هذا الزعم فاسداً كاذباً تساوت الطائفة المارونية مع سائر الطوائف ولم يبق لها أدنى حق أن تنسب لنفسها مزية دون غيرها .

ثم يهم الطائفة المارونية المحترمة نفسها أن تعرف بتحقيق ويقين أصلها وأخبار أجدادها ويجب عليها أن تفضّل ذلك على كل شيء . فانه لما كانت هذه الطائفة لا تجد عند علمائها ما يطلعها على هذه الحقائق المهمة إذ كان كل واحد منهم قد ذهب مذهباً بحيث لا يمكن بكل ما أتوا به الوقوف على خيال الحقيقة ينبغى للأمة المارونية أن تؤدي الشكر الجزيل لمن يكشف لها عن حقيقة أصلها ويوقفها على الآثار القديمة السديدة التي تنبيء عن أحوالها في الأزمنة القديمة ان كانت زيناً وان كانت شيناً . مثلما نحن النساطرة واليعاقبة والملكيين يجب علينا أن نتشكر على الدوام يوسف سمعان السمعاني الماروني على انه في مكتبته الشرقية وفى مكتبة الشرع أطلعنا على أحوال أجدادنا ولو وجد فيها أشياء كثيرة لا توجب الفخر بل كثيراً مما يستحق اللوم . فان كانت مسألة أصل الملة المارونية لا تنفع الدين ولا تضره فهي تنفع علم التواريخ وتهم علم تحقيق عتائق الكنيسة وتعني الطوائف الشرقية بأسرها . وتهم الطائفة المارونية نفسها . فاهمالها والاضراب عنها لسبب انها لا تنفع الدين ولا تضرّه ضربٌ من الجنون .

بقي لنا أن نرى هل تصح الحجة الأُخرى وهي ان تحرّي هذه المسألة يحرّك الفتن والعداوة بين الموارنة وسائر الطوائف الشرقية لان سائر الطوائف الشرقية هي ضد الموارنة فى هذه المسألة . فنقول ان هذه الحجة هي أيضاً خياليّة لا تثبت عند التحقيق . فان الموارنة ان كان ما يأتي به خصمهم فاسداً لا صحة له فسبيلهم أن يرفضوه ويدحضوه ويبينوا فساده بالبينات التى يركن اليها العقل لتتضح بذلك صحة مدّعاهم أكثر ما يكون . واذ ذاك فلا سبيل لهم أن يغتاظوا ويتحركوا الى فتنة . كما ان أخصامهم لا سبيل لهم أن يُغتاظوا مما يأتي به الموارنة من الأقوال الفاسدة . ففي هذه

الفريضة إذاً لا داعٍ الى فتنة وعداوة • ولا سيما اذ كان الطائفة المارونية واحدة والطوائف الشرقية التي تخاصمها فى هذا البحث هي كثيرة • وان كان مايأتي به خصم الموارنة يحكم به عامة العارفين انه صحيح لا فساد فيه فلا حق لهم أن يغتاظوا منه ولو كان لا يعجبهم ولا يوافق مدعاهم بما يرجون فيه الافتخار على غيرهم • لان الحق له أن يتضح ولو ساء وللباطل أن يفتضح ولو سرَّ •

فاذا كان تفتيش الآثار القديمة الصحيحة يفضي لا محالة الى كشف شائبة أو عيب أو ملامة أو شيء آخر مماهو غير ممدوح في الأُمة المارونية أو مما يناقض مدعياتها ويبطلها ان على وجه العموم وان على وجه الخصوص فهل يحق عند ذلك للموارنة أن يغتاظوا على من يتكلف هذا التفتيش ويكشف القناع عن ذلك الأمر الغير الممدوح ويحكموا عليه بان يكتمه ولا يظهره للبيان . كلا ثم كلا • أو يدَّعي الموارنة ان حق المؤرّخ المحقق أن لا يودع فى تواريخه وتحقيقاته الا الطيّبات والممدوحات والملقات الاهواء البشرية • وأي امة يا صاح لا تجد فى أخبارها السالفة الشين بجانب الزين والممدوح الى جانب المذموم والمرغوب تجاه المكروه . وها اننا نرى ان تواريخ جميع الأُمم والاجيال والكنائس قاطبة اشتملت على محاسن ومقابح . وليس انسان عاقل الى الآن لام أحداً من المؤرخين الأولين والمتوسطين والمتأخرين على ماروَوْهُ عن اليونان والروم والعرب واليهود والفرنساويين وسائر الأُمم مما يوليهم مذمة ونقصاناً • حتى ان مؤلفي أخبار الملوك والأساقفة والأحبار العظام لو حابوا فى رواياتهم ومالوا الى تغطية عيوبهم لوقعوا تحت طائلة الجرم العظيم •

ألا ترى ان الكتاب المقدس نفسه قد صار قدوة فى ذلك للمؤرخين الصادقين فانه حوى شيئاً كثيراً لا يحصى من الأخبار التي تشين أصحابها • وعلى سبيل المثال فلنذكر ان كتّاب العهد الجديد لم يشفقوا على نقائص الرسل اذ تركوا معلمهم وهربوا وذكروا الخيانة الأثيمة التي ارتكبها أحدهم وهو يهوذا واقتصوا حماقة بطرس

زعيمهم الذي جعله المسيح صخرة لبيعته حيث جحد معلمه ثلاث مرات • وذكروا المشاجرة التي جرت بين بولس الرسول وبين شمعون الصفاة وتوبيخ بولس له • فأين هؤلاء الرجال العظام المختارون من أجداد الموارنة حتى يزعم أولادهم ان كل من يظهر الى البيان ما يظنونه هم عيباً في أجدادهم هو المتجني عليهم والقادح فيهم ومن سبب ذلك يستوجب أن تقوم عليه الأُمة المارونية وتوسعه بغضة واهانة •

والحمد لله ان علماء الموارنة الذين كتبوا عن الأُمم الأجنبية لم يسلكوا هذا مسلك الموارنة والمحاباة والغش الذي يقتضونه من الذي يكتب عن أجدادهم • بل قالوا الحق كما اطلعوا عليه من دون كتمان ولا توقف ولا خوف من الأُمم التي كتبوا عنها وكفانا شاهداً بيوسف سمعان السمعاني • فأفتح على الخصوص خزانته العظيمة المسماة المكتبة الشرقية • وترى في كل صحيفة كيف هذا العلامة الفائق الماهر في التحقيق بين عيوباً كثيرة في اليعاقبة والنساطرة مما لم يكن أحد يعرفه أصلا وهو أظهره الى البيان قبل كل أحد • واقتص بكل تفصيل أخبار بدعهم وضلالاتهم وفتنهم ومخاصماتهم وجهل أئمتهم وكذبهم وتزويرهم وجرائمهم وشرورهم • وبين ان نفراً من الذين كان الناس يحسبونهم من الارثذكسيين بل من الملافنة ماهم الا يعاقبة أو نساطرة • وذكر نكران اثنين من بطاركة اليعاقبة دين المسيح والتدين بدين الاسلام وغير ذلك مما يطول ذكره • ومع هذا كله فلم يلم أحد من اليعاقبة أو النساطرة ذلك المؤلف على صنيعه هذا • بل كل انسان شكره وحمده •

ومن أين للطائفة المارونية هذا الاختصاص الغريب الذي الى الآن لم يسمع مثله وهو انه لايجوز لأحد أن يعاملها كما يعامل جهابذتها سائر الطوائف التي في العالم • وان كل من يتجاسر أن يظهر فيها عموماً أو خصوصاً عيباً مبنياً على ما ورد في التواريخ الصحيحة (وليس في الأرض كلها شعب الا وفيه عيب كبير أو صغير) يكون مذنباً ذنباً عظيما ويستحق بغضة الطائفة المارونية • وان لنا في تصرف علماء الموارنة برهاناً

ساطعاً على انهم يعتقدون بان التعرض لمسألة مذهب أجدادهم لا يوجب وقوع الخلل بين الطوائف ولا يؤتي اضطرام نار الفتنة والضغينة بين الملة المارونية وأخصامها . وذلك ان علماء الموارنة قد اعتادوا أوّل ما تيسر لهم فرصة أن يشمّروا الساعد للرد على أدنى كلمة تظهر من أحد الناس خلافاً لما يزعمونه فى هذه المسألة التى كلامنا عنها . ولا يألون تعباً ولا نفقة فى المحاورة والجدال . بل قد اعتادوا أغلب الأحيان أن يحركوا خصمهم الى المحاماة عن نفسه وتبرئتها بما يسنّون به قلمهم من الكلام القادح الموجع .

وناهيك كتاب روح الردود الذى ظهر فى هذه السنين الأخيرة فى بيروت لسبب حاشية وجيزة عُلّقتْ على كتابي اللاتيني لم يطلع عليه الا بعض الخاصة . وأوضح من ذلك الكرّاسة التى عنوانها كشف الستار وابلاء الاعذار . ألا أي عاقل ولو قليلا يصدق ان من يبارز خصمه الى الجدال بمثل هذين الكتابين وغيرهما نيته أن يبارز خصما جامد القلب بليد المهجة الى حدّ أن يبقى صامتاً الى الأبد ولا يحامي عن نفسه ولا يدفع ضربات مبارزه . ومن يصدق ان علماء الموارنة المتصفين بلا مراء بالصفات الانسانية الحميدة تتصل بهم الغرابة الى حدّ انهم يدعون لنفسهم فقط حق الرد على خصمهم وينكرونه على غيرهم . بحيث يرون أن يؤلفوا الكتب ويشحنوها طعناً وقذفاً في خصمهم ويريدون من خصمهم أن يسدّ فاه ولا يتكلم قدّامهم أدنى كلمة بحجة أن لا تهيج الطائفة المارونية . فلو كانت هذه الطائفة تريد بالحقيقة أن لا يهيج أحد من الأجانب غضبها لمنعت كتابها من أن يحركوا الأجانب الى ما يوجب المحاماة والرد .

فقد أساء اذاً من أشاع خبراً في هذه الأيام بان رؤساء الطائفة المارونية لا يزالون منذ زمان يسعون لدى الكرسي الروماني بلجاجة ليمنع أخصامهم من الرد على كتاب روح الردود . ومن يصدق ان من ألف كتاباً مثل كتاب روح الردود ونشره في العالم بالعربية واللاتينية يمكن أن يخالج فكرهُ أن يمنع غيره من المحاماة عن نفسه والرد

على ما أتهمه به • فنحن لا نصدق البتة ان الطائفة المارونية طلبت الى روسائها ليسعوا لدي الكرسي الرسولي المقدس في منع الاجنبيين من البحث عن مسألة مذهب أجدادهم • بل نعتقد أن هذه الطائفة الجليلة المستحقة المدح من وجوهٍ كثيرة تعلم جيداً انه من الواجب المفروض على كل من يتحرى تفتيش الامور السالفة وتحقيق أحوال القرون الخالية سواءٌ كان ذلك يتعلق بالطائفة المارونية او بغيرها اذا اطّلع على زين أو شين أن يأتي به الى البيان بدون أدنى محاباة ولا زيادة ولا نقصان بحيث لا يدع لهوى بشري يتسلّط عليه من خوف أو طمع أو غير ذلك • وهم يعلمون حق العلم انه كما ان الكرسى الرسولى لم يمنع الى الآن علماء ملتهم أن يسنوا لسانهم على أخصامهم ويفنّدوا أقوالهم بكتب شتى شيّعوها في العالم بلغات مختلفة كذلك ليس من الانصاف أن يُمنع أخصامهم من أن يحاموا عن نفسهم ويردّوا عنهم التهم • وكم من كتاب قد طبع في رومية نفسها في ابطال زعم الموارنة والكرسي الرسولي لم يتعرّض للذين طبعوهُ •

ولكن لعلّ قائلاً يقول: كيف يمكن أن تقرأ الموارنة ما أودعته في كتابك عن علماء الموارنة من كشف الطرائق الغريبة الغير اللائقة التي سلكوها لنيل مقصودهم في هذه مسألة أجدادهم دون ان يحتدّوا غضباً او يتحركوا الى فتنةٍ غيرةً على عرض جهابذتهم • فاقول ان كان الموارنة منصفين مالكين نفوسهم فلا يحق لهم أن يغتاظوا ولا أن يحتدوا غضباً فان علماءهم قد سبقوني في هذه الصناعة اذ أنهم قد كشفوا شوائب كثيرة عن جهابذة الطوائف التى باشروا البحث عن أخبارها وأحوالها • وترى أمثالاً لا تحصى في مؤلفات ابراهيم الحاقلاني ويوسف سمعان السمعانى • هذا بمعزل عن حدّة اللسان التى بها رشق ابراهيم المذكور على الدوام وربما السمعاني أيضا سهام الهجو في من لا يذهب مذهبهما • أو ليس من غرض كتاب الدر المنظوم وكتاب روح الردود تبيان شوائب الخصمين اللذين تُدحض بهما آراؤهما •

ثم ان بيان عيوب المؤلفين في مجال البحث عن آرائهم وأقوالهم لا بد أن يقع فيه كل كاتب يباشر المحاماة عن زعمه وتفنيد زعم غيره . وهو جار في كل زمان ومكان لدى أرباب المباحث العلمية . وقد زاد على ذلك أخص أئمة الموارنة خلةً قلّما توجد عند غيرهم وهى تشديد الكلام وتغليظهُ على خصمهم . وناهيك ان العلماء المارونيين الذين عبتهم قد عابهم قبلي فطاحل العلماء الافرنجيين نفسهم في ما عبتهم أنا . فلا أظن نفسي متجنياً حيث حذوت حذو هؤلاء أرباب العلم الذين هم بمنزلة العلم المثلي ومن الفخر لي ان تتبعتُ آثارهم . فلا حرج عليّ ان أستندت على شهادتهم وأوردتها في كتابي ولا سيما اذ كنت فى تفتيشى قد اطلعت على أشياء لم يطّلعوا هم عليها . لأنه من شأن كل علم التكمُّل شيأً فشيأً . كيف لا وأنا قد استشهدت من علماء الموارنة أنفسهم من وجد العيب فى أقرانه . فاذاً يحق لى أن أخاطب الطائفة المارونية الكريمة قائلا : يا أيها السادة الكرام لو كان ما قلتهُ فى بعض علمائكم غير مستندٍ علي بينات جليَّة لا يشوبها أدني ريب أو كان يتعلق بأشخاصكم دون ماقالوه قاصداً بذلك أن أتعرض لعرضهم أو أعارضهم من باب غير علميّ لحقّ لكم أن تحتدّوا غضباً عليّ وترموني بالحجارة . ولكن لما كنت لم أقل شيأ الاّ وأسندته ببينة أو سندٍ فأنا معذور لديكم فيما أقوله ان كان لا يرضي خاطركم . على انى لعلمي بشدّة تمسك أولئك العلماء بالكنيسة الرومانيَّة ورغبتهم في ما يزيدها مجداً علي رأيهم أعذرهم من وجهٍ انهم اعتبروا أن هذا التمسك توصّلاً الى نيل الفخر بدوام ارثوكسية اجدادهم لا يضرّ أحداً من الناس وليس فيه خطئيَّة ثقيلةٌ أمام الله .

انّ من الواضح المسلَّم الذى لا يقدر أحدٌ أن ينكرهُ ان ما يقال عن أحد علماء الامة الواحدة لا يُقال عن الامَّة كلها ولا عن جميع علمائها . فاذا رأي الموارنة ان أحداً من المحققين الاجنبيين ينتقد علماء طائفتهم فلا يحقّ لهم أن ينسبوا هذا الانتقاد الى طائفتهم كلها ولا الى جميع ارباب العلم الذين فيها . وكما ان الطوائف الاخر الشرقية والغربية

لاتغضب ولا تكابر اذا رأت عالماً من علمائها ينتقده احد الموارنة ويرد عليه ولا تتخذ ما قيل عنه كأنه قيل عن الطائفة كلها او عن سرب علمائها . كذلك يجب على العامة المارونية ان تفعل اذا رأت احد يمتها يقع تحت فحص وانتقاد . وكما أن الطوائف الشرقية لم تقم الى الان علي الطائفة المارونية ولا بارزتها الى الفتنة والعداوة . فسبيل الطائفة المارونية ان تتشبه بسائر الطوائف الشرقيات حيث رأين علماء الموارنة تارةً جعلوهنَّ كلهنَّ في جميع الاجيال شوكاً وجعلوا طائفتهم وحدها وردة بينهنَّ . وتارة جعلوا اتهمن الارثذكسيين من الضالين الخارجين عن الكنيسة الكاثليكية وتارة استبدوا بحق البطريركية الاصلية لطائفتهم وجعلوا سائر البطاركة الشرعيين الكاثليكيين مختلسين للبطركية من طائفتهم . وهنَّ مع كل ذلك لم يشببن ابداً على الموارنة نار العداوة ولا ثلمنَ معها قيد المحبة والصلاح .

انَّ من شأن العوام ان لا يتعرضوا للعلماء واهل التحقيق في مباحثاتهم العلمية واختلافاتهم المذهبية ولا يمانعوهم في معاملاتهم ومجادلاتهم لئلا يدوسوا عليهم فيدوسوا على الحق نفسه ويمنعوه من ان يتَّضح . والحقّ في كلّ حال له ان يتَّضح ويظفر . ومتى قيِّدت حرية الذين يفتشون على الحق يمتنع ظهوره لان الحق لا يتوضح الاَّ بالتفتيش واللجاجة . فعامة الطائفة المارونية مثلما تترك لعلماء طائفتها ان يجادلوا سائر الطوائف ويبارزوهم وينازعوهم أقوالهم وهي لا تغتاظ من ذلك . كذلك لا حقّ لها ان تغتاظ على علماء سائر الطوائف اذا عاملوا علماءها تلك المعاملة عينها وأقل منها . فسبيلها ان تترك لعلماء سائر الطوائف كلّ الحرية مثلما سائر الطوائف تترك لعلماء الموارنة كل الحرية من دون أدنى ممانعة .

المقدمة

في بيان الكتب المخطوطة باليد المستشهد بها في هذا الكتاب

انا اذ كنا في تأليف كتابنا هذا قد فحصنا واستقرينا كتباً ومصاحف شتى مخطوطة باليد لا توجد الا في خزائن الكتب القديمة ماعدا الكتب الكثيرة المطبوعة بمطابع اوروبا او غيرها وكانت الكتب المتضمَّنة في هذه المصاحف المخطوطة لا يقدر القارىء غالباً ان يطلع بنفسهِ على حقيقة الشهادات التي اتخذناها منها لقلة وجود نسخ هذه الكتب او عدمها في غير تلك المصاحف المخطوطة اقتضى ان نشرح في هذه المقدّمة حال هذه المصاحف المستشهد بها في هذا الكتاب ٠

فاعلم ان المصاحف المخطوطة باليد المستشهد بها في هذا الكتاب بعضها يوجد في المكتبة الواتيكانية الخاصة للاحبار الرومانيين ٠ و بعضها في الموسيوم البرُجيانى الملحق بخزانة مدرسة برو بغندا فى رومية ٠ و بعضها في اماكن شتى من بلاد الشرق ٠

اما المصاحف الواتيكانية فهي صنفان : سريانيّة وعربيّة ٠ ونحن نعين هذه المصاحف بالاعداد التي هي معلَّمة بها في فهرست تلك المكتبة البابا وية العظيمة ٠

المصاحف الواتيكانية السريانيَّة

(عدد ٢٩) : هذا المصحف يحوي احدى وعشرين نافورة للقداس يستعملها الموارنة ٠

« كتب هذا المصحف القس يمين بن سالم من قرية حاقل سنة ١٨٤٦ اليونان الموافقة لسنة ١٥٣٥ للميلاد . »

(عدد ٤٨) : هـذا المصحف يحوي الخيروطونيّات أي طقوس الرسامات للموارنة كتب سنة ١٥٠٧ في جبل لبنان لدى الموارنة .

(عدد ٤٩) : هذا أيضاً يحوي الخيروطونيات للموارنة كالذي سبق وهو احدث من ذلك بقليل .

(عدد ١٠١) : يحوي هذا المصحف كتاب شرح القداس وكتاب الكهنوت خطهما ابراهيم الحاقلاني بيده ونسبهما الى يوحنا مارون .

(عدد ١٣٣) : هذا المصحف يحوي كتاب الهدى وهو كتاب شرع الموارنة الذي ترجمه الى العربية داود الاسقف . وفي ذيله توجد هذه التعريفة بخط الكاتب « كتاب الناموس » نجز يوم الاربعاء ٣ ايار سنة ١٧١٣ للاسكندر (سنة ١٤٠٢ للمسيح) « وهو برسم الاخ المختار المغبوط المنتخب لله تعالى الاخ المطران بقرية .. (قد حكّ الاسم) وكتب في دير السيدة يسمى دير المروج بارض . . . (حكّ اسم القرية) « المحبة للمسيح المسمية لحفت في جبل لبنان وهو في أيام أبونا ومعلمنا وسيدنا البطريرك « مار يوحنا وهو (كتب) على يد انسان خاطىء . . . الحقير في روساء الكهنة المتكني باسم راهب يعقيب . » وتوجد بعد ذلك تعريفات أخرى منها: « نظر في هذا الكتاب المبارك العبد الفقير داود باسم شمّاس . » . « اشترى هذا الكتاب المبارك الحقير الفقير المسكين الخاطىء . . (قد حكّ الاسم) اشتراه من الخوري سمعان من قرية « الحادث » . اشترى هـذا الكتاب المبارك . . . الخوري ابن الشدياق من قرية حصرون اشتراه من الخوري سمعان » . « قرأ في هذا الكتاب المبارك المسمى كتاب الناموس الحقير يوسف من قرية حصرون وذلك من سنين اسكندر اصبح ١٩٠٣ أي سنة ١٥٩٢ للمسيح . »

(عدد ١٣٤) : يحوى كتاب الطب الروحانى • بحروف سريانية • كتب فى جبل لبنان عند الموارنة سنة ١٥٣٢ •

(عدد ١٤٦) : هذا المصحف يحوي كتابين الاول هو كتاب شرح معتقد الموارنة ليوحنا مارون بالسريانية والعربيَّة وأُلحق بهِ ردٌّ على القائلين بالطبيعة الواحدة • ثم ردٌّ آخر على النساطرة • و بعد ورقة ١٢١ قبل ان ينتهي الرد على النساطرة مُزّقت الاوراق القديمة ووضع مكانها اوراق جديدة كتبت فى مدينة رومية على ما يبان من الحبر والورق • حوت اواخر الرد على النساطرة وفصلاً فى زيادة الصلب على التريساجيون • سرق من اليعاقبة ونسب الى يوحنا مارون •

الكتاب الثاني من ورقة ١٣١ يحوي المقالات العشر لتوما الكفرطابي بالعربية الى آخر المصحف • وفي ذيل المصحف كله كتب الكاتب « ܐܫܠܡ ܟܬܒ ܗܢܐ ܗܢܐ ܩܕܝܫܐ ܒܝܕ ܚܛܝܐ ܘܡܣܟܝܢܐ ܛܝܒܐ ܐܦ ܩܕܝܫܬܐ ܟܢܫ ܐܕܟ ܘ ܡܡܡܠܠܐ ... قد حك هنا اسم العقد وتظهر منه حرف التاو الى الآن فيكون اما ܬܠܬܝܢ أو ܬܡܢܝܢ) ܘ ܬܠܬܐ ܡܐܐ ܐܝ̈ܘܢܝ ܐܝܟ ܡܢܝܢܐ ܘܝܘܢܝܐ ܡܡܡܠܐ ܡܚܣܢ ܕܩܪܝܬܐ ܡܢ ܩܪܝܬܐ ... حكت الفاظ تدل بالعدد على اسم القرية وكتب مكانها ܡܡܐ) ܡܢ ܐܬܪܐ ܕܓܒܠ •

«تمّ هذا التاب المقدس الحاوي كراسة ايمان البيعة المقدسه سنة ثلاث ... «(وثلاثين او ثمانين)وسبع ماية للاسكندر الموافقة لسنة ١٤٢٢ او ١٤٧٢ للمسيح) «على يد انسان ضعيف وخاطىء الشماس يوسف الغريب من قرية (حاقل) التي فى « بلد جبيل ... »

الراجح عندي ان الذي حك اسم العقود من تاريخ هذا الكتاب (وهو كان عدد الثمانين على غالب ظني) كان أحد الموارنة المتأخرين القائلين بأن كتب أجدادهم

حرّفها توما الكفرطابي . وانما حك اسم العقود ليقرب تاريخه الى تاريخ المصحف الآخر (عدد ١٣٣ الواتيكاني) الحاوي كتاب المهدي وليبين من ذلك انّ كتاب المهدى قد حرّفه توما الكفرطابي ولم يحس ان هذه الحيلة لاتنفعه . لان ذلك التاريخ ليس هو تاريخ تأليف الكتاب بل تاريخ نسخه بعده بأكثر من ثلاثمائة سنة .

(عدد ١٥٩): يحوي مجادلات سويرس بن المقفع أسقف الاشمونيين اليعقوبي بالعربية وهو مخطوط بالحروف السريانية .

(عدد ٢٦٩): يحوي هذا المصحف انجيلا سريانياً للموارنة مكتوباً بالحروف القديمة المربعة [١] والمظنون ان عهده يتقادم الى القرن الثاني عشر .

(عدد ٢٧٤): يحوي على جلد رق كتاب الطقس للملكية بالسريانية . والبائن انه خُطّ فى القرن العاشر .

(عدد ٣٠٩): هذا المصحف القديم كتب في سنة ١٢٩٥ للمسيح . وهو يحوى طقس رسامات الكهنوت للموارنة .

(عدد ٢١٣): يحوي كلنداراً للموارنة وأشياء أخرى وهو ناقص فى آخره فلا يمكن تحقيق تاريخه ولكن فى أوله يقرأ « نظر فى هذا الكتاب المبارك الحقير بطرك دير قنو بين سنة افعو لليونان (سنة ١٥٦٥ للمسيح) .

(عدد ٣١٧): يحوي من الجملة كلنداراً للموارنة . كتبه في جزيرة قبرس كاتب يعقوبى سنة ١٥٠٨ .

---

(١) كان من الواجب علينا أن نصور بهذه الحروف القديمة النصوص التي أوردناها في كتابنا هذا من الكتب المخطوطة بهذه الحروف وبالحروف المسماة بالنسطورية ما كان في الاصل مخطوطاً بها . الا انه ما أمكننا الا ان نصورها كلها بالحروف المحدثة المسماة باليعقوبية . أولا لان ليس كل أحد يقرأ الحروف القديمة أي الاسطرنجيلية ولا النسطورية وثانياً لان مطابع بلاد الشرق لاتحوي تلك الحروف .

(عدد ٣٩٥ و٣٩٦) : مجلدان يحويان بالعربية والحروف السريانية كتاب الاحتجاج عن ايمان الموارنة تأليف البطريرك الانطاكي الماروني اسطفانس الاهدني الدويهي .

(عدد ٤٠٥) : هذا المصحف الضخم يحوي كتابا عنوانهُ تفسير الأنجيل الطاهر على موجب تابع بشارات متى ومرقص ولوقا و يوحنا مقسوماً الى فصول . كل فصل منها مذكور في اي يوم يقرأ في الكنيسة بحسب طقس الموارنة الموافق لطقس اليعاقبة . وهو باللغة العربية ولكنه مخطوط بالحروف السريانية وفى آخره يقرأ « كتبه ميخائيل فى جبل لبنان سنة ٧٠٦٤ لآدم الموافقة لسنة ١٨٦٧ للاسكندر وهي سنة ١٥٥٥ للمسيح فى .. أيام ... البطريرك مار بطرس الذي فى قنوبين والمطران داود الخ . »

(عدد ٤٢٤) هذا المصحف مخطوط بالحروف السريانية اليعقوبية وهو يحوي مؤلفات عربية شتى أ كثرها تأليف نوح بطريرك اليعاقبة الباقوفي الذى عاش في القرن الخامس عشر . اخصها شرح ايمان اليعاقبة وهجو الملكية والموارنة .

﴿ المصاحف الواتيكانية العربية ﴾

(عدد ٢٨): هذا المصحف يحوي كتاب الصحائح في الرد على الصائح تأليف الصفى أبي الفضائل القبطي خط هذا المصحف سنة ١٣٦١ .

(عدد ٥٥) : يحتوي الاوخولوجيون اي رتبة الصلوات والخدم البيعية بالعربية حسب طقس اليونان كتب على البائن في القرن الخامس عشر .

(عدد ٧٤) : فيه مؤلف لموسى بن عطشية القبطي فى معتقد اليعاقبة .

(عدد ٧٦) : فيه مؤلف لنيقون احد تباع فوتيوس الشهير وسماه التيبيكُنْ مستخرج من اليونانية الى العربية . حكم مصنف فهرست المكتبة الواتيكانية ان هذا المصحف كتب في القرن الثاني عشر .

(عدد ٩٩) : يحوي كتبا شتى لليعاقبة والملكية نسخت حديثًا .

(عدد ١٠٣) : يحوي كتاب فصول الدين لابي اسحق بن العسال القبطي المشهور .

(عدد ١٠٤) : يحوي كتاب القوانين المكملة والفرائض المهملة تأليف ابي شاكر بن الراهب القبطي . وفي ورقة ٧٥ منه يقال فيه « المقالة السادسة تصنيف يوانيس الطبيب المعروف بالمختار بن الحسن بن عبدون بن بطلان البغدادي في القربان المقدس صنَّفها في القسطنطينية للاب « البطريرك انبا ميخائيل . نقلت من نسخة بخط السبيح لاسعد أبي الفرج بن العسال » وذلك سنة ١٣٦٥ لليونان التي هي سنة ١٠٥٤ للمسيح

(عدد ١١١) : يحوي مؤلفات بولس الراهب اسقف صيدا الانطاكي الملكي بخط يده وهو عاش في القرن الخامس عشر .

(عدد ١١٣) : فيه رد يحيى بن عيسى التكريتي اليعقوبي على محمد بن هرون المعروف بابي عيسى الوراق الذي كان قد طعن في النصرانية بالنظر الى مذاهبها المختلفة

(عدد ١٥٥) : فيه رد سويرس بن المقفع اسقف الاشمونيين القبطي على سعيد الاسكندري مدافعة عن معتقد اليعاقبة . خط في القرن الرابع عشر .

(عدد ١٨٠) : فيه مجادلات لاحد النساطرة (ظن السمعاني انه ليشوعياب بن ملكون . لان المصحف ناقص في أوله وآخره) .

(عدد ٦٨٠) : يحوي تواريخ بطاركة الاسكندرية الاقباط تأليف سويرس بن المقفع المذكور .



﴿ المصاحف البُرجيانية ﴾

هذه المصاحف كما قلنا سابقا تخص الموسيوم البرجياني الملحق بخزانة مدرسة برو بغندا الشهيرة في رومية . ولما كانت المصاحف التي نستشهدها من هذه الخزانة ليست معلمة بأرقام لان الكتب المخطوطة باليد الموجودة فيها لم يصنع الى الان فهرست لها اقتضى أن نصطلح على علامات نعين بها مصاحف تلك الخزانة التي ورد الكلام عنها في كتابنا . وهاك شرحها .

عدد (ب) : هذا المصحف قديم جدا مكتوب على جلد رقّ بالحروف السريانية القديمة المربعة . قطعته نصف مثمن أو مثمن صغير . يحوي من الجملة طقس الاسرار للملكيين باللغة السريانية . وهو ناقص في آخره.

عدد (ت) : هذا المصحف يحوي شرح القداس ليعقوب بن الصليبي اليعقوبي بالسريانية وقد ضم اليه مجموع مصنفات صغيرة شتى مؤلفها هو واحد . لان مؤلفها يذكر كثيراً في كل منها اسم المؤلفات الاخرى . وهذا المجموع هو تأليف أحد الموارنة . والدليل على ذلك هو أنه يذكر فيه الاقباط والملكية والسريان واليعاقبة والنساطرة والافرنج والارمن من حيث هي ملل مختلفة عن ملة المؤلف.

عدد (ث) : يحوي بالسريانية طقس العماد وغير ذلك للموارنة على حالها الاول أي من دون التغييرات التي أحدثوها في طقسهم في الازمان المتأخرة تبعاً للآتين . البائن ان هذا المصحف كتب في القرن الخامس عشر .

عدد (ج) : يحوي هذا المصحف بالعربية وبالحروف السريانية كتاباً عنوانه : « كتاب الطبّ مما جمع من قوانين الآباء الاطهار . تأليف أحد الموارنة . وهذا الكتاب الموجود أيضاً في المصحف الواتيكاني عدد ١٣٤ المارّ ذكرهُ . وكتب كاتبه في آخره هذا التاريخ « كُتب الكتاب على يد الشماس سمعان بن القس هارون بن

الخوري حنا من قرية حدشيت محبة المسيح من جبل لبنان . حد بشرى من معاملة طرابلوس سنة ٧٠٨٢ لآدم سنة اسكندو ١٨٨٦ (سنة ١٥٧٥ للمسيح) وكان بأربعة أيام من شهر أيلول قاعدة ستة وثمانين السنة الداخلة « بأيام روستنا وأسيادنا مار بطروس البطريرك الذي من قرية باقوفا ومطراننا مار داود الذي من قرية « الحديد بدير قنوبين كرسي قنوبين وانطاكية : مار بطرس » .

عدد (ح) : يحوي هذا المصحف كتاب القداس للموارنة مخطوطاً بالسريانية بيد المطران اثناسيوس سفر السرياني بمعاونة كاتب آخر ماروني . كتبه سنة ١٦٧٧ على نسخة كتبت في جزيرة قبرص .

عدد (خ) : هذا المصحف حوى كتابين مختلفي المعنى والعهد رُبطا معاً بجلد واحد . أما الاول منهما فعنوانه « بعض مقالات الآباء القديسين ضد هوءلاء الذين ينكرون ان في سيدنا المسيح طبيعتين بعد اتحاده » وهو تأليف أحد الموارنة . فانه كتب في مطلعه في وجه ١٤٠ : « انا نوضح ذلك ... حتى يعلم كل من يقف على لفظنا هذا من سائر الآباء البطاركة الخ وجميع الشعب المؤمنين المسيحيين أهل جبل لبنان الموارنة الذين تفسيرهم الربانيين . » هذا الكتاب الاول عربي كُتب بالحروف السريانية في وقت كان فيه بعد عند اليعاقبة والموارنة أثر من الحروف القديمة المربعة فان الشين فيه تشبه الشين القديمة . فيكون تاريخ كتابته في حدود القرن الرابع عشر .

أما الكتاب الثاني فيحوي مجادلات ومباحثات شتى منثورة أولا مع اليهود ثم مع الاسلام . ثم مع اليعاقبة . ثم مع النساطرة . ومؤلفها بين ملكي وماروني لانه يظهر من نص كلامه أنه لم يكن يعقوبياً ولا نسطورياً ولكن من أحوال الكتاب يتضح أنه لم يكن ملكياً بل كان مارونياً . فان الكتاب مكتوب في العربية بحروف سريانية مائلة الى المربعة وتاريخه « سنة ١٦٩٥ للاسكندر » (وهي سنة ١٣٨٤ للمسيح) على يد الكاتب سمعان بن الخوري من القرية المباركة « في جبل لبنان... حد الحادث في زمان الاب مار بطر . . . الموارنة » .

عدد (د) : يحوي هذا المصحف بالعربية شرح ايمان الموارنة مثل الكتاب الاول من المصحف (خ) وتاريخ هذا المصحف « نسخ الكتاب يوحنا بن السالوس في مدرسة الموارنة سنة ١٦٢٨ للمسيح » .

عدد (ذ) : هذا المصحف عربي يحوي شيئاً من المقالة المار ذكرها الموجودة في عدد (د) وغير ذلك مما ترجمه جبرائيل بن القلاعي من الافرنجية الى العربية » . كتبه سركيس الخاطي من قرية سمرجبيل سنة ١٥٧٠ للمسيح .



﴿ مصاحف أخرى ﴾

انا قد استعنا في كتابنا هذا بمصاحف أخرى غير التي ذكرناها الى الآن وهي توجد في خزائن شتى من بلاد الشرق . وهاك صفة أخصها .

عدد (ر) : هو مصحف ضخم يحوي كتاب السنوديقون أي مجموع المجامع المقبولة عند النساطرة . ويحوي مقالات شتّى كثيرة في أمور شرعية وغير ذلك ومن الجملة رسائل طيمثاوس الاول بطريرك النساطرة . وهذا المصحف كُتب في حدود القرن الخامس عشر . وهو ملك دير الكلدان المعروف بربَّان هرمز الذي عند القوش من أعمال الموصل . ولهذا الكتاب نسخة أخري أقدم جدا وأجود . هي ملك دير مار يعقوب بمدينة سعرد .

عدد (ز) : يحوي كتاب شرح ايمان الموارنة الذي في عدد (خ) . وهو مخطوط في جبل لبنان بالحروف السريانية في أواخر القرن الثامن عشر . هذا المصحف هو ملك دير ربان هرمز المذكور .

عدد (س) : يحوي صورة تقرير الايمان . يلتزم اساقفة النساطرة بتقريره يوم

رسامتهم ومسائل شتى في النسطورية وكلندارًا طويلاً للنساطرة وغير ذلك . هو ملك دير مار يعقوب بقرب مدينة سعرد .

عدد (ش) : يحوي مؤلفات شتى لديونيسيوس بن الصليبي اليعقوبي أسقف أمد . هو ملك بيت ثعلبان من يعاقبة الموصل وهو قديم جدًا .

عدد (ص) : تفسير الاناجيل والرسائل لابن الصليبي المذكور وغير ذلك ويسمى عند العامة قينا باديس . وهو ملك بيت السادة عبد النور الذي هو من أشرف بيوت يعاقبة الموصل .

عدد (ض) : يحوي تواريخ صليبا القسيس النسطوري الموصلي مع غير ذلك من المؤلفات النسطورية . كُتب حديثًا في أواخر القرن الخالي . وهو ملك غبطة بطريرك الكلدان .

عدد (ط) : تواريخ ابن العبري السريانية مستخرجة الي العربية بأقبح ما يكون من اللغة . ولذلك نحن في ايراد النصوص قد أصلحناها على قدر الامكان بما يوافق فصاحة اللغة العربية . وهو ملك بيت السادة عبد النور المذكورين . وتوجد نسخة أخري في بيت السادة نخايا من أشرف بيوت يعاقبة الموصل .

عدد (ظ) : يحوي مؤلفات شتى لموسى بن كيفا ولعازر بن سبتا ويوحنا وهبون ويعقوب الرهاوي وغيرهم في الاسرار . هو ملك دير الشرفة الذي للسريان في جبل لبنان .

عدد (ع وغ) يحويان تفسير الاناجيل في العربية . تأليف ابن الطيب النسطوري هما ملك كنيسة الكلدان بديار بكر .

عدد (ف) : مصحف ماروني موجود عندنا يحوي خدمة القداس وعموميات صلوة الفرض وغير ذلك بحسب طقس الموارنة . كُتب نحو القرن الرابع عشر على ما يبان . لانه ناقص في أوله وآخره .

تنبيه أول

اعلم أني حين تأليف هذا الكتاب كنت بعيداً عن مدينة رومية . فلما لم يمكني أن أطالع بنفسي المصاحف الموجودة في تلك المدينة كلفت أحد أصدقائي الذي كان يومئذ يقرأ العلوم في مدرسة برو بغندا ان يفتش خزائن تلك المدينة العظمى ويلتمس ما يجده فيها مناسباً لموضوع كتابي . وقد لبى طلبتي وقضى أربي بكل سرور اذ أنه مكث زمانا ينقب في خزانة المكتبة الواتيكانية والموسيوم البرجياني ويقلب كنوزها بجدٍّ عظيم . ووجد لي أيضاً شهادات كثيرة لم تكن تخطر ببالي . وقد اطلع في أثناء تحصيله من الكتب المطبوعة أيضاً على فوائد كثيرة تفضَّل عليَّ بها لقضاء حاجتي .

تنبيه ثانٍ

أننا في ايراد النصوص العربية المستشهد بها في هذا الكتاب والمكتوبة في الاصل بالعربية قد تركناها على علاتها ولم نصحح ما فيها من الغلطات الصرفية والنحوية واللغوية لئلا نظهر اننا قد حرفنا شهادة غيرنا في أدنى ما يكون من الوجوه .

تنبيه ثالث

كل مقالة أو حاشية زيدت من ناشري الكتاب يشار اليها بهذه العلامة ***.



الباب الاول

﴿ في تعريف مسألة الموارنة ومختصر تواريخها ﴾

(الى يومنا هذا وفيه ستة فصول)

الفصل الاول

في حقيقة مسألة الموارنة وتعريفها

أن من جملة الطوائف النصرانية الموجودة في بلاد الشرق طائفة قديمة معتبرة سريانية الاصل تسكن الجهات الغربية من بلاد سورية أو الشام ولا سيما جبل لبنان يقال لها الطائفة المارونية . فهذه الطائفة هي كلها كاثليكية الآن منذ أجيال كثيرة وخاضعة لرئاسة الحبر الروماني رأس الكنيسة الكاثليكية . وليس فيها فروع هرطوقية او منشقة كما في غيرها من الطوائف النصرانية الشرقية . فمجال البحث عن هذه الطائفة هو هذا : اي أكانت الطائفة المارونية منذ القديم ارثذكسية كاثليكية كما هي منذ الاجيال الاخيرة والآن . أم وجدت اولاً مدة أجيال خارجة عن حضن الكنيسة الكاثليكية مشتبكة بقيود الهرطقة او الشقاق . ثم بعد ذلك أرعوت ورجعت الى طاعة الكنيسة الكاثليكية وانضمت الى وحدتها .

«أما الموارنة نفسهم فيزعمون ان اصلهم هو من القديس مارون الانبا وأنهم لم « ينحرفوا قط عن الديانة الكاثليكية ولا فصلوا أنفسهم عن وحدة الكنيسة أبدا . « ولكن الآخرين ذهبوا خلاف هذا المذهب . أي زعموا انمنشأ الموارنة هو من « هرطقة المنوثليتيين (أي القائلين بالمشيئة الواحدة في المسيح) . وأن عميدهم كان «رجلا اسمه مارون وكان متمسكاً بتلك البدعة . وأن الموارنة انما رجعوا الى الكنيسة

« الرومانية سنة ١١٨٢ على يد ايمريك الثالث البطريرك الانطاكي اللاتيني ». هكذا كتب البابا بندكتوس الرابع عشر في رسالته الى نيقولاوس لزكري .

فنحن من القائلين هذا القول . اي نذهب الى ان الموارنة في الاصل لم يكونوا كاثليكيين ولا ارثذكسيين بل كانوا منشقين عن الكنيسة الكاثليكية وضالين ببدعة المنوثليتيين أي القائلين بالمشيئة الواحدة في المسيح وبقوا أحقاباً في هذا الحال . ولم يهجروه الا بنعمة الله وفضل الكرسي الرسولي الروماني الذي صرف الهمة السامية والنفقات الجزيلة الوافية لنشل هذه الامة من وهدة الطغيان الذي كانت فيه وذلك منذ أواخر القرن الثاني عشر حيث أخذ الموارنة يجحدن ضلالهم رويداً رويداً ويدخلون حظيرة الكنيسة الكاثليكية . ولم يتطهروا جيدا من آثار الهرطقة والشقاق حتى القرن السادس عشر . ومن ثمَّ لبثوا ثابتين في طاعة الكنيسة الرومانية الى يومنا هذا . فنحن نقر ان الموارنة من أواخر القرن الثاني عشر فصاعدا انضمَّ بعضهم ثم كلهم الى حضن الكنيسة الكاثليكية ولكن ننكر أنهم كانوا ارثذكسيين او كاثليكيين قبل ذلك العهد . وهذا هو الذي باشرنا بيانه في هذا الكتاب بحوله تعالى . واخصامنا في هذه المسألة هم الموارنة المتأخرون ولا سيما تلامذة مدرسة الموارنة التي برومية المشتهرين في العلوم من مبادئ القرن السابع عشر فصاعداً . الذين رغبةً في أن يفاخروا بأجدادهم خلاف الحق وازدراء للمنن العظيمة التي كان الاحبار الرومانيون قد جادوا بها على طائفتهم بجذبهم اياهم الى الايمان القويم وتثقيفهم به استنبطوا هذا الزعم وهو ان اجدادهم منذ الاجيال الاولى كانوا مستمرين في طاعة الكنيسة الرومانية ولم يزيغوا عنها البتة وأنهم بذلك تميزوا على الدوام عن سائر الطوائف الشرقية اذ لم يحتاجوا قط الى أحد ينذرهم ويرشدهم ويهديهم الى معرفة الحق . ولا لاحد حتى للاحبار الاعظمين فضل عليهم في ذلك .

ولما كان من المحتمل ان يقع كتابنا هذا بيد قارئ غير خبير بهذه المباحث الدينية

فيعسر عليه فهم كثير مما فيه من ذلك القبيل . رأينا من الصواب اولا أن نبسط هنا شرحا مقتصرا في حقيقة المسألة الدينية نفسها على وجـه العموم قبل ان نخوض في البحث عن مذهب الموارنة القدماء . فنقول :

ان الكنيسة الكاثليكية التي رأسها هو الحبر الاعظم الجالس في رومية على كرسي بطرس الرسول تعتقد ان يسوع المسيح المتجسد أولا له اقنوم واحد الاهيّ وثانياً له طبيعتان الواحدة الاهية والاخرى انسانية . وثالثا له مشيئتان الواحدة الاهية والثانية انسانية وفعلان الاهيّ وانسانيّ . فهذا هو فيما يختص بتجسد المسيح المعتقد الارثذكسي أي المستقيم الرأي الصحيح . وكل نصرانيّ لا يقبل هذا المعتقد بجملته أو بواحد من أبوابه ليس هو ارثذكسيًّـا عند الكاثليكيين بل هو لديهم هرطوقي أو مبتـدع أو ملحد .

فاول من أنكر الباب الاول من هذا المعتقد الارثذكسي وهو أن المسيح له أقنوم واحد الاهيّ هو نسطور بطريرك القسطنطينية وذلك نحو سنة ٤٣٠ للمسيح وزعم ان في المسيح أقنومين أي شخصين واحـد الاهي والآخر انساني وقد حرمت هذه البدعة والقائلون بها في المجمع الثالث من المجامع المسكونية وهو الافسسي سنة ٤٣١ . ويسمى أهل هذه البدعة نساطرة نسبة الى نسطور المذكور .

وكان النساطرة قد تقوّوا وانتشروا في الجهات الشرقية من أسيا . وفي أواخر القرن السادس عشر رجع معظمهم الى حضن الكنيسة الكاثليكية والى طاعة رأسها الحبر الروماني . ويسمى هؤلاء الراجعون من الهرطقة النسطورية كلدانا . لانهم كانوا من جنس السريان المعروفين بالكلدان كما في سورية وكردستان والجزيرة والعراق وفارس اوكانوا يستعملون هذه اللغة كما في بلاد الهند وما يجـاورها . والى الآن يوجد من النساطرة جمّ غفير في جبال كردستان والجزيرة وفارس باقين على ضلالهم .

والذين ينكرون الباب الثاني من المعتقد الارثذكسي ويزعمون أن في المسيح طبيعة واحدة يسمون المنوفيسيتيين . واول من زعم هذا الزعم هو اوطاخي او اوطيخوس رئيس الرهبان في مدينة القسطنطينية نحو سنة ٤٤٨ . ووافقه ديوسقورس البطريرك الاسكندري . وحرمت هذه البدعة في المجمع الخلقيدوني وهو الرابع المسكوني المعقود سنة ٤٥١ . وبهذا المجمع طفئت بدعة أوطاخي بعينها . غير أنه ظهر فرع منها يقول بطبيعة واحـدة في المسيح بغير المعنى الذي قاله اوطاخي وأقرب الى المعنى الكاثليكي .

ومن الذين قالوا هذا القول كان برصوم الناسك الذي نشر هذا المعتقد بين الارمن على يد تلميذه وقد مات هو سنة ٤٥٨ ومن بعده سويرس البطريرك الانطاكي نحو سنة ٥١٥ . ثم نشره واثبته بين السريان والمصريين يعقوب البرادعي اسقف الرها في سنة ٥٥٠ وهو الذي نسبة الى اسمه اتخذ المنوفيسيتيون أي القائلون بالطبيعة الواحدة اسم اليعاقبة من سريان وقبط وارمن . غير ان اسم اليعاقبة غلب على السريان خاصة حتى أنه اذا قيل يعاقبة بلا تقيد كان المراد بذلك السريان دون غيرهم .

وقد انتشرت المنوفيسيتية وتأصلت منذ ذلك العصر بين هؤلاء الامم الثلاث وبين الحبش وغيرهم وهي باقية عندهم الى يومنا هذا . وهؤلاء اليعاقبة يرفضون المجمع الخلقيدوني ولاون البابا الذي ساس الكنيسة الكاثليكية في زمان ذلك المجمع وبأمره التأم المجمع . ويحرمون أيضاً اوطاخي نفسه وتعليمه مع كونهم يقولون بطبيعة واحدة في المسيح ويفسرون (ولاسيما السريان والاقباط منهم) قولهم هذا تفسيراً يقرب معتقدهم الى الايمان الارثذكسي . ومن القرن الخامس عشر فصاعداً شرع جماعة من اليعاقبة يرجعون الى طاعة الكنيسة الكاثليكية شيئاً بعد شيء . وبعد رجوعهم رفضوا اسم اليعقوبية وبقيت كل طائفة منهم تعرف باسم جنسها الاصلي من سريان وارمن واقباط .

وأول من قال بالمشيئة الواحدة والفعل الواحد في المسيح هرقل ملك الروم سنة ٦٢٢ بمشورة اثناسيوس بطريرك اليعاقبة وهو ابرز منشورًا ملكيًا في سنة ٦٣٠ لتأييد هذه البدعة وأمر الناس بقبولها. ثم في سنة ٦٣٩ ابرز منشورًا آخر اوضح من الاول يسمى اكتيس (Ecthèse) ومنذ الاول تمسك بالبدعة المنوثليتية سرجيوس القسطنطيني وقورش الاسكندري ومقاريوس الانطاكي البطاركة بقبولهم منشور هرقل . ومن بعد هرقل عضد المنوثليتية قسطنطين الملك . ثم خليفته قسطة او قسطنط وهذا الاخير ابرز منشورًا في ذاك المعنى يسمى طوپس (Typus) وبقيت المنوثليتية في الكنائس الثلاث الاسكندرية والانطاكية والقسطنطينية في زمان هؤلاء الملوك الثلاث . وأول من ناهض هذه البدعة القديس مكسيموس المعترف في القسطنطينية وصفرونيوس البطريرك الاورشليمي وغيرهما من جهابذة الكنيسة وحاربوها بكل قواهم . ومن الذين اشتهروا على الخصوص في مقاومة هذه البدعة منذ اخذت تتسع مرتينوس الحبر الروماني الاعظم. ولما ملك قسطنطين الملك المعروف باللحياني بعد قسطة تمسَّك بالمعتقد الكاثليكي وعضده . وبهمته حرمت بدعة المنوثليتية سنة ٦٨٠ في المجمع السادس المسكوني الذي حدَّد ان في المسيح مشيئتين وفعلين.



الفصل الثاني

في أصل هذه المسألة وفيه شرح تواريخ زعم الموارنة بالاختصار

انَّ جميع الذين كتبوا في الاجيال السالفة عن الموارنة ان شرقًا وان غربًا ان كاثليكًا وان غير كاثليك وسواء كانوا من الطائفة المارونية او من غيرهم قد ميزوا قاطبةً هذه

الطائفة عن سائر الطوائف الشرقية النصرانية بشيء واحد خاصة وهو انها كانت تعتقد ان في المسيح مشيئة واحدةً خلافاً لما تتمسك به الكنيسة الكاثليكية . وسيأتي بيان ذلك مفصلاً في محله انشاء الله .

وأول من ادَّعى بخلاف ذلك هم الموارنة المتأخرون بعد انضمام طائفتهم الى الكنيسة الرومانية باحقاب . فانهم أخذوا يدَّعون بان أجدادهم لم يسقطوا قط في هرطقة او شقاق . وهلم بنا نشرح هاهنا بالاختصار كيف سرى بين الموارنة ومن تبع قولهم هذا الزعم الجديد شيئاً فشيئاً الى يومنا هذا .

أول من زرع بذار زعم الموارنة ومهَّد الطريق لمن يأتي بعده ليتوسعوا فيه هو جبرائيل بن القلاعي الماروني الذي ترهَّب اولاً في رهبنة مار فرنسيس . ثم صار اسقفاً مارونيا في قبرص. وتوفي في مبادئ القرن السادس عشر أي بعد مضي اربعة قرون او يزيد على عهد الصلح الاول الذي عقدته هذه الطائفة مع الكنيسة الرومانية . فهذا الاسقف اذ كان متقداً غيرة على الايمان الكاثليكي ورأى انّ قوما في طائفته كانوا مائلين الى الاستقلال وتخفيف فرض الطاعة الواجبة للحبر الروماني خليفة بطرس الرسول ورأس الكنيسة الكاثليكية افرغ كلّ وسعه في رسائل شتى ارسلها من رومية الى اخوته ولا سيما الى بطريركهم ليبين لهم ضرورة الانقياد للكرسي الرسولي . ولكي يفهمهم ان ذلك لم يكن فرضاً رُسم لهم حديثاً اخذ في رسالة بعث بها سنة ١٤٩٤ الى سمعان الحدثي البطريرك الماروني المنتخب جديداً يحض هذا البطريرك على المسارعة الى طلب التثبيت من الحبر الروماني ولو ظهر ذلك له ولطائفته شيئا غريباً (١) . ومن ثم أخذ يروي عن موارنة القرون الثلاثة السالفة من حسن طاعتهم

(١)*** وفي النسخة التي بخط المؤلف : « ويقول له : لا يستطيع أحد ان يخاصمني زاعماً ما قلته لك أمراً حديثاً أي التزام البطريرك المنتخب جديداً بطلب التثبيت من الحبر الاعظم . فيشهد لي به خمسة عشر كتاباً بابوية الخ . »

للبابا وثباتهم في الايمان الكاثليكي حكايات كثيرة لم يروها قبله أحد . ولما رأى أن طائفته مع أنها قد دخلت من زمان حظيرة الكنيسة الكاثليكية قد تبقى في كتبها أشياء غير ارثذكسية شرع يحذرهم من هذه الغوايات . ورجاء أن يكرهها اليهم غاية ما يمكن برَّأ اجدادهم الاقدمين منها واخترع قصة توما الكفرطابي اليعقوبي الماروني ونسب اليه كل هذه الغوايات . واختلق قصة ليوحنا مارون المحسوب بطريركهم الاول فيها يدعو هذا البطريرك بطلا شجاعا قويًا محاميا عن صحة الايمان الكاثليكي وهكذا على يد هذا جبرائيل واضع الاساس الاول بنى الموارنة من بعده زعمهم بعدم سقوط طائفتهم قط في هرطقة . مع ان ذلك لم يصرح به ابن القلاعي ولا كان مراده أن يطرق هذا الباب . ويمكن أنه لم يخطر ذلك على باله .

وبقيت هذه البذار التي زرعها جبرائيل القلاعي مطمورة ولم تنبت زمانًا حتى قام في أواسط القرن السابع عشر تلامذة مدرسة الموارنة التي في رومية العظمى . فاقبلوا على الاساس الذي وضعه جبرائيل المذكور وأخذوا يوسعونه ويبنون عليه . وشرعوا بالتتابع يبثون في أوربا وغيرها هذا الرأي ويحامون عنه بكل قواهم . أولهم جرجس عميرة الذي صار بطريركا ثم يوحنا الحصروني . وتوفي كلاهما سنة ١٦٤٤ . ثم يوسف العاقوري ثم جبرائيل الصهيوني بعدهما بقليل . وهؤلاء كلهم ادَّعوا في مصنفاتهم التي الفوها ان طائفتهم لبثت في كل القرون ثابتة في الايمان الكاثليكي .

ثم قام نحو ذلك الزمان ابراهيم الحاقلاني وبنى على مبنى من سبقه ووسعه وزاد على كل ذلك أنه نسب الى يوحنا ماون المحسوب زعيمهم الاول كتبا لم يعرفها أحد قبله . واستشهد بها في كتبه التى الفها باللاتينية .

ولكن الذي فاق جميع من سبقه في الاجتهاد وعلى اقناع الناس بهذا مدعى الموارنة كان مرهج نيرون أو نمرون الباني تلميذ المدرسة المذكورة . فانه الف في هذا الشأن تصانيف شتى باللغة اللاتينية . واخصها كتاب في اسم الموارنة وأصلهم ودينهم طبعه

سنة ١٦٧٩ وكتاب اخر سماه سلاح الايمان طبعه سنة ١٦٩٤ . وفي هذين الكتابين على الخصوص اسهب في اقامة البراهين على أن الطائفة المارونية لم تهرطق قط ولم تنشق. وقد استقصى في الامر استقصاء تاماً حتى ان جميع الموارنة الذين تعاطوا هذه القضية من بعده قد أخذوا عنه كل ما حاولوا ان يدافعوا به عن زعمهم بثبات طائفتهم الدائم في الايمان . وخلاصة ما ادَّعى به هذا المصنف هو ان اسم المارونية مأخوذ من القديس مارون الناسك الذي عاش في القرن الخامس . وان هذه الطائفة منذ ذلك العصر سميت بهذا الاسم لسبب محاماتها عن ايمان المجمع الخلقيدوني وان الموارنة في ذلك الزمان كانوا يسمون مردة . وان مارون بطريركهم الاول انقاد لمرسلي البابا الروماني وكتب ضد القائلين بالمشيئة الواحدة . وان الموارنة قاوموا دائما الملكيين لا تباع هؤلاء مقاريوس ومقدونيوس المنوثليتيين . وان الذين رجعوا الى الايمان الكاثليكي في القرن الثاني عشر كما ذكر المؤرخون لم يكونوا الطائفة المارونية بأسرها. بل جماعة منها قال أنها كانت قد زاغت عن الحق . مستشهداً في ذلك جبرائيل القلاعي وغيره مما سترى تفصيله في محله

وفي أثناء ذلك قام اسطفانس الاهدني الذي صار بطريركاً على الموارنة سنة ١٦٧٠ وكتب في العربية كتباً شتى لاثبات زعم الموارنة والمدافعة عنه وأفرغ في ذلك كل ماجادت به قريحته التي لم تكن فاترة ولا قاصرة . وخلاصة ادعاء آته لا تفرق كثيراً عن ادعاء آت نيرون المذكور .الا انه قد أسهب في بسط براهين ذاك واوسع فيها وزاد عليها. ومنها أنه لفق قصة ليوحنا مارون بناها بالخصوص على القصة التي ابرزها جبرائيل القلاعي وزاد عليها أشياء كثيرة من عنده . ونسب الى يوحنا هذا كتباً أكثر مما نسب اليه من سبقه كابراهيم الحاقلاني وغيره . وخلاف ذلك .

وفي أواسط القرن الثامن عشر اشتهر في مدينة رومية العظمي يوسف سمعان السمعاني. فهذا صنف في اللاتينية كتباً عظيمة جليلة فائقة القدر تخلد ذكره في العالم. غير

ان حبه الزائد لبني جنسه أوقعه هو أيضاً في المرض الذي اعترى من سبقه من الموارنة فانه في ثلاثة من كتبه النفيسة أي المكتبة الشرقية والمكتبة الشرعية او مكتبة الشرع وكتاب تواريخ ايطاليا تعرض لذكر مسألة ارثذكسية الموارنة القدماء . وحامي عن ثباتهم في الايمان غاية الوسع والطاقة . وادعى فيها ما ادعاه الموارنة من قبل . الا انه خالفهم في بعض قضايا منها ان ما رون البطريرك لم يُنصب بمجمع كما ادعى الاهدني المذكور أنفاً . وان الذين انتخبوه لم يكونوا الاساقفة الطائعين ليسطنيان الملك بل اساقفة المردة الذين كانوا عاصين على ذلك الملك . وان ما رون لم ينطلق الى رومية كمازعم صاحب قصته . وان صاحب هذه القصة خلط زمان مارون مع الزمان الذي فيه كان بطريركهم ارميا قد رجع مع بعض اساقفته الى طاعة الكنيسة الرومانية على يد انوكنتيوس الثالث البابا في أواخر القرن الثاني عشر . وان ما رون لم يكتب شيئاً في المنوثليتيين لا محاماة ولا رداً . وان طائفته انما سميت مارونية في الاول من بغضة الهراطقة وان الآثار القديمة لا تذكر اسم الموارنة حتى القرن التاسع وغير ذلك .

وتتبع آثار هؤلاء ولا سيما يوسف السمعاني جميع من كتب بعدهم من الموارنة في هذه القضية محاماةً لزعمهم . منهم بطرس مبارك في المجلد الثاني من مؤلفات مارافرام ولويس السمعاني وعواد السمعاني. واسطفانس السمعاني وغيرهم. وهم كلهم كتبوا في اللغة اللاتينية أو الايطاليانية. وفي السنين القريبة منا كتب في العربية في هذا المعنى القس عيسى الجاماتي الدمشقي . والقس ميكائيل فاضل البيروتي . والقس يوحنا باذنجاني الحلبي . والخوري أنطون قياله البيروتي . وفي هذة السنين المتأخرة ظهر بالعربية كتاب الدرّ المنظوم تأليف العالم العلامة الجليل السيد بطرس بولس مسعد بطريرك الموارنة الذي في الجد والجهد والنقل والجمع والبحث قد فاق جميع من كتب قبله في هذه المسألة.

وآخر كتاب صنف في هذا الشأن هو كتاب روح الردود الفه احد أفاضل علماء الموارنة في زماننا هذا وهو السيّد يوسف الياس الدبس مطران بيروت حالا اذ كان

خوريًا ردا على حاشيةٍ وجيزة كنت قد علقتها في هذه القضية على كتاب نشرته برومية العظمى باللاتينية في بيـان معتقد الكنيسة السريانية برئاسة بطرس الرسول وخلفائه . (١)

ومنذ ظهر هذا الرأي في القرن السادس عشر تبعه بعض علماء أوروبا أيضًا . وهؤلاء العلماء الافرنج قد انخدعوا من المؤلفين الموارنة الذين كتبوا في أوروبا وكانوا ذوي اسم وصيت ولا سيما نمرون البـاني ويوسف سمعان السمعاني الذين لاثبات زعمهم استعملوا كل حيلة ووسيلة من المواربة واخفاء شهادات الكتب . وغض الطرف عن التزوير . وغير ذلك مما لم يشعر به علماء أوروبا لقلة خبرتهم باللغات الشرقية.

وأقدم هؤلاء العلماء الافرنجيين الذين ذهبوا مذهب الموارنة عاشوا في القرن السادس عشر . ونحن نذكر اسماءهم هنا بموجب ترتيب قدمهم . فاول من انقاد لرأي الموارنة هو هيرونمس دنديني (H. Dandini) اليسوعي الذي كان رسول البابا اقليميس الثامن الى الموارنة ليطلع على أحوالهم ويمحو أثر الضلالة من بينهم. ثم وافق الموارنة يوسف بسون اليسوعي (J. Besson) وبريتيوش الروذني (B. Rodonensis) وانطونيوس زنوليني (A. Zanolini) وباجيوس (Bagius) وانطون فبور (A. Febure) صاحب كتاب مشهد بلاد الترك. واقليميس بياجي (C. Biagi) الراهب الكملدلي . وكنيسيوس (Canisius) اليسوعي . وبرتلماوس بياتسا (B. Biatzza) ويوحنا دويرا (J. De Vera) وفرنسيس كوارسم (Frans. Guaresmius) والبلنديون (Bollandistae). ودلاروك (DeLa Roque) والكردينال أرسي (Orsi). وبلما (Balma) المعلم في مدرسة رومية . ورهرباخر المؤرخ (Roherbacher) وصاحب كتاب العلوم الدينية

(١) *** سترى في الملحق جدول الكتب التي نشرها الموارنة في هذه المسألة وما يتعلق بها بعد صدور كتاب روح الردود

ومن (١)(Moroni) وموروني (Annali di scienze religiose). الذين يحسبهم الموارنة من رأيهم منسي يوحنا (J. Mansi ، ومخائيل لكويان (M. Lequien) المشهوران . ولكن دون الحق . لان هذين لم يصرّحا في كتبهما انهما مقتنعان بزعم الموارنة وانما اورداه على سبيل الاخبار . كما سترى في محل آخر .

ومن عجائب الامور ان مؤلف كتاب روح الردود عدَّ من الزاعمين زعم الموارنة بسوّينس (Possevienus) اليسوعي . وتومادي يسوع البياتي (Thomas de Jesu) مع انهما قد ذكرا جلياً في مؤلفاتهما ان الموارنة كانوا يوما ضالين وارعووا على يد الاحبار الرومانيين. ولكم كان يقل عدد المؤلفين الذين يحسبهم الموارنة من رأيهم لو أمكننا الاطلاع على مصنفاتهم لفحصها والتدقيق فيها .

هذا ما توصلنا الى معرفته حتى الآن من اسماء العلماء الافرنج الذين وافقوا زعم الموارنة منذ القرن السادس عشر أي منذ نشأ هذا الزعم ولا نعرف أحدا من الشرقيين قد وافق الموارنة في رأيهم حتى يومنا هذا وذلك مما يستحق الاعتبار فضلا عن ان الشرقيين هم أدرى بأحوال الموارنة ابناء جنسهم ومجاوريهم من الغربيين الذين هم بعيدون عنهم وغير خبيرين بلغاتهم وعوائدهم .

ومما يستلفت الانظار ان العلماء الغربيين الذين وافقوا الموارنة في زعمهم لم ينكروا صحة ما رواه غليلمس الصوري عن رجوع الموارنة الى الايمان . الا أنهم عدوا ذلك رجوعا جزئياً مقصوراً على طائفة منهم ضلت على يد توما الكفرطابي تلك قصة اختلقها الموارنة المتأخرون فخيلت اليهم انها حقيقية . وليس في هـذا فقط اختلف العلماء الافرنجيون من الموارنة الذين زعموا زعمهم . بل في أشياء أخرى ايضاً تتعلق بهذه

(١) اعلم ان ليس أحد من هؤلاء العلماء قد تبع الموارنة في مزاعمهم كلها ومنهم من خالفهم حقيقة ولو ظهر موافقا لهم كرهرباخر وغيره كما سترى .

المسألة منها قولهم ان يوحنا مارون قديس من القديسين المكتوبة اسماؤهم في سفر الكنيسة وان اسم الملكيين في الاصل دالّ على هرطقة وان بطاركة الموارنة هم خلفاء البطاركة القدماء الذين جلسوا على كرسي انطاكية . فانه الى الآن لم يوافق احد من العلماء في هذه الاقوال ايمة الموارنة .



الفصل الثالث

في ذكر بعض العلماء الذين قالوا بهرطقة الموارنة القدماء أو انشقاقهم

انه قبل ان ينشأ زعم الموارنة و يفشو ويمتد كانت الآثار القديمة شرقاً وغرباً تشهد ان الطائفة المارونية لم تكن كاثليكية قبل القرن الثاني عشر كما سترى في محله . وقد استقصى في البحث عن هذه المسألة جم غفير من العلماء المحققين والمفتشين المدققين فاجمعوا على ان الموارنة كانوا في الاصل منوثليتيين . حتى انه بعدما ظهر ايضاً رأي الموارنة وانتشر في العالم لم يقتنع معظم المؤرخين بما اتى به علماؤهم من البراهين وزاد عدد الذين خالفوهم في الغرب والشرق .

ونحن هنا نذكر بعضاً من هولاء العلماء الذين امكننا في بلدنا هذا ان نعرف اسماءهم من الذين كتبو بعد رجوع الموارنة الى حضن الكنيسة الكاثليكية رجوعاً تاماً على يد البابا اوجانيوس الرابع في القرن الخامس عشر . واما الشهود العيانيون والمعاصرون او القريبون من المعاصرين فسنبحث عن شهاداتهم فيما بعد .

فمن الغربيين الذين عاشوا منذ القرن الخامس عشر الى يومنا هذا القديس انطونينوس (Antoninus) اسقف فلورنس. وفولاترانس (Velaterranus). وبريدنبرج (Breidenberg) وبرونيوس (Baronius) المؤرخ الشهير وانطونيوس بسوينوس (Possevinus) وبرزدوس لتسمبرجيوس (B. Lutzemburgius) وجبرائيل براتيولس (G. Brateolus) وبوتيرس (Buterus). ويعقوب ولتر (Valterus). وتوما دي يسوع (Tomas di Jesu) وبتافيوس (Betavius) اللاهوتي الشهير. ونطاليس الكسندر (Natalis Alexander) المؤرخ الشهير. ويوحنا موريتس (Morinus) العالم باللغات الشرقية. والكردينال بونا (Bona) وسمعان ركاردس (Ricardus). وفرنسيس بلريني (Ballerini) وماتيا دي كورونا (M. De Corona) وفرنسيس بردين (F. Berdinus). وكروبين (Fl. Cherubinus) وكوتوبيك (Cotovicus) صاحب الرحلة الاورشليمية السريانية الذي زار بلاد الموارنة سنة ١٦١٩. وموريري (Moreri) ودي موني (De Moni). الذي رد على كتاب نيرون. وثوماسينس (Thomasinus) الشهير. ورنودوت (Renodot) العالم باللغات الشرقية. وفلوري المؤرخ (Fleury) وصاحب القاموس الشامل (Lexicon Universale) الذي ذكره البابا بندكتوس الرابع عشر في رسالته الى ركي. وبطرس لبرون (Le Brun). وصاحب التواريخ العامة لجميع الديانات المطبوع في البندقية سنة ١٧٣٧. وبرجيار (Bergier) وفلّر De Feller واصحاب كتاب تحقيق الايام (Art de vérifier les dates) والقديس الفنسس ليغوري. والباترى لنزا (Lanza) الدومينيكي الذي قضى سنين كثيرة في بلاد الجزيرة والشام. وميشو (Michaud) وهنريون (Henrion) المؤرخ. وباليات (Baillet) صاحب القاموس الشامل التاريخي الجغرافي. والزوك

(Alzog) (الذى هو احد علماء المجمع الواتيكاني في اللاهوت) . وليبرمان (Liberman) . وكنول (Knolle) الجرمانيون . وصاحب الواح التواريخ الشاملة (Tavole Cronologiche) المطبوع في رومية . وصاحب فهرست البلات البابوية (Index Bullarii de Propoganda) الخاصة لمجمع انتشار الايمان المطبوع قبل سنين قليلة (١).

اما الشرقيون فمن الذين وقفنا على اسمائهم القس يوحنا عجيمي والقس انطون صباغ . والسيد مكسيموس مظلوم البطريرك الانطاكي المرحوم الملكيون ثلاثتهم.



الفصل الرابع

في الصنائع التي استعملها علماء الموارنة في القرون الثلاثة الاخيرة لاثبات زعمهم

من اعجب الامور التي تحير عقل اللبيب المتأمل هو النظر الى كثرة الصنائع وغرابة الفنون التي استعملها علماء الطائفة المارونية منذ ظهرت مسألة مذهب اجدادهم ليغشوا

(١) *** راجع أيضاً مقالة الاب دوم ريمي سيايه في كتاب تاريخه العام لعلماء الدين والكنيسة

Histoire Générale des auteurs sacrés et Ecclésiastiques Par le R. P. Dom Ceillier . - Paris 1869. -

الجزء الرابع عشر في صفحة ١١٧٢ . فان تعريف الموارنة فى قاموس هذا التاريخ العظيم هو هكذا : « الموارنة هم المسيحيون المنوثليون المقيمون بجبال لبنان « وقد انضموا الى الكنيسة الرومانية في المجمع اللاتراني الثالث . — » وسترى في الملحق ذكر معلمين مشهورين غير المذكورين آنفاً الذي خالفوا الموارنة في زعمهم.

على عقول الناس ويصيدوهم الى زعمهم ونحن نذكر هاهنا شيئاً من ذلك مما رأيناه مستحقاً ان يذكر خاصة ويعتبر .

١ - لا يخفى انه لما كان مدار المسألة بين الموارنة واخصامهم على البحث عن مذهب اجدادهم قبل عهد تصالحهم التام مع الكنيسة الرومانية كان من الواجب للاطلاع على الحقيقة استيفاء التفتيش عن الحال التي كانت عليه تلك الامة قبل ذلك العهد واستشهاد الشهود المعاصرين لتلك الازمان وفحص الآثار التي خلفتها لنا تلك الطائفة . ولكن علماء الموارنة عوضاً عن ذلك كله قد تعودوا التفتيش بكل جدّ عما كانت طائفتهم عليه في الازمان المتأخرة التي فيها بلا شك كانت كاثليكية او عما قيل او كتب عنها في تلك الازمان . فتراهم يبذلون غاية جهدهم ليلتمسوا من كل مكان شهادات المؤلفين الذين في عهدهم كانت طائفتهم قد رجعت الى مركز الحق . وحشدوا من هذه الشهادت شيئاً كثيراً لعلهم بكثرتها يتمكنون من غلبة أخصامهم وتشتيتهم. هذه هي الطريقة التي سلكها صاحب الدر المنظوم وصاحب روح الردود .

٢ - ولما كانت الآثار القديمة تحوي شهادات شتى من قوم معاصرين للموارنة حين كانوا بعد في الضلال فعلماء هذه الطائفة رفضوا هذه الشهادات كلها ولو هي من الاحبار الاعظمين انفسهم وأبطلوها بحجة أو بأخرى مستندين على أقوال الشهود المتأخرين الذين في أيامهم كانت الطائفة المارونية كاثليكية .

٣ - ولما أعتبر الموارنة ان عوائد كل أمة ومذهبها ورسومها انما تعرف خاصة من كتبها وآثارها القديمة التجاؤا الى طرق لا يدركها العقل لكي يوفقوا بين هذه الكتب والآثار القديمة وبين رأيهم . فاخفوا من هذه ما أمكنهم حتى انهم لا يذكرونها في مجادلاتهم. وحرفوا الباقي أي تحريف لكي يجعلوا الآثار القديمة نفسها مطابقة لما يقولونه ومن ذلك خاصة تحريفهم كتاب الهدي أي كتاب شرع الموارنة وكتاب جدال اليعاقبة اذ استنسخهما تلاميذ مدرسة الموارنة برومية .

٤ — واما ما لم يمكنهم أن يخفوه ولا يحرفوه من الآثار القديمة الشاهدة بأن طائفتهم كانت في تلك الاعصار ضالة بالهرطقة والشقاق فهمتهم الكبري فتقت لهم حيلة لتدبيره . وذلك أنهم تارة قالوا ان رجلا غريباً اسمه توما الكفرطابي انسل بين ملتهم مكرًا وافسد جميع كتبها ومصاحفها وحججها الدينية والشرعية . وتارة قالوا ان اليعاقبة اندسوا بين الموارنة وعاثوا في كتبهم وغيروها وجعلوها تنطق بما لا تريد .

٥ — واثباتاً لكل ذلك عاثوا في التواريخ نفسها وادخلوا فيها بلبلة يعسر ازالتها على من لم يكن خبيرًا واستنبطوا اخبارا وقصصاً وأشاعوها بين الناس حتى بين العلماء واثبتوها كأنها حقائق لا ريب فيها . فمن ذلك (١) اختراعهم في القرن الخامس عشر قصة يوحنا مارون الذي عاش في القرن السابع . و (٢) جعلهم المردة المذكورين في تواريخ القرن السابع موارنة واختراعهم اخبارا عنهم لا أثر لها في التواريخ . و (٣) تزويرهم كتباً سرقوها من اليعاقبة ونسبوها الى يوحنا مارون مشيد طائفتهم . و (٤) ما هو اعظم من كل ذلك ادعاءهم بان عندهم من الاحبار الرومانيين رسائل و براآت لا أثر لها ولا صحة .

٦ — وقد اعتاد هؤلاء العلماء ينقل بعضهم من بعض . وكل ما أتي به الواحد منهم يلتقطه الجميع من بعده كأنه آية نزلت من السماء من دون تحقيق ولا فحص . ولم يشذ منهم في ذلك الا يوسف سمعان السمعاني فقط وليس على الاطلاق . فاننا نرى هذا الرجل الجليل الفائق في علم الفحص والتحقيق لم يتمالك نفسه في هذه المسألة ان يظهر أحياناً شرف نخوته ولو أنه قد اعتراه هو أيضاً مرض بني جنسه .

٧ — ثم أنه من شأن الموارنة في كتبهم التى الفوها عن أحوال اجدادهم لم يذكروا فيها ما راوْه لا يوافق زعمهم بدوام ارثدكسية اجدادهم وأمثال ذلك كثيرة في كل الموارنة الذين كتبوا عن أجدادهم الى آخرهم وهو المطران يوسف الدبس حتى يوسف السمعاني نفسه .

٨ ــ ثم ان علماءهم المحامين عن صحة مذهب أجدادهم وجدوا حيلة أخرى لرد خصمهم لعلهم بذلك يقدرون ان يسكتوهم ويخوفوهم عن مقاومتهم وهي مناداتهم بان الاحبار الرومانيين قد أيدوا رأيهم وأوجبوا صدق مقالهم .

هذا أخص مانراه في علماء الموارنة قاطبةً على وجه العموم . وهلمَّ الآن نفحص مشاهيرهم واحدا واحدا وننظر ما اختص به كل واحد منهم . فنقول :

١ ــ ان جبرائيل بن القلاعي الذي وضع أساس زعم الموارنة هذا في القرن الخامس عشر (١) لفق قصة يوحنا ما رون من أخبار رجوع الموارنة الى حضن الكنيسة في القرن الثاني عشر ومما اقترحته قريحته واخترعته همته . (٢) بلبل صحة التواريخ بأخبار معاطيات بين بطاركة الطائفة المارونية وبين الكنيسة الرومانية قبل عهد رجوعهم الى حضن الكنيسة . و (٣) اخترع قصة توما الكفرطابي بناء على أنه غش الطائفة المارونية وأدخل فيها هرطقة المنوثليتيين وأفسد اخص كتبها .ونقل عن جبرائيل القلاعي كل من كتب بعده من الموارنة من دون فحص ما قاله ومن دون تحقيقه الى يوسف سمعان السمعاني .

٢ ــ ان الجراءة التي بها جبرائيل القلاعي شوه وجـه الاثار القديمة بتلفيقاته الغريبة لم تمت معه . بل ورثها الذين تخلفوه من بني جنسه في معركة المدافعة عن مذهب الموارنة القدماء .ومن جملة هؤلاء ابراهيم الحاقلاني الذي عاش في القرن السابع عشر .فهذا بلغ به الحدّ (١) الى انه حرّف شهادات الاولين وانطقها بعكس ما نطقت به . فمن ذلك ما ورد في رسالته التي أدرجت في كتاب طبع بباريس سنة ١٦٧١ عنوانه ايمان الكنيسة الشرقية . او مصنفات جبرائيل المطران وجه ٢٧٧ وما بعده . وهو ان يوحنا مور ينس العلامة الشهير سأل الحاقلاني عن اصل اسم الموارنة فاجاب الحاقلاني مستشهدا كتاب شرح معتقد الموارنة بان اسمهم مشتق من اسم دير مار مارون الانباء ثم زاد قائلاً :

« Ad hujus (S. Maronia) monasterii judicium provocarunt nostri Syri, Cunsultum propositum fuit Monotholitarum dogma. testis est Thomas Cafartabensis episcopus tract. 4. Suarum dissertationum de Voluntatibus Christi hisce Verbis.»

« أن آباءنا السريان كانوا يستفتون هذا الدير اذ كان يعرض عليهم مذهب « المنوثليتيين والشاهد لذلك توما الاسقف الكفرطابي في المقالة الرابعة من مقالاته «عن مشيئتي المسيح».حيث قال : حينئذ قالوا أهل الشام نحن راجعين الى حكم دير « ما زان دير السريان الذي تأويله ديار الرب . لان كان صفة هذا الدير على شط « العاصي خارج مدينة حماه . وكانت جملة رهبانه ثمانمائة راهب قديسين . »

فابراهيم الحاقلاني بهذه الكلمات جعل توما الكفرطابي محامياً للمشيئتين في المسيح وليس من يجهل ان هذا الاسقف كان بعكس ذلك محامياً للمشيئة الواحدة وانه كتب مقالاته العشر للرد على أهل المشيئتين . ثانيــاً جعل توما الكفرطابي شاهدا على ان الموارنة أتبعوا رهبان دير مار مارون في دحض رأي المشيئة الواحــدة مع ان توما الكفرطابي بالكلمات التي اوردها منه الحاقلاني قال عكس ذلك اي ان الموارنة تبعوا الرهبان المذكورين في دحض معتقد الكاثليكيين بالمشيئتين . (٢) من مناقب ابراهيم الحاقلاني أنه سرق كتابين من أخص كتب اليعاقبة وسماهما باسم يوحنا مارون كأنه هو الذي ألفهما . ولم يخجل من ان يستشهدهما في مصنفاته بهذا الاسم . (٣) قد زوّر شهادة عبد يشوع الصوباوي النسطوري عن يوحنا برفنكايا أحد كتاب الشيعة النسطورية اذ حرف لفظه فنكايا الموجودة في المصحف الذي استعمله كما شهد السمعاني نفسه وجعلهــا فرنكايا أي افرنج . ليستنتج من ذلك ان هذا يوحنــا برفنكايا هو يوحنا ما رون .

٣ — وبعد ابراهيم الحاقلاني برز مرهج نيرون الباني فحذا حذو من سبقه . ووسع ما بناه ابن القلاعي والحاقلاني . ومن جملة تزويراته (١) تحريفه كتاب الهدى

وهو كتاب شرع الموارنة القدماء حيث يقال ان الموارنة يتفقون مع الملكية في اعتقاد المشيئتين خلافاً لما يقرأ صريحاً في نص داود الاسقف مترجم هذا الكتاب الذي من سببه زعم ابن القلاعي ان توما الكفرطابي قد أفسد هذا كتاب الهدى . (٢) ايراده شهادة من كتاب جدال اليعاقبة بتزوير . فان مؤلف ذلك الكتاب يقول للموارنة : « فما رضيوا الطوائف يأمنوا حتى قلتو انتم . . . . ياموارنة طبيعتين وجوهرين « واقنومين ومشيئة واحدة . ومنكم من قال مشيئتين » . واما نيرون فجعله يقول : « ما رضيوا الطوائف يأمنوا حتى قلتو أنتم مشيئتين » خلافاً لنص النسخة الواتيكانية التي نقل عنها هو اذ كانت بعد في المدرسة المارونية .

٤ ـ ثم بعد نيرون بقليل من السنين نزل الى حومة النضـال عن الموارنة بطريركهم اسطفانس الاهدني . فهذا تمم البنيان الذي وضع اساسه جبرائيل القلاعي وابراهيم الحاقلاني ونيرون الباني . فانه (١) صنف قصة ليوحنا مارون زاد فيها من عقله على قصة جبرائيل القلاعي اشياء كثيرة غريبة لم يقلها أحد قبله . (٢) قال انه يوجد في دار بطريركية الموارنة رسالات الاحبار الاعظمين الى البطاركة الذين وجدوا قبل تصالحهم مع الكنيسة الرومانية . مع ان هـذه الرسائل لا اثر لها في سجلات الكرسي الرسولي ولا في دار البطريركية المذكورة والى الآن ما قـدر أحد ان يبرز منها ولا حرفاً واحداً . (٣) زاد كتباً كثيرة على دفتر ما نسبه ابراهيم الحاقلاني الى يوحنا مارون استنادا على ما رواه عبد يشوع النسطوري عن يوحنا برفنكايا . كأن الموارنة كانوا ينتظرون في القرن السابع عشر ان يقوم رجل نسطوري يعلمهم بمؤلفات رأس شيعة اجدادهم . (٤) اخترع لقباً جديداً ليوحنا مارون وهو السرومي (٥) رأى في الازمان الماضية ما لم يره أحد من قبله فيها وتكلم عنها صريحاً كأنه كان حاضرا مشاهداً عياناً واستنبط أخبارا في سكان جبل لبنـان مخالفة لكل ما أتي في التواريخ القديمة الصحيحة وغير ذلك . (٦) ومما يقضي بنا العجب هو ان اسطفانس

الاهدني في كتاب أودعه سير بطاركة الموارنة قد ضرب صفحاً عن ذكر جميع الاخبار التي لم تعجبه أي ما كان يخالف زعم الموارنة في سير اولئك البطاركة . فمن ذلك انه أهمل ذكر البطريرك الذي حكى ابن القلاعي عنه انه خدع بتعليم توما الكفرطابي واصحابه ووقع في المنوثليتية مع انه قبل سائر ماحكاه ابن القلاعي عن هذا الكفرطابي وفي ترجمة ارميا العمشيتي لم يذكر تقرير التوبة والطاعة الذي ادّاه هذا البطريرك بين يدي قاصد الكرسي الرسولي ورسالة البابا انوكنتيوس الثالث تهنئة له ولطائفته على انهم أقبلوا من الضلال الى الحق ولا ذكر سقوط لوقا الثاني في المنوثليتية نحو سنة ١٢٨٣ . ولما اقتص المعاطيات التي جرت بين البطريرك سمعان وبين البابا لاون العاشر التي قرئت في المجمع اللاتراني لم يذكر ان هذا البطريرك شكر البابا على ارساله اليهم رهباناً يرشدونهم في أمور الايمان .

٥ — ولما ارتقى سلم العلم يوسف سمعان السمعاني الذي فاق جميع من سبقه ومن لحقه من جهابذة الطائفة المارونية واشتهر اسمه في أوروبا . كان ينتظر من براعته في ما أبداه في سائر مؤلفاته من علم التحقيق ان يفصل بين الحق والباطل في مسألة مذهب الموارنة القدماء أيضاً فاننا نعلم ان هذا العلامة الفائق في سائر ابواب المعارف التي نعرض للبحث عنها لم يقبل شيئاً من احد المؤلفين مهما كان شهيرا الا بعد الفحص البليغ المدقق ولم يبن قولا من أقواله الا على التحقيق الكامل . وقد فرز الغث من السمين في كل مسألة وابان المؤكد من المرتاب فيه بما يفوق الوصف من الذكاء وحذاقة العقل . ولم يمكن ان يفوته غش او توهم الا نادرا جداً . ولكنه في هذه مسألة ارثذكسية اجداده الاولين نرى محبته الزائدة لطائفته جعلته ان يغير خطته و يباين عهده بحيث انه يلقي العجب في نفس كل من يتأمل في أمره بعين التبصر . ولتفصيل ذلك هاك شيئاً مما يعترض به على السمعاني في هذه المسألة . (١) اذا القينا البصر الى المؤلفات الجليلة التي خلّفها لنا هذا الرجل العظيم نرى انه في جميعها قد التزم طريقة

واحدة لم يخالفها قط . وهي انه في بحثه عن الامور القديمة لم يسند أبدا رأيه الى قول أحد للمؤلفين المتأخرين ولو اصابوا . بل اقتبس شهاداته كلها و بيناته من نفس الآثار القديمة التي وقف عليها . ولكنه في مسألة مذهب الموارنة الاولين حيث تعرض لها في مؤلفاته اكتفى باستشهاد نمرون الباني او اسطفانس الاهدني القريبين اليه في العصر بدون الالتفات الى الآثار القديمة التي بلا شك اطلع عليها . (٢) نراه عارض وقاوم وعنف من ظنه قد اخطأ من اخصام الموارنة مثل رنودوت وموروني وغليلم الصوري وابن العبري وغيرهم . واما علماء الموارنة فلم يعارضهم قط في ما اخطاوا فيه على رايه . بل عاملهم اغلب الاحيان بالسكوت والاعراض . او كان اذا ذكر في النادر اختلاف رأيه منهم ذكر ذلك بلهجة الخوف . حتى انه لما وعد في المجلد الاول من المكتبة الشرقية ان يبين في المجلد الثاني ان كتاب شرح القداس وكتاب الكهنوت ليسا هما ليوحنا مارون لم يفعل ذلك الا بنوع المجاملة مع ابراهيم الحاقلاني خلافاً لما كان ينتظر منه . لا بل اهمل ان يبين شناعة جرم الحاقلاني في سرقته هذه كما كان واجباً على مثله (*) . (٣) قد قبل بدون فحص وتحقيق شيئاً كثيراً من الحكاية التي لفقها

(*) اني أقر هاهنا باني قد انخدعت من كلام صاحب روح الردود اذ قلت في رسالتي الثانية الي هذا العلامة الفاضل (وجه ١٩) ان السمعاني قد انخدع بقول ابراهيم الحاقلاني في نسبة كتاب الكهنوت وكتاب شرح القداس الي يوحنا مارون . فان السمعاني وقف على كلامه في رفضه هذين الكتابين الا انه صنع ذلك متخوفاً من الحاقلاني . لانه لو كان في المجلد الثاني قد رجع عما قاله في المجلد الاول لصرح بذلك كما كانت عادته وعادة جميع المؤلفين الفائقين مثله . ولما قال في وجه ٥٣٤ من المجلد الثاني المذكور « ان كتاب يوحنا مارون في الكهنوت هو مزيف ومؤلفه هو يوحنا الداراوي . وكتاب شرح القداس ليس هو لمارون بل لابن الصايبي » . أما ما استشهد به صاحب كتاب روح الردود (وجه ١٩١) من فهرست المكتبة الواتيكانية فمن أين له الدليل الشافي على ان ما هو مذكور في ذلك الفهرست هو من قلم يوسف سمعان السمعاني لا من قلم ابن اخته عواد .

او رواها جبرائيل بن القلاعي في القرن الخامس عشر عن يوحنا مارون الذي عاش في القرن السابع . وغير ذلك من الاشياء التي زادها اسطفانس الاهدني في اواخر القرن السابع عشر مما هو عريق في الوهم وما اخترعه هذا ومن جاء قبله من الاخبار العنترية عن المرَدة وعن حرب الملكية مع الموارنة.ومن الشهادات من كتب لم يتكلف تصحيحها كما كان واجباً على مثله . (٤) قد غض الطرف عن تزويرات وتحريفات كثيرة ارتكبها من سبقه من الموارنة ولا سيما الحاقلاني في الكتب والاثار القديمة.فمن ذلك تزوير نمرون شهادة كتاب الهدى وشهادة كتاب جدال اليعاقبة اللتين سبق ذكرهما في الكلام عن نمرون وتحريف الحاقلاني اسم فنكايا ليجعله من اسماء يوحنا مارون وتزويره شهادة توما الكفرطابي (١) وتمزيقه اوراقاً من كتاب معتقد الموارنة وتحريف نصه في محلين معتبرين وزيادة اسطفانس الاهدني كتباً كثيرة على الكتب المنسوبة الى يوحنا مارون . (٥) في بحثه في مكتبتيه الشرقية والشرعية عن معتقد الموارنة القدماء لم يذكر الكتب القديمة المستحقة كل اعتبار في هـذا البحث التي تبطل زعمهم مثل كتاب الهدى و بعض مواضع من كتاب شرح الموارنة وكتاب المقالات العشر وغير ذلك (٢) . (٦) في بحثه المذكور اعتمد على ما ذكره نمرون من

---

(١) ان الدليل القاطع على ان السمعاني أيقن ان هـذه الشهادات التي أوردها الحاقلاني ونمرون محرفة مزورة هو انه عندما أخذ في كتبه يبرهن على ثبات طائفته في الحق لم يورد قط هذه الشهادات مع انها لو كانت صحيحة لكانت أقوى البراهين على صحة ذلك .

(٢) قد ظن صاحب كشف الستار في وجه ١٢ ان يرد على قولنا هذا بزعمه ان السمعاني ذكر كتاب الهدى في فهرست المصاحف الواتيكانية مع ان السمعاني لم يبحث عن ارثذكسية الموارنة في ذلك الفهرست بل بحث عنها في كتب الشرع وفي متن المكتبة الشرقية وفي هذين الموضوعين كان واجباً عليه ان يذكر هذا الكتاب وأمثاله لا في الفهرست .

كلندار الموارنة برهاناً على ان اجداده كانوا يذكرون فيه المجمع السادس والقديسين الذين حاموا عن المشيئتين مع علمه الاكيد ان هذا الكلندار لا يقام منه بينة اذ ان أقدم نسخة منه كتبت في القرن الخامس عشر بعد ما صار الموارنة كاثليكيين بثلاثمائة سنة واكثر وفيه اسماء كثيرين من اولياء اليعاقبة . (٧) قد قبل بدون شك و بدون استناد على بينات اكيدة الحكايات التي اخترعها المتأخرون عن توما الكفرطابي كأنه لم يكن مارونياً محضاً . (٨) مع علمه ان خبايا الملة المارونية كانت مجهولة كلها تقريباً وانه لم يكن احد أهلا لكشف الآثار القديمة عنها واظهارها للعامة . لم يباشر هذه المصلحة المهمة . بل ترك عتائق ملته مكنونة في الظلام مثلما رآها خلافا لمسلكه مع بقية الملل كالنساطرة واليعاقبة فانه في مكتبته الشرقية ابرز من غبار الخزائن القديمة الصادئة درراً وتحفا تخلد ذكره في العالم وتوجب له شكراً مؤبداً منها تتضح احوال تينك الطائفتين واخبارهما وعوائدهما ورسومها وما حسن فيهما وما قبح ان ديناً وان عقلا الى غير ذلك . (٩) انه في مكتبته الشرقية التي اودع فيها ترجمة جميع الاشخاص الذين وصلت اليه معرفتهم من الشرقيين الاراميين . ارثذكسيين كانوا او غير ارثذكسيين . قد اهمل ترجمة نفر من الموارنة الذين لا شك في كونهم غير ارثذكسيين كداوُد الاسقف ويوسف الانبا وتوما الكفرطابي مع انه تكلّم باسهاب عمن ظنه منهم ارثذكسياً كيوحنا مارون وثيوفيل الرهاوي .

هذا وقد كان وعد في فاتحة المجلد الاول التي سماها (Prologus) في عدد ٤ ان يودع في المجلدات الثلاثة الاولى من مكتبته ترجمة جميع من ألّف في الاصل في السريانية او في العربية من بني آرام أي السريان الارثذكسيين والغير الارثذكسيين. فقد انجز هذا الوعد من قبيل اليعاقبة والنساطرة والموارنة الذين ظنهم كاثليكا واخلف من قبيل الموارنة الذين لم يمكنه ان يجعلهم كاثليكيين. أفليس هذا كله يدلّ واضحا على ان السمعاني كان متيقناً في قلبه انه ان تعاطى مسألة مذهب الموارنة القدماء بتلك الدقة والضبط اللذين بهما بحث في احوال

سائر الطوائف واوغل في تحقيق ما كتبه عن الملة المارونية علماؤها الذين سبقوه انكشف الحق من تحت الباطل او المزور او المزيف. وآلت دعاوى الموارنة الى بخار لا ثبات له . ومما يمحو كل شك من ذلك هو النظر ان السمعاني في المجلد الاول من مكتبته حيث جمع ترجمات كل السريان الكاثليكيين المؤلفين من كل طقس لا تجد اثراً لجبرائيل القلاعي الذي بلا شك اشتهر اكثر جداً من جرجس عميرة واسحق الشدراوي ويوسف العاقوري واسدى الى الموارنة معروفاً اكثر منهم . فما كان سبب اسقاط ترجمة هذا الرجل الغيور على الايمان الكاثليكي الا خوفه من ان قصته تفضي به الى كشف ما صنعه هذا الرجل لمحو اثار المنوثليتية من بني جنسه . وهو قد صنف تصانيف شتى في العربية . او كان موسى الماردیني وآدم الناسك وجبرائيل اسقف الكلدان الواردة ترجماتهم في المجلد المذكور اجل او اخص من جبرائيل القلاعي . فان كان في وسع الموارنة ان يوردوا لي سبباً آخر لاسقاط اسم هذا جبرائيل من المكتبة الشرقية غير ما ذكرته فهم يخوّلوني احساناً جزيلا . ولكني لا أرى لذلك الا هذا السبب . (١)

(١) قد ظن صاحب كشف الستار في وجه ١٢ انه وجد سبب اهمال السمعاني ترجمة الموارنة الذين الكلام عنهم في المتن . وهو ان السمعاني لم يأت في المجلدات الاربعة من مكتبته الشرقية الا بترجمة الاشخاص الذين الفوا في السريانية . ولبيان غلط هذا الكاتب يكفيه ان يفتح المجلد الثاني من المكتبة المذكورة فيجد فيه ترجمات ديونوسيوس بطريرك اليعاقبة الثاني (وجه ١٢٥) وباسليوس البطريرك (١٢٦) وديونوسيوس الثالث (١٣١) وديونوسيوس السادس (١٤١) ويوحنا عبدون (١٤٥) ويوحنا الخامس (١٥٢) ودانيال القسيس (٤٦٣) . أو المجلد الثالث فيجد ترجمات ايلياء الدمشقي (٥١٣) وأبي الفرج ابن الطيب (٥٤٤) ويحيي الجزلي (٥٤٨) وميخا البطريرك (٥٤٩) وماري ابن سليمان (٥٥٤) وهبة الله ابن التلميذ (٥٥٥) وغيرهم

ولنقفن هاهنا خوفاً من حصول الملل عوض الاستفادة. وليحكم القاريء المنصف في هذه الاشياء وأمثالها او ليس هو من الواضح البين ان علماء الموارنة اذ تحققوا عدم مقدرتهم على ارساخ زعمهم في عقول الناس بطرائق معهودة اضطرهم طمعهم في التفاخر بدوام ارثذكسية طائفتهم ان يتصدوا لسلوك طرائق غير مأهولة لا يسلكها الا من كان قد قطع رجاءه لتحصيل بغيته بأكثر أمان. ولنا ان نعتبر ان جماً غفيرا من العلماء في أوروبا الذين قرأوا مؤلفات الموارنة مع كل الخدائع التي مزجوا اقاويلهم بها لم يقتنعوا ببراهينهم هذه ورفضوا زعمهم ودحضوه كما رأينا في الفصل الثالث.

ولا عجب اذا رأينا كثيرين من علماء أوروبا حتى الافاضل لقلة خبرتهم بالامور الشرقية ولا سيما لغاتنا ولكثرة ثقتهم بغزارة علم الموارنة وصدقهم قد وقعوا في الحبائل وهم لا يدرون اذ صدّقوا ما قرأوه في مصنفات علماء هذه الملة وتمسكوا به بكل ثقة من دون فحص ولا تحقيق. وناهيك اننا لا نجد بين علماء أوروبا الذين وافقوا الموارنة بزعمهم احداً كلف نفسه بالتماس أصل هذه المسألة من مصدرها. ولا نرى أحدا منهم تعاطاها كما هو شأن العلماء في تعاطي المسائل التاريخية. بل كلهم بنوا قياساتهم وأقوالهم وبراهينهم على ما اوردته الموارنة. ولم يتجاسر أحد منهم أن يتعرض لهم بشيء مثلما فعل السمعاني مع من سبقه لعدم وقوفهم على أصول

كثيرين وهؤلاء كلهم لم يكتبوا في السريانية بل في العربية فقط. ومن الغرابات التي عجزنا عن اعجامها في السمعاني هو انه اذ جمع هذا العلامة الفاضل في ذيل المجمع اللبناني الذي كان هو أمامه وروحه حججاً كثيرة ورسائل شتى مما كتبه الاحبار الرومانيون الى الموارنة أهمل ايراد اول رسالة أرسلها الكرسي الرسولي الروماني الى طائفته وهي رسالة البابا انوكنتيوس الثالث التي فيها هنأهم بتركهم ضلال المنوثليتية ورجوعهم الى معرفة الحق. مع انه كان من الحق ان يورد هذه الرسالة من غيرها من وجوه شتى وكان هو عارفاً بها اذ قد استشهدها في المجمع اللبناني نفسه في أمر موافقة الموارنة للكنيسة الرومانية في الطفوس.

الحجج التي استند عليها الموارنة . بل اكتفوا باستشهادها وبالنقل عنهم من دون النظر الى مصادر الشهادات الى اوردوها . ومما يستحق غاية الاعتبار في هذا الامرانه من جميع العلماء الذين وافقوا الموارنة في زعمهم لم يوجد احد خبير باللغات الشرقية . وبالعكس ان أفضل المشاهير الخبيرين بالامور الشرقية كرونودت وموريئس ولكويان قد خالفوهم .

ومن كل ما قررناه الى الآن يتضح انه من اراد الاطلاع على حقيقة أحوال الموارنة القدماء وما خلفته لنا الآثار القديمة الصحيحة فلا يمكن تحصيل ذلك من كتب الموارنة المتأخرين . فان غاية هؤلاء القصوى مطابقة التواريخ والكتب والآثار القديمة كلها مع زعمهم الذي مآله دوام ارثذكسية أجدادهم لا تطبيق رأيهم في اجدادهم على ما خلّفته لنا عنهم الكتب القديمة . واما احتجاجهم ان ما من أحد يعرف أمور طائفتهم جيداً الا هم بقولهم انه غير ممكن لاحد ان يكون خبيرا بأحوال كل أمة الا علماؤها فذلك احتجاج باطل مشجب لهم . فاننا نقول لهم : ذلك صحيح لو كنتم تحبون ان تطلعوا بالحقيقة على أحوال آبائكم الاولين كما يفعل علماء سائر الامم دون ان تقصدوا عمل حيلة لتخفوا ما يبين خروجهم عن الكنيسة يوما ولو هدرتم بذلك عرضهم من قبيل آخر حيث تجعلونهم اخس قوم وجدوا على الارض لتبرروهم من مخالفة الكنيسة الكاثليكية . ألا تنظرون الى علماء الأمة الفرنساوية مثلا فانهم يفضلون على غيرهم في ما يروونه عن اجدادهم الاولين لانهم في مباحثهم لا يجعلون رأيهم مقياساً للآثار القديمة بل يجعلون الآثار القديمة دليلاً لاقوالهم . ومتى ما اطلعوا على امر من أمور آبائهم يظهرونه كما هو ان كان زينا وان كان شيناً. فافعلوا انتم كذلك يا أيها الموارنة الكرام. فيثق بكم كل أحد .

ومن أوضح الادلة على ان علماء الموارنة في بحثهم عن أحوال أجدادهم قد استحلوا مواربة الحق النثار انهم في كل ما كتبوه عنهم واسهبوا في تفصيله لم يتجرأ

أحد منهم ولا سيما الاهدني ومن بعده ان يذكر عيباً او شائبة في طائفتهم او في بطاركتها او كهنتها مع انه لم يوجد قط ولن يوجد أبداً أمة بشرية على وجه الارض خالية من نقص او زلل مهما كانت سعيدة عظيمة جليلة. فان كان أحبار الكنائس الرسلية نفسها الجالسون على أقدم الكراسي البيعية قد وجد منهم أكثر من واحد ممن ذلّ وانقاد للطبيعة الضعيفة. وان كانت الكنيسة الشرقية والغربية قد قام فيها الوف من المبدعين والهراطقة والمتمردين على الحق والمنحرفين عن الخط المستقيم. فكيف تكون ملة المارونية على قول الاهدني ومن بعده من الموارنة مصونةمن الله الى يومنا هذ دون جميع الطوائف النصرانية. ومعصومة بنصره الخصوصي وباقية بين كلهن كالمصباح المضيء في الظلمات وكالورد بين الشوك. حتى انه لم يقم فيها ضال ولا مضلّ ولا ظهر في قمحها الطاهر زوان. ولا حوت شبكتها الا الاخيار المنتخبة من السمك السعيد.

• فقد اصاب اذا العلاَّمة رنودوت العلاَّمة الشهير في تحقيق العتائق الشرقية حيث قال في المجلد ٢ من كتاب الليترجيات الشرقية وجه ٣٨٠ :

« Stephanum Edenensim Maronitarum Patriarcham Antiochenum, quem adducit in testimoniem Naironus et omnes quotquot sunt aut fuerunt Maronitas nihil moramur, in quibus amor patriae, si veritatis limitibus contineretur, esset excusandus, verum in rebus ad historiam ecclesiasticam sepectantibus, illudere lectoribus, quia pami his studiis operant dederunt, et alios omnes fallere facile est, omne excusatione caret. »

« اننا لا نكترث باسطفانس الاهدني بطريرك الموارنة الانطاكي الذي استشهده « نيرون ولا لأحد من الموارنة السابقين او الاحياء. فان هؤلاء لو كان حب الوطن « لم يخرجهم من حدود الحق لكانوا معذورين. ولكن لا يستحقون العذر من حيث « انهم في الامور المتعلقة بتواريخ الكنيسة قصدوا تمويه الحقيقة علي القارئين الذين « قلَّ من يتصدَّى منهم لهذه المباحث وحاولوا ان يغشوا جمهور الناس. »

وصدق لكويان الذي لم يتفرغ أحد مثله قبله ولا بعده في اوروبا لتفتيش عتائق جميع الامم الشرقية البيعية حيث قال :

« ان جميع الكتب التي ابرزها الموارنة المتأخرون ونسبوها الى مؤلفين شتى « يرتاب في صحتها لا بل انها لا تستحق الاّ ثقة زهيدة جداً . »

فيتضح من كل هذا اتضاحا لا مزيد عليه انه من اراد مباشرة البحث عن قضية مذهب الموارنة القدماء وهو يرغب ان يحصل من بحثه على فائدة حقيقية أمينة لا يشوبها ادني ريب يجب عليه ان يكلّف نفسه مشقة مطالعة الكتب والآثار القديمة بأصلها وعينها ويستقريها ويفحصها بكل تمعن وبكل تدقيق وهذا ما ألزمنا نفسنا به على قدر ضعف قوانا في هذا الكتاب وليس غرضنا سوى تحصيل الحق المبين واظهاره لكل احد من دون ادني ميل او محاباة او طمع او غرض نفساني . يشهد الله على نيّتنا الخالصة . ويا ليتنا نقدر بهذا التكلف الثقيل الذي اضطرنا اليه من عادانا من الموارنة اولاً ان نأتي بما نطيب خاطرهم على الدوام ويسرهم ويولي خاصتهم وعامتهم ابتهاجا . ولما كان هذا الحظ هيهات ان نحصل عليه الا نادرا جداً نسأل العفو من خصمنا حيث ان السبب في ذلك ليس منا بل من الحق عينه . (١)

---

(١) ان من جملة الاسباب التي جعلت علماء الموارنة لا ينالون الصواب والحقيقة في بحثهم عن أحوال اجدادهم هو ان آثار أجدادهم القديمة كلها قد درست الا قليلا منها . فلا نعلم بتأكيد ان كان الموارنة الاولين في زمان مصالحتهم مع الكنيسة الرومانية قد أعدموا اكثر كتبهم وصحفهم وآثارهم وذلك لشدة بغضهم لحالهم السابق حال الشقاق الذي كانوا فيه . وهذه الكتب التي أُعدمت لا بد انه كان منها ما يشتمل على حوادث تاريخية كما يتضح من شهادة توما الكفرطابي التي سنوردها في محل آخر . وليس في الامة المارونية فقط هذا الحب للارثذكسية بلغ هذا المبلغ لاصحابه . فاننا نعلم ان كثيراً من الامم القديمة حين دخولها في دين المسيح أفنت كل كتبها وصحائفها

الفصل الخامس

في ان الاحبار الرومانيين لم يحكموا
في هذه المسألة

قد اعتاد كتاب الطائفة المارونية في محاماتهم عن رأيهم ان يخوفوا اخصامهم من الكاثليك باستشهاد الاحبار الاعظمين الذين مدحوا هذه الطائفة لثباتها في الايمان

ولاسيما السريان الشرقيون أي الكلدان والسريان المغربيون . حتى انك عبثاً تفتش عن هذه الامم على شيء مما كانت فيه قبل تنصرها فانك لاتجد ادنى اثر لذلك . وكذلك اليعاقبة والنساطرة الذين تكثلك جماهير كثيرة منهم في القرون المتأخرة لو لم يبق منهم بقية لم تتكثلك لما عرف الآن الا شيء زهيد من احوالهم . فلا عجب في ان علماء الموارنة لا يمكنهم في الاغلب ان يوقفونا على حقيقة احوال اجدادهم الدينية . بل يقتضي ان نلتجيء الى ما خلفه لنا عنهم الاجنبيون . وليس هذا من شأن الامة المارونية فقط اذ لاتعرف اخبارها في الاغلب الا من كتب غيرها من الامم فان لها اسوة في امم غيرها . ألا ترى ان علماء فرنسا مثلاً لايمكنهم ان يفيدونا شيئاً عن سكان ارضهم الاولين الذي يقال لهم الغاليون اذ قد اندثرت آثارهم وما نعرفه عنهم انما اطلعنا عليه من كتب الروم أي اللاتينيين وكذلك الكلدانيون القدماء اي أهل بابل ونينوي المدينتين العظيمتين لولا روايات المؤرخين القدماء أي كتب اليهود وأسفار اليونانيين لما عرفنا عن أحوالهم أدني شيء وما هو أعجب من كل ذلك انك لا تجد لدي الكلدان أو السريان المكثلكين في القرون المتأخرة أخباراً مفصلة عن مباديء رجوع أجدادهم الى الكنيسة الكاثليكية فيقتضي للوقوف على ذلك مطالعة الكتب الغريبة . بيد اننا يسرنا ان نلاحظ ان هذا الامر ليس هو على سبيل الاطلاق في شأن الطائفة المارونية فانه قد حفظ الى الآن شيء غير يسير من آثار هذه الامة مما يقضي به الوطر على الكفاية كما سترى .

والطاعة منذ عهد صلحها مع الكنيسة الرومانية لعلهم يقدرون برهبة هذا الاسم العظيم الغالي على قلب كل انسان كاثليكي ان يصدوهم عن مقاومتهم ويستميلوهم الى رأيهم والحال انه لو كان الموارنة يصدقون حقيقة ان شهادت الاحبار الرومانيين قاطعة كل نزاع في هذه المسألة التاريخية لوجب عليهم اكثر من خصمهم ان يسكتوا ويرتدوا عن رأيهم حرمة لاسم الكرسي الرسولي الذي هم يستعينون به . وذلك لان الاحبار الرومانيين الذين مدحوا الموارنة لم يقل احد منهم قط مصرحاً ان طائفتهم لم تكن في القرن الحادي عشر وما قبله ضالة بطغيان المنوثليتية . ولكنه من الاحبار الرومانيين من قال مصرحاً ان الموارنة تركوا الضلال ورجعوا في عهدهم الى الايمان الكاثليكي منذ القرن الثاني عشر وما بعده . فيجب على الموارنة اما ان ينكفوا عن استشهاد الاحبار الرومانيين لاثبات زعمهم . واما ان يذعنوا لشهادة اولئك البابوات الذين قالوا واضحاً ان الطائفة المارونية كانت في ضلالة ويكفوا عن كل جدال مستسلمين للحق . والا فيحق لنا ان نرد في وجههم ما قاله صاحب كتاب روح الردود في وجه ٧ « لا مراء بان شهادة الاحبار الاعظمين انما هي في اثبات هذه القضية اسد برهان يعتمد عليه ويلجأ اليه . فهم مركز النصرانية ونقطة دائرتها وأولياء فرقها بجملتها » وفي وجه ٢١ « من زعم خلافاً لما أثبت هؤلاء الاحبار الاعظمون والجهابذة المتفردون اوقع بهم اهانة بدعواه خطأهم واصابته وقلة مخبرتهم ودرايته وكونه فوقهم علما وكونهم دنه فهماً » . فان كان للموارنة هذا الاعتبار الفائق لقول الاحبار الرومانيين في هذه المسألة فليسلموا لشهادة الباباوات انوكنتيوس الثالث وأوجانيوس الرابع وغريغوريوس الثالث عشر وغيرهم الذين قالوا مصرحاً ان ملة الموارنة كانت في ضلال .

والصحيح انه لما كانت سلطة الاحبار الرومانيين التي تسلموها من السيد المسيح لرعاية جميع خرافه الروحانية مقصورة على كل ما يلاحظ مسائل الايمان والعمل بالصلاح لا غير كانت أقوالهم في هذه الدائرة فقط سندا قاطعاً لا مناص منه . وأما

في باقي المسائل العلمية فكل خبير يعلم ان قولهم لا يعلو على قول سائر العلماء المفتشين في تلك المسائل وان كلامهم فيها يوزن بميزان بيناتهم وبراهينهم التي يستندون عليها . ولما كانت المسألة التي نحن في صددها ليست من قبيل الايمان ولا العمل بالصلاح . بل هي مسألة تاريخية مجرداً لا تضر الدين ولا تنفعه . لم يكن للاحبار الرومانيين كفاءة ان يحكموا فيها بسلطانهم الباباوي من أي وجه كان . كما ليس لهم ذلك في سائر المسائل التاريخية الكثيرة ولو خصَّت الكنيسة الرومانية نفسها . فقد ترك الاحبار الرومانيون للعلماء ان يفتشوا ويحققوا ويفرغوا جهدهم في هذا البحث وغيره مما لا علاقة له مع الدين وان يعمل فيه كلٌّ على شاكلته بموجب ضوابط كل من العلوم التي يتعاطونها . فلا يهين الاحبار الرومانيين من يتعرض للكلام عن هرطقة الموارنة القدماء ولا من يدَّعي بأنهم لم يسقطوا قط في ضلالة . بل يثبت لدى ارباب العلم من القولين ما فاق على غيره برهاناً وسداداً الاّ ان الذين ينكرون ان الموارنة كانوا في ضلالة . وان الاحبار الرومانيين في اوقات شتى قد بذلوا علوّ الهمة في ترجيعهم وتهذيبهم وتصليح عوائدهم وتنقيح كتبهم الدينية لا يخلون من شيء من قلة الشكر الواجب لفضل هؤلاء الاحبار الأعظمين ولرهبانهم ورسلهم وقصادهم الذين على يدهم اسدى الكرسي الرسولي الى الطائفة المارونية هذا الاحسان العظيم .

ولنا ان نتأمل الواقع فنرى ان ليس احد من الاحبار الاعظمين تعرَّض قط للذين زعموا بدوام ارثدكسية الموارنة ولا للذين ادعوا بهرطقتهم ونشروا ذلك في المطابع حتى في مدينة رومية نفسها . ومن جملة ذلك كتابي الذي سبقت الاشارة اليه ولنا برهان راهن على ذلك من معاملة الباباوات نفسهم . فانهم ولو كان في مدحهم لهذه الطائفة قد جروا مجرى كل مادح أي غالوا وبالغوا في وصفها بدون التزام دقة الالفاظ الا انهم في تكلمهم عن مسألتهم تكلماً علمياً استعملوا كل الضبط وحصر الكلام . وناهيك انه لم يحبّ أحد من الباباوات الطائفة المارونية ولم يقرّظها بانواع

المدح اكثر من البابا بندكتوس السابع عشر فاسمع ما قاله هذا الحبر العلاّمة مع كل ذلك في رسالته الى لركاري المذكور سابقاً في شأن زعم الموارنة هذا « قالت الموارنة « بان أصلهم هو القديس مارون الانبا . وانهم لم يزيغوا قط عن الدين الكاثليكي « ولا قطعوا نفسهم عن وحدة الكنيسة قط . وزادوا على ذلك قائلين ان تجديدهم « الوصال مع الكنيسة الرومانية لا ينبغي ان يفهم بمعنى انهم هجروا يوما الديانة « الكاثليكية ثم عادوا اليها . ولكن الآخرين ذهبوا خلاف هذا المذهب اي زعموا « ان منشأ الموارنة هو من هرطقة المنوثليتيين . وان عميدهم واسمه مارون كان متمسكا « بتلك البدعة . وان الموارنة انما رجعوا الى الكنيسة الرومانية سنة ١١٨٢ على يد ايمريك « الثالث البطريرك الانطاكي اللاتيني . »

وبعد قليل قال : « لندعن الآن جانباً كل تعصب للأمة المارونية . ولنترك « لعلماء تلك الطائفة الفقهاء المقيمين أيضاً برومية ان يردّوا اذا مسّت الحاجة سهام « خصمهم بما يتعلق بدوام الديانة الكاثليكية المقدسة ثابتةً في بلادهم (ونحن لا نظن « هذا) وببيان أصل منشأهم من القديس ما رون الانبا . »

فلو كان هذا الحبر العظيم يتخذ قول الموارنة أمراً قد حكم به الكرسي الرسولي هل كان يتكلم عن القولين هكذا كمن لا يستهجن الواحد ولا الآخر ويجيز لكل واحد التمسك بأحدهما . نعم انه في الفقرة الثانية التي أوردناها يترجح زعم الموارنة في رأي البابا ولكن الترجيح ليس هو حكماً . وكلام الحبر الاعظم كلام شامل يحتمل التأويل الى غير المعنى الذي يريده الموارنة .

ونختم هذا البحث بقولنا انه لو كان الموارنة مقتنعين حقيقة بان قول الاحبار في هذه المسألة قاطع كل نزاع كما يدعون وكما زعم صاحب كشف الستار وابلاء العذار لصدقوا ان قد قطعت هذه المسألة منذ سنة ١٢١٦ وبطل كل نزاع فيها . اذ قال

الحبر الاعظم انوكنتيوس الثالث بكلام صريح واضح أوضح من الشمس في رابعة النهار ان الموارنة « كانوا كالخراف الضالة لا يعرفون كنيسة المسيح الحقيقية » . فلماذا يتجاسرون منذ القرن السادس عشر على رغم قول هذا الحبر الاعظم ومن أيده من بعده ان يدعوا بان أجدادهم لم يكونوا قط كالخراف الضالة وانهم عرفوا على الدوام كنيسة المسيح الحقيقية .

ولعمري انه لو كان لهم هذا الاحترام البليغ الذي يتظاهرون به للكرسي الرسولي الروماني لما تجرأ صاحب كشف الستار المار ذكره أن يتفوه بكلمات تثلب عرض هذا الكرسي الجليل في وجه ٤ حيث تكلم عن أجازة التصحيح الصادرة من ديوان هذا الكرسي الرسولي لطبع ما كتبته عن الموارنة في كتابي اللاتيني وهذه هي كلمات ذلك الكاتب الماروني اذ يخاطبني قائلاً : « من يعلم كيف توصلت الى المصادقة على طبع حاشية (أي حاشية كتابك) التي « تجنَّيت فيه على الموارنة » فاقول من يجهل ما تضمنه هذه الكلمات الوجيزة من الاهانة والاحتقار للكرسي الرسولي الشريف .



الفصل السادس

في انه في هذه المسألة لا تنفع الا شهود العيان والمعاصرون

لما كان مجال بحثنا عن الموارنة انما هو عن حقيقة مذهب اجدادهم الديني في الحقبة التي بكل صواب يسوغ ان نسميها الحقبة المارونية وهي من القرن السابع بعد المسيح الى القرن الثاني عشر ثم الى القرن السادس عشر وكانت هذه المسألة تاريخية لا يمكن

حلها بالبراهين العقلية والقياسات الفلسفية والقضايا الرياضية . يتضح جلياً انه للوقوف على حقيقة حلها يجب استقراء المورخين المعاصرين العيانيين وفحص الاثار الواصلة الينا من تلك الاعصار . فالذين عاشوا اذا بعد القرن السادس عشر لا يمكن ان يكونوا شهودا عدولاً في هذه المسألة ان لم يكونوا قد استندوا على شهود معاصرين ثقات او على آثار قديمة صحيحة واوقفونا على قول هولآء الشهود وهذه الاثار . وكيف قدر مثلاً من عاش في القرن السادس عشر ان يعرف ما كانت عليه الموارنة في القرن الثامن ان لم يكن في يده حجة من ذلك الجيل نفسه يطلع بها على ذلك . فجميع العلماء الذين كتبوا عن هذه المسألة في القرون المتأخرة اى من القرن السادس عشر الى يومنا هذا سواء كانوا من هذه الملة او من غيرها لا تنفع شهاداتهم في ما يوافق زعمنا ولا في ما يوافق زعم خصمنا . الا اذا كانت اقوالهم مستندة على شهادات صحيحة من اهل الاجيال السابقة للجيل المذكور . واما قولهم وحده بقطع النظر عن مثل هذا الاسناد فلا يمكن ان يكون حجة ابداً مهما كان اولئك العلماء بارعين فائقين حاصلين علي كمال الشهرة.

وليس هذا امرًا مختصاً بمسألة مذهب الموارنة فقط . بل هذه القاعدة تعم المسائل التاريخية حتى المتعلقة بالديانة . ألا ترى ان اخبار الانجيل الطاهر نفسه لو لم يروها اشخاص معاصرون معاينون من الثقات لما صدقها احد . فلو اراد الواحد يبين مثلاً ان يسوع المسيح ولد في مغارة بيت لحم فعبثاً يتعب نفسه ويجهدها بجمع اقوال الالوف الذين قالوا ذلك في القرون الخالية من مؤرخين وملافنة واباء وباباوات ان لم يستشهد الانجيليين الذين راوا بعيونهم اوسمعوا من الذين شاهدوا وشهدوا . ولذلك فما زيد في الاجيال التابعة علي روايات الرسل عن اخبار المسيح فمنه ما رفضته الكنيسة رفضاً وحرمته كانجيل طفولية يسوع وسفر رؤيا بولس الرسول . ومما

لا يسلم به افضل المحققين قصة ابجر الملك ورسم صورة المسيح في منديل وارينا وغير ذلك .

فعلى هذا النسق خصوصاً يجب ان تقاس هذه المسألة التي نحن في صددها. فقد كلف علماء الموارنة انفسهم عبثاً في جمع اقوال المؤلفين المتأخرين الذين وافقوهم في زعمهم . لانه لو كانت هذه المسألة تحل بشهادات المؤلفين المتأخرين لوجب على خصومنا ان يقروا بان هذا وحده يبطل زعمهم و يدحضه . فان العلماء الذين يقولون بان الملة المارونية كانت في الاصل شيعة منشقة من الكنيسة الكاثليكية هم اكثر من الذين يذهبون مذهب الموارنة بكثير كما رأيت في الفصل الثاني والثالث .

فاذا تقرر ذلك فهلم بنا الى الفصول الاتية نستفت الاثار القديمة ونستشهد المؤلفين المعاصرين لنطلع على حقيقة احوال الموارنة الدينية في الحقبة المارونية .



الباب الثاني

﴿ في بيان أصل الشيعة المارونية واحوال انشائها ﴾

(وفيه تسعة فصول)

الفصل الاول

في أصل ملة الموارنة واشتقاق اسمهم

لا ريب ان الموارنة كانوا في الاصل سريانًا من البطريركية الانطاكية وانفصلوا في زمن من الازمنة من باقي اقوام تلك البطريركية فاصبحوا طائفة منفردة وجماعة قائمة بذاتها سميت من ذلك الوقت مارونية او طائفة الموارنة لتميزها من باقي الطوائف النصرانية . ولكن قد وقع الخلاف بين الموارنة واخصامهم في اشتقاق هذا الاسم وفي الزمان الذي فيه صار هذا الانفصال والسبب الذي من اجله اخذوا اسم الموارنة. ولما كانت مسألة زمان هذا الانفصال متعلقة بمسألة اصل تسميتهم وجب ان نبحث اولاً عن اصل هذا الاسم ثم بعد ذلك نتمكن من حل المسألة الاخرى .

فنقول ان الموارنة لم يجمعوا على رأي واحد بما يخص اشتقاق اسمهم . فقال قوم منهم وهم الاقدمون انه مأخوذ من النسبة الى لفظة (ماران) السريانية التي معناها ربنا . كأنهم سموا بذلك على اسم دير كان يقال له دير ماران اي سيدنا . قال توما اسقف كفرطاب في المقالات العشر (ورقة ١٥٠ من المصحف الواتيكاني السرياني عدد ١٤٦ « نحن سمينا موارنة على اسم الدير دير ماران الذي تفسيره دير ربنا » . وذكر نيرون في كتاب أصل الموارنة ان ابن القلاعي قال في احدى خطباته ان هذا الاسم مشتق من ܡܪܢܐ أي الرب أو السيد يعني ربانيين .

ونقرأ في كتاب شرح ايمان الموارنة وجه ١٤٠ من المصحف البرجياني عدد (خ):
« يعلم ويتفقه كل من يقف على لفظنا هذا من سائر الآباء البطاركة والمطارنة
« والأساقفة وسائر الكهنة والشمامسة وجميع الشعب المؤمنين المسيحيين أهل جبل
« لبنان الموارنة الذين تفسيرهم الربانيين أعني الخاصين بربنا يسوع المسيح . »

وذكر الكردينال بونا في الفصل ١٨ من البسلمودية انه سأل تلامذة مدرسة الموارنة في رومية عن أصل اسمهم . فقالوا هو مشتق من مارون او من ܡܪܢ أي الرب او السيد .

ونرى من كل ذلك ان هؤلاء الذين اشتقوا اسم الموارنة من لفظة ما ران أي سيدنا لم يعنوا بلفظة سيدنا احداً من القديسين او الآباء بل المسيح نفسه . كأن الدير الذي انتسبوا اليه كان خاصاً بالمسيح وانهم لم يشتقوا اسم الموارنة من اسم ܡܪܢ الرب رأساً بل من حيث انه كان اسم الدير .

ولكن غيرهم زعموا (وهم جمهور المتأخرين سواء من الموافقين للموارنة او من اضدادهم) ان اسم الموارنة مشتق من اسم رجل كان اسمه ما رون. غير انهم لم يتفقوا في تعيين هذا مارون . فقال قوم انه هو يوحنا ما رون الذي يدّعي الموارنة انه كان اول بطريرك لطائفتهم وعاش في أواخر القرن السابع . وهذا هو رأي جميع الذين يقولون بهرطقة الموارنة وراي العلماء الموارنة القدماء الى عهد يوسف سمعان السمعاني . فقد قال السمعاني في وجه ٥٠٧ من المجلد الاول من المكتبة الشرقية « ان الاهدني « ونيرون يزعمان ان اسم الملكيين والمردة أبتدى ان يلفظ به أول مرة في سورية « في زمان الحرب الذي تكلمنا عنه (أي سنة ٦٩٤) وان هؤلاء اي المردة سموا « موارنة لاتباعهم يوحنا مارون. » وهذا كان أيضاً رأي صاحب كتاب الهدى فانه في ورقة ٢٥ من المصحف الواتيكاني السرياني ١٣٣ قال : « الفرقة المارونية هي المنسوبة الى « مارون يوحنا بطريرك انطاكية العظمى . » واما السمعاني فلم يعجبه هذا الرأي .

بل ذهب الى ان الموارنة سموا على اسم القديس مارون الناسك الذي كان له دير بقرب حماة . فقال في المجلد المذكور وجه ٥٠٩ . « اللبنـانيون تركوا اسم المردة « وسموا موارنة نسبة الى ما رون الذي اقيم له دير شهير قرب حمـاة . ومنه لقّب « أيضاً يوحنا بطريركهم ما رون. » والى ذلك ذهب تقريباً المجمع اللبناني الشهيرحيث جاء في كتاب اعماله في الفصل الرابع من الجزء الثالث عدد ٦ من عدد ٨:

« Istis postea Maronitarum nomena impositum, quod .... Joannem e celebri sancti Maronis ad Orontem fluvium posito monasterio praesulem sibi crearunt.»

« ان هؤلاء (سكان جبل لبنان) سموا بعد ذلك موارنة لسبب انهم . . اقاموا « لهم رئيساً يوحنـا الراهب من رهبان دير القديس ما رون الشهير الواقع على نهر « العاصي . »

ومن ذلك العهد تمسك علماء الموارنة بهذا الرأي كما شهد البابا بندكتوس الرابع عشر في رسالته الى لركري حيث قال : « ذهب الموارنة الى ان اصلهم من القديس ما رون الانبا . » أي رئيس النسّاك . وما حملهم على ترك ما رون الثاني والتمسك بالاول هو تأملهم انه اذا انتسبوا الى يوحنا ما رون لم يتبرأ اسمهم من لطخ الهرطقة عند كل احد اذا وقع نزاع شديد في حقيقة مذهب يوحنا ما رون . ووافق الموارنة على هذا الرأي جمهور المصنفين الذين انكروا هرطقة الموارنة القدماء وتملك هذا الرأي بين الموارنة الى يومنا هذا .

فان صاحب كتاب روح الردود وهو آخر من كتب في هذا الشأن قال في وجه ٢٥٨ : « لمـا كثر عدد الاراطقة في سورية في الجيل الخامس واشتد اضطهادهم « للكاثليكيين شرع الرهبان تلامذة القديس مارون يذبون عن الايمان الكاثوليكي « فمن اذعن لارشاد أولئك الرهبان . . . دُعي مارونياً نسبة اليهم والى أبيهم القديس مارون . »

هذا ما قيل الى الآن في أصل اسم الموارنة . والصحيح في هذا الامر هو ان اسم الموارنة منسوب الى دير مار ما رون رئيس النسّاك ورهبانه لا الى مار ما رون بنفسه ولا الى ماران ولا الى مارون آخر غير المذكور . وادلة الاوّل واضحة أي ان الموارنة لم ينسبوا الى ما رون الناسك بنفسه وذلك لأن ما رون هـذا كان رجلاً متنسكاً متزهداً في الدنيا عاش في أواخر القرن الرابع ومبادئ القرن الخامس . ومدح أهل ذلك العصر فضائلهُ منهم القديس يوحنا فم الذهب وثيوذوريطس المؤرخ . وكان له دير عامر بالرهبان بين حمص وحماة على ضفّة نهر العاصي . ولكن لم يذكر احد من المؤرخين او من الذين تكلموا عن هذا الناسك شيئاً مما يتعلق بامور الايمان ومقاومة الهرطقات حتى يصدق انه على اسمه نشأت طائفة انفصلت من سائر الطوائف النصرانية لسبب أمور تخص الايمان كما هي طائفة الموارنة باعتراف علمائها نفسهم .

ونزيد على ذلك أيضاً انه كان قبل عهد ما رون الناسك و بعده اديرة كثيرة ورهبان كثيرون اشتهروا بأنواع الفضائل اكثر منه كانطونينوس وهيلاريون ومقاريوس وأوجانيوس وافرام و باسيليوس و بندكتس و برونون و برنردوس ولم يسم الى الآن طائفة من النصارى على اسم أحد منهم .

ثم ان اسم الموارنة لم يدخل الا بعد منتصف القرن السابع كما سنرى . فكيف امكن ان تسمى حينئذ طائفة نصرانية باسم راهب كان قد توفي قبل اكثر من مائتي سنة فلم يمكن ان تسمى باسمه طائفة ارثذكسية لصحة ايمانها لأن ما رون لم يكن وحده في تلك البلاد قد عاش ومات صحيح الايمان . وقد كان في ذكر العامة ابطال من المشاهير قد احتملوا المشقات وجاهدوا الجهاد الممدوح من أجل الايمان وزّينوا الكنيسة الشرقية بتعاليمهم وتصنيفاتهم مثل افرام و يوحنا فم الذهب واسحاق وغيرهم كثيرين فلماذا تركوا هذه الاسماء واختاروا اسم راهب ربما لم يجادل أحدا في حياته

قط عن أمور الايمان . ولا امكن ان تسمى على اسمه طائفة هرطوقية لانه لو كان الامر كذلك لاختارت تلك الطائفة اسم احـد الهراطقة او اسم الملحد الذي تمسكوا ببدعته كما فعل اصحاب الاقنومين اذ دعوا انفسم نسـاطرة نسبة الى نسطور واهل الطبيعة الواحدة يعاقبة نسبة الى يعقوب البرادعي وغيرهم . فان مارون الناسك لم يكن مبتدعاً ولا اخترع هرطقة بل كان كاثليكياً وموصوفاً بالعبادة والنسك ولم يكن مدعياً لنفسه ان يكون من ملافنة الكنيسة .

وأما قول صاحب روح الردود وجه ٢٦٠ بان البابا بندكتس الرابع عشر في رسالته المذكورة قال مرة : « ان الموارنة يزعمون ان أصلهم من مارون الانبا القديس. » فهذا نقل عن غيره لا ينسب اليه . وقال مرةً أخرى انه لا يظن بان الحاجة تمس الى ان يبين كون الموارنة اصل انتشارهم من ما رون الانباء القديس وهذا قول ترجيحي لا قول قطعي يبنى عليه بينة . مع ان هذا القول يسوغ تأويله بالمعنى الذي نقصده أى ان اصل الموارنة هو من الرهبان الذين انتشروا من دير مار مارون لا من مارون نفسه كما سيأتي .

ثانياً لا حاجة الى اطالة الكلام لنبين ان اسم الموارنة ليس مشتقاً من ماران اي ربنا . وذلك ان الذين يشتقون هذا الاسم من ماران يشتقونه أيضاً من مارون كما رأيت آنفاً . وكيف يمكن ان يشتق اسم واحد من اسمين . وناهيك انه لو كان اسم الموارنة مشتقاً من ماران لقيل في النسبة اليه الطائفة المارانية لا المارونية . ثم ان اسم هذه الطائفة هو بالواوليس فقط عند الذين كتبوا بالعربية . بل ايضاً عند السريان واليونان القدماء . فان السريان كتبوا دائماً ܡܪܘܢܝ̈ أو ܘܒܢ̈ܝܐ ܕܡܪܝ ܡܪܘܢ أو ܘܕܒܝܬ ܡܪܘܢ . واليونان ΜΑΡΩΝΙΤΑΙ . (سنرى أمثال ذلك عنـد ما نورد شهادات المؤلفين القدماء) .

ثالثاً بقي لنا ان نبين ان اسم الموارنة ليس هو منسوباً الى مارون ثانٍ غير الناسك.

انا سنتكلم مطولاً في محل آخر عن مارون الثاني . والآن نكتفي بالقول ان هذا مارون الثاني — وهو يوحنا البطريرك باعتراف الموارنة نفسهم — أُقب باسم مارون على دير مار مارون .

قال مترجم كتاب معتقد الموارنة في العربية (في ورقة ١ من المصحف الواتيكاني السرياني ١٤٦) : « اعتقاد البيعة الرسولية الذي كتبه القديس يوحنا بطريرك « انطاكية في دير مارون على نهر العاصي بلد حماه وحمص . وأورد ذلك الى جبل « لبنان . ولاجل هذا سموا أهل الجبل المذكور موارنة على اسم الدير مارون. و يسمى « يوحنا المذكور مارون هو ايضاً على اسم الدير . »

فترى ان معرّب الكتاب المذكور الذي هو من أقدم كتب الموارنة وله اعتبار عظيم عندهم جعل نسبة الموارنة الى الدير لا الى مارون نفسه كما بينا سابقاً. وجعل يوحنا البطريرك منسوباً الى ذلك الدير نفسه .

وقال صاحب الدرّ المنظوم وجه ١٢٥ : « يوحنا (البطريرك) سمي بمارون نسبة الى القديس مارون الانبا . » وقبله كان السمعاني قد قال في وجه ٦٤٢ من المجلد الاول من المكتبة الشرقية : « (يوحنا مارون) صار راهباً في دير مار مارون ومنه لُقّبَ . »

فلا شك ان يوحنا البطريرك انما لقب بمارون نسبة الى دير مار مارون . وفي ذلك ساوى سائر أبناء الطائفة المارونية . لأنهم سموا على اسم الدير المذكور . فقد كان اذاً للطائفة المذكورة اسم المارونية ولم يكن حاجة ان تتخذه من أحد آخر . فاذاً بلا أساس وخلافاً للآثار القديمة زعم المتأخرون القائلون بهرطقة الموارنة القدماء ان نسبة هذه الطائفة هي الى يوحنا مارون . كأنه لا يمكن ان يكونوا هراطقة ان لم يكن لهم زعيم هرطوقي مسمّى يسمّون باسمه . وسنبين نحن خلاف ذلك .

ومن هذا كله تتضح جلياً صحة ما قررناه وهو ان اسم الموارنة مأخوذ من النسبة

الى دير مار مارون الناسك أي الى رهبانه . وذلك ان سكان جبل لبنان وما يليه تبعوا معتقد رهبان ذلك الدير فدعوا مارونيين أو موارنة على اسمهم لتميّزهم من سائر الطوائف النصرانية التي لم تقبل معتقد أولئك الرهبان . ولنا في ذلك شهادة جليلة من كتب الموارنة القدماء نفسهم .

قال صاحب المقالات العشر (في ورقة ١٤٧ من المصحف الواتيكاني السرياني ١٤٦) : « وفي تلك السنة ظهرت جيوش الاسلام . . . واشتغلوا ملوك اليونانية عن « مكاتبتهم (أي مكاتبة أهل جبل لبنان) ما عادوا كاتبوا دير مارون . عند ذلك « ثبتوا أهل جبل لبنان وحمص وحماه وحلب على المقالة المتقدم ذكرها وعلى رأي « المجامع المقدسة وانتسبوا الى دير ماران وسميوا موارنة على اسم الدير . »

ولا ينكر انه في هذه القضية تقدم شهادة كتب الطائفة المارونية القديمة على شهادة غيرها . فقد توهم اذاً سعيد بن بطريق الاسكندري ومن تبعه حيث قال ان رجلاً اسمه مارون تسمت به الطائفة المارونية لانها تمسكت برأيه . فان هذا الزعم يخالفه ما ورد في الآثار القديمة التي أوصلتها لنا هذه الطائفة سالمة من الدثار كما رأينا الى الان. الاّ ان هذا كله لا يمنعنا من القول بانه بين أولئك رهبان مارون الذين تسمى بهم الموارنة وجد واحد مقدم أو زعيم لهم اسمه يوحنا مارون اشتهر اكثر من غيره في امساك أهل لبنان في مذهب أولئك الرهبان واثباتهم عليه . وكتب في هذا الشأن كتباً لتمكينهم في رأيه . وانه لما انتهى تبّاع مذهبه الى ان ينصبوا لشيعتهم بطريركا انتخبوه هو أول بطريرك عليهم . ويمكن انه بهذا المعنى قال صاحب كتاب الهدى ان اسم الموارنة منسوب الى يوحنا مارون .

الفصل الثاني

في الزمان الذي فيه ظهرت

الملة المارونية

اذ اتضحت حقيقة اشتقاق اسم الموارنة فهلم بنا نبحث أولاً عن الزمان الذي فيه نشأ هذا الاسم .

فاعلم ان علماء الموارنة قد اختلفوا في ذلك . قال صاحب روح الردود وجه ٢٥٩ : « رهبان دير القديس مارون شرعوا يسمون موارنة منذ أيام رئيسهم القديس « مارون . واتسعت هذه التسمية الى تلامذتهم منذ انقادوا للاذعان لرأيهم . . « خلافاً لاراطقة الجيل الخامس . . . وعليه فاسم موارنة كان منذ الجيل الخامس . »

وزعم مثل ذلك صاحب الدر المنظوم ولو انه لا يقوله بالفاظ صريحة . الا ان المجمع اللبناني ارتأى غير ذلك حيث ورد فيه (في الفصل الرابع من الجزء ٣ باب ٨ عدد ٦) : « ومن بعد ذلك بنحو مائة سنة (أي بعد بطريركية « سويرس عدو المجمع الرابع) قسمت تلك البطريركية (الانطاكية) قسمة أخرى بين « سريانا المارونيين و بين الملكيين . وهذه القسمة ثبتت الى اليوم . هؤلاء سموا بعد « ذلك موارنة من سبب انهم لما توفي تاوفان بطريرك الامتين (أي الملكيين والموارنة) « اقاموا لهم رئيساً يوحنا الراهب من رهبان دير القديس مارون الشهير الواقع على « نهر العاصي . وفي ذلك الزمان اسم المردة تحول الى موارنة وحدث ذلك سنة « ٦٨٥ . » اي ان اسم الموارنة دخل على هذه الطائفة في القرن السابع على عهد يوحنا مارون البطريرك اعني بعد وفاة القديس مارون الانبا بأكثر من مائتي سنة . ونحو ذلك تقريباً ارتأى يوسف السمعاني في المكتبة الشرقية (مجلدا وجه ٥٠٩) حيث

قال : « ان اهل لبنان طرحوا اسم المردة وسموا موارنة . اعني على اسم مارون الذي « كان قد شيّد له دير شهير بقرب حماة ومنه لقب بطريركهم بمارون . » اي ان هذه الطائفة كانت تسمّى المردة على قوله . فلما ظهر يوحنا البطريرك الذي سمي مارون على اسم الدير طرحت الطائفة اسم المرَدة وتسمت هي أيضاً مارونية . ولم يمكن ان يكون ذلك قبل القرن السابع . هذا واذ رأيت كيف ان السمعاني جعل اسم المردة اقدم من اسم الموارنة في هذه الطائفة فاسمع الآن كيف ان صاحب روح الردود جعل اسم الموارنة اقدم من اسم المردة . قال في وجه ٢٥٨ : « لما تكاثر عديد هؤلاء الموارنة وقوي « بأسهم واشتدت سطوتهم في الجيل السابع تمردوا على العرب وعلى بعض ملوك « القسطنطينية الغير المستقيمي الايمان كما مرّ . فدعاهم أعداؤهم ومجاوروهم مرَدة . وبقي « لهم اسم موارنة . »

ولا غرو ان جميع المصنفين الذين اشتقوا الموارنة من يوحنا مارون سواء كانوا من القائلين بهرطقة الموارنة القديمة او من اضدادهم يرتاون ان هذا الاسم لم يوجد قبل القرن السابع .

ولا عجب ان علماء الموارنة اختلفوا في تعيين الزمان الذي دخل فيه اسم المارونية اولاً . اذ انهم لم يستندوا الى الآثار القديمة فيما زعموه . بل تصور كل منهم ما رآه اوفق لنيل ما كان جل مقصدهم وهو البيان ان الطائفة المارونية لم تكن هرطوقية في أصلها . ولذلك تراهم في بيان اصل طائفتهم والبحث عنه لا يوردون ادنى شهادة يعتمد عليها ولا يفتشون على ما وصل الينا من الآثار القديمة في ذلك . بل أغلب الاحيان يستشهد بعضهم بعضاً ويستند بعضهم الى بعض . كأن كل واحد منهم يعتبر انه كان حياً معايناً سامعاً في الزمان الذي فيه نبت اصل الموارنة بحيث يكون قوله سندا . مع ان اقدمهم زماناً ولد بعد ظهور الطائفة بأكثر من ثمانمائة سنة . فاذا كان ذلك كذلك فلا عجب انهم يناقض بعضهم بعضاً كما رأيت . لا بل

ان منهم من ناقض نفسه بنفسه . كصاحب روح الردود مثلا . فانه في وجه ٢٦٠ قال ان اسم الموارنة كان منذ الجيل الخامس. وفي وجه ٢٤٢ قال ان هذا الاسم نشأ في الجيل السابع . وفي وجه ٨٣ قال ان اسم الموارنة لم يكن في الجيل الثامن نفسه . فاسمع وتعجب .

ولنرجعنَّ الى مسألة الزمان الذي فيه ظهرت الملة المارونية . فنقول اننا ندَّعي انها ظهرت بعد ما عقد المجمع السادس المسكوني سنة ٦٨٠ وانه قبل ذلك لم يكن لها اثر البتة . وهاك بيّنات ذلك .

١ - لو كانت الشيعة المارونية وجدت في القرن الخامس والسادس كما يزعم بعض الموارنة لوُجد لها أثر في التواريخ او في مصنفات الآباء او الهراطقة نفسهم . والحال ان الموارنة نفسم يقرون ان الآثار القديمة لم تذكر اسم الموارنة في القرني الخامس والسادس.الا ترى ان اسم اليعاقبة والنساطرة مثلا يذكر في كل مكان من تلك الآثار . فلو كانت الشيعة المارونية قد ظهرت في القرن الخامس او السادس لتمسكها بالايمان القويم لوُجد ذكر مدحها عند المؤلفين الكاثليكيين القدماء وذمّها عند الكتّاب المنشقين.وبالعكس لو كانت قد نشأت لهرطقة اختصت بها لنقم الكاثليكيون عليها وحامي الهراطقة عنها . ونحن لا نرى اثرًا لذلك في القرن الخامس الى السابع . مع ان المجادلين في أمور الايمان والمؤرخين في تلك القرون يفوقون عدداً في بلاد الشرق كل القرون التابعة . ويؤيد برهاننا هذا وجود اثار كثيرة للموارنة في القرون التابعة ولا سيما في الثامن و بعده كما سترى في محله مع ان تلك القرون قلّ فيها المصنفون البيعيون وخاصة المؤرخون . (١)

---

(١) كيف أمكن ان تنشأ شيعة الموارنة في جبل لبنان في القرن الخامس وأهل جبل لبنان كانوا وثنيين في ذلك القرن . كما أقر السمعاني في وجه ٢٤٦ من المجلد الاول من المكتبة الشرقية . وبالحقيقة لا يوجد أثر في تواريخ الكنيسة عن نصارى لبنان

٢ ـ ونسأل الموارنة لأي سبب ظهرت شيعتكم في القرن الخامس فان أجابوا قائلين ان اللبنانيين من سبب ايمانهم القويم انفصلوا عن الهراطقة الذين كانوا في ذلك العصر وتسموا موارنة قلنا ان الكاثليكيين الذين انفصلوا عن الهراطقة وناضلوهم في سورية وما يجاورها في القرن الخامس والسادس كانوا كثيرين عددا جدا من كل جنس ولغة . فاننا نرى ان الكاثليك ناضلوا خصوصاً في تلك الاجيال الهراطقة في مصر وسورية وبين النهرين واسيا الصغري وسائر بلاد المشرق مع اجتهادهم في الفضائل والعلوم والقداسة . ومع ذلك لم يسموا باسم الموارنة ولا باسم آخر نسبة الى احد الابطال الذين كسروا شوكة الهرطقة . ومع كثرة الهرطقات التي ظهرت في كل زمن ومكان

قبل زمان مار سمعان العمودي الذي توفي سنة ٤٥٩ . وقد بذل صاحب الدر المنظوم من وجه ٢٨٨ جهداً بليغاً ليبين ان اللبنانيين كانوا نصارى قبل عهد مار سمعان العمودي. ولكن من كل ما جمعه لا يتبين الا شيء واحد وهو ان سواحل بحر فونيقي كان فيها كثير من النصارى. ولكن لا ينتج من ذلك ان أهل لبنان أيضاً كانوا نصارى . . . . ولا فائدة في برهان صاحب الدر المنظوم اذ قال. ان كان مار سمعان العمودي الذي كان بعيداً عن جبل لبنان أمكنه ان يدعو اللبنانيين الى الايمان المسيحي فبحجة أولى يمكننا ان نقول ان رهبان مار مارون القريب ديرهم الى جبل لبنان قدروا قبل ذلك ان ينذروهم ويجذبوهم الى دين المسيح. فاننا نعلم ان مار سمعان لم ينطلق الى لبنان ولا انذر سكانه بل قصده قوم من اللبنانيين اذ سمعوا باياته كما قصده أقوام كثيرون من بلاد بعيدة فاجترح قدامهم أية ربانية وبذلك عرفوا حق دين المسيح وتنصروا . فلا عجب اذا كان اللبنانيون في القرني الرابع والخامس قد دفعوا بقرب رهبان مار مارون الى التنصر كما حركتهم الي ذلك كرامة مار سمعان فيما بعد . ثم في القرن السابع اذ كانوا نصارى من نحو جيلين اقتدوا برهبان مارون وتبعوهم في أمور الدين . أو ليس المسيح له المجد مع كل ما صرفه من التعب في انذار اليهود مدة سنين كثيرة لم يؤمنوا به و بطرس الرسول بخطبة واحدة القاها على سماع أهل أورشليم هدي منهم ثلاثة آلاف الى الايمان .

في الكنيسة لم يسمع قط ان الكنيسة لردّ هذه الهرطقة اضطرت الى ان تقيم فرقة من اولادها تسمى باسم خصوصي به تتميز عن الهراطقة كما يدعي الموارنة عن شيعة اجدادهم فيا ترى ما أعظم ما كان عليه سكان لبنان من الحظ السعيد في ذلك العهد الذي يدعون انهم كانوا فيه نصارى حتى استحقوا ان يميزوا عن سائر كاثليك الدنيا مع ان التواريخ لم تذكر عنهم شيئاً الى أواخر القرن السابع . فضلاً عن انه لم يظهر فيهم ادني ملفان او قديس منذ عهد انشأ شيعتهم الى عهد صلحهم مع الكنيسة الرومانية كما ظهر افواج في سائر البلاد الكاثليكية .

٣ — ونقول ايضاً انه لم يكن ممكناً لهذه الطائفة ان تتخذ اسمها في القرن الخامس او السادس لسبب هرطقة اشتهرت بها . فان الهرطقات التي كانت موجودة في ذينك القرنين هي معلومة كالنسطورية والاوطاخية واليعقوبية . فلو كانوا قد انفصلوا لسبب احدى هذه الهرطقات لا نضموا الى اصحاب تلك الهرطقة وقارنوهم وتسموا باسمهم .

٤ — قد اجمع الموارنة وكل من يزعم زعمهم ان اول بطاركة هذه الطائفة كان يوحنا مارون وهذا قال فيه السمعاني والمجمع اللبناني صريحاً انه قام في أواخر القرن السابع . أفكانت قبل ذلك طائفة مارونية بلا بطريرك . لا لعمري . لأن طائفة اقامت لها بطريركاً في عصر لم يعد يجلس فيه على الكرسي الانطاكي اسقف هرطوقي لا يصدق انها بقيت بلا بطريرك في الاعصار السابقة التي فيها قام على الكرسي الانطاكي هراطقة كثيرون . فيجب اذاً ان نقول انها بدأت مع بطريركها اي في أواخر القرن السابع . والسمعاني نفسه قال مصرحاً في المحل المشار اليه انه لا يصدق ان أمة كبيرة كهذه بقيت بلا رأس .

٥ — ان كلاً من السمعاني والمجمع اللبناني كما رأينا سابقاً قد أقر بان اسم الموارنة للطائفة المارونية ظهر في القرن السابع . وكل أحد يرى انه لو لم يكن الحق اضطرهم الى هذا الاقرار لاجتنبوه ولا يجهل احد كم يعدّ خطيراً رأى السمعاني في

هذا الامر وكذا قول المجمع اللبناني الذي كان السمعاني فيه نائباً عن الحبر الاعظم. وهو الذي نص قوانينه وحدوده ونظمها واعطاها ذلك الرونق حتى اصبح ذلك المجمع يعدّ من أفخر الكنوز. فبموجب هاتين الشهادتين يثبت ان اسم المارونية لطائفة نصرانية مميزة من باقي الطوائف لم يكن موجوداً قبل القرن السابع. ومن حيث ان صاحب روح الردود خالف هذا القول ونقضه بدون اعتماد على ادنى بينة ولا شهادة فقوله مردود بتاتاً. ولكن صاحب روح الردود يعترض قائلاً: ان اسم رهبان دير مار مارون مذكور في المجمع الخامس المسكوني الذي عقد سنة ٥٥٣. — فنجيب قائلين اننا نقرّ بذلك. ولكن لا ينتج منه سوى انه في القرن السادس كان رهبان في دير مار مارون الناسك. ولا ينتج انه كان في ذلك العصر فرقة من النصارى اسمها مارونية — لأنه في تلك القرون وما بعدها كانت اديرة كثيرة مشهورة بالرهبان ومشهورة اكثر من دير مار مارون. وهل ينتج من ذلك ان كلا من هذه الاديرة كان له طائفة نصرانية مسماة باسمه. وهل قرأ احد في التواريخ اسم ملة انطونيوسية او باخومية او افرامية او باسيلية او هيلاريونية او أوجانيوسية او بندكستية او أوسابوية او غير ذلك.

فهذا الذي شرحناه الى الآن كاف لاثبات ان الملة المارونية لم تظهر قبل القرن السابع. وسنرى عما قليل في أي شطر من ذلك القرن ظهرت تلك الملة.

الفصل الثالث

في سبب اسم الموارنة وانفصالهم عن سائر الفرق النصرانية

بعد ان رأينا ان اسم الموارنة لطائفة من نصارى البطريركية الانطاكية لم يطلق على هذه الطائفة الاّ في القرن السابع وانه انما اتخذ نسبة الى رهبان دير مار مارون الناسك . بقي الآن لنا ان نبحث في سبب هذه النسبة ولماذا الفرقة المارونية اتخذت هذا الاسم واعتزلت عن جميع نصارى البطريركية الانطاكية . ولا مرآء ان مدار الجدال مع الموارنة متوقف كله على هذه المسألة . فينبغي ان نبذل في حلها كل الاجتهاد والجد والتدقيق.

ادَّعى علماء الموارنة بان طائفتهم انما انفصلت من باقي الطوائف النصرانية لاستقامة ايمانها. وان الطوائف التي كانت هرطوقية دعتها مارونية بسبب انها كانت تابعة لايمان يوحنا مارون (هذا ما قاله نيرون والاهدني) .أو لسبب ان ايمانها كان على ايمان رهبان دير مار مارون الناسك (على قول السمعاني ومن جاء بعده) . أو لسبب ان مذهبهم في الدين كان على مذهب مارون الناسك (كذا صاحب روح الردود) . . . وكلهم بنوا أقوالهم على تقديرات وتوهمات بدون الاعتماد على أدنى سند . ولم يعمد أحد منهم الى تحقيق الامر باستقراء الاثار القديمة .

وأما نحن فنقول ان الطائفة المارونية انفصلت عن سائر الطوائف الشرقية لتمسكها ببدعة المنوثليتية أي القول بالمشيئة الواحدة في المسيح تبعاً لرهبان دير مار مارون الذين عنهم أخذوا اسم الموارنة ولنا شهادة جلية لذلك من أقدم الكتب المارونية التي وصلت الينا سالمة.وهي من كتاب مجادلة الموارنة مع الملكية تأليف توما أسقف كفرطاب

الماروني المذكور سابقاً الذي عاش في القرن الحادي عشر حيث قال (ورقة ١٤٦ من المصحف الواتيكاني السرياني ١٤٦) : « وكان في ذلك العصر (أي في عصر
« مكسيماس الراهب الذي حامى عن المشيئتين في المسيح) ماسك كرسي المملكة
« مرقيان واخيه جملة . . . ثم أمرهم (اي مكسيماس) امر هذين الملكين انهم يكتبوا
« مناشير الى بلاد الشام كي أنهم يعتقدوا مقالة المشيئتين التي قالها مكسيماس . فلما
« انتهت كتبهم الى سوريا والشام و بلد حلب ودمشق وجبل لبنان وحمص وحماه
« الى جميع السريان . . . حينئذ قالوا اهل الشام نحن راجعين الى حكم دير ماران
« دير السريان الذي تأويله ديار الرب . لان كان صفة هذا الدير على شط العاصي
« خارج مدينة حماه . وكانت جملة رهبانه ثمانمائة راهب قديسين . ثم وصلت لهم
« كتب الملكين مرقيان وأخيه الى دير ماران فلما وقفوا على قرأتها وتأملوا مضمون
« اشارتها للحين نفروا منها غاية الانفار . ثم ان الرهبان ردّوا جواب كتب الملكين
« فتسلموا الرسل الجواب عن الرهبان وانصرفوا الى الملوك . . . وفي تلك السنة
« ظهرت جيوش الاسلام وملكوا مصر ودمشق والقدس والشام . واشتغلوا ملوك
« اليونانية عن مكاتبتهم ما عادوا كاتبوا دير مارون . عند ذلك ثبتوا أهل جبل
« لبنان وحمص وحماه وحلب على المقالة المقدم ذكرها وعلى رأي المجامع المقدسة .
« وانتسبوا الى دير ماران وسميوا موارنة على اسم الدير » . وقال في ذلك المحل مخاطباً المعتقدين بالمشيئتين . « المجامع المقدسة . . . لم يذكروا غير اتحاد لاهوت
« وناسوت طبيعتين متحدة (أي متحدتين) بمشيئة واحدة . . . ونحن وأنتم دمنا
« ثابتين على ذلك زمان كثير الى زمان مكسيماس خاصتكم » .

فمن هذا كله يتضح ان الملة المارونية نشأت في الزمان الذي فيه وقع في الكنيسة الجدال عن المشيئتين في المسيح . فقام القديس مكسيموس على المبدعين القائلين بمشيئة واحدة في المسيح وفندهم . وان طائفة الموارنة انما انفصلت عن سائر الطوائف

النصرانية لتمسكها بضلال المشيئة الواحدة في المسيح ورفضها تحديد المجمع السادس مع قولها مع الملكية بالطبيعتين في المسيح.

فاذا تأملنا هذه الشهادة يحق لنا ان نقول انه لما ظهرت العرب في بلاد الشام واضطربت المملكة الرومية من بأسهم وسطوتهم وارتعبت منهم ملوك الروم رأى أهل بلاد الشام ولا سيما أهل جبل لبنان انفسهم انهم في أمان وحرية من شوكة ملوك الروم فخلعوا الطاعة لهم دنيا وديناً . وكان أهل تلك البلاد قد ظهرت عندهم من زمان ضلالة المنوثليتية أي القول بالمشيئة الواحدة في المسيح على يد بطريركهم مقاريوس الانطاكي . فلما سمعوا بالاوامر القاطعة التي كان قسطنطين الملك اللحياني قد أبرزها تأيداً للمجمع السادس المسكوني في ابطال البدعة المنوثليتية التي كان هرقل الملك وخلفاؤه قد قوّوها . أبى أهل جبل لبنان وما يجاوره قبول ذلك التحديد لانهم كانوا قد تبعوا رأي مقاريوس كما قلنا . وهكذا انفصلوا انفصالاً شرعياً وانشقوا من سائر الكاثليك الذين قبلوا تحديد المجمع . وصاروا شيعة منفردة عن سائر الفرق النصرانية التي كانت في البطريركية الانطاكية . كما كان قد فعل قبلهم اليعاقبة من سريان وأرمن وقبلهم النساطرة . وكان ذلك في ملك يسطنيان الاخرم بعد ان اخرج المردَة من جبل لبنان بسنين قليلة حيث كان الروم في هلع من شوكة العرب الذين ظهروا وقتئذ في تيك البلاد . فلم يكن لهم سبيل للتعرض لاهل تلك البلاد في أمور الدين كما كانت عادتهم قبلاً .

ولا عجب ان الموارنة لم ينشقوا عن الكنيسة انشقاقاً تاماً الا بعد التئام المجمع حيث حُرمت فيه البدعة التي تمسكوا بها منذ بضع سنوات . لاننا نرى من التواريخ ان النساطرة في البلاد الواقعة تحت حكم الفرس لم ينشقوا من الكنيسة انشقاقاً تاماً لا بعد زمان المجمع الافسسي الذي حرم هرطقتهم بسنين كثيرة . (طالع في هذ

الشأن المكتبة الشرقية للسمعاني المجلد الرابع وجه ٦٧ وما بعده) . وكذلك اليعاقبة لم يتم انشقاقهم الا بعد وفاة سويرس البطريرك الانطاكي أي بعد المجمع الخليقدوني باكثر من ستين سنة لا بل على يد يعقوب البرادعي بعد المجمع المذكور بنحو مائة سنة .

فالموارنة اذاً كانوا قبل انفصالهم عن الكنيسة متفقين مع سائر كاثليك البطريركية الانطاكية في المذهب . وذلك ان أهل البطريركية الانطاكية تقسموا الى فرق دينية بالتتابع . فافترقت أولاً في اقصى الشرق الشيعة التي تبعت ضلالة نسطور . ثم بعد سنين انفصلت طائفة عظيمة تبعت عصيان يعقوب البرادعي وسميت شيعة اليعقوبية وقسمت الى فرقتين سريانية وارمنية . والذين بقوا في البطريركية الانطاكية ثابتين على صحة الايمان المستقيم سمَّتهم هذه الشيع ملكيين أي تباع ايمان ملوك الروم . وهؤلاء التابعون المجمع الخلقيدوني وقعوا في ضلال المنو ثليتية في أواسط القرن السابع ومعهم أهل لبنان ورهبان مارون . فلما حدّد المجمع السادس معتقد المشيئتين تبعه كاثليك البطريركية الانطاكية . ما عدا رهبان ما رون ومن تبعهم من اللبنانيين ومجاوريهم فانفصلوا وسمّوا موارنة .

وربّ سائل يسأل : لماذا اذاً الفرقة المارونية لم تسمّ مقاريوسية نسبة الى مقاريوس البطريرك الذي عضد القول بالمشيئة الواحدة في تلك البلاد . نجيب ان ذلك ليس خاصاً بالموارنة فقط.فان تباع سويرس المنوفيسيتي في تلك البطريركية لم يطلق عليهم لقب السويرسيين . ولا تباع ضلالة ديوسقوروس في البطريركية الاسكندرية سموا ديوسقورسيين بل سميت الطائفتان نسبة الى يعقوب الذى عضد هذه البدعة ونشرها بعد المجمع الخلقيدوني . وكذلك تباع مقاريوس سُموا موارنة نسبةً الى رهبان ما رون الذين بعد المجمع السادس عضدوا بدعة مقاريوس ونشروها .

وقد صدق هذا المصنف الماروني الموردة عنه الشهادة السابقة في ما قاله عن السريان بانهم لم يقبلوا تحديد المجمع السادس الذي حرم البدعة المنوثليتية . فان الامة السريانية انقسمت الى ثلاث فرق منفصلة بعضها من بعض وهي النسطورية واليعقوبية والمارونية وكل هذه الفرق الثلاث كانت تعتقد بمشيئة واحدة في المسيح كما سنبين فلم تقبل المجمع السادس . ولم يبق من الامة السريانية طائفة قبلت المجمع السادس الا الملكية . وهذه لسبب تمسكها بايمان ملوك الروم المحامين عن المجمع السادس ولسبب انها بعد قليل اتخذت عوائد الكنيسة القسطنطينية وطقوسها فقدت اسم السريانية وسميت رومية ويونانية .

ولنا ان نعتبر كم كان بغض السريان لملوك الروم شديدا حتى انهم اول ما مكنتهم الفرصة ابوا الطاعة لهم والتدين بدينهم . فان الذين كانوا تحت حكم الفرس تمسكوا منذ القرن الخامس ببدعة نسطور التي حرمت في المجمع الثالث بهمة ملوك الروم . وفي القرن السادس لما بدأت شوكة الروم ان تضعف لاشتباكهم بالحروب مع الفرس انتشرت قليلاً قليلاً في بلاد سورية المتوسطة البدعة اليعقوبية المخالفة لما حدّده المجمع الرابع المعقود هو أيضاً تحت نظر الملوك المذكورين . وفي القرن السابع لما استؤصلت شوكة ملوك الروم بظهور الاسلام واستيلائهم على بلاد سورية تمكنت في جبل لبنان وما يجاورهُ بدعة المنوثليتية التي حرمت في المجمع السادس المعقود في القسطنطينية نفسها .

فلنشاهد كيف كان أهل هذه البدع الثلاث يشفون غليلهم لخلاصهم من سطوة ملوك الروم . فمن النساطرة قال طيمثاوس الاول البطريرك الجليل (الذي اشتهر في القرن الثامن) في رسالته الثالثة والاربعين الى رهبان مار مارون :

ܟܠܗܘܢ ܡܢ ܓܝܪ ܡܠܟ̈ܐ ܕܪ̈ܗܘܡܝܐ ܐܡܪܢܢ ܘܠܡܠܐ ܕܐܝܬ ܠܗܘܢ

ܬ̈ܚܠܐ ܕ̈ܡܠܟܐ ܗܘܝ ܢܝܪ ܗܘܦܛܩܣܣ ܗܘܝ ܢܝܪ ܐܪ̈ܡܝܐ ܕܟܠܗܘܢ

ܕܢܝܪ ܗܘܘ ܠܗܘܢ. ܘܐܦ ܠܒܢܝ̈ܐ ܘܐܦ ܠܟܘܡܪ̈ܐ ܘܡܠܟ̈ܐ.

ܘܐܦ ܠܐܘܣܛܐܬܐ ܐܝܟ ܘܐܦ ܒܥܪ̈ܒܝܐ ܗܘܘ ܒܡܠܘܟܘܬܐ ܠܒܪ ܡܠܟܘ̈ܗܝ

« اما انتم (يعني الطوائف التي كان النساطرة يسمونها غربية وكانت تعتقد « باقنوم واحد في المسيح خلافاً لضلالة النساطرة) فقد تملك عليكم ملوك نصارى « وهؤلاء الملوك كانوا يجذبون الكهنة والمؤمنين الى الهرطقة والايمان الارثدكسي « بحسبما كان عقلهم يدلهم . ولذلك قد حصل لديكم في الايمان زيادات ونقصانات»

ومن اليعاقبة قال ابو الفرج بن العبري (الذي شهرته تغني عن وصفه) في كتاب التواريخ السرياني (المصحف الواتيكاني السرياني ١٦٦ وجه ٢٧٣):

ܘܡܛܠ ܗܢܐ ܐܠܗܐ ܕܒܥܠ ܢܩ̈ܡܬܐ ܠܒܢ̈ܝ ܐܝܫܡܥܠܝ̈ܐ ܐܝܬܝ ܠܢ ܦܘܪܩܢܐ ܡܢ ܐܝ̈ܕܝܐ ܕܪ̈ܗܘܡܝܐ. ܡܛܠ ܕܟܕ ܐܫܬܠܛܘ ܛܝ̈ܝܐ ܠܟܠ ܬܘܕܝܬܐ ܟܠ ܚܕܐ ܕܐܝܟܢܐ ܕܐܫܟܚܘܗ̇ ܒܩܘܝܡܗ̇. ܐܠܐ ܠܐ ܒܨܝܪܬܐ ܗܢܝܢ ܕܐܬܚܪܪܢ ܡܢ ܚܪܝܦܘܬܐ ܕܪ̈ܗܘܡܝܐ ܘܡܢ ܚܡܬܗܘܢ ܡܪܝܪܬܐ ܕܠܘܬܢ.

« ان الله المنتقم قد جاد علينا بالخلاص من يد الروم على يد العرب . . . لأنه لما « استولى الاسلام تركوا كل دين على الحالة التي كان فيها . ونحن اغتنمنا غنيمة غير « قليلة حيث تحرّرنا من خبث الروم ومن شدة بغضهم لنا . »

ومن الموارنة قال توما الكفرطابي في الكتاب المذكور (ورقة ١٤٦) : « فتقدم « مكسيماس (الذي حامى عن المشيئتين) الى حضرة هؤلاء الملكين (اي مرقيان وأخيه) « وطفق يشير عليهم بان يوجب اننا نزيد مشيئة أخرى . . . ثم ان الملكين امتثلوا قوله « . . . ثم امرهم انهم يكتبوا مناشير الى بلد الشام كي انهم يعتقدوا مقالة المشيئتين التي قالها « مكسيماس فلما انتهت كتبهم الى سورية . . . قائلين كل من لا يمتثل مراسيم الملوك يؤخذ « رأسه بالسيف . حينئذ قالوا أهل الشام نحن راجعين الى حكم دير ماران . ثم وصلت « (الى رهبان دير مار ماران) كتب الملكين قائلين لهم انتم تعلمون ان بايدينا الامانة

« المقدسة . . . وتأمرونا ان ننكرها ونقيم مذهب مكسيماس بيد غالبة وسيف ومذهب

« الحق لا يكون بحرب وقوة » .

فهذا كله يوضح ما أوردناه من قول توما الكفرطابي عن اصل الملة المارونية وتؤيده شهادة يشوعياب الثالث بطريرك النساطرة الشهير الذي توفى سنة ٦٦٠ أي في الوقت الذي فيه كانت البدعة المنوثليتية قد كادت شوكتها تنكسر بهمة قسطنطين اللحياني ملك الروم . قال هذا البطريرك الحاذق في رسالته التي اوردها السمعاني في وجه ١٢١ من المجلد الثالث من المكتبة الشرقية « ها أنه في هذه الايام رومية العظمى

« وراوينا رفيقتها . وايطاليا كلها . وكل مملكة اللنغبرد . وكل مملكة الفرنجيين .

« وافريقية كلها . وصقلية كلها . وثراقية كلها . واقريطش كلها . ورودس . وخيوس

« وكل الجزائر . وقسطنطينية وكل معاملتها . واسيا و بيثينة . ولقاونية . وفمفولية .

« وغلاطية . وايسورية . وكل اليونان . واورشليم . وقبرص . وكثير من فلسطين

« وفونيقي يعترفون بثنية الاقانيم والخواص والافعال في المسيح » .

ان يشوعياب قد عنى بهذه الكلمات الافتراء على الكاثليك الذين كانوا يرفضون البدعة المنوثليتية بانهم في كل هذه البلاد التي ذكرها قد تقربوا الى ضلالة النسطورية بتمسكهم برأي المشيئتين والفعلين في المسيح . كأن ذلك معتقد جديد يناقض معتقدهم باقنوم واحد فيه كما اشار السمعاني نفسه في الكتاب المذكور وجه ١٢٣ . والحال ان يشوعياب مع تقصيه معرفة البلاد التي فيها رُفضت البدعة المنوثليتية لم يذكر البلاد التي ذكرها توما الكفرطابي ونقلنا اسماءها عنه اعني بها تلك البلاد التي رفضت الاعتقاد بالمشيئتين وهي « سوريا والشام و بلد حلب ودمشق وجبل لبنان وحمص وحماه الى جميع بلاد السريان » . فانك لا تجد اثرًا لاسم من هذه الاسماء في كل ما عده يشوعياب حتى انه في ذكره فونيقي انما ذكرها بتقييد . اذ قال ان كثيرين من أهلها رفضوا المنوثليتية . فبشهادة يشوعياب الذي كان معاصرًا لهذه الأمور قد صدق توما

الكفرطابي في قوله ان اهل تلك البلاد التي ذكرها لم يقبلوا معتقد المشيئتين بل قالوا بالمشيئة الواحدة تبعاً لرأي رهبان مار ما رون ومن أجل ذلك سمّوا موارنة .

لا يخفانا ما يعترض به علماء الموارنة على شهادة توما الكفرطابي اذ يقولون أولاً ان توما هذا كان يعقوبياً لا ما رونياً - فنجيب اننا سنفنّد هذا القول الذي اخترعه جبرائيل القلاعي في القرن الخامس عشر وأغوى به جهلة طائفته وذلك في الفصل الحادي عشر من الباب الرابع حيث نتكلم عن شهادة توما الكفرطابي .

يعترض ثانياً علماء الموارنة على شهادة الكفرطابي بقولهم انه زعم ان مذهب المشيئة الواحدة انتشر عند الموارنة في عهد مرقيان ملك الروم وأخيه . والحال ان هذا مرقيان لم يكن له أخ ملك معه . و بدعة المشيئة الواحدة ظهرت في عهد هرقل الملك وحُرمت في عهد قسطنطين اللحياني أي بعد عهد مرقيان بنحو مائتين وثلاثين سنة . نجيب : (١) لو فرضنا ايضاً ان هذا المؤلف غلط في ما أخبره عن الازمان القديمة لم ينتج منه انه غلط في بيان سبب انفصال ملته من سائر الملل . لاننا نبحث عن مذهبه ومذهب طائفته لا عن حذاقته في التواريخ . ومن يجهل كم كان القدماء يرتكبون السهو والغلط حتى المؤرخون اليونان واللاتينيون انفسهم اذا تعرضوا لامور لا تعلق لها بملتهم. فلا عجب اذا كان العرب أو السريان غلطوا عند ذكر الاسماء في كتابتهم عن أمور الروم ولا سيما من ليست حرفتهم كتابة التواريخ . (٢) ان هذا مرقيان الملك كان اسمه الاصلي قسطنطين وكان لقبه اللحياني . والباين انه سمي عند النصارى العرب مرقيان لأنه في الجلسة السادسة عشرة من المجمع السادس الذي كان قسطنطين المذكور جالساً فيه قبل « سنين كثيرة لقسطنطين مرقيان الجديد » (طالع لبآي وغيره) . فاذ كان بعد هرقل الملك المحامي عن البدعة المنوثليتية قد خلّف قسطنطين غير هذا اللحياني . ثم بعد خليفته جلس قسطة (او قسطنط) صعب على العرب تميز هذه الاسماء الاعجمية . كأنهم اختصوا قسطنطين الثاني باسم مرقيان الذى به سمّي

في المجمع السادس ليميزوه عن الاثنين الآخرين . ويمكن أيضاً ان هذا اسم مرقيان هو محرّف من اسم مقريوغون الذي معناه في اليونانية طويل اللحية او اللحياني وكان ذلك لقب قسطنطين المذكور . وامثال هذا التحريف في الالفاظ الاعجمية كثيرة عند العرب نحو ابراهيم وهارون وعيسى واسكندر وانجيل وشدياق واسقف ومطران بدل ابراهام واهرون ويسوع والكسندر واونجيليون وارقدياقون وافسقفوس ومطربليط . (٣) لا شك ان قسطنطين اللحياني كان له اخ بل أخوان شريكان في الملك. راجع كتب المؤرخين. ولا شك ان الموارنة القدماء ارادوا بقسطنطين اللحياني الذي بهمته التأم المجمع السادس المسكوني ذلك الذي اشاع معتقد المشيئتين وفرضه على اهل مملكته . فانه قد ورد في كتاب شرعهم الذي هو كتاب الهدى (ورقة ٢٥) « الفرقة الملكية وهي التي قالت ان في المسيح مشيئتين (ورقة ٣٠) هي المنسوبة الى الملك قسطنطين بن قسطنطين (أي قسطه بن هرقل) » .

يعترضون ثالثاً قائلين ان السمعاني في مكتبته وفي المجمع اللبناني قد أبان ان سبب انفصال الموارنة عن سائر الطوائف لم يكن دينياً بل مدنياً . أي انهم لم ينفصلوا عن كنيسة انطاكية لاختلاف مذهبهم بل لفتنة حدثت بينهم وبين تباع ملوك الروم نجيب : ان هذه الرواية لا أثر لها في أخبار الاولين البتة . والسمعاني الذي هو أول من أتى بها لم يؤيدها ببينة فلذا هي غير جديرة بان يلتفت اليها . لانه لو كان سبب انفصال الموارنة مدنياً لحدث من ذلك اختلاف حكم بينهم وبين اعدائهم لا اختلاف مذهب ديني . وفي كتب الاقدمين نرى اسم الموارنة دالاً على فرقة دينية لا على حزب مدني . وكم من فتنة أو مشاجرة جرت بين أهل مدينة واحدة من دون ان يحدث بسببها اختلاف في الدين . وصحائف التواريخ مشحونة بامثال ذلك.

ثم اننا ننكر على السمعاني زعمه ان المردائت أو المردة المذكورة أخبارهم في التواريخ كانوا موارنة كما سنبين في الفصل الآتي . ثم نقول أيضاً : ان صح هذا الزعم

أي ان اسم الموارنة كان أولاً اسم قبيلة حربية . فكيف اذاً انقلب بعد ذلك فدل على شيعة دينية حتى ان اصحاب هذا الاسم أقاموا لهم في الحال بطريركا على حدة لينفصلوا عن أخصامهم في الدين والرئاسة وصاروا بذلك ليس فريقاً حربياً بل ملة دينية . انه لم يسمع قط ان اختلاف الحكم المدني يوجب اختلاف الرئاسة البيعية حتى ان التواريخ مع كثرة ما ذكرت من الفتن والحروب الدموية التي جرت في ايطاليا في القرن الخامس عشر الى السابع عشر بين الغولفيين والجيباليتيين لم تذكر انه حدث من جرى ذلك بين هذين القبيلتين اختلاف في الدين أو في الرئاسة البيعية . أو لم تكن البطريركية الانطاكية نفسها منذ القرون الاولى الى القرن السابع مقسومة بين دولتين اذ كانت البلاد الغربية منها بيد ملوك الروم والبلاد الشرقية تحت حكم الفرس وكان في الرها مملكة أخرى صغيرة لم تستمر طويلاً . ومع ذلك لم تفتكر قط احدى تلك الممالك في تلك المدة كلها ان تقيم بطريركا لنفسها على حدة . فلا شك اذاً ان اقامة الموارنة لنفسهم بطريركا حين انفصالهم في أواخر القرن السابع عن سائر الطوائف دليل واضح على ان سبب انفصالهم كان دينياً لا مدنياً . وناهيك انهم كانوا في أواخر القرن السابع تحت لواء حكم المسلمين كسائر أهل بلاد سورية . فلم يكونوا اذاً مميزين في الحكم المدني عن سائر أهل البطريركية الانطاكية ولم يكن من ثم سبيل ليصيروا فريقاً مدنياً مفصولاً .

الفصل الرابع

في بيان فساد روايات الموارنة وازعامهم في شأن المردة المذكورين في التواريخ

ذكر المؤرخون الاقدمون انه في أثناء القرن السابع انتشر واشتهر في جهات سورية الغربية قوم من المقاتلين سمّاهم المؤرخون مردأيت جاؤا من بلاد الروم ليناهزوا العرب المسلمين المتملكين في بلاد سورية ويحاربوهم ويمنعوهم من غزو البلاد . فزعم علماء الموارنة من مرهج نيرون الى السيد يوسف الدبس ان هؤلاء المردائت هم اجداد الموارنة وان المردة اسم مشتق من المرودة بالسريانية او بالعربية وانهم كانوا اعداء لملوك الروم وضداً لهم في سورية . وان تباع ملوك الروم سُموا ملكيين لمقابلة المردة . وقد ادّعي بذلك السمعاني نفسه بكل جده في مواضع شتي من مؤلفاته تبعاً لمن سبقه الا انه قد خالف مرهج نيرون والذين بعده في امر . وذلك ان هولاء جعلوهم شيعة دينية ارثدكسية وجعلوا ضدهم اي الملكية قوما ضالاً بالمنوثليتية . واما السمعاني فزعم ان سبب النزاع والعداوة بين المردة وخصومهم لم يكن دينياً بل مدنياً . واسم هذا العلامة السامي خدع كثيرًا من علماء اوروبا الذين لم يتكلفوا تحقيق هذا الامر حتى ارتاوا رأيه .

ونحن نقول ان المردائت او المردة لم يكونوا هم الموارنة . وانهم لم يكونوا حزباً دينياً بل حربياً . وانهم لم يكن لهم ضد في سورية بل كانوا جيشاً محارباً عن لواء ملوك الروم .

وأوّل من تكلم عن المردائت من المؤرخين اليونانيين هو تاوفان الذي كتب تواريخه في القرن الثامن ونقل عنه جميع من كتب عن المردائت من المؤرخين الغربيين

فهلمَّ نسمع ما كتبه عن هؤلاء القوم في حوادث السنة الثامنة لقسطنطين الملك اللحياني قال : « في السنة الثامنة والتاسعة لقسطنطين (أي سنة ٦٧٥ و ٦٧٦) دخل المردائت « على لبنان (١) . وفتحوا جميع البلاد من جبل انطاكية الى القدس الشريف « وضبطوا أيضاً قمم لبنان . وانضم اليهم كثيرٌ من العبيد ومن اهل البلاد حتى انهم « في قليل من الزمان بلغوا الوفاً كثيرين في العدد . فخاف معاوية ومن معه حتى « انهم لظنّهم ان الدولة الروميّة كانت محميّة بعون الهي ارسلوا رسلاً الى مدينة « قسطنطينية في طلب الصلح . فارسل (ملك الروم) بتشكاودا الى السراكسة « (أي العرب) وعلى يده عقد الصلح معهم » .

وقال بعد ذلك « في السنة الاولى ليسطنينان الملك الاخرم (وهي سنة ٦٨٥) « أرسل اليه عبد الملك بن معاوية رسلاً في تأييد الصلح وتعاهد معه ان يلتزم الملك « بان يردع جحفل المردائت الذين في لبنان ويمنع غزواتهم وان يدفع العرب للروم « من أجل ذلك كل يوم الف دينار وفرساً وعبداً . فارسل الملك بولس الجستريان الى « عبد الملك لتأييد الصلح . وضرب العهد وحرّر بشهود . فارسل الملك واستجلب اثنى « عشر الفاً من المردائت وبذلك العمل انثلمت شوكة الروم . فان جميع البلاد التي « كانت بيد العرب من مدينة المصيصة الى الارمنية الرابعة كانت ضعيفة خالية من « العمارة لسبب غارات المردائت . ولما رُدع المردائت جلب العرب على مملكة الروم « اضراراً جسيمة الى هذا اليوم . وذلك أن يسطينيان لم يكن قد اكمل من العمر ست

---

(١) *** وردت هذه الشهادة في تاريخ سورية للسيد يوسف الدبس وجه ١٠٥ هكذا : « خرج المردة من لبنان فضبطوا كل ما كان من الجبل الاسود الى المدينة المقدسة واستحوذوا على قمم لبنان ... » فكيف يخرج المردة من لبنان وكيف يستحوذون عليه اذا كانوا هم مقيمين به . وقد حاول السيد المذكور ان يبرهن كون المردة لبنانيون وهذا بعيد جداً عن الصدق (راجع مقالتنا عن المردة في تذييل هذا الفصل) .

« عشرة سنة فكان خرقاً في حكمه . وفي السنة الثانية انطلق الى ارمنيّة واسترجع « المردائت القاطنين في لبنان . وهكذا هدم سوراً حصيناً . » هذا ما رواه تاوفان عن المردة . ومثله روى قدرانس المؤرخ اليوناني نقلاً عنه .

فاذا تقرر ذلك نقول ان هؤلاء المردائت او المردة لم يكونوا موارنة . ويكفي لبيان ذلك قليل من التمعن في نصي الرواية التي اوردناها فانه منها يتضح (١) ان الموارنة كانوا بلديين في الاصل اي من جبل لبنان ونواحيه واما المردة فجاؤا من خارج لبنان وضبطوا بلاد لبنان وانضم اليهم قوم كثيرون من اهل البلاد . فاذاً لم يكونوا من اهل البلاد . (٢) كان الموارنة أمة صحيحة بنسائها وأطفالها . وأما المردة فكانوا قوماً لقيطاً من رجال غزاة دأبهم الغزو وحمل السلاح . (٣) ان الموارنة عرفوا وسموا بهذا الاسم لاختلاف دينهم من دين سائر الامم المجاورة لهم . واما المردة فلا يذكر دينهم ولو انهم تعرضوا لامور الدين . (٤) لبثت الموارنة مقيمين في لبنان ونواحيه أجيالا كثيرة وأما المردة فنقلوا سنة ٦٨٥ الى بلاد الارمن ولم يسمع قط انه كان في بلاد الارمن موارنة .

ثم نقول ان أخصامنا انما جعلوا المردة موارنة لزعمهم فيهم انهم كانوا أعداء لملوك الروم . والحال ان من أوضح الامور ان المردة لم يكونوا أعداء لملوك الروم بل كانوا روميين خاضعين لملوك قسطنطينية وأنصاراً لهم . وذلك بين جلي (١) من ان العرب خافوا من بأسهم وغزواتهم حتى ظنوا مملكة الروم محمية بعون الهي . (٢) لما خرج المردة من لبنان انتفعت بلاد الروم التي ذهبوا اليها وضعفت البلاد التي تركوها لخلفائهم فقوي عليها العرب وضبطوها . (٣) ان العرب اشترطوا على ملك الروم ان يخرج المردة من لبنان . فكانوا اذاً تحت حكمه . وقد أخرجهم ملك الروم بالحقيقة وجلبهم الى البلاد التي كانت ملكه (*) . (٤) في غالب الظن ان اسم المردة مشتق

(*) قال زونار المؤرخ الذي استشهد به الخصم عن المردة « لما تجدد العهد بين

من لفظة مَرْد الفارسية التي معناها الرجل أو البطل . وكأن هذا العسكر قد جاء من ثغور المملكة حيث كان يصد صولة الفرس فسماه الفرس بهذا الاسم . أفليس اذاً مما يولي أشد التعجب من السمعاني لانه مع معرفته بهذه أحوال المردة كلها قد وافق زعم القائلين بانهم كانوا موارنة او لبنانيين أصلاً وكانوا أعداء لملوك الروم .

بقي علينا ان نبين ان المردة لم يكن لهم في سورية ضد ديني أو حربي أسمه الملكية . وذلك يتضح (١) ان المردة كانوا روماً كما بينا . فلم يمكن اذاً ان يكون لهم ضد اسمه ملكي أي منسوب الى ملك الروم . (٢) ان المؤرخين الذين أسهبوا في اقتصاص مناقب المردة لم يقولوا كلمة ضدهم ولا ذكروا اسم الملكية في كل رواياتهم. (٣) ان العرب المسلمين كانوا ضد المردة الذين حاربوهم واشترطوا خروجهم من بلادهم . فلو صحَّ زعم الموارنة بان المردة كانوا يجاهدون عن الدين لكانت العداوة بينهم وبين ضدهم جهاداً دينياً بين النصرانية والاسلامية . (٤) اننا لنفيد الخصم فائدة لا تغيب عن ذكره : وهي انه لم يمكن البتة ان يكون في سورية ضد تابع للواء ملوك الروم . وذلك لانه في الزمان الذي فيه اشتهر المردة لم يكن في سورية قوم تابعون لملوك الروم أو خاضعون لحكمهم سوى المردة . فانه في سنة ٦٧٥ وما بعدها الى سنة ٦٨٥ أي في المدة التي فيها اشتهر المردة كانت بلاد سورية تحت حكم المسلمين من زمان . فان دمشق كانت قد فتحت منذ سنة ٦٣٤ . وبعد قليل فتحت بعلبك ثم سائر فونيقي فالقدس وانطاكية وما يجاور هذه المدن . فلم يكن بيد الروم شيء من تلك البلاد يوم قدم الى بلاد لبنان ونواحيها المردائت أو المردة . فلم يمكن اذاً ان

العرب والروم بهذه الشروط وخرج من لبنان المردائت الذين كانوا اثني عشر الف من من المقاتلين تحت أمة العرب من خوفهم فجلبوا شروراً كثيرة على مملكة الروم » .
أيقتضي أوضح من هذا الكلام لبيان ان المردة كانوا عسكراً رومياً تحت أمر ملك الروم وانهم خرجوا كلهم من لبنان وذهبوا الى بلاد بعيدة .

يكون فيها جماعة مجاهدون عن لوآء ملوك الروم ضد المردة وهكذا تستحيل هذه رواية الموارنة الى خيال لا أصل له . ولو صحّ أيضاً انه كان حزب اسمه الملكية ضد المردة لنتج عكس ما أراده الموارنة الذين زعموا هذا الزعم أي لنتج ان المردة لم يكونوا ارثذكسيين.لانه لو فرضنا انه كان ضد المردة قوم اسمه الملكية لاقتضى ان يكون هؤلاء الملكية على دين ملوك الروم الذين هم كانوا يجاهدون عنهم فكانوا اذاً ارثذكسيين لان الملكين اللذين ظهر المردة في زمانهما وهما قسطنطين اللحياني ويسطنيان الاخرم كانا ارثذكسيين . فالمردة اذاً الذين على قول خصمنا كانوا ضد الملكية كانوا غير ارثذكسيين . هذا هو كل ما يحصله الموارنة من حكاياتهم.

انه بعد ما فرغنا من هذا البحث وفدت الينا من مدينة رومية العظمى صورة ما دوّنه عن المرادئت أو المردة أبو الفرج بن العبري في تواريخه السريانية نقلاً عن ديونيسيوس التلمحري . لانه في مدينتنا هذه لم يمكننا ان نقف على نسخة من هذه التواريخ السريانية وبسرور لا يوصف رأينا ان شهادته مطابقة لقول باقي المؤرخين مطابقة عجيبة . فهاك ما ورد في تلك التواريخ في وجه ٥٢ من المصحف الواتيكاني(١)

ܐܢ̈ܫܝܢ ܡܢ ܪ̈ܘܡܝܐ ܓܝ̈ܣܐ ܡܪ̈ܘܕܐ ܐܘܟܝܬ ܡܢ ܓܢܒܪ̈ܐ ܕܡܢ ܣܘܪ̈ܝܝܐ

ܓܪ̈ܓܘܡܝܐ ܩܪܝܢ ܠܗܘܢ ܐܘܟܝܬ ܓܢܒܪ̈ܐ ܐܚܕܘ ܐܬܪܐ ܡܢ ܛܘܪܐ ܕܓܠܝܠܐ ܥܕܡܐ

ܠܛܘܪܐ ܐܘܟܡܐ ܘܟܠܗ ܠܛܘܪܐ ܕܠܒܢܢ ܘܣܓܝܐܬܐ ܚܫܘ ܡܢܗܘܢ

ܛܝ̈ܝܐ ܘܒܚܪܬܐ ܐܬܥܫܢܘ ܛܝ̈ܝܐ ܘܩܛܠܘܢܘܢ ܡܢܗܘܢ ܘܥܘܪܘܢܘܢ

ܚܘܪ ܒܥܝ̈ܢܝܗܘܢ

« ان قوماً من الروم غزاة مريدين أي من الكماة . وكان السريان يسمونهم « جرجومين أي ابطالاً ضبطوا البلاد من جبل الجليل الى الجبل الاسود وكل جبال « لبنان وكابد العرب منهم كثيراً وفي الاخر انتصر عليهم العرب فقتلوا بعضاً وأعموا

(١) قد نقلت هذه الكلمات عن السمعاني من مكتبة الشرع .

عيون بعض » . هذا ما قاله ابن العبري في السريانية نقلا عن ديونيسيوس التلمحري القريب العصر لهذه الامور . ولنعتبرن ان ديونيسيوس لم ينقل روايته عن تاوفان كما هو واضح . وان المردة لم يكونوا سريانا حتى ان السريان بشهادة ديونيسيوس سموهم جرجوميين . ثم اننا بعد ذلك اصبنا نسخة عربية من تواريخ ابن العبري المذكورة واذا فيها كلمات لم يردها السمعاني في النبذة السريانية وهي ان المردة كانوا يخرجون ويسبون العرب « لأنهم لهذا الامر ارسلوا من الروم » . فلم يكونوا اذاً من اهل البلاد .

واما في خروج المردة من لبنان فاسمع ما روى ابن العبري في الفصل ١٥ من المقالة ١١ بموجب الترجمة العربية التي بيدنا : « لما رأى عبد الملك كل ما قد صار « وان الحروب قد احتاطته من كل جانب وضايقته على الخصوص المردائت الذين « في لبنان طلب ان يوضع صلحاً الى عشر سنين وصار الرضى بينه وبين ملوك الروم « ان يخرج المردائت من لبنان ويمنع غزواتهم من ارض العرب وان يدفع ملوك « الروم بدل ذلك كل يوم الف دينار وفرساً واحدة وعبدا واحدا . وصار الشرط « بينهما ان تكون قبرص للروم وللعرب . وتعطي خراجاً للجانبين . . . فاخرج الملك « المردة من لبنان وادخلهم الى بلاد الروم وكانو نحو اثني عشر الفاً » .

ولنتذكر ان ديونيسيوس الذي روى هذه الحوادث لا يبعد عن عصر تاوفان الراوي الاول الا بنحو اربعين سنة وان هذه الحوادث جرت في أرضه وفي بلاد عاش فيها .

فليأت الآن اسطفانس الاهدني ويخبرنا (كما نقل السمعاني في وجه ٥٠٢ من المجلد ١ من المكتبة الشرقية) بأي حيلة وأي مكر قدر يسطينيان الملك الاخرم ان ينقل جيش المردة من جبل لبنان الى بلاد الارمن كأن المردة لم يكونوا هم بنفسهم عسكر الملك وخاضعين لأوامره وانصاراً له على العرب . وكيف يصدّق ان الموارنة الذين لا يعرفون الى الآن حق المعرفة حوادث بطاركتهم واساقفتهم ولا أسماءهم

الى القرن الحادي عشر كان عندهم قصص وروايات مسهبة عن وقائع حربية حدثت في القرن السابع . فان كان اسطفانس الاهدني قد جاد الله عليه بموهبة اختراع القصص الظريفة فكان الاحرى به ان لا يشوّه بها وجه التواريخ . بل كان سبيله ان يؤلف حكايات عنترية تطرب القارئين ولا تضر التواريخ الصحيحة في ادني شيء .

ومثل ذلك ما ذكره مرهج نمرون واسطفانس الاهدني عن المشائخ الذين تولوا جبل لبنان كأنهم هم المردة الذين سبق البحث عنهم فانها حكايات ظريفة ولكن يعوزها شيء واحد وهو الصدق . . . وبأي قوة استطاع نمرون الذي عاش في القرن السابع عشر ان يعرف أمورًا حدثت قبله بنحو ثمانمائة سنة من دون استناد الى شاهد أو اثر قديم . وكيف قدر الاهدني ان يروي اخبارًا لم يعرفها احد وليس لها اثر من نحو عشرة قرون ونحن نري ان افضل المؤرخين وأمهرهم لا يروون شيئًا في تواريخهم عن الازمان القديمة دون ادلة يستندون اليها والاّ لا يقبل احد كلامهم واشبهت كتبهم كتب القصص العجائزية والخرافات والحكايات الهزلية . فنحن لا نقبل البتة ما رواه الاهدني ونمرون ولو ظننا انهما يستندان الى ابن القلاعي عن موارنة القرن السابع من حيث أنهم لم يستندوا على سند قديم . واما حكايات ابن القلاعي فمن طريقة تركيبها يبين انها تلفيقات عن حوادث جرت بين الموارنة والملكيـة في مبادي تكتلك الموارنة كما ان قصة يوحنا مارون هي تلفيق عن ما جرى لارميا العمشيتي في رجوعه الى الكنيسة في القرن الثاني عشر .

وقبل الختام نقول للموارنة لا بد لكم من ان تعترفوا باحد الامرين اي اما ان تقولوا بانَّ اهل جبل لبنان سُموا موارنة قبل خروج المردة منه واما بعد ذلك . فان قلتم الاول ثبت ان المردة لم يكونوا موارنة لأنهم لو كانوا كذلك لسماهم المؤرخون بهذا الاسم . وقد رأيت انه بين جميع الذين تكلموا عن المردة لم يسميهم احد موارنة وان قلتم الثاني اي ان اسم الموارنة دخل بعد خروج المردة من جبل لبنان فلا فائدة

لقضيتكم من قصتهم لانهم إن كانوا ارثدكسيين او هراطقة أخذوا دينهم معهم. وتركوا اجدادكم على دينهم وذهبوا الى بلاد الارمن. واجدادكم في هذه الفريضة يكونون قد غيروا دينهم بعد ذلك حتى وجب ان يسموا باسم جديد وهو سم الموارنة.



* * *

تذييل

في المردة والجراجمة والموارنة

ان البراهين والشهادات التي أوردها المؤلف كافية لاقناع كل انسان بان المردة ليسوا موارنة بل هم فئة أو قبيلة أصلها من بلاد فارس كان دأبهم الغزو والتنقل من بلد الى أخرى وكانت في ذلك العصر الذي نتكلم عنه منضوية تحت لواء ملوك الروم فارسلها هؤلاء الى بلاد فونيقي ولبنان لصد غزوات العرب ومنعهم من الهجوم على مملكتهم.

وما مضى زمان من تأليف هذا الكتاب حتى خاض كثيرون من العلماء في البحث عن المردة والجراجمة منهم المستشرق الالماني نُلدك الشهير في المجلة الأسيوية الالمانية ومنهم الموسيو غوبرناتيس قنصل ايطاليا في بيروت سابقاً ثم الاب لامنس اليسوعي والاب انسطاس الكرملي (١). ثم قام جدال عنيف بين المطران يوسف الدبس رحمه

(١) في أعداد المشرق السنة الخامسة والسادسة وجه ٨٢٦ و١١٢٢ و٣٠١.

الله وسيادة المطران يوسف دريان النائب البطريركي الماروني (١) وتباين رأيهما في شأن المردة وجنح سيادة المطران يوسف دريان الى القول بان المردة « الذين هم خيل الروم من المرديين جيء بهم الى لبنان من قسطنطين اللحياني (٢) . وانهم ليسوا موارنة (٣) . »

ولكي نزيد هذا الرأي الاخير تأييدًا نذكر هنا شهادة جديدة وقفنا عليها في كتاب سرياني طُبع حديثًا وهو تاريخ الازمنة (٤) . قال مؤلفه في الفصل ١٤١ وجه ١٨٤ :

ذكر ما حدث في أيام قسطنطينوس وفي الماريديين

الذين جاؤا وسكنوا في جبل لبنان

ܘܒܫܢܬ ܛ ܕܡܠܟܘܬܗ. ܐܬܘ ܐܢܫܝܢ ܡܢ ܪ̈ܗܘܡܝܐ ܒܐ̈ܠܦܐ.
ܠܣܦܪ̈ ܝܡܐ ܕܨܘܪ ܘܨܝܕܘܢ ܘܥܠܘ ܠܛܘܪܐ ܕܠܒܢܢ
ܡܫܬܡܗܝܢ ܗܘܘ ܕܝܢ ܡܪ̈ܕܝܐ. ܘܐܚܕܘ ܠܛܘܪܐ ܕܓܠܝܠܐ ܥܕܡܐ
ܠܛܘܪܐ ܐܘܟܡܐ. ܘܢܦܩܝܢ ܗܘܘ ܐܟܣܢܝܐ ܘܒܙܩܝܢ ܘܡܚܪܒܝܢ
ܠܐܬܪ̈ܘܬܐ ܕܛܝ̈ܝܐ

« وفي السنة التاسعة لملكه أتى قومٌ من الروم في سفن الى سواحل بحر صور

---

(١) راجع ما كتبه في هذا الشأن صاحب كتاب الكنيسة الانطاكية الخوري ميخائيل شبابي الماروني في القسم الثاني من المجلد الثاني صفحة ٣٢٦ وصاعداً مما يدل على طول باعه وكثرة تنقيبه عن هذه المسألة التاريخية .

(٢) من الكتاب المذكور صفحة ٣٢٩

(٣) « « « « ٣٢٨

(٤) سيأتي تعريف هذا الكتاب في الملحق .

« وصيدا ودخلوا جبل لبنان وكانوا يسمون ماريديين . وضبطوا جبل الجلبل حتى « الجبل الاسود وكانوا يخرجون دائماً ويغزون ويعوثون في بلاد العرب .»

ثم قال في الفصل ١٤٦ وجه ١٨٨ ما ترجمته :

في ذكر تملك يسطينيانوس المتكبر

« في سنة ٩٩٧ (للاسكندر) ملك يسطينيانس . وفي السنة الاولى من ملكه « كتب اليه عبد الملك بشأن الصلح طالباً منه ان يخرج هؤلاء الماريديين من لبنان « ويعقد الصلح لمدة عشر سنوات ويؤدي عبد الملك للروم في كل يوم الف دينار « وفرساً وعبداً حتى ختام العشر سنوات . ويقسم خراج قبرص بين الفريقين . . . « وبلغ عدد الماريديين الذين في جبل لبنان اثني عشر الف ما عدا العبيد والعصاة « الذين انضموا اليهم . »

فمن الشهادة الاولى يتضح بلا اشكال ان المردة قوم ارسلهم الروم في البحر الى سواحل صور وصيدا فنزلوا فيها ودخلوا جبل لبنان واستولوا على مواقعه ومشارفه. وضبطوا البلاد من جبل الجليل الى اللكام كما قال غيره من المؤرخين . فكيف يمكن ان يكونوا هم الموارنة سكان جبل لبنان وينهضوا للاستيلاء عليه .

وربَّ معترض يعترض قائلا من اين كان للروم السفن في ذلك الزمن حتى تنقل هذا الجيش الكبير الى بلاد سورية « وقد كان للسراكسة سفن كثيرة . ومن المشهور « أنها في خلافة معاوية كانت تمخر البحار خشية ان يأتي الرومان منها الى سورية التي « كانوا يطمعون في استرجاعها » . « وقد كان (السراكسة) قبلا عطّلوا اكثر « سفن الروم . »(١)

فهذا الاعتراض جوهري يستلفت النظر اليه . ولكن من تصفّح التواريخ رأى ما ينقض هذا الزعم وينفيه على الاطلاق · لأنه في سنة ٦٦٦ مسيحية أو في سنة ٤٩

(١) الكنيسة الانطاكية للشبابي القسم ٢ ج ٢ وجه ٣٤١ .

هجرية (أي ٦٦٩ م) بحسب الكامل لابن الاثير « سير معاوية جيشاً كثيفاً الى « بلاد الروم للغزاة وجعل عليهم سفيان بن عوف وأمر ابنه يزيد بالغزاة معهم . فتثاقل « واعتلَّ . فامسك عنه ابوه . فاصاب الناس في غزاتهم جوع ومرض شديد . فانشأ « يزيد يقول :

« ما ان أبالي بما لاقت جموعهمُ بالقرقدونة (١) من حمّى ومن شوُم
« اذا اتكأتُ على الانماط مرتفقاً بدير مرّان عندي أم كلثوم » (٢)

فحاصر المسلمون مدينة القسطنطينية مدة سبع سنوات ومات منهم قتلا ومرضاً عدد لا يحصى فيهم أيوب الانصاري المشهور . وذكر كتبة الروم انه في السنة الاولى من هذا الحصار مات من المسلمين نحو ثلاثين الف مقاتل . وكان المدد يأتيهم بلا انقطاع.الا ان النفاطات التي تلتهب في الماء (le feu grégeois) التي اخترعها للروم أحد البعلبكيين واسمه كاّلينيكُس أفنت جانباً عظيماً من مراكب المسلمين .

ولما اراد سفيان بن عوف الرجوع الى بلاد الشام لم يمكنه ان يبعث بعساكره كلها بحرًا واضطر ان يعود برًا بثلاثين الف مقاتل . وركب نفر من جنده في البحر فاصابهم ريح عاصف الجأهم الى سواحل بمفيلية وحطَّم أكثر مراكبهم . والحق ملك الروم في أثر سفيان عسكرًا في البر وعليهم فلورُس و بتروناس و كبريانس فاوقعوا فيه وبددوا شمل جيشه (٣) .

ومن بعد هذه المواقع اضطر معاوية الى ابرام الصلح مع ملك الروم .

فلا يبقى شك لاحد انه كان ممكناً في تلك الاحوال ان يسير ملك الروم جماعة

(١) هي خلقيدونية و هي الآن قاضي كوي في القسطنطينية .

(٢) الكامل لابن الاثير جز ٣ وجه ١٨١ في ذكر غزوة القسطنطينية .

(٣) راجع تواريخ لبو نقلا عن تاوفان وقدرانس وغيرهما

المردائت براً وبحراً الى سورية . وتأمل ان ارسال هؤلاء الغزاة على قول المؤرخ تاوفان كان في سنة ٦٧٦ اي بعد رجوع سفيان من القسطنطينية وغرق مراكبه .

ولنا ان نسأل علماء الموانة هل كانت طائفتهم انتظمت وقتئذ وصارت أمة معروفة لها أمراء ورؤساء وجيش حتى يخرج منها اثنا عشر الف رجل مقاتلين محنكين في الحروب والغزوات كما كانت عليه المردة الذين سمّاهم بحقّ سيادة المطران يوسف دريان خيل الروم . لانه على اما افادتنا به جميع الشهادات القديمة ما كانت الموارنة في القرن السابع الا شيعة دينية انتمت الى رهبان دير مارون وانتشرت وتقوّت في أيام هرقل الملك . وكان معظمهم يقيمون في سورية وسواحلها وقليل منهم في جبل لبنان . فمن اين جاء هذا الجيش العظيم الذي استولى على لبنان وسواحله من الجليل الى جبل اللكام .

واليك الآن ما جاء في كتـاب الاغاني (١٦ : ٧٦) عن المردة الذين سماهم كتبة العرب جراجمة نسبة الى جرجومة التي كانوا مقيمين بها . وقد ادرجتها مجلة المشرق سنة ١٩٠٧ (وجه ٩٥٩) :

« بنو الاحرار الذين عناهم اميّة في شعره هم الفرس الذين قدموا مع سيف بن « ذي يزن . وهم الآن يسمّون بني الاحرار بصنعاء ويسمون باليمن الابناء وبالكوفة « الاحامرة وبالبصرة الاساورة وبالجزيرة الخضارمة وبالشام الجراجمة . »

وقرأنا في كتاب نقائض جرير والفرزدق (في حاشية القسم الاول من الكتاب المطبوع بمطبعة بريل في ليدن سنة ١٩٠٧ في الصـفحة ٣٤٦ في السطر ٣٠١). قال الفرزدق :

ولما تواجها جبال الجراجم وأيقنُ انا لنْ نردَّ صدورها

قال والجراجم نَبَط الشام وأحدهم جُرْجمانيّ .

ونختم مقالتنا هذه بذكر شهادة قاطعة من كتاب العلامة الفاضل السيد يوسف دريان النائب البطريركي الماروني صفحة ٧٥ قال :

« ان من أخص البراهين والبينات التي من شأنها ان تدفع كل وهم يحول دون « فهم المراد من كلام تاوفان المؤرخ الرومي في أمر هذه الفئة التي ظهرت في لبنان « ودعاها « مردائتي » أي مردين أو مردة ما جاء في تاريخ فتوح البلدان للبلاذري « المؤرخ العربي عنــد كلامه عن الجراجمة ومقابلة رواية الاول برواية الثاني . قال « تاوفان: « دخل المرديون أو المردة جبل لبنان . . . وضوت اليهم جماعة كثيرة من « العبيـد والاسرى والوطنيين » . وقال البلاذري : خرجت خيل الروم الى جبل « اللكام وعليها قائد من قوادهم ثم صارت الى جبل لبنان وقـد ضوت اليها جماعة « كثيرة من الجراجمة وانباط وعبيد أباق من عبيد المسلمين . » فلاحظ هنا ان « « المردين أو المردة » في قول تاوفان انما هي بمثابة « خيل الروم وقائدها » في « كلام البلاذري . وان الوطنيين الذين ضووا الى المردين في رواية الاول « هم « كالجراجمة والانباط الذين ضووا الى خيل الروم » في رواية الثاني . فاذا صحّ ان « كليهما يرميان الى غرض واحد ويتكلمان عن حادثة واحدة وقوم واحد بعينه في « تاريخ واحد نتج لا محالة ان الذين يسميهم تاوفان بالمرادئتي أي المردين أو المردة « انما هم خيل الروم جاؤا الى جبل اللكام ثم الى جبل لبنان من الخارج تحت قيادة « أحد قواد الروم . »

هذا ما أردنا اضافته في هذا الباب . تاركين للقارئ اللبيب الحكم في أمر المردة والجراجمة ما يراه أقرب الى الصواب .

الفصل الخامس

في ان الموارنة كانوا يعاقبة قبل ان صاروا

ملة مستقلة

قلنا في الفصل السابق ان سكان جبل لبنان وما يجاورها قبل اتخاذ اسم الموارنة كانوا ملكيين أي من تباع المجمع الخلقيدوني الذي لم تقبله اليعاقبة الى يومنا هذا وقد صدق توما الكفرطابي اذ قال فيما نقله عن ان طائفته وطائفة الملكية في سورية كانتا على معتقد واحد قبل المجمع السادس.

ولكن هاهنا يعترض أمامنا مشكل يظهر انه عسر الحل وذلك ان الموارنة بعد قبولهم المجمع الخلقيدوني ظهروا في كل زمان بخلال لم تكن الا عند العاقبة. فمن ذلك زيادتهم: يا من صلب لاجلنا بالتريساجيون أي قدوس الله تبعاً لليعاقبة. وهذه الزيادة لا شك انها لم تكن مستعملة في الكنيسة الانطاكية الكاثليكية في عصر ظهور البدعة المنوثليتية أي في القرن السابع. ومن ذلك لفظهم في تذييل هذه التريساجيون قدوس أنت يا الله قدوس أنت يا قوي قدوس أنت يا من لا يموت مثل اليعاقبة. بدل قدوس الله قدوس القوي قدوس الذي لا يموت المستعمل عند سائر الفروع السريانية أي الملكية والنساطرة وسائر الكنائس النصرانية كاللاتين واليونان. ومن ذلك قولهم في قانون الايمان ܫܘܐ ܒܐܘܣܝܐ ܠܐܒܘܗܝ «المساري بالجوهر لابيه» كاليعاقبة بدل ܒܪ ܟܝܢܐ ܕܐܒܘܗܝ « ذي الجوهر الواحد مع ابيه » المستعمل عند الملكية والنساطرة. ومن ذلك اتخاذ الموارنة من ملة اليعاقبة اشيا لم يستنبطها اليعاقبة الا بعد عهد انفصالهم من الكنيسة الكاثليكية كالنوافير والطقوس التي الّفها أئمتهم وعوائد خاصة بهم. ومن ذلك ادخالهم في كتبهم أسماء اولياء اليعاقبة بصفة قديسين

وغير ذلك . فكيف يوافق كل هذه الامور المؤكدة مع الامر المعلوم المؤكد ايضاً وهو ان الموارنة كانوا يقولون بالطبيعتين ويقبلون المجمع الرابع ولاون البابا بخلاف اليعاقبة .

فهلمّ بنا نستفتِ التواريخ القديمة لنحل هذا المشكل وعندنا قاض يحله بأحسن وجه يمكن ولا يرد عليه وهو ديونيسيوس التلمحري البطريرك اليعقوبي المشهور القريب العصر لهذه الامور لأنه عاش في القرن الثامن (١) . وحيث اننا لم يمكننا وجود كتاب ديونيسيوس بعينه في هذه البلدة فعلينا بمطالعة التواريخ التي كتبها بالسريانية أبو الفرج ابن العبري المؤرخ الشهير حيث جمع تواريخ ديونيسيوس في كتابه (٢) كما قال في الفصل العشرين من المقالة العاشرة (٣) : « لمّا كان ديونيسيوس البطريرك المكنّى « التلمحري قد ابتدا تواريخه من هذا الزمان (أي من ابتدا مملكة موريق المتخلف « بعد طيباريوس الثاني أي من سنة ٥٨٢) رأيت ان انقلها هنا وأورد قبل كل شيء « مقدمة ديونيسيوس برمتها » . ثم بدأ باخبار موريق الملك المذكور وتدّبع سائر تواريخه الى سنة ٨٤٣ في المقالة الثانية عشرة فقال في آخرها . هاهنا انتهى تاريخ

---

(١) *** راجع حياة ديونيسيوس في كتاب مخائيل الكبير المطبوع في باريس : الكتاب الثاني عشر الفصل العاشر وما بعد وفيه يذكر ان هذا البطريرك قبض في ٢٢ من آب سنة ٨٤٥ .

(٢) ان ابن العبري قد جرى في تواريخه على هذه القاعدة وهي ان ينقل المؤرخين لكل عصر بكتب أخباره واحد بعد واحد كما هو واضح لكل من يطالع تواريخه .

(٣) اننا في هذه البلدة ما أمكننا ان نقف على نسخة من تواريخ ابن العبري في أصلها السرياني وهذه التي حصلت بيدنا مستخرجة الى العربية وهي التي في المقدمة علمناها بحرف (ط) .

العلامة ديونيسيوس التلمحري البطريرك المعظم . وقد ألّفه في مقالتين بستة عشر باباً كل مقالة تحوي ثمانية ابواب مقسمة الى فصول . وقد كتبه بطلبة ايونيس مطران دارا ويحوي هذا التاريخ مسافة ٢٦٦ سنة من بدء مملكة موريق وهو سنة ٨٩٤ لليونانية (وهي سنة ٥٨٣ للمسيح) الى ١١٥٤ (وهي سنة ٨٤٣ للمسيح) التي فيها مات ثيوفنيس ملك الروم (١) . وقال في بدء المقالة الثالثة عشرة « لأجل اننا قد جمعنا الى هنا اخبار الاجيال القديمة . . . من كتب الرجال الفقهاء . . . كمثل هذا القديس ديونيسيوس الذي من كتبه خاصة قد اغنينا هذا التاريخ الى هنا الخ » . فلا شك ان جميع ما يوجد في تاريخ ابن العبري عن اخبار المدة المذكورة أي من سنة ٥٨٣ الى سنة ٨٤٣ هو منقول من تاريخ ديونيسيوس الذي يجدر بنا ان نسمّيه مؤرخاً عصرياً .

فاذا تقرر ذلك فهاك ما قاله هذا المؤرخ في الفصل الثالث من المقالة الحادية عشرة « ولما ذهب هرقل الملك الى مرعش (٢) دخل عليه البطريرك مار اثناسيوس (اليعقوبي المشهور أيضاً عند المؤرخين الغربيين في اخبار هرقل الملك) ومعه اثنا عشر أسقفاً ... و بقوا عنده اثني عشر يوماً يتجادلون . فطلب منهم كتاب ايمانهم . فاعطوه هذا الذي اوردناه سابقاً (وفيه ضلالة المشيئة الواحدة والفعل الواحد) . فلما قرأه مدح ايمانهم . وطلب منهم ان يعطوه قرباناً و يقبلوا الشرح الذي حرره هو القائل بطبيعتين متحدتين في المسيح وارادة واحدة وفعل واحد مدعياً انه موافق لما قال قورلّس . فلما رأوه موافقاً لنسطور ولاون لم يقبلوه . فحنق هرقل وكتب الى كل

(١) من هذا يتضح ان السمعاني قد توهم حيث ظن ان تواريخ ديونيسيوس التلمحري هي ما وجده في مصحف صغير قديم من مصاحف المكتبة الواتيكانية .

(٢) *** في كتاب مخائيل الكبير الجزء ٢ وجه ٤١٢ « منبج »

مملكته . ان كل من لا يوافق المجمع الخلقيدوني يقطع انفه واذناه وينهب بيته (١) . فتسلَّط هذا الاضطهاد (على اليعاقبة) زمانا ليس بيسير . وكثير من الرهبان وافقوا المجمع . ومن الجملة رهبان دير ما رون (وفي الاصل السرياني : بيت ما رون) والمنبجيون واهل حمص اظهروا ارادتهم به . واكثر اهل بلاد الجنوب وافقوا المجمع وخطفوا منا عدة كنائس وأديرة فلم يكن هرقل يسمح للارثدكسيين (أي اليعاقبة) ان يدخلوا امامه ولا ان يسمع تشكياتهم المتعلقة بنهب كنائسهم . ولهذا الاه النقمات لما رأى قساوة الروم بنهبهم كنائسنا واديرتنا . جلب العرب من أرض الجنوب » (٢)

نرى هاهنا قصة الاضطهاد الذي أثاره هرقل الملك على اليعاقبة واغتصابه اياهم ليقبلوا المجمع الخلقيدوني وان كثيرين منهم استكانوا وسلموا وكان من جملتهم رهبان دير مار ما رون . فيتضح من ذلك اتضاحاً كاملا ان اولئك الرهبان كانوا قبل ذلك يعاقبة وانهم في ذلك الزمان الذي فيه هرقل الملك اضطهد اليعاقبة قبلوا تعليم المجمع الخلقيدوني ولكن بالمعنى الذي قصده هرقل في شرحه الذي قدّمه بين ايدي بطريرك اليعاقبة اي بمعنى مشيئة واحدة وفعل واحد في الطبيعتين . وكان ذلك في نحو سنة ستمائة وثلاثين للمسيح كما ذكرنا في مبتدا الفصل . فرهبان دير ما رون منذ نحو سنة

---

(١) أشار بذلك الى المنشور الشهير الذي بعث به هرقل لبث البدعة المنوثليتية وقد ذكرناه قبلا في وجه ٢٧.

(٢) هاهنا لنا ان نظهر تعجباً من يوسف سمعان السمعاني حيث انه رأى هذه الفوائد كلها التي اقتبسناها من ديونيسيوس التلمحري في هذا الفصل والفصلين الآتيين وقرأناها في تواريخ ابن العبري عند ما الف المجلد الثاني والثالث من المكتبة الشرقية والمجلد الخامس من مكتبة الشرع ولم يشير بادنى حرف الى شيء من البحث عن مسألة مذهب أجداده كأنه لا قرأها ولا صادفها. فالى م نأول هذا السكوت .

٦٣٠ تركوا المعتقد اليعقوبي وتمسكوا بالبدعة التي انشأها هرقل ملك الروم أي بالطبيعتين مع مشيئة واحدة وفعل واحد في المسيح .

ونعلم ان التواريخ (كما سنرى في الفصل السابع من الباب السادس) ان أسقفاً من أساقفة اليعاقبة رجع من بلاد اسبانيا في القرن السابع الى بلاد سورية وقد هجر معتقد الطبيعة الواحدة وانذر أهل بلاده ليقبلوا المجمع الخلقيدوني . فلعل هذا كان من الذين أقنعوا رهبان مارون ان يتبعوه في رأيه . غير أنهم لم يتبعوه الا من جهة الطبيعتين وتمسكوا بمعتقد هرقل بالمشيئة الواحدة . فهؤلاء رهبان مارون بعد ماهجروا الشيعة المنوفيستية لبثوا على العادات اليعقوبية التي كانت عندهم سابقاً اذ لم يروها امراً جوهرياً فلم يحبوا تركها . ومع كونهم قد خالفوا اليعاقبة في أمر المجمع الخلقيدوني لم يزالوا ينزعون الى اصلهم فكانوا يحبونهم ويخالطونهم حتى اخذوا منهم جميع ما ادخلوه بعد ذلك في الطقس والدين .

اننا لا نستنتج من هذا ان سكان جبل لبنان كانوا أيضاً هم يعاقبة كلهم . فانه يمكن انهم كانوا اولاً ارثدكسيين اي ملكيين ثم سقطوا بالمنوثليتية كما سقط سائر ملكية البطريركية الانطاكية (١) . ثم لما حرمت المنوثليتية بالمجمع السادس لا ذواهم

---

(١) لما كانت التواريخ القديمة صمتت عن كنيسة جبل لبنان صمتاً أبدياً الى القرن السابع يسوغ لنا ان نفترض انه لم تتشيد عندهم كنيسة منتظمة قبل ظهور البدعة المنوثليتية وان الذين صاروا نصارى منهم باعجوبة سمعان العمودي لم يثبتوا ثبوتاً قوياً ولم يكونوا كثيري العدد لتنشأ منهم كنائس . ولا يبعد ايضاً انه ان كان قد وجدت في جبل لبنان كنيسة في مبادىء القرن السابع فمن المحتمل انها كانت يعقوبية والسبب هو انهم في هذه الفريضة لا بد انهم كانوا في ذلك الزمان يراجعون رهبان مارمارون وهؤلاء مع كثير من أديرة تلك النواحي وكنائسها كانوا يعاقبة في مبادىء القرن السابع كما يتضح من تواريخ ديونيسيوس التلمحري .

برهبان ما رون وصاروا مثلهم على مذهب المنوثليتية وسموا لذلك موارنة. وكما التزموا أن يتبعوهم في الدين اضطروا الى ان يتبعوهم في عاداتهم الطقسية التي الى الآن يرى اثار منها لدى الموارنة. فبكل حق قد جعل كثير من العلماء شرقا وغربا الموارنة يعاقبة وناهيك انك ان رفعت من كتبهم القديمة قبول المجمع الخلقيدوني ولاون البابا لم يبقَ فيها الا شيء نزر جدًا مما لا يوجد عند اليعاقبة .

لا يخفانا ان الموارنة المتأخرين يقومون هاهنا عليَّ وينازعوني هذا القول ويعترضون عليّ باعلى صوتهم قائلين : ان اخبار المجمع الخامس المسكوني المقدس المعقود سنة ٥٥٣ تشهد ان رهبان مار ما رون كانوا قبل ذلك الزمان ابطالاً محامين عن المجمع الخلقيدوني وقد اصابهم من سبب ذلك اضطهادات واذيات كثيرة من المنوفيستيين . فكيف تجسر انت ان تجعلهم يعاقبة .

أجيب : ان حال رهبان مار ما رون الذين اعطوا اسمهم للموارنة يضطرني ان أثبت انهم كانوا يعاقبة والا فمن أين كان لهم كثير من عادات اليعاقبة (١) . واقتصر على ذلك بشيء واحد فقط وهو زيادتهم على التريساجيون الذي صُلب لاجلنا

---

(١) انه كان من الامر الشائع ان كلما عند الموارنة هو متخذ من اليعاقبة حتى ان أحد بطاركة اليعاقبة وهو نوح الباقوفي الاتي ذكره في الفصل الثامن والعشرين من الباب الرابع في القرن الخامس عشر نفسه الذي فيه عاش ابن القلاعي . قال في المصحف الواتيكاني السرياني ٤٢٤ « ونقول ان الاخوة الموارنة يصلوا بالسرياني ونحن الان سمعنا ان بطريركهم أمرهم ببغضة اليعاقبة » . ذلك جري بهمة ابن القلاعي اذ أفرغ الجهد ان يبغض في عيون طائفته مذهب اليعاقبة الذي كانوا مائلين اليه . قال « وهذا شيء ما نعهده أبداً في أهل جبل لبنان » فكان المعهود اذاً ان الموارنة يحبون اليعاقبة . قال « فان أصل قداساتهم من قول آبائنا وبواعيثهم ايضاً من قول آبائنا وما سمعنا قط لقاعدة دينكم ياموارنة كتاب الا انكم كلكم سريان » . أي ما عندكم كتاب من كتب عبادتكم الدينية الا وأصله من اليعاقبة .

المحروم صاحبها في المجمع الخامس نفسه . فلو كان اولئك الرهبان الذين يذكر عنهم في أخبار المجمع الخامس انهم قاسوا شديدًا من سبب ايمان المجمع الخلقيدوني هم رهبان ما رون الذين كلامنا عنهم كيف انهم بعد خروجهم من المجمع الخامس شرعوا يستعملون عادة ذميمة لم توجد الاعند أعداء المجمع الخلقيدوني وهي زيادة يا من صلب لاجلنا التي كان المجمع الخامس قد حرم مبدعها .فيجب اذًا ان نقول : أمّا ان رهبان المجمع الخامس هم غير رهبان ما رون الذين كلامنا عنهم . فانه يذكر في الاخبار القديمة انه كان في نواحي حماة ديران على اسم ما رون . او ان اولئك الرهبان بعد عهد المجمع الخامس اما من الخوف واما من سبب آخر هجروا الكنيسة ودخلوا شيعة اليعاقبة (١).وهذا المخرج الثاني أقرب الى التصديق.فان اكثر ما نراه في رهبان مارون

(١) ان الرهبان الذين كتبوا من سورية الثانية الرسالة الشهيرة الى هرمز البابا وفيهم من رهبان مار مارون قالوا في تلك الرسالة ان الذين لحوا علينا الاعداء تعرفوهم وهو سويرس وبطرس اللذان لم يعدوا من المسيحيين ابداً الخ » . مرادهم بطرس القصار . وقالوا في آخر الرسالة : « يحرم في عريضتنا هذه ... جميع الذين حرمتهم سلطتكم الرسولية أي نسطور واوطاخي وديوسقوروس ... وبطرس المكنى بالقصار ... وجميع الذين يحامون عن واحد من هؤلاء المراطقة » . اي عاقل يصدق ان هؤلاء الذين حرموا بهذه الصورة بطرس القصار أمكنهم ان يتخذوا زيادة التريساجيون التي اخترعها هذا الهرطوقي ومن سببها حرم . ويتمسكوا بها هذا التمسك الشديد ويتحملوا من أجلها الاذي كما ستري . الا ان نقول ان اولئك الرهبان كانوا قوماً لم يخلق الله خلقاً متقلبين مثلهم . أو انهم ليسوا برهبان مارون الذين سمي الموارنة على اسمهم. وكل خبير يعلم ان رهباناً غير رهبان مارون أقل منه صيتاً بني على اسمهم اكثر من دير واحد . فان اليعاقبة مثلا كان لهم أديرة كثيرة باسم برصوم ويعقوب واهرون وملكي وغيرهم . وكم كان للنساطرة أديرة باسم واحد . فلا يستغرب ان مارون الذي اشتهر

وتباعهم هو التقلب . فكانوا ارثذكسيين ثم انحازوا الى اليعقوبية ثم تمسكوا بالمنوثليتية ثم خلطوا في كتبهم شيئاً من اليعقوبية والنسطورية . ثم في الاجيال المتأخرة منذ عرفوا الكنيسة الرومانية قد تقلبوا تقلبات شتى . وسترى بيان كل ذلك في هذا الكتاب .

فان كان رأينا هذا لا يعجب موارنة زماننا فليبينوا لنا وجهاً آخر أحسن من بيان وجوه أمر لا يمكن انكاره . وهو ان كل ما عند اليعاقبة تقريباً كان عند اجدادهم سوى ما يتعلق بالمجمع الخلقيدوني . وكيف يفسر بغير هذا الوجه استشهاد يوحنا مارون في كتاب ايمانه لسويرس الملحد الشهير .

ولو سلمنا من باب المجاراة ان هذ الاسم ادخله الناسخ نسأل من أين كان عند أولئك النسّاخ اسم سويرس حتى ينقلوه عن كتبه في كتاب ايمانهم وهم كانوا موارنة الا لسبب ان أجدادهم كانوا في الاصل يعاقبة فبقي عندهم اسمه ومؤلفاته . وكيف يعبّر بهذا الوجه عن أمر آخر اغرب من ذلك وهو وجود اسم برصوم عندهم في قداسهم نفسه مع انه حُرم في المجمع الخلقيدوني . ولا يتوهمنّ الخصم ان كتب الموارنة كانت منذ الاول شبيهة بكتب اليعاقبة حتى سهل ادخال أمور اليعاقبة عندهم . فانّا نقول له لماذا تحريم المجمع الخلقيدوني ولاون البابا مع تواتر ذكره في كتب اليعاقبة لم يدخل منها شيء الى كتب الموارنة قط . او كانت عيون الموارنة مغشاة حتى انهم لم يميزوا أقوال المنشقين وعاداتهم فتركوا ان تدخل في قداسهم نفسه . ان كتب النساطرة يوم افترقوا من الكنيسة كانت بكتب اليعاقبة اكثر تشبهاً منها بكتب الموارنة . ومع هذا فلا اليعاقبة اتخذوا شيئاً من كتب النساطرة ولا النساطرة من كتب اليعاقبة .

في حياته وجد بعد موته على القليل ديران على اسمه في سورية . احدهما ارثذكسي والآخر يعقوبي . فليختر القارىء اللبيب أيا شاء من هذين الوجهين الى ان يأتي اليوم الذي فيه تنجلي حقيقة أخبار الاديرة السريانية التي كانت يوماً في أرض سورية .



الفصل السادس

في بيان الحاصل مما سبق واقتصاص كيفية انفصال الموارنة عن الارثذكسيين

يتحصل من كل البحث الذي مضى في الفصول السابقة ان رهبان مار مارون والاقوام اللائذين بهم القريبين الى ديرهم كانوا منذ شاعت في سورية البدعة المنوثلية في حدود سنة ٦٣٠ قد تمسكوا بها كسائر أهل البطريركية التي كانوا منها. وقد صدق توما الكفرطابي حيث قال (كما اوردنا سابقاً) مخاطباً الملكيين تباع المجمع السادس «نحن وانتم ثابتين على ذلك زماناً كثيراً الى زمان مكسيماس خاصتكم». ومع كل الوسائل التي استعملها قسطنطين اللحياني ملك الروم ليستميل أهل تلك البطريركية الى المعتقد الارثذكسي لم يستفد شيئاً كما ذكر توما المذكور. فلما عقد المجمع السادس وتثبت المعتقد الارثذكسي تثبيتاً مسكونياً قبل في الحال تحديده العالم الكاثليكي كله سوى أهل البطريركية الانطاكية والاسكندريين فانهم لم يصلهم تحديد هذا المجمع الا بعد زمان. وعند ذلك حصل انفصال الموارنة الشرعي عن الكنيسة الانطاكية وعن الكنيسة الكاثليكية بأسرها. ونحن نشرح هنا لماذا تعوق وصول تحديد المجمع السادس الى البطريركية الانطاكية فنقول:

ان ملوك الروم الارثذكسيين الذين في زمانهم كان يعقد مجمع مسكوني كان من عادتهم بعد ما يفض المجمع ان يكتبوا أمراً حاوياً وجوب الطاعة المطلقة لحدود المجمع الذي يكون عقد والتمسك بها تحت تهديد غضب الملك وينشروا ذلك الامر في جميع البلاد الواقعة تحت حكمهم. وبذلك كان يتبين بكل تأكيد من كان طائعاً للكنيسة ومن كان عاصياً أي يتميز الذين يقبلون المجمع من الذين يرفضونه. ولكن

هذه العادة لم تجرِ في المجمع السادس الذي عُقد في سنة ٦٨٠ لدحض البدعة المنوثليتية من جهة البطريركية الاسكندرية وذلك لان هذه البلاد كانت منذ قريب قد خرجت من يد ملوك الروم ووقعت في يد الاسلام. وكانت أحوال الكنيسة مضطربة فيها غاية الاضطراب . ولذلك لم يكن سبيل لملوك الروم حتى قسطنطين اللحياني نفسه الذي بهمته اجتمع المجمع السادس ان يرسلوا أوامر الى سورية ومصر لاجراء حدود ذلك المجمع ودعوة الناس الى قبوله. وكان ذلك على الخصوص ضروريًا لأن تلك البلاد باسرها كانت مبلية بطاعون المنوثليتية .

ومما يولي العجب ان قسطنطين ذلك الملك الهمام افتكر ان يرسل عساكر الى بلاد سورية ليؤذوا العرب ويردعوهم عن فتح البلاد فصنعوا ما صنعوا في جبال لبنان ونواحيها ولم يتوصل الى اصلاح حال معتقد أهل تلك البلاد وتنظيفها من الضلالة التي كانوا ملطوخين بها . والى ذلك اشار توما الكفرطابي حيث قال كما اوردنا سابقاً « اشتغلوا ملوك اليونانية عن مكاتبتهم ما عادوا كاتبوا دير مارون » . فلا عجب ان البطريركية الانطاكية بقيت زمانًا بعد المجمع السادس مخلوطاً فيها الزوان مع الحنطة بدون تمييز ولا يتبين من كان فيها يقبل المجمع السادس ومن كان يرفضه . ولا سيما ان بطريركها وهو تاوفان المنتخب في المجمع اقام في القسطنطينية هو وخلفاؤه الاولون اذ لم يمكنهم ان يأتوا الى كرسيهم من هول العرب . و بعد ذلك بقي الكرسي الانطاكي فارغا مدة اربعين سنة لممانعة الحكام الاسلام . ولكن الله لم يسمح أن يبقى الزوان مخلوطاً مع الحنطة هكذا زمانًا طويلا بل نصر بيعته فبيّن الارثدكسيين الذين يقبلون المجمع المسكوني من الماردين الذين عصوه .

فليقبل الينا علماء الموارنة ليسمعوا من احد المؤرخين الشرقيين القدماء خبر ما أبدته أجدادهم في تلك الاثناء ولو أنهم الى الآن بذلوا كل الجهد ليخفوه عن العامة . وليتقدم على الخصوص يوسف سمعان السمعاني الذي بلا شك قد اطّلع على هذا الخبر

وكتمه عنا في كل موءلفاته كأنه لا قرأه ولا رآه . فهذا الخبر هو ما رواه غريغوريوس
بن العبري في الفصل ٣٠ من المقالة ١٠ من تواريخه السريانية نقلاً عن ديونيسيوس
التلمحري المذكور سابقاً . فليسمع الموارنة ويندهشوا . قال « قلناسابقاً عن بدعة (١)
« مكسيموس ان قسطنطين (الملك اللحياني) ادخلهـا الى كنائس الروم بعد ان
« محاها أبوه قسطاس . . . لأنه في بلاد الروم كانت هذه البدعة ممسوكة من زمان
« قسطنطين ولكنها لم تكن قط في بلاد سورية (٢) بل زُرعت الآن بواسطة الناهبين
« والسابيين (٣) الذين خرجوا من غزاة العرب وسكنوا سورية وتمسّك على الخصوص
« بهذا الرأي لأجل خاطر الروم أهل المدن واساقفتهم والحكام الذين كان احدهم
« سرجي بن منصور (٤) الذي ضـايق الموءمنين الذين بدمشق وحمص ليس فقط
« لكي يتركوا لفظة يامن صُلب لأجلنا في التريساجيون بل لكي يجذب منا كثيرين
« الى بدعته. وقد فسد بهذه البدعة أيضاً كرسي أورشليم وانطاكية والرها ومدن أخرى
« من التي كانت تحت ضبط الخلقيدونيين من زمان هرقل الملك . غير ان رهبان مار

---

(١) لا عجب ان هذا المؤرخ سمى معتقد المشيئتين بدعة ونسبه الى مكسيموس فانه كان منوفيسيتياً قحاً وبطريركاً لليعاقبة الذين عندهم القول بالمشيئة الواحـدة هو أول باب من أبواب الايمان.

(٢) أي منذ ظهور بدعة المشيئتين لم يكن أحد في سورية يقول بالمشيئتين الى ذلك العهد .

(٣) كان هؤلاء روماً يخافون ان يظهروا في البلاد التي بيد العرب وكانوا يلوذون بغزوات العرب ولا عجب ان المؤرخ سمى هؤلاء الروم ناهبين وسالبين لاننـا نعلم من التواريخ ان ملوك الروم بعد ما أخذت البلاد منهم كانوا يطلقون الحرية لعساكرهم ان يدخلوا البلاد ويغزوها وينهبوها.

(٤) الظاهر ان هذا كان أبا القديس يوحنا الدمشقي .

« مارون واساقفة الدير (أي الاساقفة الذين كانوا سابقاً رهباناً في ذلك الدير)
« واناساً قليلين ما قبلوا هذا الرأي . ولكن كل اهل المدن والاساقفة قبلوه . وحدث
« من ذلك حرومات وخصومات كثيرة لا تحسب ولا تعدّ . ان كان الخلقيدونيون
« تبّاع أهل ما رون يعيرون اصحاب مكسيموس ويدعونهم نساطرة ورفاقاً للوثنيين
« واليهود ويقولون لهم : انتم تقولون ان المسيح انسان مجرّد وأقنوم خاص وان كان
« الله قد تركه واقصاه فخاف وارتج عليه من الموت ولذلك كان يصيح يا أبتاه ان
« كان يستطاع فلتعبر عني هذه الكاس لكن لا تكن مشيئتي بل مشيئتك كان للاب
« مشيئة وللابن مشيئة أخرى أعني مشيئتين في المسيح مقسومتين متناقضتين بل
« متنازعتين متضادتين(١) واصحاب مكسيموس كانوا يعيرون اصحاب مارون بقولهم :
« انكم لستم تعتقدون مثل تحديد المجمع الخلقيدوني وطومس لاون الخ . وكانوا يدعونهم
« ساويريين ويعقوبيين موئلي اللاهوت » .

ان هذه الكلمات الوجيزة كافية لبيان احوال البطريركية الانطاكية في زمان انفصال الموارنة عنها لسبب انها تمسكت بتحديد المجمع السادس . ولا حاجة الى شرح اكثر من ذلك .

---

(١) ان هذه المفتريات على معتقد الكنيسة الكاثوليكية يوجد منها شيء كثير في كتب الموارنة كما ستراه مراراً في هذا الكتاب .

الفصل السابع

في ذكر حادثة ظهر بها عصيان الموارنة

على بيعة الله

بعد ما فرغ ديونيسيوس المؤرخ من اقتصاص حال انشقاق الموارنة من الكاثليكيين على وجه العموم شرع يأتي بتفصيل شيء من ذلك . واقتصر على ما حدث في مدينة حلب ، فقال في المحل المذكور : « الآن نشرح الانقسام الذي وقع بينهم (أي بين « الموارنة والارثذكسيين) في هذه سنة ١٠٣٨ (لليونان التي هي سنة ٧٢٧ للمسيح) « من سبب هذه البدعة (سمى معتقد المشيئتين بدعة لأنه كان يعقوبياً) ومن سبب « لفظة الذي صُلب لأجلنا . . . ان أهل حلب انقسموا الى فرقتين الواحدة كانت « مع اسقفهم الذي كان على رأي أهل مارون (١) والأخرى مع تباع مكسيموس « وجرى بينهم قتال من سبب بيعتهم الكبيرة التي بناها اقاق اسقف حلب . لأن « كلاً من الفرقتين كانت تريدها . وطالما تضاربوا في البيعة . فلما رأى الامير « مخاصمتهم أمر ان يأخذ كل فريق نصف البيعة . فأوقع السهم للاسقف ولتباع مارون « الجانب الشرقي . ولاصحاب مكسيموس الجانب الغربي . وصنعوا في الوسط قاطعاً « من دف . ونصبوا في الجانب الغربي مذبحاً آخر من خشب . وصاروا جمعين مبلبلين « وفي وقت الخدمات والقرابين كان الفريق الواحد يرفع صوته اعلى ويقلق لكي « يسجّس الفريق الآخر . وربما بددوا قرابين بعضهم بعض وكبّوها وكسروا « الصلبان وأمسكوا ذقن الاسقف بغير حياء و بصقوا في وجهه . ونساؤهم أيضاً

---

(١) اذاً قد صدق توما الكفرطابي حيث عد مدينة حلب من البلاد التي تبعت رأي رهبان مارمارون .

« تجاسرنَ ودخلنَ المذبح . وأمسكنَ الكهنة من شعورهم وأخرجنهم من البيعة .
« فلما رأى الامير ان السجس لا يبطل ولو قسموا البيعة أمران يرفع القاطع الذي
« في الوسط وان يطيعوا كلام الاسقف . ثم أمر ان يدخل كل يوم كاهنان و يقدسا
« على مذبح واحد . كل واحد من جانب . وان يناول كل واحد جماعته . فأطاعوا
« هذا الامر السمج . وصنعوا شيئاً ما حدث قط . وصار كاهنان يقدسان على مذبح
« واحد بالسوية في صينيتين وكاسين (١) . وأمر الامير ان يقف رجال مسلمون
« ليمنعوهم من ان يضربوا بعضهم بعضاً . فاتوا وجلسوا على مسطبة المذبح وهم حاملون
« سياطاً الى ان انقضت الخدمة . وفي الآخر خجل كل الفريقين واختزوا وطردو
« جميعهم من البيعة . واتفقوا وصاروا مكسيميين (٢) » .

وان طرحنا من هذه الرواية كل تزويق ادخله فيها راويها ليظهر شدة تعصبه على دينه فما يتبقى منها يدل بالكفاية على الحال الاليم الذي كانت فيه البطريركية الانطاكية في أواخر القرن السابع ومبادئ الثامن بسبب عصيان رهبان مار مارون وتباعهم على تحديد المجمع السادس المسكوني . ويكشف لنا ستر العداوة الشديدة التي قامت منذ قديم الزمان بين الملكية والموارنة . وينفي ادعاء الموارنة المتأخرين الذين قلبوا معنى تلك العداوة لأجل الاشفاق المفرط على كرامة طائفتهم وجعلوا الموارنة مكان الملكية والملكية مكان الموارنة كمن يزعم مثلاً : ان تباع دلنجر الجرماني في

(١) من هنا يتضح انه الي القرن الثامن لم تكن بعد قد دخلت عند اليعاقبة والملكية العادة الجارية الآن عندهم وهو ان يقدس في وقت واحد أكثر من كاهن واحد . وهذه العادة لم تدخل الي الآن عند النساطرة والارمن . لا بل ان كثيراً من كنائس اليعاقبة لا يقدس فيها الا كاهن واحد بالنوبة .

(٢) *** ان هذه الرواية موجودة في كتاب تواريخ البطريرك مخائيل السرياني في الترجمة الفرنساوية الجزء ٢ وجه ٤٩٢ الى ٤٩٦ .

عصرنا هذا هم الذين يقولون بعصمة الحبر الاعظم من الغلط وسائر الكاثليكيين هم الذين ينكرون عليهم ذلك. او ان الاريوسيين كانوا في القرن الرابع يحامون عن معتقد مساواة الكلمة مع الاب في الجوهر خلافاً لما يعتقده سائر النصارى.



الفصل الثامن

في ذكر حادثة اخرى أظهر فيها الموارنة عصيانهم على بيعة الله وانفصالهم عنها تماماً

يجب ان نشكر اولي الهمة والنشاط من الشرقيين الاقدمين الذين وان كانوا متمسكين بالشقاق او الهرطقة فقد اولوا التواريخ والعلوم فضلاً جزيلاً اذ خلفوا لنا أخبار الامور التي جرت في الازمان السابقة واذخروا لنا ذخائر العلماء الاولين.

ومن جملة هؤلاء ديونيسيوس التلمحري الذي خلف اخباراً شتى عن طائفة الموارنة قلما تجدها عند غيره. اذ كان سائر المؤرخين ما عداه من يونانيين وسريان واقباط كأنهم قد تواطئوا على ان لا يطلعونا على شيء من تلك الملة اللهم الا الذين غابت عنا صحفهم وبادت فربما اولئك كانوا قد اودعوا في صحفهم شيئاً من ذلك. وهذا اقرب الى التصديق.

فلنقرأن الآن ما رواه ديونيسيوس المذكور عن الموارنة كما اورد ابن العبري في الفصل ٢٢ من المقالة العاشرة. قال « في هذا الزمان (أي نحو سنة ٧٤٥ للمسيح) « أباح مروان ملك العرب للخلقيدونيين (١) (أي الروم الملكيين) فرسموا لهم

(١) البائن من هذا قول ديونيسيوس ان الموارنة كانوا الى ذلك الحين تحت رئاسة

« بطريركاً ثاوفيلوطا بن قنبرة الذي من حرّان . هذا كان صائغ الملك مروان .
« فاخذ من مروان أمرًا وعسكرًا ليضطهد الموارنة . فلما أتى الى دير مارون ضايقهم
« لكي يقبلوا مذهب مكسيموس (اي معتقد الكنيسة الكاثليكية بالمشيئة) ولا يقولوا
« الذي صُلب لأجلنا في التريساجيون . فتضايق الرهبان من العذابات وأعطوا
« وعدًا بانهم في الغد يوافقونه . وكان معه راهب شيخ وكان يحبه . فدخل اليهم ذلك
« الراهب وجاز الى بيعتهم وضرب بيده على ما ئدة الحياة وقال : أيها المذبح النجس
« في الغد تتقدس . وفي تلك الساعة . . . مات . فتألم ابن قنبرة جدًا وخاف واراد
« أن يحمل الميت ويذهب فلم يتركه الرهبان لخوفهم ان يقولوا بانهم قتلوه . حينئذ
« تركه لهم لكي يقبروه . ومضى هو ولم يقض مرامه . وبقي الموارنة كما هم اليوم .
« يسمون لنفسهم بطريركاً وأساقفة من ديرهم (١) وهم مميزون من أهل مكسيموس
« بانهم يعتقدون بمشيئة واحدة في المسيح ويقولون الذي صلب لأجلنا ولكنهم
« يقبلون المجمع الخلقيدوني . ثم ان ابن قنبرة أتى الى منبج وجاهد الخلقيدونيين (٢)

البطاركة الملكيين وانهم لم يكونوا بعد انفصلوا انفصالا تاماً بنصبهم بطريركا لهم . لان ديونيسيوس سمي ثاوفيلوطا بطريرك الخلقيدونيين وهو في التواريخ يعني بالخلقيدونيين الملكية الارثذكسية والموارنة . فلو كان مراده ان يقول ان ثاوفيلوطا صار بطريركاً للملكية الارثذكسية فقط لسماهم ملكيين كعادته .

(١) هذا يثبت ما قلناه في الحاشية السابقة وهو انه في أواسط القرن الثامن ابتدأ الموارنة باقامة بطريرك لهم على حدة وانهم الى ذلك الحين كانوا تحت سلطة البطريرك الانطاكي الملكي .

(٢) أي لم يعارض اليعاقبة الذين في تلك المدينة لانهم لم يكونوا محسوبين شرعاً تحت سلطته وهذا دليل آخر على ان الموارنة لم يكن لهم حينئذ بطريرك . لانه لو كان لهم بطريرك لكان ذلك باذن ملوك العرب ولكان هذا البطريرك يستعين بهم لمنع اضطهاد الملكيين ولما كان تجاسر بطريرك الملكية ان يؤذي الموارنة .

« الذين هناك لأنهم لم يقبلوا ان يقولوا بالمشيئتين ولا ان يبطلوا الذي صُلب لأجلنا
« ثم انه شكاهم الى مروان (ملك العرب) وخسرهم اربعة الاف دينار وجرى فيهم
« ما جرى بحلب وأخيرًا قبل اندراوس الماروني وأخذ أمرًا من الملك وبنى للموارنة
« بيعة في منبج وهكذا بقوا متفرقين من الملكيين . وقد جرت بينهم أمور سمجة
« وحوادث شنيعة » .

فمن رواية هـذا الفصل والفصل السابق يتضح (١) انه في أول ظهور الشيعة المارونية لم يكن منها جماعة في البطريركية الاورشليمية ولا في الانطاكية والرها ولا قبلها أحد من الاساقفة الذين لم يكونوا من دير مار مارون . (٢) ان قسمًا كبيرًا من أهل مدينتي حلب ومنبج كان على مذهب الموارنة في مبادئ ظهور الشيعة بل كان أسقف حلب نفسه مارونيًا . (٣) ان دير مار مارون كان بعد واقفًا سنة ٧٤٥ خلافًا لما زعم اسطفانس الاهدني ان الروم هدموه في أواخر القرن السابع * . (٤) ان اساقفة الموارنة الى زمان ديونيسيوس أي الى سنة ٨٤٣ كانوا ينتخبون من دير مار مارون . (٥) ان حكام العرب كانوا ينصرون الارثذكسيين اي الملكيين على الموارنة (٦) ان الموارنة شرعوا يقيمون لهم بطريركًا على حدة نحو سنة ٧٤٥ . وانهم كانوا الى ذلك الزمان تحت سيطرة البطريرك الانطاكي . فانه ان كان العرب لم يسمحوا للملكيين مدة أربعين سنة بان يقيموا لهم بطريركًا فكيف يُصدق انهم سمحوا بذلك

(*) *** جاء في المشرق السنة السادسة وجه ٦١٠ : قد ثبت الآن ان دير مارون كان لم يزل زاهرًا في سنة ٧٤٥ كما ورد في نص سرياني نشر الخوري نو (Nau) ترجمته بالفرنساوية . والمظنون ان خراب هذا الدير تم في القرن التاسع فاضطر رهبانه ان يأتوا الى لبنان مع سكان الناحية المجاورة له . وفي قول المسعودي الذي أوردناه سابقًا ان دير القديس مارون كانت اغتالته في عهده (أعني في أواسط القرن العاشر) يد الزمان فخرب .

للموارنة مع انهم اذنوا للملكيين ان يضطهدوهم بل اعانوهم على ذلك . فلو كان العرب قد سمحوا للموارنة ان يكون لهم بطريرك قبل سنة ٧٤٥ لما كانوا يتركون بطريرك الملكيين ان يقهرهم ويمدونه بعسكر لذلك . كما جرى الامر في حلب وفي دير مار مارون وفي مدينة منبج .

ونرى في كل ما رواه ديونيسيوس عن الامور التي جرت بين الموارنة والملكية أنه لم يأت بذكر بطريرك للموارنة ولعمري انه لا يصدق ان الموارنة في المدة التي كان فيها بطاركة انطاكية غائبين في القسطنطينية أي من سنة ٦٨٠ التي فيها عقد المجمع السادس الى مبادئ القرن الثامن ثم صار الكرسي الانطاكي فارغاً أي من مستهل القرن الثامن الى سنة ٧٤٥ افتكروا ان يقيموا لهم بطريركاً . لأنه في تلك المدة لم تكن قوّة لا بيعيّة ولامدنية في الكرسي الانطاكي لافراز الارثذكسيين منهم واجبارهم ان يخرجوا من صيرة الكنيسة الكاثليكية . ويتضح (٧) ان يوحنا مارون لم يعش في ذلك العصر وانه لم يشتهر بشيء وان كان عائشاً في خلال ذلك العصر . لأنه لو كان قد اشتهر بشيء لما اهمل ديونيسيوس ذكره كما روى غير ذلك مما يخص الموارنة .



الفصل التاسع

في انه بعد عهد المجمع السادس لم يوجد طائفة قائلة بالمشيئة الواحدة سوى النساطرة واليعاقبة والموارنة

قد انكر علينا هذا القول صاحب روح الردود في وجه ٢٦٩ . ونحن نقول ونثبت ان البدعة المنوثليتية بعد ما عقد المجمع السادس الذي فيه حرمت لم يبق احد متمسكا بها سوى النساطرة واليعاقبة والموارنة . اما اليعاقبة فخصمنا يعترف ان هذا مذهبهم .

واما النساطرة فسنبين ان شاء الله ببراهين راهنة انهم كانوا يعتقدون بالمشيئة الواحدة متى ما أتينا الى شهادة طيمثاوس بطريركهم . وقد بينا ان سبب افتراق الموارنة من سائر الطوائف كان اعتقادهم بالمشيئة الواحدة وسنؤيد ذلك فيما بعد بشهادات كثيرة وانما الفرق بين منوثليتية اليعاقبة والنساطرة هو ان هاتين الطائفتين تمسكتا بهذه الضلالة منذ عهد انفصالهما عن الكنيسة الكاثليكية جاعلة كل واحدة منهما هذا الرأي من ابواب سبب شقاقها . واما طائفة الموارنة فتمسكت بهذه الضلالة حين ظهرت في القرن السابع على يد سرجيوس وقورش وتباعهما الذين كانوا كاثليكيين قبل ذلك . فاذا تقرر ذلك فهلمَّ بنا الآن نرَ أصدقَ السيد يوسف الدبس في تكذيبنا اذ قلنا ان ليس قوم قالوا بالمشيئة الواحدة بعد المجمع السادس عدا الطوائف الثلاث المذكورة .

١ــ قال صاحب روح الردود ان البدعة المنوثليتية كانت في الكنيسة القسطنطينية في زمان يوسطينيان الملك الاخرم وذلك بعد المجمع السادس بنحو خمسة عشرة سنة . اجيب ان هذا قول بلا سند حيث ان الخصم لم يذكر من اين نقله . فنحن لا نقبله وقد فتشنا في صحف المؤرخين فلم نجد اثرًا يصحح هذا الزعم . نعم يذكر في التواريخ عن يسطينيان هذا انه كان خرقًا جاهلاً وانه آذى الكنيسة . ولكن لا يذكر البتة انه في وقته ظهر أحد قائل بالمشيئة الواحدة في تلك الكنيسة. فما اجمل ما قال صاحب روح الردود في وجه ٤٩ « أرسل الملك يسطينيان (الاخرم) جحفلاً للقبض على القديس يوحنا مارون افدفعه الموارنة وقتلوا قائديه سنة ٦٩٤ » . كل ذلك بلا سند ولا حجة وخلافًا لكل ما رواه المؤرخون القدماء ان يونانًا وان لاتينًا .

ثم ان الاساقفة الذين جلسوا على كرسي القسطنطينية في مدة ملك هذا يسطينيان أول مرة أي منذ سنة ٦٧٥ الى سنة ٦٩٥ انما كانوا تاودوروس وبولس الثالث وقلّينقوس الاول . وفي المرة الثانية قورش الذي عزله فيلبقوس . وهؤلاء كلهم كانوا كاثليكا (طالع كتاب الشرق المسيحي مجلد ١) . فكيف يمكن ان يقال ان

الكنيسة القسطنطينية كانت منوثليتية في تلك السنين اذ كان رعاتها ارثذكسيين فلو كان يسطينيان منوثليتياً لعزل هؤلاء البطاركة وأقام مكانهم أساقفة منوثليتيين كما كانت ملوك الروم يفعلون مع من يذهب مذهبهم في الدين . وكما فعل مثلاً فيلبقوس الملك بعده بسنين قليلة . ونحن فتشنا في تواريخ ابن العبري بكل جد فلم نجد كلمة تدل على ان يسطينيان هذا كان منوثليتياً مع ان ابن العبري حكى أخباره بأسهاب متطاول .

وما الحاجة الى اطالة الكلام ونحن نعلم ان يسطينيان الاخرم اشهر ما همّه في حياته واخصّ ما عرف به هو مجمع القصر الذي عقد بهمته والذي بذل كل جهده ليحمل الاحبار الرومانيين على قبوله ومن سبب ذلك آذى واحداً منهم . والحال ان أول باب من الابواب التي حدّدها مجمع القصر هو تأييد المجمع السادس الذي فيه حرمت بدعة المنوثليتية واعادة حرم اصحابها . ويسطينيان حضر ذلك المجمع بنفسه وقبل كل الاساقفة امضى قوانينه بيده بمداد من الزنجفر . وناهيك ان الاحبار الاعظمين ذموا يسطينيان وتشكوا منه لاسباب شتى الا انه لم ينسب اليه أحد المنوثليتية ولا نزعوا عنه شركتهم لا بل ان واحداً منهم وهو قسطنطين البابا ناول يسطينيان الملك القربان المقدس بيده . افيجسر اذاً الخصم ان يقول ان هذا البابا أيضاً كان منوثليتياً .

٢ ـ قال صاحب الردود « بقيت المنوثليتية في أيام الملك فيلبوس (فيلبقوس) « حتى عقد مجمع سنة ٧١٢ في القسطنطينية تأييداً لهذه البدعة . فعزل المجمع قورش « بطريركها وخلف له يوحنا . » نجيب : هاك ملخّص ما ورد في التواريخ في هذا الشأن . جلس فيلبقوس على كرسي ملك الروم في القسطنطينية سنة ٧١٢ وكان منقاداً لرأي واحد من الرهبان كان ساحراً خبيثاً وقسيس اسمه يوحنا كان منوثليتياً .

فابطل الملك فيلبقوس المجمع السادس وعزل قورش بطريرك القسطنطينية ونصب مكانه يوحنا . و بعدما ملك فيلبقوس نحو سنتين جلس بعده انسطاسيوس الملك . فهذا طرد يوحنا المنوثليتي ونصب مكانه القديس جرمانوس في ذلك الكرسي . راجع نطاليس الكسندر في تواريخ القرن الثامن فصل ٦ جزء ٢ . وهاك ما قاله ابن العبري في الفصل ١٧ من المقالة الحادية عشرة عن هذا فيلبقوس : « وفي سنة ١٠٢٣ (لليونان وهي « سنة ٧١١ للمسيح) تمرَّد فيلبقوس وقتل يسطينيان ملك الروم وابنه طيباريوس « وتملك هو على الروم . . . فيلبقوس ملك سنه ٧١٢ هذا كان حاذقاً وأديباً في علوم « الخارجين (اي الوثنيين) فاراد ان يبطل المجمع السادس ويرذل تعليم مكسيموس... « ثم ان الروم رذلوا فيلبقوس وكحلوا عينيه بعد ان ملك سنتين وخمسة أشهر » .

فهل يمكن ان يقال ان الكنيسة القسطنطينية بقيت منوثليتية كما زعم السيد الدبس بسبب انه جلس في كرسيها رجل منوثليتي نحو سنة ثم طرد . اما ان جرمانوس البطريرك قد أيد في مجمعه تحديد المجمع السادس فلا ينتج منه شيء . لان المجامع كلها من عادتها ان تؤيد تحديدات المجامع المسكونية التي عقدت قبلها . ولا سيما ان جرمانوس كان قد اضطر ان يوافق فيلبقوس الملك لمعاداة قسطنطين اللحياني له قبل ان يصير بطريركاً على القسطنطينية .

٣ ــ قال صاحب روح الردود « بقيت (المنوثليتية) عند ملكية الاسكندرية وجحدوها في زمان بطريركهم قزما سنة ٧٤٢ » . اجيب ان كنيسة الاسكندرية كان الاساقفة اليعاقبة قد استولوا عليها منذ عهد ديوسقوروس بطريرك تلك الكنيسة الذي حرم في المجمع الرابع . وكما لا يخفى ان المنوثليتية فرع ناشيء بالضرورة من اليعقوبية . فالكنيسة الاسكندرية اليعقوبية كانت منوثليتية قبل ظهور قورش بطريركها الذي حرم في المجمع السادس اي منذ عهد ديوسقوروس ولو انها تشبثت في هذه البدعة منذ تمسك بها قورش بطريرك الفرقة الكاثليكية . ولكن الكنيسة الاسكندرية

الملكية رفضت المنوثليتية منذ عقد المجمع السادس كما افاد لكويان في كتاب الشرق المسيحي مجلد ٢ وجه ٤٥٢ . قال :

Hujus Joannis Semnudaci tempore, anno 680, Constantinopoli celebrata est sexta synodus generalis in qua Monothelitarum dogma haereticum proscriptum est. Aderat nomine catholicae ecclesiae Alexandrinae Petrus presbyter Unde colligo Melchitas Alexandrinos ab hinc ejurare coepisse Monotheliticum virus, quo a Cyro Patriarcha quondam imbuerant.

« في زمان هذا يوحنا سمنودي (البطريرك اليعقوبي) سنة ٦٨٠ عقد في القسطنطينية « المجمع السادس المسكوني الذي فيه شجبت البدعة المنوثليتية. وحضر ذلك المجمع باسم « الكنيسة الاسكندرية (الخالية من اسقف) بطرس القسيس . . . ومن ذلك « استنتج ان الملكيين الاسكندريين من ذلك الوقت أخذوا يرفضون الضلالة المنوثليتية « التي كان قورش البطريرك قد اضلهم بها يوماً » .

فالكنيسة الاسكندرية الملكية أي الكاثليكية كانت بلا راع حينما عقد المجمع السادس . وبقيت على هذه الحال الى سنة ٧٢٩ التي فيها بعد المشقة الطويلة أمكن الملكيون ان يحصلوا على اسقف . وكان اسم هذا الاسقف قزما الذي ذكره الخصم . وذكر سعيد بن بطريق عن هذا قزما انه كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب . فلا عجب فيما ذكر ثيوفنس اذ قال : « ان قزما بطريرك الاسكندرية مع سكان المدينة أجمع جحدوا ضلال المشيئة الواحدة الذي كان قد استحوذ على تلك المدينة من أيام قورش الذي كان معاصراً لهرقل الملك واقروا بغلطهم ورجعوا الى الكنيسة الارثذكسية » فان قزما كان اول بطريرك كاثليكي جلس على كرسي الاسكندرية من بعد المجمع السادس فكان مناسباً بل واجباً ان ترفض وتحرر على يده البدعة المنوثليتية التي كان اسلافه قبل المجمع السادس قد دنسوا بها الكنيسة الكاثليكية . فهذا الاقرار والرجوع ليس معناهما ان قزما وجماعته بعينهم كانوا منوثليتيين. بل معناهما ان البدعة المنوثليتية التي كانت

كنيستهم قد تدنَّست بها لم تكن قد رفضت في تلك الكنيسة رفضاً قانونياً منذ عهد المجمع السادس حيث انه ما عدا اساقفة اليعاقبة لم يجلس على ذلك الكرسي اسقف كاثليكي . فاقتضى أول ما حصلت تلك الكنيسة على اسقف كاثليكي ان تجري رسم هذا الرفض . وناهيك ان كل كنيسة انما تسمى بأسقفها فان كان اسقفهـا كاثليكياً سميت كاثليكية . او هرطوقياً سميت هرطوقية . او منشقاً سميت منشقة . والحال ان الكنيسة الاسكندرية غير اليعقوبية كانت بلا اسقف في تلك المدة . فاذاً لا يصح ان يقال فيها انها كانت منوثليتية .

فهذا هو كل ما اورده المطران يوسف الدبس ليؤيد زعمه بوجود البدعة المنوثليتية بعد المجمع السادس في غير الطوائف الثلاث المذكورة . وقد رأيت ان ذلك كله لا أصل له . فيسوغ لنا اذاً ان نقول بكل أمان ان هذه البدعة بعد المجمع المذكور لم يبقَ لها أثر في غير هذه الطوائف المعلومة لا في البطريركية الاسكندرية ولا في القسطنطينية ولافي الانطاكية التي تهمنا وتتعلق بمسألتنا اكثر ما يكون . فبكل صواب اذاً قال نطاليس الكسندر في تواريخ القرن السابع فصل ٢ جزء ١ عدد ٢ : « ان بدعة المنوثليتية بعد المجمع السادس أيضاً ملكت عند الكلدان (أي النساطرة) ... وعند « الارمن (واضف الى الارمن سائر الطوائف اليعقوبية المتساوية مع الارمن في معتقد « الطبيعة الواحدة) . . . وعند الموارنة ».

فقد تبين من هذا البحث كله ان الضلالة المنوثليتية المحضة التي ظهرت في زمان هرقل الملك على يد سرجيوس وقورش ومقاريوس واصحابهم في القرن السابع وحرمت في المجمع السادس المسكوني لم يتمسك بها قوم تمسكاً حقيقياً بعد ذلك المجمع سوى الطائفة المارونية . ولما كان نصارى بلاد الشرق يسمون ملكيين في القرن السابع لم يكونوا نساطرة ولا يعاقبة ولا موارنة نستنتج من ذلك ان الملكيين ولا سيما الذين في البطريركية الانطاكية لم يكونوا منوثليتيين بعد المجمع السادس .

وعن الملكيين الذين كانوا في البطريركية الانطاكية بالخصوص نقول: انه لا يخفى أحداً ان المجادات والنزاعات والخلافات والانشقاقات التي كانت تحدث في الكنيسة في أمور الدين انما كانت تحدث بين الاقليرس والرهبان خاصة ونحن اذا استقرينا التواريخ كلها لا نجد في تواريخ البطريركية الانطاكية اسم راهب او قسيس أو اسقف تمسك بمذهب المشيئة الواحدة بعد عهد المجمع السادس. ولا سيما اننا نشاهد المؤرخين القدماء قد بذلوا جهدهم ليخلفوا لنا ذكر الهرطقة والمنشقين الذين قاموا في الكنيسة في اوقات شتى. ولمـاذا ذكر في التواريخ الاشخاص الذين دافعوا عن المنوثليتية في البطريركية المذكورة قبل عهد ذلك المجمع ولم يذكر أحد بعده لو وجد أحد. ولماذا ذكر من دافع عن النسطورية واليعقوبية ايضاً بعد المجامع التي فيها حرمت هاتان الهرطقتان. ولم يذكر من دافع عن المنوثليتية بعد المجمع السادس في تلك البطريركية لو كان وجد احـد وناهيك ان كل كنيسة تسمى ارثدكسية او هرطوقية او منشقة باسم راعيها او اسقفها. والحال اننا اذا فحصنا أخبار جميع البطاركة الذين قاموا في الكنيسة الانطاكية الملكية بعد مقاريوس المنوثليتي الذي حرم في المجمع السادس لا نجـد احداً منهم منوثليتياً. طالع المجلد الثاني من الشرق المسيحي للكويان.

فاذاً يجب علينا ان نقول ان الكنيسة الانطاكية الملكية لم تضل قط بالهرطقة المنوثليتية بعد المجمع السادس. كيف لا والكنيسة الانطاكية حفظت في طقسها صورة الحل من المنوثليتية كما سنرى في الفصل الثاني من الباب الخامس وجميع الشرقيين الذين كتبوا عن الملكيين من القرن السابع فصاعداً سموهم تباع مكسيموس البطل المحامي عن معتقد المشيئتين.

الباب الثالث

﴿ في يوحنا مارون ﴾

(وفيه تسعة فصول)

الفصل الاول

في البحث عن مارون الذي ذكره سعيد بن بطريق الاسكندري

لا يخفى ان الاثار القديمة يذكر فيها اكثر من مارون واحد . فانه ما عدا مارون الانبا أو رئيس النساك الذي تكلمنا عنه في الفصول السابقة وبينا ان الموارنة سموا على اسم رهبان ديره ورد اسم مارون قسيس تتبّع لهرطقة نسطور وذكره شمعون اسقف بيثارسم كما في المكتبة الشرقية مجلد ١ وجه ٣٥١ . وذكره ايضاً انسطاسيوس السيناوي في كتاب هادي الطريق في الفصل ١٤ (١).

ثم ان سعيد أو اوطيخوس بن بطريق بطريرك الاسكندرية المؤرخ بالعربية الذي اشتهر في القرن العاشر ذكر مارونا آخر هرطوقياً نسب اليه أصل طائفة الموارنة اذ قال في كلامه عن تواريخ موريق ملك الروم (الجزء ٢ وجه ١٩٠ من طبعة سنة ١٦٥٨)

---

(١) ان اليعاقبة يذكرون في كلندارهم في ٢٠ حزيران مارون رئيس دير عين دوره في جبل طور عبدين ولست أدري أكان هذا من تلامذة مار اوجين كاثاليكياً سابقاً لزمان الشقاقات أم كان يعقوبياً . وفي تواريخ اليعاقبة اشتهر في القرن العاشر رجل اسمه يوحنا منسوب الي مارون كان عالماً حكيما ورئيس دير . راجع ماسنقوله في الفصل الثالث .

« وكان في عصر موريق ملك الروم (سنة ٥٨٢ الى ٦٠٢) راهب يقال له
« مارون يقول ان سيدنا المسيح طبيعتين ومشيئة واحدة وفعل واحد وقنوم واحد
« وافسد مقالة الناس واكثر من تبعه على مقالته تلاميذه القائلين به أهل مدينة
« حماه وقنسرين والعواصم وجماعة من أهل الروم فسمّيوا التابعين له والقائلين
« بمقالته المارونية مشتق من اسم مارون فلما مات مارون بنوا أهل حماه دير بحماه
وسموه دير مارون ودانوا بدين مارون ».

نقول ان كان سعيد قد عنى بمارونه المذكور مارون الناسك كما زعم الموارنة في عصر البابا بندكتس الرابع عشر وقبله فبكل صواب رفض الموارنة قوله هذا كما برهن الحبر الاعظم المشار اليه في رسالته الى لركري المار ذكرها مرارًا . لان مارون الناسك لم يعش في زمان موريق أي بين القرن السادس والسابع كما زعم سعيد . بل قبل ذلك بنحو مائتي سنة كما هو أمر واضح من آثار تلك الازمان.

والبائن لنا ان سعيد بن بطريق عنى بمارونه مارون الاخر وهو يوحنا مارون كما فهم نيرون والاهدني . فكأنه قد اتخذ خبر هذا مارون من تواتر الطائفة المارونية في عصره . فان الآثار التي وصلت الينا سالمة والسابقة لعهد سعيد لا يوجد فيها أدنى ذكر ليوحنا مارون البتة الا عند الموارنة . ولكن يجب عند ذلك ان نقر ان سعيدًا قد ارتكب غلطات في روايته هذه . فانه جعل مارون في عصر موريق الملك وهو عاش على قول الموارنة في عصر المجمع السادس المسكوني كما سنذكر . ثم أن سعيدًا توهم اذ قال ان دير مارون الذي بقرب حماة بني بعد موت يوحنا مارون . فان هذا الدير بني بعد موت مارون الناسك كما برهن السمعاني في وجه ٤٩٧ من المجلد الاول من المكتبة الشرقية في الحاشية . ولكن هذه التوهمات العرضية لا تبطل جوهر رواية سعيد الاسكندري فانها مثبتة بجميع حجج الشيعة المارونية القديمة وكتبها . وان ابطلنا رواية سعيد لسبب التوهمات العرضية التي وقعت فيها وجب ان نبطل ايضًا وجود

يوحنا مارون لكثرة التوهمات (التي اكثرها هي عمدية خلافاً لتوهمات سعيد) الواقعة في ما رواه عنه المتأخرون من الموارنة (١).



* * *

تذييل

طالما حارت العلماء في شهادة سعيد بن بطريق وأشكل عليهم حلّها. فقال بعضهم ان هذا البطريرك غلط او توهم في ذكر مارون منشيء البدعة المنوثليتية بدلاً من يوحنا مارون الذي لم يكن عائشاً على عهد موريق الملك. وخطأه غيرهم لذكره ظهور هذه الشيعة في أيام ذلك الملك مع انها انتشرت في زمان هرقل. وقال المحققون ان دير مارون الذي بقرب حماة على نهر العاصي كان قائماً منذ القرن الرابع وهو أمر ثبت لا يختلف فيه اثنان فيكف يقول سعيد انه بني على اسم الراهب مارون مبدع المشيئة الواحدة.

أما الآن فقد أفادنا المعلمان المارونيان الفاضلان القس برندوس غبيره الغزيري

---

(١) اني ها هنا أقر باني قد تهورت في الحكم اذ قلت في رسالتي الاولى الى السيد يوسف الدبس المحترم تبعاً للسمعاني ان قصة مارون المبدع التي اتى بها سعيد الاسكندري حكاية لا أصل لها وذلك لظني تبعاً للسمعاني المذكور ان ما قاله هذا سعيد لا يمكن ان يطبق على يوحنا مارون.

والخوري ميخائيل الشبابي بأنهما وجدا شهادة صريحة أتت مصداقاً لكلام سعيد بن بطريق وذلك من مقالات القديس انسطاسيوس التي كتبها ضد راهب نسطوري علّم بالمشيئة الواحدة على عهد موريق الملك في دير عليتا بمدينة الرها .

واليك ما كتبه حضرة الاب ميخائيل الشبابي في القسم الثاني من المجلد الثاني من كتابه « الكنيسة الانطاكية » المطبوع في سنة ١٩٠٥ (صفحة ٤٢٣) . قال :

« ونرى ان القديس انسطاس البطريرك الانطاكي معاصر موريق أيضاً قد دافع عن المعتقد القويم وحفظت الايام الى هذا العهد رسالته في المشيئتين ردّاً على النساطرة واليعاقبة القائلين بمشيئة واحدة . وقد اتى فيها القديس بذكر ماورن الرهاوي النسطوري في موضعين مستشهداً كلامه فيما كتبه (مارون) ضد ساويرس وضد المجمع الخلقيدوني وضد الاعتقاد بالمشيئة ومناداته بالمشيئة الواحدة ما يبين لنا ان النسطوري مارون كان مشهوراً في ذلك العهد ومعروفاً كزعيم لهذه الارطقة ومعلماً لها . الامر الذي يرجح لنا انه البادئ في زرع هذا الفساد بين الموارنة ممتداً من الرهبان الى نواحي سورية من غير ان يتجاوزها الى لبنان . » انتهى قول الخوري ميخائيل الشبابي .

فلخّص اولاً الاب غبيرة الغزيري من مقالة القديس انسطاسيوس ان بدعة المشيئة الواحدة بثها مارون الرهاوي في بلده اورفا المشهورة ومنها امتدّت الى بين النهرين وتبعه فيها جماعة سموا موارنة واستمروا على تلك البدعة حتى القرن الثالث عشر مثبتاً ذلك بشهادة المرسل اللاتيني « ريكلد دي منكروا » الذي رأى عياناً في تلك الاصقاع طائفة مارونية لها اساقفة يعتقدون جميعهم بالمشيئة الواحدة وقال عنهم هذا المرسل اللاتيني انهم لا يختلفون عن الكاثليكيين الا بهذا المعتقد وبعد ان أتم الاب غبيرة ذلك قال اما موارنة جبل لبنان فلم يلتطخوا بهذه البدعة لأن آباهم كانوا القديسين مارون الناسك ويوحنا مارون وكلاهما ارثدكسيان ثبتا على الايمان الصحيح .

ثم زاد عليه حضرة الاب الشبابي بقوله ان بدعة المشيئة الواحدة دخلت أيضاً بلاد سورية لكنها وقفت عند حدود لبنان فلم تتجاوز اليه .

فهذه النتيجة وان لم تكن بالتمام مطابقة لواقعة الحال فهي اقرار جليل لم نعهده قبل الآن في علماء الموارنة وهو تسليمهم بانه وجدت طائفة مارونية متمسكة ببدعة المنوثليتية في بلاد بين النهرين وفي سورية أيضاً .

فلو صح القول بان البدعة المنوثلية كان زعيمها مارون الرهاوي الذي تبعه فيها اهل بين النهرين وفئة من سكان سورية لاصبحت رواية سعيد بن بطريق صريحة لاريب فيها ولا اشكال من جهة ظهور البدعة والقول فيها على عهد موريق الملك ومن راهب اسمه مارون . لأن مدينة الرها وان كان موقعها الجغرافي في بلاد بين النهرين فهي أيضاً قريبة الى العواصم ومنبج وحلب التي كان فيها كثير من رهبان مار مارون لا بل انها أقرب اليها من ماردين و بغداد والموصل . فاستقى الرهبان المذكورون مياه البدعة المنوثليتية من مارون الرهاوي وتمسكوا بها ونشروها في سورية ثم اتصلت منها الى لبنان .

بقي علينا ان نرى هل صدق سعيد بشهادته من جهة بناء الدير على اسم مارون مع ان هذا البناء كان قائماً منذ القرن الرابع.

فلنا حل هذا المشكل من المؤرخ المشهور ابن العميد (سترى شهادته برمتها في ملحق الكتاب) فانه قال : « ان هرقل الملك لما وصل الى حماة وطلع الى دير « مارون وصلى فيه أعطى رهبانه مالاً عظيما لأجل عمارة الدير وارتحل ».ومعلوم ان هذا القيصر كان من أشد المتمسكين بهرطقة المشيئة الوا حدة لا بل من أخص زعمائها فلما رأى رهبان دير مارن موافقين له في هذا المعتقد الذي تبعوا فيه قول مارون الرهاوي ومن حذا حذوه من البطارقة كمقاريوس وقوروش وسرجيوس حينئذ أنعم عليهم بمال وافر واقطع لهم القرى والضياع . فاصلحوا ديرهم ووسعوه وصار ديرًا كبيرًا زادت

شهرته وهو الذي وصفه المسعودي كما سترى في شهادة هذا المؤرخ. وبقي رهبان ذلك الدير متمسكين ببدعة المشيئة الواحدة التي وطدهم فيها هرقل قيصر الروم وانتمى اليهم قوم كثيرون من السريان و بعض الروم كما جاء في ابن بطريق اذ قال: فتبعهُ على مقالته جماعة من الروم.»

ونزيد على ذلك ان اصحاب بيت مارون او دير مار مارون كانوا يُعرفون في ذلك العصر كاصحاب شيعة او عقيدة مخالفة لاعتقاد الارثذكسيين لا كأمة او طائفة منفردة بنفسها. ولقد تمكنت بدعة المشيئة الواحدة في قلوب السوريين والكهنة والرهبان كما يستنتج من اعمال المجمع المسكوني السادس (الملتئم في القسطنطينية سنة ٦٨٠ ـ ٦٨١) في الجلسة السادسة عشرة عند ذكر قسطنطين الكاهن العابد (ΕΥΛΑΒΕΣΤΑΤΟΣ) فان الكاهن المذكور حين افتتح خطابه في ردهة المجمع عرَّف بنفسه فقال: «أنا كاهن من كنيسة اباميا المدينة المقدسة التي هي من اقليم سورية الثانية وقد سامني كاهناً السيد ابراهيم اسقف اريتوزه (١)». فلما طلب اليه أباء المجمع المترئسون في تلك الجلسة ان يتلو صورة ايمانه أجابهم انه يلتمس مهلة ستة أيام ليسطر معتقده باللغة السريانية. فابوا طلبه وألحوا عليه ليعلن ذلك في الحال باللغة اليونانية التي كان يتكلم بها. فاعترف حينئذ بكونه يعتقد بالمشيئة الواحدة وصرح بكل عزمه انه لا يقبل أصلاً ان يغير متعقده. فطرد حينئذ من المجمع وحرمت في تلك الجلسة مقالة المشيئة الواحدة كما حرمت أيضاً في جلسات غيرها.

ومن بعد المجمع السادس ما زالت تعرف هذه البدعة في الشرق بالمقالة المارونية كما بيَّن سعيد بن بطريق وكما أجمع عليه المؤرخون المعاصرون.

---

(١) كتاب المجامع لمنسي (Mansi) المجلد ١١ وجه ٦١٧ و٦١٨ واريتوزه هي الآن الرستن الواقعة بين حمص وحماة. وفيها كان دير مار مارون كما أشار الى ذلك السعيد الذكر البطريرك بولس مسعد الماروني في كتابه الدر المنظوم جه ٢٩٠.

الفصل الثاني

في ان قصة يوحنا مارون التي أظهرها الموارنة المتأخرون

حكاية لا أصل لها

انه يذكر كثيراً في كتب الموارنة اسم مارون البطريرك غير مارون الناسك المار ذكره وهاك هنا جميع ما أمكننا ان نجمعه من الكتب القديمة التي نجت من الدثار لهذه الملة من اسماء هذا الرجل والقابه وصفاته وأخباره .

قال صاحب كتاب الهدى الذي هو كتاب شرع الموارنة (في ورقة ٢٥ من المصحف الواتيكاني السرياني ١٣٣) « الطائفة المارونية هي المنسوبة الى مارون يوحنا بطريرك انطاكية العظمى » وقال مؤلف كتاب معتقد الموارنة (المصحف الواتيكاني السرياني ١٤٦) في ورقة ١ في السريانية وسيأتي ذكر هذه الشهادة في محل آخر:

« كراسة ايمان الكنيسة المقدسة التي صنفها في دير القديس (مار مارون ابونا القديس) المتوشح بالله مار مارون الطوباوي الذي يسمى يوحنا وكان بطريركا على مدينة الله انطاكية وعلى كل بلاد الشام وسورية » وقال المترجم العربي « اعتقاد البيعة الرسولية الذي كتبه القديس يوحنا بطريرك انطاكية في دير مارون على نهر العاصي (راجع هذه الشهادة في وجه ٦٣ من هذا الكتاب) . وفي ورقة ٣ من المصحف المشار اليه يوجد في السريانية .

« حينئذ شرع يوحنا نفسه المكني مارون الخ » وفي الترجمة العربية « جعل يوحنا مارون يوضح فيه ».

وورد في كتاب الهدى الذي هو كتاب شرع الموارنة في المصحف الواتيكاني بين السريانيات عدد ١٣٣ ورقة ٤) ذكر اسم رجل يسمى « الاب القديس »

ينسب اليه ذلك الكتاب الذي كان أصله في السريانية . فلعل المراد بهذا الاب القديس يوحنا مارون بطريركهم .

هذا ما أمكننا ان نقف عليه من كتب الموارنة القديمة في شأن مارون البطريرك ومن ذلك كله نستنتج (١) ان هذا البطريرك كان اسمه يوحنا ثم لُقب بمارون على اسم دير مار مارون . (٢) انه كان بطريركا على الموارنة باسم انطاكي وكان سلطانه ممتداً الى كل موارنة بلاد الشام وسورية . فترى انه لا يتبين من هذه الآثار القديمة في أي زمان عاش هذا البطريرك وهل هو أول بطريرك لهذه الملة كما يزعم أهلها وغير ذلك مما يحكونه عن هذا الرجل . وأما المتأخرون من علماء هذه الطائفة من ابن القلاعي فصاعداً فيحكون عن هذا يوحنا مارون عجائب وغرائب . وأول من أورد قصته مفصلة هو جبرائيل بن القلاعي كتبها سنة ١٤٩٥ وبنى على هذه القصة اسطفانس الاهدني في القرن السابع عشر وزاد عليها أشياء كثيرة وهاك ملخص ما حكاه ابن القلاعي في قصته (*) :

كان اسم ابي يوحنا مارون اغاثون . ومنذ صبائه تكمل في الدرس والعلم . ثم انطلق الى قسطنطينية وتعلم هناك اللغة اليونانية ثم رجع الى انطاكية وهناك طغاه تبّاع مقاريوس بطريرك انطاكية المنوثليتي وأفسدوه بهرطقتهم وصار يوحنا اسقفاً

(*) قال اسطفانس الاهدني البطريرك في ورقة ٣٧ من كتاب الاحتجاج عد ٣٩٥ من المصاحف الواتيكانية السريانية : في سنة ١٤٩٥ مذكور انه صارت مباحثة عن أصل الموارنة بين ابن القلاعي وبين (ابن عمه) القس جرجس بن شبباط الذي في الاصل كان مارونياً ثم استمال الى اليعقوبية وكان القس جرجس يفحص باجتهاد عن خبر مارون وعن سيرته وتعليمه فابن القلاعي حرر له كتاباً جميلا يناقض فيه قواعد اليعقوبية وفي الفصل العاشر يشرح عن الموارنة قائلا هكذا : مارون كان أصله من معاملة انطاكية الخ. انظر الى أي سند مستندة قصة يوحنا مارون في أصلها .

على انطاكية بعكاز بلا رعية لان البابا اونوريوس حرم كرسي مقاريوس وبقي يوحنا في هرطقة المنوثليتيين زمانًا ولكن بعد ذلك حسّ على ضلالته فذهب الى مدينة طرابلس الشام . ووجد حينئذ في تلك المدينة سفير اونوريوس البابا فاستدعاه هذا السفير وفحصه فوجده ارثذكسياً . فاخذه معه الى رومية وهناك عقد مجمع في تحقيق ايمان يوحنا فوجد ايمانه مستقيماً . فنصبه البابا بطريركا على انطاكية . ووضع تاجاً على رأسه وعكازًا في يده وخاتمًا في أصبعه . فرجع الى انطاكية وازال هرطقة مقاريوس وتتلمذ له كثير من اليعاقبة فامنوا بالطبيعتين والمشيئتين وصار الرأي منذ ذلك الحين أن يسمى تباعه موارنة . ثم انتقل من انطاكية الى جبل لبنان وركز هناك صليباً بسلطان البابا . وهناك فصل الموارنة عن اليعاقبة وعن الروم ورسم لهم مطارين وأساقفة وامتدت شهرته الى البلاد البعيدة حتى ان ملك الروم طلب منه ثلاثة أشخاص يهدونه هو وقومه الى الايمان المستقيم . وغير ذلك مما يعترينا الخجل بنقله .

وأما الاهدني فقال فيقصته ان يوحنا مارون كانيقال لهالسرومي نسبة الىقرية سروم التي بقرب انطاكية . وانه درس في دير مار مارون وصار هناك راهباً وكان غيورًا على الايمان المستقيم وانه جذب كثيرين الى الحق حتى ان اوجين البرنس وسائر الفرنج الذين كانوا في انطاكية حملوه الى الكردنيال سفير الكرسي الروماني وجعلوه اسقفاً على البترون وكان ذلك سنة ٦٨٦ . وانه بعد ذلك انتقل الى بلاد فونيقي واسترد كثيرين الى طاعة الكنيسة الرومانية فصار تلاميذه قطيعاً عظيما امتد الى القدس والى بلاد الارمن ولشدة بأسهم القوا الرعبة على الفرس وعلى العرب . وانه لما توفي تاوفان بطريرك انطاكية اجتمع الرؤساء واختاروا يوحنا مارون بطريركا . ثم انطلق الى رومية . الخ

والباقي كما في حكاية ابن القلاعي حتى قال انه مات في دير مار مارون في ٩ شباط . ثم أخذ يعد مصنفاته على قوله (١) .

قد اختلف علماء الموارنة في الزمن الذي فيه عاش يوحنا مارون . اما ابن القلاعي فلم يذكر في حكايته في أي زمان اشتهر . ومع انه ذكر اسم هنوريوس البابا كأنه في زمانه اشتهر يوحنا مارون لم يقل اي هنوريوس كان هذا . واما ابراهيم الحاقلاني في كتاب الاحتجاج عن سعيد (بن بطريق) وجه ١٧٠ جعل يوحنا مارون في أواخر القرن السادس ومبادي القرن السابع. وكذلك نيرون الباني في كتاب السلاح جعله في القرن السادس . وبنى على مارواه سعيد بن بطريق عن مارون ليبين انه اتصل الى مبادئ القرن السابع . واما اسطفانس الاهدني فجعل اسقفية يوحنا في سنة ٦٨٦ وبطريركيته في سنة ٦٨٨ وكذلك في قصة يوحنا مارون الموجودة في سنكسارهم

---

(١) لما كان اسطفانس الاهدني في رومية قد استند على كتاب معتقد اليعاقبة الذي صنف في القرن الخامس عشر (وسيأتي الكلام عنه في الفصل الثامن والعشرين من الباب الرابع) فهاك نبذة مما في هذا الكتاب عن مارون : كان كرسي بطركم (يا موارنة) لانطاكية السريان الا لما جادت الملوك الذي للروم على السريان وقتلوهم . قام مارون وافق ملك الافرنج الذي في انطاكية وكان اسمه اوجين البرنس . فقال يا ملك الزمان نحن خائفين على جبل لبنان لئلا يديروه طائفة الملكية الى أمانتهم . لان يسطيفيانوس (الاول) قيصر يبغض السريان التابعين ايعقوب (البرادعي) وأمانته . فقوم الى الكردينال الذي عندك ألزمه ان يكرسني مطران . فكرسوه مطران على البترون . . وكان هذا الامر في زمان مار سويرس البطريرك » أي في القرن الخامس . أي خبير ولو قليلا بالتواريخ يقرأ هذه النبذة ولا تشمأز نفسه من هذه الشقشقات التي هي أشبه شيء بالهذيان . ومع هذا كله لا يستنكف بعض الموارنة من ان يستشهدوا بهذا الكتاب لبيان عتائق ملة أجدادهم .

في تاسع يوم من شباط جعل مارون هذا في زمان سرجيوس البابا أي في القرن السابع وذلك تبعاً للاهدني . واما السمعاني فخالف جميع الذين سبقوه اذ جعل يوحنا مارون في مبادئ القرن الثامن (وجه ٤٩٦ من المجلد الاول من المكتبة الشرقية) . واما المجمع اللبناني في جه ٢٦٥ من طبعة ١٨٢٠ فجعل بطريركيته في سنة ٦٨٥ وكان هذا هو المعول عليه عند الموارنة المتأخرين .

ان نفراً من العلماء اذ تأملوا في أحوال هذه الحكايات التي رواها الموارنة المتأخرون عن يوحنا مارون ومن جملتهم رنودوت أنكروا وجود هذا الرجل وارتاوا ان كل هذه الروايات فضلاً عن انها لا تثبت عند التحيق وتخالف جميع أصول مباني العلم التاريخي فهي من اختراع الموارنة الجدد الذين رجعوا عن الهرطقة والشقاق بعد عهد اينوكنتيوس الثالث . ولا غرو فان البراهين التي يوردونها دحضاً لقول سعيد ابن بطريق الاسكندري في ما رواه عن مارون الراهب الهرطوقي تصح بعينها في هذا يوحنا مارون . فانهم يردون على سعيد بقولهم : لو كان في زمان موريق الملك قد ظهر هرطوقي اسمه مارون لوجد ذكره في التواريخ . فيقال لهم كذلك : لو كان قد وجد في احد الازمان التي يعينها الموارنة بطريرك انطاكي اسمه مارون قاوم الهراطقة وكسر شوكتهم لوجد له أثر في التواريخ . ولكان الكاثليك يذكرونه لمديحه كما ذكروا جميع الابطال الذين دافعوا عن الدين والايمان . والهراطقة كانوا يذكرونه أيضاً لتسفيهه وتفنيده .

وكيف يمكن ان تواريخ الشرق كلها مع كثرة الطوائف التي كانت فيها في القرن السادس الى الثامن سكتت عن هذا الرجل الذي كما يدعي الموارنة كان هكذا عظيما سامياً واشتهر بفضائل ومناقب قل من ساواه في مثلها قبله أو بعده . مع ان التواريخ ما اهملت ذكر احد من ظهر في العالم في تلك الازمان وكان له ادنى علاقة في أمور الدين . حتى ان تواريخ الموارنة القديمة واثارها الأولية نفسها لم تذكر عنه شيئاً البتة

سوى انه كان بطريركاً انطاكياً على الشام وانه سمي مارون على اسم دير مار مارون .

وليقل لنا الموارنة بخصوص المسألة المنوثليتية التي اشتهر مارونهم في دحضها كما يزعمون لماذا وصل الينا من التواريخ ذكر يوحنا الرحوم وصفرنيوس وارقادنوس القبرصي ومكسيموس المعترف وغيرهم الذين قاوموا كثيراً او قليلاً تلك البدعة ولم يرد شيء عن هذا مارون الذي اذا صح زعمهم يكون قد فاق جميع هؤلاء في كسر شوكة هذه البدعة .

فهذه البراهين وغيرها ترجح رأى من يزعم انه لم يقم في القرن السادس الى الثامن بطريرك اسمه يوحنا مارون اشتهر بامر البدعة المنوثليتية . أما نحن فاننا ولو كنا لاننكر على الاطلاق وجود يوحنا مارون الا اننا نرتأى ان قصته الموجودة عند الموارنة حكاية اخترعوها في الازمان المتأخرة من دون استناد الى آثار قديمة فلا أصل لها . وهاك البراهين الراهنة عن ذلك .

١ ــ ان قصة يوحنا مارون ظهرت اول مرة في أواخر القرن الخامس عشر أي بعد الزمان الذي فيه يقال ان يوحنا عاش فيه باكثر من ثمانمائة سنة فيحق لنا اذاً ان نرفضها رفضاً قاطعاً . ونعدها ملفقة بعيدة عن الحقيقة . وذلك انه من المعلوم ان اسم مارون كان في القرون الخالية كناية عن موارنة كما هو الآن في بعض مواضع من سورية وكما ان اسم نسطور في بلادنا هو كناية عن نساطرة . فلما اراد أحد جهال القرن الخامس عشر ان ينشيء قصة طائفة الموارنة صورها باسم مارون الذي كان لها وحكى عنها ما حكى مما ينطبق على طائفة الموارنة باسرها حيث كانت اولاً ضالة بالمنوثليتية ثم ارعوت على يد الكردنال والبرنس الافرنجيين وارسلت بطريركها ارميا الى رومية ليفحصه البابا والباقي .

٢ — لو كانت هذه القصة مبنية على آثار قديمة لوجد في تلك الآثار ذكر الزمان الذي فيه عاش يوحنا مارون او اشارة اليه . والحال ان الموارنة لا يتفقون في تعيين هذا الزمان كما رأيت .

٣ — لو كانت هذه القصة صحيحة لما وجد اختلاف ومناقضة بين رواتها في أهم ما ينسبون الى هذا الرجل . فان الواحد جعله هرطوقياً في حداثته . والآخر برأه من ذلك . والواحد حكى ان البابا نصبه بطريركاً انطاكياً في رومية . والآخر ان الرؤساء الذين كانوا من حزبه اختاروه ورسموه . وكلا الامرين مردودان . لأن الاحبار الرومانيين لم ينصبوا ابداً بطريركاً ولا أسقفاً على ابرشية شرقية بل كانوا يوجبون دائماً والى الآن يوجبون ان ينتخب البطريرك في مجمع مطارينه كلهم . ولا يصح ان يقال ان يوحنا مارون انتخب انتخاباً شرعياً في انطاكية . فانه لم ينتخبه اساقفة تلك البطريركية كما هو بين وكما افاد السمعاني نفسه في وجه ٥٠٣ من المجلد المذكور . ولا عدَّ في سلسلة البطاركة الانطاكيين عند أحد من المؤرخين او الآباء . بل جميعهم عدّوا جرجيوس البطريرك وخلفاءه بعد تاوفان الذي يزعم الموارنة انه جلس بعد يوحنا مارون (١) وغير ذلك .

٤ — ان الخرافات المخجلة الموجودة في قصة يوحنا مارون التي وضعها ابن القلاعي بينة جلية حتى ان السمعاني نفسه في المجلد الثاني من تواريخ ايطاليا وجه ٩٣

(١) لا يخفى المطالع انه قد وقع خلاف في اسم البطريرك الانطاكي الذي جلس بعد تاوفان . فذهب أشهر المحققين منهم لكويان والبانديون وأصحاب صناعة تحقيق الايام الى انه جلس بعد تاوفان اسقف آخر قبل جيورجيوس اسمه الكسندر اوتوما الا ان السمعاني أثبت في مكتبة الشرع انه لم يمكن ان يجلس أحد بين تاوفان وجيورجيوس .

وما بعده قد أقرّ ان مؤلف هذه القصة قد خلط زمان ارميا العمشيتي البطريرك الماروني الذي في عهده تصالحت تلك الطائفة مع الكنيسة الرومانية مع زمان يوحنا . ونسب الى يوحنا مارون أمورًا حدثت في زمان ذلك البطريرك من هرطقته في شبوبيته الى البرنس أوجين والافرنج الذين في انطاكية وانطلاقه الى مدينة رومية وعقد مجمع هناك من سببه والباسه التاج والخاتم وغير ذلك . ولا غرو فان كلمة البرنس لفظة فرنساوية لم تعرف في بلاد الشرق الا بعد مجيء الصليبيين وعلى كل حال فان اللغة الفرنساوية لم تكن موجودة في القرن السابع . ولم يوجد افرنج في بلاد سورية البتة في القرن السابع . والحبر الروماني لم يكن معتادًا ان يكون له سفير في انطاكية في تلك القرون . ولم يمكن ان يوجد كردنال في القرن السابع في انطاكية لان الكردينالات في القرن السابع كانوا سبعة فقط وكانوا يخدمون كنائس رومية العظمى لا يبارحونها ابدًا والبرنس أوجان المذكور في القصة هو أحد أمراء الصلبيين الذين في القرن الثاني عشر استولوا على سورية وما يجاورها ويسمى أوجون او أوغون (Ugone).واستعمال الاساقفة التاج لم يكن موجودًا في الكنيسة اللاتينية نفسها قبل القرن التاسع (طالع كتاب ونقتيتوس دادينو الذي عنوانه جامع الفوائد لابن الاقليرس المطبوع في تورين سنة ١٨٦٥) وقد افاد السمعاني ان اساقفة الموارنة لم تستعمل التاج والخاتم الا بعد صلحهم مع الكنيسة الرومانية حيث أنعم عليهم بذلك البابا انوكنتيوس الثالث . وأي عقل سليم يقبل ان رجلاً عظيما جليلاً مثل يوحنا مارون كما يدّعي الموارنة انطلق من بلاد الشرق الى رومية وعقد من سببه مجمع وأرسل باكرام وهدايا الى انطاكية من دون ان يوجد أثر شيء من ذلك ولو زهيدًا في تواريخ تلك الكنيسة الشريفة وغير ذلك . فهذا كله يبين جليًا ان هذه القصة كلها اختلاق ولا أصل لها البتة .

٩ — لو كانت هذه القصة صحيحة لما وجد فيها أشياء تخالف حقيقة التواريخ

كذكر أوغريوس البابا مع انه لم يوجد قط بابا بهذا الاسم . وجعل هنوريوس البابا في زمان مقاريوس البطريرك الانطاكي مع انه كان قبله بنحو خمسين سنة وغير ذلك مما يعترينا الخجل من اطالة الكلام فيه . فمن هذا البحث كله نستنتج بكل سهولة وكل حق انه لا يوجد شيء مؤكد في قصة يوحنا مارون سوى انه كان بطريركا على الموارنة على اسم انطاكية . وأما في أي زمان عاش وباي شيء اشتهر ان كان قد اشتهر بشيء وغير ذلك فهو ضائع في ظلمة دامسة أبدية (١) .

---

(١) ان لبعض الموارنة المتأخرين فضلا غير قليل في انهم في رواياتهم عن يوحنا مارون وعن أجدادهم الاولين غالبوا مصنفي الحكايات الاختراعية المعروفة عند الافرنج بالرومانات . ومن جملة ذلك الفصل الاول من القسم الثاني من كتاب أخبار الاعيان في جبل لبنان تأليف الشيخ طنوس الشدياق المطبوع في بيروت . الا ان بين تصنيفات أرباب الرومانات وحكايات الموارنة فرقاً عظيما . فان الاولين من مثل الكسندر دوماس وغيره اذا توخوا في حكاياتهم للازمان التاريخية لا يعبثون بها ولا يفسدون حالها كما فعل الشيخ طنوس المذكور وهاك نبذة مما رواه هذا : « قيل انه في سنة ٦٠٠ قدم أحد أعيان ملك فرنسا الى سورية الثانية وتملكها فسمي كرلومانيا . فاقام في مدينة انطاكية ابن اخته اليديبوس المسمى عند العرب عبدون . فولد عبدون ولداً سماه اغاثون . وولد لاغاثون ولداً وهو في قرية سروم من اعمال السويدية فسماه يوحنا ترهب في دير مار مارون عند العاصي . ثم انتخبه جمهور الافرنج الذين في انطاكية مطراناً على البترون ... ثم أقامه البابا سرجيوس بطريركا علي جبل لبنان الخ » .

انه مما لا تحتمله الطبيعة البتة ان يسخر مؤلف كتاب الجهل بالذين يقرأون لقبه بهذه الصورة التي اختارها هذا صاحب اخبار الاعيان . ألا يا أيها الشيخ الفاضل ان كرلومانيا أو شرلمانيا ملك على الفرنكيين سنة ٧٦٨ فكيف أمكنك ان تعيشه في سنة ٦٠٠ والفرنكيون في القرن السابع لم يكونوا بعد يملكون بلاد فرنسا كلها فكيف

الفصل الثالث

في ان يوحنا مارون لم يذكره أحد من المؤرخين ولا من المؤلفين لا غرباً ولا شرقاً سوى انه كان رأس شيعة الموارنة

لما رأى الموارنة ان عامة الناس لاتقبل ان رجلاً عظيما مثل يوحناهم اشتهر هكذا كما هم يدعون من غير ان يكون له ذكر في التواريخ والآثار القديمة بذلوا كل جهدهم من غير ان يألوا تعباً ونصباً في نبش آثار الاولين شرقاً وغرباً لعلهم يظفرون بذكر يوحنا مارون بطريركهم الاول . وعلى ظنهم لم يخيبوا بل وجدوا له ذكراً كثيراً في مواضع شتى . ونحن نقول ان يوحنا مارون لا ذكر له عند أحد المؤرخين والمؤلفين القدماء السابقين لعهد مصالحتهم مع الكنيسة الرومانية ولا الاتين بعده الى جبرائيل القلاعي.فبلم نفحص حجج الموارنة لنرى هل تثبت عند التحقيق.

كان الموارنة في الاول كلما وجدوا في الصحف القديمة اسم يوحنا استبشروا به واهتشوا له عسى ان يكون هو يوحنّاهم . وعلى ذلك فكانوا قد ابصروا يوحنا مارون في شخص يوحنا السرومي الذي صار بطريركا على القسطنطينية سنة ٥٦٥ وفي شخص يوحنا المنسوب الى مارون اليعقوبي الذي ذكره ابن العبري في كتاب كنز

جعلتهم يملكون بلاد سورية وكل أحد يعلم ان بلاد سورية كانت بيد ملوك قسطنطينية الرومانيين في مباديء القرن السابع ثم صارت بيد العرب الاسلام قبيل أواسط ذلك القرن . وان انطاكية على الخصوص وقعت بيد العرب سنة ٦٣٤ والافرنج لم يوجدوا في سورية قبل القرن الحادي عشر فكيف جعلت انطاكية بيد الافرنج في القرن السابع . يا للشناعة ؟

الاسرار (١) وفي شخص يوحنا برفنكايا النسطوري الذي عد مؤلفاته عبد يشوع

(١) ومما يوجب غاية التعجب هو ان اسطفانوس عواد السمعاني في وجه٤٠٨ من المجلد الثاني من كتاب اخبار الشهداء زعم ان ܝܘܚܢܢ ܕܡܪܘܢ (يوحنا الذي من مارون) الذي ذكره ابن العبري في كتاب كنز الاسرار هو يوحنا مارون بطريرك الموارنة مع انه أولا كان قد قرأ في وجه ٢٨٣ من المجلد الثالث من المكتبة الشرقية ما أورده السمعاني من تواريخ ابن العبري السريانية لبيان ان هذا يوحنا الذي من مارون هو أحد علماء اليعاقبة عاش واشتهر في أديرة اليعاقبة في مبادىء القرن العاشر. وثانياً انه لو كان يوحنا مارون قد الف كتباً في شرح الكتاب المقدس لكان الموارنة أولى بمعرفتها من اليعاقبة وثالثاً ان يوحنا الذي ذكره ابن العبري مضاف الى مارون بحرف (ܕ) الدالث وأما يوحنا بطريرك الموارنة فلم يرد اسمه مضافاً الى مارون لا بالسريانية ولا بالعربية بل يقال (ܡܪܘܢ) من باب البدل أو عطف البيان. اما يوحنا المضاف الى مارون لدى ابن العبري فلم يكن اسقف مروان او مروكما قررت في كتابي اللاتيني بل كان راهباً ورئيس دير كما يتضح من تواريخ ابن العبري. واما نسبته الى مارون فاذ لم يمكن السمعاني نفسه ان يطلع على سببها فقد اقر بصعوبة تحقيقها: وقد يحتمل ان يوحنا كان في الاصل مارونياً ثم انحاز الى مذهب اليعاقبة فابقوا عليه النسبة الى مارون الذي هو كناية عن الموارنة ويحتمل ايضاً انه كان رئيس دير لليعاقبة فسمي على اسم مارون فانه في جبل طور عبدين كان دير على اسم مارون في عين دوره وله ذكر عند اليعاقبة في ٢٠ حزيران وكيف كان الامر فانه في هذا الاسم يرى امر غريب نادر وهو اضافة اسم شخص الى اسم شخص آخر صار كناية عن اسم دير وهذا غير معهود في اللغة السريانية. فانه في هذه اللغة يضاف اولا علم الشخص الى اسم مدينة او مكان للدلالة على اسقفيته على ذلك المكان نحو ܝܥܩܘܒ ܕܐܘܪܗܝ يعقوب اسقف الرها. او على رئاسته على ذلك الدير نحو ܝܘܚܢܢ ܕܥܢܐܠܡܣ يوحنا رئيس دير

الصوباوي وفي غيرهم . ولكن من السمعاني فصاعداً قد سلم الموارنة ان كل هؤلاء هم غير يوحنا مارونهم . (طالع كتاب الدر المنظوم وجه ١٤٤) .

بقي لنا ان نرى هل في غير هذه الاسماء اثر ليوحنا مارون . قال اسطفانس الاهدني ان يوحنا سمي ايضاً السرومي نسبة الى قرية اسمها سروم موقعها في جبل السويدية بقرب مدينة انطاكية . وتأييداً لذلك أورد شهادة من كتاب سماه قصة يعقوب البرادعي زعيم اليعاقبة وهي هذه :

ܐܪܬܕܘܟܣܘ ܕܝܢ ܡܦܢܝܢ ܗܘܘ ܕܚܢܢ ܒܗܝܡܢܘܬܐ ܕܝܥܩܘܒ ܚܢܢ ..

ܘܗܢܘܢ ܕܝܢ ܕܠܩܘܒܠܐ ܕܐܦܪܝܡ ܐܡܕܝܐ ܐܘ ܕܝܘܚܢܢ ܣܪܘܡܝܐ ܦܛܪܝܪܟܐ

ܕܠܩܘܒܠܗ ܕܐܠܗܐ « ان الارثدكسيين (أي اليعاقبة) كانوا يجيبون « قائلين : نحن على ايمان يعقوب وأما الاخصام (أي الكاثليك) فكانوا يقولون نحن « على ايمان افرام الامديّ اويوحنا السرومي البطريرك المضاد لله » .

فاقول في ذلك (١) انه لا يوجد في هذه الشهادة حرف يستدل منه أدنى استدلال على ان يوحنا هذا السرومي هو يوحنا مارون ولست أدري لماذا هذا الكاتب اليعقوبي ترك لقب مارون الذي على قول الموارنة اشتهر به يوحنا واتخذ لقب السرومي الذي لم يلقبه به أحد . (٢) كيفما كان الامر لا يمكن ان يكون يوحنا المذكور في تلك الشهادة هو يوحنا مارون لان الكلام في تلك الشهادة هو عن مخاصمة الكاثليك لليعاقبة في زمان يعقوب البرادعي زعيمهم نفسه فانه يقال ثم ما ترجمته:

«هذا الايمان الذي ينذرنا به هذا يعقوب الالهي»

فالكلام اذاً هو عن رجل حيّ يشار اليه وينذر في الحاضر . والحال ان يعقوب

قرنين . او على انتساب اخراليه نحو ܕܕܝܘܢܘܣܝܘܣ ܕܐܪܝܘܣ ܦܓܘܣ ديونيسيوس الذي من اريوس فاغوس .

البرادعي عاش قبل يوحنا مارون باكثر من مائة سنة على قول أصحابه. والحاصل ان الكلام هناك هو عن يوحنا السرومي بطريرك القسطنطينية الذي يعلم كل خبير كم ناضل اليعقوبية في زمان يعقوب البرادعي وافرام بطريرك انطاكية الكاثليكي. فيا للعجب كيف غاب ذلك عن اسطفانس الاهدني لا بل عن السمعاني نفسه.

قال الموارنة من السمعاني فصاعداً ان ليوحنا مارون اثراً في التواريخ في قصة يوحنا اسقف فيلادلفيا نائب البابا اذ انه هو الذي سام يوحنا مارون مطراناً على البترون. اجيب (١) قد حيرنا الموارنة في أمر يوحنا مارون. فان جبرائيل القلاعي زعم ان البابا هنوريوس نفسه سامه اسقفاً وزعم اسطفانس الاهدني ان جماعة الروساء سامته في جبل لبنان في زمان البابا يوحنا الخامس. وزعم السمعاني ان نائب البابا مرتينوس سامه في البترون. فاي واحد من هوءلاء هو المحق. ولأي منهم نصدّق. وهم كلهم بعيدون عن زمان يوحنا مارون باكثر من تسعمائة سنة. (٢) ان يوحنا الفيلادلفي انما اقامه البابا مرتينوس نائباً في سنة ٦٤٩ التي فيها عقد مجمعاً في دحض ضلال المنوثليتيين. فلا يمكن انه سام يوحنا مارون قبل المجمع السادس. لانه لو كان يوحنا مارون اسقفاً في زمان ذلك المجمع لحضره اولاشتهر فيه على قول الموارنة. ولا يمكن انه سامه بعد المجمع السادس كما يزعمون من الاهدني فصاعداً. لانه حينئذ كان بطريرك شرعي على كرسي انطاكية نُصب في المجمع نفسه. فكيف كان الفيلادلفي يتجاسر ان ينصب اسقفاً بدون رضى البطريرك الشرعي. ويرتكب هذا جريمة عظيمة لم يقع مثلها الى الآن قط. وهل يسمح مثلاً بطريرك الموارنة (الذي ليس له من الانطاكية الا اسم الشرف كما سنبين) لقاصد البابا في زماننا هذا ان ينصب اسقفاً لاحد كراسيه بلا علمه ولا رضاه. فان كان في هذا الزمان نفسه الذي فيه كثرت علاقات الكنائس الشرقية مع الكرسي الروماني وامتدت لا يمكن لقاصد البابا ان يسمي أسقفاً بدون رضى بطريركه واساقفته فكيف في القرن السابع.

ومن أعلم السيد يوسف الدبس ان يوحنا الفيلادلفي بقي حياً الى عصر المجمع السادس وبقي نائباً عن البابا بعد ما جلس على كرسي رومية ثمانية باباوات جدد. فان الاهدني جعل رسامة يوحنا مارون اسقفاً سنة ٦٨٦ في زمان البابا يوحنا الخامس وهو الثامن من خلفاء مرتينوس الذي أقام الفيلادلفي نائبه أي بعدما عقد المجمع السادس بست سنين وانكسرت شوكة المنوثليتية واستراحت الكنيسة من أذى هذه الهرطقة ولم تبقَ حاجة الى من ينوب عن البابا في انطاكية لان بطركها كان اذ ذاك ارثذكسياً وأي عاقل يصدق ان الفيلادلفي بقي حياً الى سنة ٦٨٦ وهو كان قد قُلد النيابة قبل سبع وثلاثين سنة. (٣) ان يوحنا الفيلادلفي قد قُلد سلطاناً ان يقيم أساقفة كاثليكيين لدفع ضلالة المنوثليتيين والحال ان يوحنا مارون كان منوثليتياً كما سنبين عن قريب. بل كان رأس شيعة الموارنة على قولهم. والشيعة المارونية كانت منوثليتية كما بيَّنا وسنبين. فاذاً لا يمكن البتة ان يوحنا الفيلادلفي سام يوحنا مارون اسقفاً.

فهذا آخر ما وصل اليه علماء الموارنة من المعرفة عن يوحنا مارون في تقصيهم الآثار القديمة مع ما بذلوه من الجهد والجد في التفتيش والتنقيب وقد رأينا ان ذلك كله لا يثبت عند التحقيق ولا أصل له فاذاً يحق لنا ان نقرر بكل امان ان يوحنا مارون لا يعلم عنه سوى شيء واحد وهو انه يسمى في آثار الموارنة القديمة بطريركا انطاكيًا على هذه الملة.

الفصل الرابع

في ان الكنيسة الرومانية لم تثبت قداسة

يوحنا مارون

زعم السيد بطرس بولس مسعد والسيد يوسف الدبس ان الكنيسة الرومانية قد أثبتت قداسة يوحنا مارون. ونحن ننكر ذلك بقولنا ان هذا البطريرك ليس هو محسوبا قديساً بين القديسين الذين اثبت الكرسي الرسولي قداستهم.

وهاك خلاصة البراهين على ذلك:

١ ــ ان السمعاني الشهير في كل ما كتبه عن يوحنا مارون في كتبه المختلفة لم يسمه قط قديساً مع انه لم يهمل تسمية سائر القديسين بهذه الصفة. فاذاً لم تكن قداسة يوحنا مارون مقبولة في رومية التي فيها نشر السمعاني كتبه بالطبع (١).

٢ ــ والمجمع اللبناني الشهير المعقود سنة ١٧٣٦ لم يصف قط يوحنا مارون بصفة

(١) قد عثرنا على موضع واحد فيه سمى السمعاني يوحنا مارون قديساً وهو في وجه ٢٢٣ من المجلد الاول من المكتبة الشرقية ونحن نحسب ان ذلك حدث سهواً من المؤلف أو من الطباعين. وأدلة ذلك واضحة. فان السمعاني لو كان يتخذ يوحنا مارون قديساً بالحقيقة لوصفه بهذه الصفة خصوصاً في عنوان الفصل الذي فيه لخص ترجمة سيرته وفي سياق الترجمة نفسها كما فعل مع سائر القديسين الذين كتب ترجمتهم كشمعون ابن بر صباعا وفيلبس ويعقوب النصيبيني وافرام والباقين. ويكفي ان تلاحظ فهرست المجلد الاول المذكور لتحقيق ذلك. وقد التزم السمعاني ان يصف بصفة قديس كل هؤلاء حتى في رؤوس كل صفحة من ترجماتهم. ولم يفعل ذلك في ترجمة يوحنا مارون.

قديس حيثما ذكره في وجه ٢١٨ من طبعة ١٨٢٠ مثلاً . لا بل ان هذا المجمع حيث عدّ في وجه ١٦ الايام المفروض فيها العيد على جماعة الموارنة ذكر في ٩ شباط عيد مار مارون الناسك ولم يذكر يوحنا مارون. ولا يخفى أحدا أنه لو كان هذا الرجل قديساً لوجب ان يذكر ويعيد له عيد قبل جميع القديسين لانه على قولهم هو أول بطاركتهم وله الفضل السابغ على ملتهم وقد سميت على اسمه .

٣ — ان الموارنة لم يؤذن لهم ان يذكروا في القداس الا اسم « الانبا مارون الذي قبلته بيعة رومية » كذا في كتاب قداسهم المطبوع في رومية سنة ١٥٩٤ في وجه ٢٩ و ٢٢٤ . فينتج من ذلك ان الآخر لم تقبله بيعة رومية . ولو كان يوحنا مارون قديساً لكان احق ان يذكر كما قلنا آنفاً .

٤ — ان الموارنة لم يكونوا يعيدون قبلاً الا لمارون واحد وذلك في ٩ شباط وهذا مارون الواحد لا بد من انه كان الناسك . فان اليونان أيضاً يعيدون له في شهر شباط ومن ذلك نستدل على ان الموارنة في الاصل كانوا يعيدون لمارون الناسك في ذلك الشهر (١) . فاذاً لم يكن عندهم في الاول الا عيد مارون واحد . وناهيك ان كلندارهم المطبوع سنة ١٦٣٢ لا يوجد فيه الا ذكر مارون واحد في ٩ شباط حيث يقال « لمار مارون البطريرك » . وكذلك كلنداراتهم المخطوطة باليد الموجودة في المكتبة الواتيكانية لا يذكر فيها الا « مار مارون » في ٩ شباط . فلو كان

(١) وأما اختلاف الايام فلا يعتبر . لان ذلك جار في أعياد اخرى ايضاً ومن أمثال ذلك عيد الاربعين شهيداً الذي هو في اذار . فانه عند اللاتين في ١٠ منه وعند باقي الكنائس في ٩ منه . وعيد الحبل بسيدتنا هو في ٨ من كانون الاول عند اللاتين وفي ٩ منه عند الشرقيين . وعيد سمعان العمودي عند اليونان والسريان في ١ من ايلول وعند الموارنة في ٥ منه وعيد القديس جرجس الشهيد في نيسان ولكن عند العامة في ٢٣ منه وفي اثور عند السريان والكلدان في ٢٤ منه وغير ذلك .

كلاهما محسوبين عندهم قديسين من الاول لما أمسكوا الواحد وتركوا الآخر. أليس ذلك دليلاً على ان أحدهم لم يكن محسوباً قديساً في أول أمرهم. ولا يصدق ان المارونين توفيا في يوم واحد من الشهر حتى اقتضى ان يعيد لهما في يوم واحد كما فعل الموارنة في كلندارهم سنة ١٧١٧. لانه من المعلوم ان الكنيسة معتادة ان تعيد للقديسين يوم وفاتهم. ثم ان مارون المذكور في كلندار سنة ١٦٢٢ لا بد ان يكون هو الناسك لان إسم الآخر هو يوحنا وانما لقبه مارون. فلو كان مرادهم اياه لما تركوا اسمه وأمسكوا لقبه خلافاً لعادة الكنيسة كلها شرقاً وغرباً. وأما تسميته بطريركا في ذلك الكلندار فهي بمعنى رئاسته على الرهبان كما يقال مثلاً مار يوسف البطريرك (خطيب العذراء) أي أبو الاباء ومار بندكتس بطريرك رهبانه أي أبو أبائهم وناهيك ان الموارنة القدماء لم يضعوا اسم يوحنا في الكلندار ولا كانوا يعيدون له حتى انهم لم يكونوا يذكرونه في القداس ولا كان له طقس صلوة لديهم. والذي له الآن هو تأليف البطريرك اسطفانس الاهدني. فالموارنة القدماء بنفسهم لم يكونوا يتخذون يوحنا مارون قديساً.

٥ — يتأكد ذلك من معاملة الكرسي الرسولي مع الذين انكروا قداسة يوحنا مارون فاننا نعلم انه في عهد بندكتس الرابع عشر الحبر الاعظم أول ما بلغ هذا الحبر ان قداسة مارون الانبا قد انكرها البعض (مع ان ذلك الخبر لم يكن صحيحاً كما سنرى) تحركت قداسة البابا وانفذت الرسالة الشهيرة الى تقولا لركري فيها أسهب الحبر الاعظم في بيان قداسة مارون المذكور وتخجيل من ينكرها. والحال ان الكرسي الرسولي قد بلغه مرات كثيرة ان قداسة يوحنا مارون انكرت فان البابا كان يعلم ان سعيد ابن بطريق وغليلم الصوري جعلا يوحنا مارون رأس شيعة المنوثليتيين وأثبتنا ذلك بين العامة حتى اقتضى ان يدفع سهامها نيرون والاهدني كما شهد السمعاني في وجه ٥٠٦ من المجلد الاول من المكتبة الشرقية. فلو كان الحبر الاعظم يتخذ يوحنا

مارون قديساً لكذب ذينك المؤرخين لسبب ما كتباه عنه . ولكن الحبر الاعظم لم يكذبهما بل اكتفى بتفنيد زعمهما نظرًا الى مارون الانبا . وزاد على ذلك ايضاً قائلاً انه ان كان قد وجد مارونان فالثاني يحتمل ان يكون هرطوقياً . ثم ان قداسة يوحنا مارون قد انكرت جهرًا وعلناً بمحاورات ومجادلات شائعة جرت في مدينة حلب في حدود سنة ١٧٧٠ . وانكرها السيد مكسيموس مظلوم . وانكرتها أنا في كتابي اللاتيني المار ذكره الذي طبع في رومية في مدرسة برو بغندا التي هي آلة الكرسي الرسولي موسوماً بشهادة التصحيح الشرعي . ومع هذا كله فالكرسي الرسولي لم يتحرك حتى الآن الى تسكيت اعداء قداسة يوحنا مارون كما فعل مع منكري قداسة مارون الانبا بل ترك لكل واحد ان يقول فيه ما بدا له مما لا يخالف الايمان .

٦ ــ ونعلم أيضاً انه في سنة ١٧٥٣ اذ كان البطريرك الانطاكي الملكي قورلس تاناس قد مزق صورة يوحنا مارون مدعياً انه ليس هو قديساً اغتاظ الموارنة وشكوه الى البابا على يد قاصده مدعين عليه انه قد مزق صورة مارون الناسك . وقد افتروا عليه على ما يبان لان البطريرك لا يمكن ان يكون قد جهل ان مارون الناسك هو قديس اذ له عيد في طقس الملكيين كل سنة في ١٤ شباط . ويذكر في السنكسار وفي الميناون وهو الفنقيث الشهري عند اليونان . فلما كان الموارنة غير قادرين على تخطئة البطريرك أمام الكرسي الرسولي في تمزيقه صورة يوحنا مارون أتهموه بانهانكر قداسة مارون الناسك . ثم لما بلغت رسالة الحبر الاعظم الى البطريرك فلا بد من انه جاوب عليها بانه لم يقصد ان يمزق صورة الناسك بل صورة يوحنا . فالكرسي الرسولي لم يثنن عليه ولم يؤنبه في شأن يوحنا مارون كما فعل في شأن مارون الناسك . لا بل ان صاحب كتاب بيان قداسة يوحنا مارون المطبوع في رومية بالايطاليانية حكى (وجه ٥ وما بعده) انه بعد وصول رسالة البابا بندكتس الرابع عشر الى بلاد الشرق أخذ الملكيون يطعنون في يوحنا مارون ويدعون انه كان هرطوقياً واجتمعوا في مدينة

حلب مع باقي الطوائف الكاثليكية ومع المرسلين وحذروا مطران الموارنة ان يكرز في بيعته عن عيد يوحنا مارون . ومع هذا كله لم يتحرك الكرسي الرسولي للمحاماة عن قداسة يوحنا مارون كما حامى عن قداسة مارون الناسك .

٧ـ وان لنا في رسالة بندكتس الرابع‌عشر المشار اليه برهانًا قويًا على ما ندعي به . وذلك ان الحبر الاعظم في رده على من جعل مارون هرطوقيًا « قال انه يمكن انه وجد مارونان فيكون والحالة‌هذه احدهما قديسًا والاخر هرطوقيًا » افلعل الموارنة يقدرون ان يعترضوا على الحبر الاعظم في رده قائلين‌بان مارون‌الثاني ايضًا هو قديس أو بانه وجد ثلاثة مارونيين اثنان منهم قديسان والاخر هرطوقي . ولكن كلام الحبر الاعظم ينفي هذا الرد فانه قال :

« Quamobrem manifeste apparent irreligiosi conatus ven. fr. nostri patriarchae Cyrilli, qui sub specie interdicendi cultum Maroni haeretico, quem nominat Eutychius, revera ademit Maroni Catholico, de quo mentionem facit Theodoretus; quando quidem sancta sedes in suis confessionibus enixe semper intellexit colere beatum illum abbatem Maronem de quo scribit Theodoretus, idemque ut ab aliis coleretur praescripsit. »

« قد اتضحت ايضاحًا جليًا مساعي اخينا المحترم قورللوس البطريرك العديمة « الديانة اذ انه بحجة ان يمنع العبادة لمارون الهرطوقي الذي ذكره سعيد (بن « بطريق) قد نزع بالحقيقة العبادة الواجبة لماورن الكاثليكي الذي ذكره ثيودريطس « فان الكرسي الرسولي في اعترافاته قصد دائمًا ان يعد ذلك الانبا مارون المغبوط « وحده . الذي كتب‌عنه ثئودريطس وامر الناس‌ان يكرموه هو » . فهذه الكلمات لا تحتاج الى شرح ليتبين منها ان الكرسي الرسولي لم يعترف أبدًا الاّ بقداسة مارون واحد وهو الناسك .

٨ـ وكيف يمكن ان الكرسي الرسولي يحكم بقداسة رجل مجهول الاصل والزمان قد اختلف العلماء في حقيقة مذهبه وأجمع افاضهم على انه كان رأس شيعة

منشقة عن الكنيسة الكاثليكية والكنيسة الشرقية رفضته على الدوام بمنزلة هرطوقي.

وناهيك ان الكنيسة الكاثليكية لا تحكم بقداسة أحد ان لم يجمع الشرق والغرب على الاعتراف بقداسته او لم ينكر احدهما قداسته. وعندنا مثال جلي في مارون الناسك فان هذا الانبا تعيّد له الكنيسة اليونانية في ١٤ شباط والمارونية في ٩ شباط فلو أراد الكرسي الرسولي من باب المحال ان يباشر تحديد قداسة يوحنا مارون لما أمكنه ذلك اذ ليس له ما يستند اليه لاجراء هذا التحديد. فان الآثار القديمة جعلته منوثليتياً حيثما ذكرته. وقصته التي بيد الموارنة ملفقة في القرن الخامس عشر من خلط اخبار الازمان المتأخرة ومؤلفاته مشحونة باقوال هرطوقية. وهل من سبيل آخر للوقوف على حقيقة مذهب هذا الرجل.

٩ — وما يقطع كل نزاع ويرفع كل شك في هذه القضية هو ان الموارنة طالما شارطهم أخصامهم ولا سيما في مدينة حلب على ان يظهروا صكاً من الكرسي الرسولي الروماني فيه حكم بقداسة يوحنا مارون. وهم كرروا الكتابات الى مدينة رومية في طلب صك كذا والى الآن لم ينالوا شيئاً من ذلك. ونحن أيضاً نشارطهم رسماً وجهراً ان يرسلوا فيأتونا بصك مصرح بقداسة يوحنا مارون من الكرسي الرسولي كما جرى الامر في قداسة مارون الانبا. فان اتونا بذلك فعاهدهم من الآن باننا نكون أول المكرومين لهذا البطريرك. فعليهم اذاً ان يهتموا بالحصول على الصك ان استطاعوا وعلينا الاستعداد لقبوله ان اتوا به.

فهلمَّ الآن نفحص الادلة التي يستند اليها الموارنة في اثبات الكرسي الرسولي قداسة يوحنا مارون. وهذه الأدلة تنحصر في خمسة ابواب. وهي طبع كتب المحاماة عن قداسته في رومية وطبع صورته في رومية ايضاً. وترك الكرسي الرسولي لهم ان يعيدوا له. ووجود اسمه في كلندارهم المطبوع في رومية سنة ١٧١٦ ومنح الغفران لمن يزور كنيسته.

١ ــ أما الاول أي الدفاع عن قداسته المحتوي في كتب مطبوعة في رومية فلا يثبت منه شيء . لان كتب مثل هذه علمية لا تناقض الايمان ولا فرائض الدين فجاز طبعها في رومية مثلما جاز طبع كتب من قال بان الموارنة كانوا هراطقة. وان زعيمهم كان رجل اسمه يوحنا مارون وناهيك انه بعد ما طبعت هذه الكتب ايضاً لم يقتنع الكرسي الرسولي بقداسة يوحنا مارون حتى ان البابا بندكتس الرابع عشر قال جلياً ان الكنيسة الرومانية لا تعترف الا بقداسة مارون واحد . ولم يسمح لهم ان يضعوا في كلندارهم في مجمعهم اللبناني الا عيد مارون الناسك .

٢ ــ وأما الثاني أي طبع صورته في رومية فلا حجة فيه . فانه امكن طبع صورته مع كونه ليس محسوباً قديساً . مثلما طبعت سيرته وسمي فيها قديساً ولم يعتبر الكرسي الرسولي ذلك . ومثلما تطبع على الدوام صور كثيرين من الرجال الفاضلين والاساقفة حتى الاحياء ولا ينتج من ذلك انهم محسوبون من جملة القـديسين الشرعيين . ولكي نستوعب ذلك لنا ان نعتبر أمرين . أولهما انه اذا طبع شيء في رومية باذن الرؤساء فلكل واحد ان يتأكد ان ليس في ذلك شيء مخالف الايمان والدين ولكن ليس لاحد ان يتخذ من ذلك برهاناً على ابطال عكسه ما لم يكن قد صدر الحكم الصريح في ذلك . الثاني انه في رومية لا يمكن ان يطبع باذن الرؤساء شيء مخالف لما برز عنه الحكم الشرعي من الكرسي الرسولي . ولكن لا تعكس هذه القضـية أي ليس كلما يطبع باذن الرؤساء في تلك المدينة يكون قد برز عنه الحكم الشرعي.

٣ ــ لا ينتج ما يريده الموارنة من الثالث أي من كون الكرسي الرسولي ترك لهم ان يعيدوا ليوحنا مارون في الفريضة انه مطلع على ذلك . فانه قد ترك لهم ان يعيدوا لبرصوم الهرطوقي الموجود اسمه في الكلندار المطبوع سـنة ١٦٢٢ في ٣ شباط الذي فيه اليعاقبة يعيدون لبرصوم الشهير . فهل صح من ذلك ان برصوم كان قديساً . والى الآن يضاً الكرسي الرسولي يترك للكلدان ان يعيدوا لايليا ولاشعيا

ولهرمزد النساطرة ثلاثتهم . الذين أولهم له دير في ظاهر الموصل وثانيهم له كنيسة في باطنها وثالثهم له دير بقرب القوش .

٤ ــ وأما حجتهم الرابعة أي وجود اسم يوحنا مارون مصرحاً في كلندارهم المطبوع باذن الرؤساء في رومية سنة ١٧١٦ فتبطل ايضاً كما سبق . وذلك انه في الكلندار المطبوع باذن الرؤساء في رومية سنة ١٦٢٢ في ٣ شباط يوجد ذكر برصوم الهرطوقي كما ذكرنا آنفاً. وفي كتاب نافور الموارنة المطبوع في رومية باذن الرؤساء سنة ١٥٩٤ توجد نافورة يوحنا بن شوشان البطريرك اليعقوبي (في وجه ١٥٤) ونافورة ماروثا التكريتي اليعقوبي بصفة قديس (وجه ٥٢). ويذكر مع القديسين المتوحدين برصوم الهرطوقي (وجه ٢٩٨ و ٢٤٥) وقد فطن الموارنة لغلطهم بعد ذلك اذ حذفوا هذه الاسماء كلها من طبعة ١٧١٦ . فهل ينتج من وجود هذه الاسماء سابقاً ان اصحابهم كانوا حينئذ قديسين . وكذلك في الكلندار الملحق باخر كتاب الصلوات العربي المطبوع برومية سنة ١٧٢٥ يوجد ذكر يعقوب الرهاوي مع ان هذا كان يعقوبياً كما سنبين ان شاء الله . وفي نافور الكلدان المطبوع في رومية باذن الرؤساء سنة ١٧٦٧ يوجد اسم مارايا النسطوري بصفة قديس في وجه ٧٢ (راجع السمعاني في وجه ٧٥ من المجلد الثالث من المكتبة الشرقية) . فهذه الغلطات وأمثالها الموجودة في الكتب الشرقية المطبوعة في رومية باذن الرؤساء لا تنسب الى الكرسي الرسولي نفسه . بل الى الاشخاص الموكولة اليهم ترجمة تلك الكتب لتعرض على الفحص من حيث انهم اما لم يحسنوا الترجمة واما غشوها بما استمالوا به الفاحصين الغير الخبيرين بالامور الشرقية خبرة كافية .

٥ ــ بقي علينا الجواب على الحجة الخامسة وهي ان الكرسي الرسولي قد منح غفراناً لمن يزور كنيسة يوحنا مارون . ومن هذه ايضاً لنا مخرج كغيرها ولو انها تبان أصعب من كاهن . فاقول ان الكرسي الرسولي لم يقصد ان يكرم بهذا الغفران سوى

مارون واحد الذي تقبله الكنيسة الرومانية دون غيره وهو مارون الناسك كما صرّح البابا بندكتس الرابع عشر . فان كان قد وضع لهذا القديس في حجة الغفران اسم يوحنا ووصف بصفة بطريرك فهذا لا يبين ان الكنيسة الرومانية تكرم مارونَين لانه يجب ان يتأكد عندنا ان الحبر الاعظم عند منحه ذلك الغفران لم يقصد خاصة ان يكرم مارون الناسك لنقدر ان نتحقق ان الكرسي الرسولي قد ابرز الحكم في قداسة يوحنا مارون . هذا ولعلنا لو وقفنا على نص الغفران اللاتيني نفسه (لاننا ما امكننا ان نقف عليه) وعلى الاحوال التي فيها أعطي هذا الغفران لوجدنا ثم مخرجاً سهلاً من هذا الاعتراض . وكيف يصدّق ان رجلاً لم يكن قديساً عند الكرسي الرسولي حينما عقد المجمع اللبناني الشهير اي سنة ١٧٣٦ ولا حين حامى البابا بندكتس الرابع عشر عن قداسة مارون الناسك اي سنة ١٧٥٣ وهو مجهول الاصل والزمان وقد قال فيه العلماء أقوالاً شتى وأفاضلهم جعلوه هرطوقياً ينقلب هكذا بحجة غفران أعطي لمن يزور كنيسة مبنية على اسمه الى ان يصير قديساً كسائر القديسين . أتكفي هذه الحجة لحسم كل نزاع بين العلماء في أمر هذا الرجل .

والحاصل اننا في مثل هذه الامور يجب ان نتذكر ان الكنيسة في عرضها على أولادها ان يقدموا الاكرام للقديسين تنظر الى النيات اكثر مما الى حقيقة مايتصف به القديسون . لان غاية كل ذلك هو عبادة الله عز وجل . فكم من خبر ورد عن بعض القديسين لا يثبت عند التحقيق . ومع ذلك فالكنيسة لا تمنع أولادها من ذكره حيث لا يخالف اصول الدين . فانها تعتبر النية اكثر من المادة .وفي خصوص يوحنا مارون لا تتعجب من ان الكنيسة الرومانية سمحت للموارنة ان يكرموا رجلاً لم يذكره مجمع ولا أحد من الاباء والاحبار الاعظمين باسمه . بل هم يصفونه بجلائل فضائله و بغيرته على الايمان ومقاومة الهراطقة و بشده تمسكه بالكرسي الرسولي الروماني فتترك الكنيسة لهم ان يكرموا مثل هذا الرجل ولو كان موضوعه بالتصورات لان

ذلك ينفع ولا يضر للدين . وتترك للعلماء ان يبحثوا عن حقيقة أصله وزمانه ومذهبه فان الموارنة في تكريمهم يوحنا مارون لا يقصدون ان يكرموا رجلاً هرطوقياً أو عاصياً على بيعة الله . بل رجلاً يتصورونه مزيناً بالقداسة والمواهب الالهية وبطلاً شجاعاً مدافعاً عن الايمان القويم ومقاسياً من أجله الاضطهاد والاذى العظيم . فالكنيسة الرومانية تتركهم على ذلك لان فيه خيرًا ولا ضرر فيه . كل ذلك على فرض انها مطّلعة على هذه الاحوال. لانه من المحتمل لا بل من المرجح ان الكنيسة الرومانية لا اطلاع لها على مثل هذه الدقائق . فبكل حق نستنتج من البحث الذي سبق الى الآن ان يوحنا مارون لم تثبت الكنيسة الكاثليكية قداسته.



الفصل الخامس

في ان يوحنا مارون كان منوثليتياً أي من الضالين

بهرطقة المشيئة الواحدة

قد أفرغ الموارنة كل جهدهم ليبيّنوا ان يوحنا مارون كان كاثليكياً مستقيم المعتقد والى الآن لم يقدروا ان يأتوا ببينة واحدة من شهادة المؤرخين أو الكتب القديمة لتأييد هذا الزعم . وهيهات ان يوجد في الآثار القديمة ما يحققه . فان يوحنا مارون كان منوثليتياً أي من الضالين بهرطقة المشيئة الواحدة وهاك الادلة الجليّة على ذلك .

١ — لما كان يوحنا مارون على قول الموارنة قد صار زعيم ملتهم وأول بطاركتها

وقد بيّنا وسنبين ان الملة المارونية كانت منوثليتية . فلا بد من ان يوحنا مارون كان منوثليتيا هو أيضاً . ويؤيد ذلك بما يأتي .

٢ - يتأيد ذلك خاصة بشهادة جميع الآثار القديمة المارونية والغير المارونيةفانها كلها تشهد ان مارون أول زعيم الموارنة كان يدعي بالمشيئة الواحدة في المسيح . كذا سعيد بن بطريق وغليلم الصوري وداود الاسقف الماروني وتوما الكفرطابي الماروني وفي كتب الموارنة القديمة كلها . قال توما الكفرطابي في كتاب المقالات العشر (ورقة ١٤١ من المصحف الواتيكاني السرياني ١٤٦) مخاطباً يوحنا بطريرك الملكية الذي كان يحامي عن معتقد المشيئتين : « الويل ثم الويل لمن يفتخر على نصراني مسيحي « بمذهب أو برئاسة ولا يعلم انه ضعيف .... فهذا محال منك وفساد . وربنا لهالمجد « لا يرضى بمحال وتزويق ... فان كنت لا تقدر ان تفعل شيئاً (من العجائب) « يدل مقالك انه فاسد وتتعرض على مقالة مارون البرّ وغيره » . وليس أحد قال ان هذا مارون كان كاثليكياً ارثدكسياً بمعنى الكنيسة الكاثليكية وأول من تجاسر ان يقول ذلك موارنة القرن الخامس عشر وما بعده .

٣ - ان من أعظم الدلائل وأوضحها على معتقد المرء هو مؤلفاته. فان الناس ربما أخطأوا في رواية أفكار غيرهم . ولكن ما يكتبه الانسان ينبئ عما في قلبهظاهراً جلياً بعيداً عن كل ريب . ولذلك نرى المحققين قد سلكوا هذه الطريقة خاصة للاطلاع على آراء المؤلفين القدماء ان أرثدكسيين وان غير ارثدكسيين . وبهذه الطريقة تمسك السمعاني الفاضل نفسه خاصة في فحص مذهب كل واحد من الاشخاص الذين اشتهروا في القديم سواء في الكنيسة الكاثليكية أو عند اليعاقبة أو عند النساطرة . فسبيلنا اذاً لكي نطلع على حقيقة مذهب يوحنا مارون ان نتمسك بهذه الطريقة أي ان نفحص ما بلغ الينا من كتبه . فنقول انه مما ينسب الى يوحنا مارون

كتاب شرح معتقد الموارنة الذي سبقت الاشارة اليه . فقد ورد في هذا الكتاب (في المصحف الواتيكاني السرياني ١٤٦) ورقة ١ في السريانية ما ترجمته (١) .

« بسم الله بحول الثالوث المتساوي في الجوهر نبتدي ان نكتب صك ايمان « البيعة المقدسة الذي ألفه في دير القديس (مار مارون القديس (٢)) المتوشح بالله مار « مارون المغبوط الذي يُدعى يوحنا وكان بطريرك على مدينة الله انطاكية وعلى كل « بلد الشام وسورية . انه لما تزعزعت الديانة على يد نسطور بانفصال اتحاد ربنا « وأيضاً على يد أوطاخي الغبي بادخال الاختلاط والبلبلة في الطبيعتين المتحدتين « المجيدتين اللتين لربنا . ولما تمسك تلاميذ هذين الاثنين المذكورين (باقوالهما) « حينئذ شرع يوحنا المذكور المكني مارون ان يرشدهم كل حين ويبين لهم (الحقّ) « من الشهادات الواضحة التي سنوردها فيما بعد. وأيضاً ضد تلاميذ مكسيموس الذين « يعتقدون بالمشيئتين من ملوك ذلك الزمان . وهو قد حرر لنا هذا التصحيح ».

اعلم ان هذا المصحف الواتيكاني كان ملك ابراهيم الحاقلاني قبل ان يدخل المكتبة الواتيكانية وكان صاحبه قد لعب بنصّه السرياني ليمحو ما فيه من الادلة الواضحة على ان مؤلف هذا الكتاب كان منوثليتياً . ولذلك قد حكّ الثلاثة احرف الاخرى من لفظة ܡܟܣܝܡܘܣ (مكسيموس) وكتب فوقها ثلاثة أحرف جديدة حتى صار الاسم انتيموس بدل مكسيموس . والى الآن يظهر اثر الحكّ جلياً وحرف الميم الاولى والفتحة (ّ) فوقها والنقطة الحمراء التي كانت فوق الكاف للتقشية وتظهر جلياً حداثة الاحرف المكتوبة عليها . ثم كتب في الهامش لفظة ܡܘܣܘ

---

(١) *** راجع المتن السرياني في الرسم الفتوغرافي الذي صدرنا به هذا الكتاب.

(٢) ان هذه الكلمات زدناها من عندنا تبعاً للترجمة العربية لان المعنى يختل بدونها .

« (أي في بعض النسخ قورش) » بحروف دقيقة جديدة . ثم اتى الى قول المؤلف ܬܪܬܝܢ ܨܒܝܢ̈ܝܢ (أي مشيئتين) فحكّ لفظة ܬܪܬܝܢ (اثنين) وكتب فوقها ܚܕ (واحد) والى الآن يشاهد واضحاً اثر الحك واثر حرف التاء والنقطة الحمراء التي كانت فوقها ونقطتي حرف الريش . ثم حكّ السيامي أي النقطتين الكبيرتين الدالتين على الجمع من لفظة ܨܒܝܢ̈ܝܢ (مشيئات) حتى صارت على ظنه بصورة المفرد (مشيئة) ولكن حركة الرباص التي تحت النون الدالة على الجمع قد تركها على حالها . والى الآن يرى أيضاً أثر السيامي المحكوكة . فان هيئة اللفظتين الآن هي ܚܕ ܨܒܝܢܝܢ (مشيئة واحدة)وتحتها مشيئتين .

ولنا من غير ذلك أدلة جلية على ان مؤلف هـذا الكتاب أراد ان يقول ان يوحنا مارون حارب تلاميذ مكسيموس القائلين بالمشيئتين . لا تلاميـذ اثيموس القائلين بالمشيئة الواحدة كما وضعت اليد الاثيمة التي حرّفت الكتاب . وذلك (١) يتضح من الترجمة العربية المحاذية للنص السرياني.فانه فيها يقرأ الى الآن « ايضاح الايمان المقدس ... الذي كتبه القديس يوحنا بطريرك انطاكية في دير مارون ... وأورد ذلك الى جبل لبنان ... وعند ما نهضت مقالة نسطور الجاعل في تأنس ربنا أقنومين ومن آخر يسمى اوطيخا قائل عن خاصتان لاهوت الابن وناسوته انهما تبدلت واختلطا وصارت واحد . وعند ما انقبل قولهم (من) كثيرين جعل يوحنا مارون يوضح برهان ويردهم الى الصدق من شهادات الكتب المقدسة الانبياء والاباء وأيضاً جعل شهادات تردّ كثرة مقالات اخوتنا الملكيين أهل الراهب مكسيموس تلك المقالة التي جعلها على يد الملكين مرقيان وأخيه باعتقاد مشيئتين » .

نعلم ان الموارنة يردّون على هذه الترجمة بقولهم ان صاحبها هو توما الكفرطابي الذي سبق الكلام عنه . وانه هو الذي حرّف كلام يوحنا مارون . ولكن هذا الرد لا ينفعهم شيئاً أولاً لانه قول بلا سند وقول بلا سند لا يقبله أحد . وثانياً لانه لو

كان توما قد حرّف كتاب معتقد ملته لقامت عليه الملة باسرها وحرمته اذ لا شيء أعزّ على ملةٍ من كتاب معتقدها . والموارنة فضلاً عن انهم لم يفعلوا شيئاً من ذلك قد قبلوا ترجمة الكفرطابي على قول خصمنا وحفظوها في خزائن كتبهم وعملوا بها حتى انها توجد بدار بطريركيتهم نفسها . وثالثاً لو كان توما الكفرطابي قد حرّف الترجمة العربية لحرّف النص السرياني قبلاً . فاذا كانت اليد الخبيثة الخرقاء التي أفسدت النص السرياني وتركت الترجمة العربية على حالها لظنها أنها بذلك توهم القارئ ان مؤلف الكتاب لم يهرطق وانما هرطق مُترجمه . فلا يحسبن ابراهيم الحاقلاني انه قدر ان يوقع في هذا الغش أحداً غير الموارنة أصحابه . ورابعاً ينبغي على الموارنة القائلين هذا القول ان يظهروا لنا نسخة من هذا كتاب المعتقد أقدم من النسخة الواتيكانية لنقابلها مع هذه . فان رأيناها خالية من الاشياء التي ينسبونها الى توما الكفرطابي ترجح قولهم وظهر فيه شبه الحق .

(٢) يتضح ذلك ايضاً أي ان يوحنا مارون حارب مكسيموس لا انثيموس من انه لم يسمع قط انه قد قام بين الهراطقة رجل يسمى انثيموس تمسك بالمشيئة الواحدة واشتهر هكذا حتى اقتضى ان يجادله يوحنا مارون كما جادل نسطور واوطاخي اللذين قطعت ضلالتاهما القفار والبحار . نعم وجد في القسطنطينية سنة ٦٣٥ بطريرك منوثليتي اسمه انثيموس جلس نحو سنة . ولكن هذا لم يشتهر ولم يكن له تلاميذ . وما كان الداعي لمارون السرياني الانطاكي الذي كان في جبل لبنان ان يجادل رجلاً عاش ومات في القسطنطينية ولم يشتهر له اسم في بلدته نفسها .

ولا يعترضن الموارنة بقولهم انه لا يوجد في الهامش اسم قورش تصحيحاً لاسم انثيموس . فنجيب ان هذا اسم قورش حديث جداً كتبته يد حديثة . ثانياً اسأل الموارنة من كان تلاميذ قورش في الدنيا كلها حتى اقتضى ان يجادلهم يوحنا مارون . وأين يقدرون ان يجدوا في زمان يوحنا مارون (أي بعد المجمع السادس المسكوني)

قوماً ضالين بالمشيئة الواحدة محضاً سوى طائفتهم . ولماذا ترك يوحنا مارون تلاميذ مقاريوس الانطاكي المنوثليتي الذي كان واجباً ان يكون له علم به وبتلاميذه اكثر مما بقورش القسطنطيني . وجادل قورش هذا وتلاميذه . فيرى اذاً الموارنة انه لا مخلص من الاقرار بان يوحنّاهم لم يجادل أهل المشيئة الواحدة بل أهل المشيئتين الذين سماهم تلاميذ مكسيموس احتقاراً . وهم الكاثليك المعتقدون بالمشيئتين في المسيح تبعاً للمجمع السادس .

ولكن يعترض الموارنة ثانية بقولهم لو كان يوحنا مارون قد جادل أهل المشيئتين أي الملكيين لوجد هـذا الجدال في الكتاب والحال انه في كتاب يوحنا الذي في المكتبة الواتيكانية لا يوجد الا الجدال مع أهل الطبيعة الواحدة ومع النساطرة — اجيب (١) لا يوجد ايضاً في الكتاب المذكور الجدال مع أهل المشيئة الواحـدة فكيف يقال انه جادل تلاميذ انثيموس او قورش . (٢) هذا ايضاً من مآثر الموارنة المتأخرين فان صاحب هذا المصحف الواتيكاني الحاوي هذا كتاب يوحنا مارون بعد ما حكّ من أوله كما ذكرنا اذ رأى انه لا يقدر بالحك ان يمحو جدال مارون مع أهل المشيئتين ارتأى ان يفنيه من عين أصله . ولذلك بعد ورقة ١٢٤ خزّق ثلاث ورقات ووضع بدلها ثلاث ورقات جديدة مكتوبة بخط حديث فيها جدال داود ابن فولوس اليعقوبي مع الذين لا يقبلون زيادة يا من صلب لاجلنا في قدوس الله منسوباً بالزور الى يوحنا مارون كما أقرّ السمعاني في وجه ٥١٨ من المجلد المذكور. وأما الاوراق المخزقة فكانت تحوي الجدال مع أهل المشيئتين بلا شك . وهـذا الجدال قد أورده اسطفانس الاهدني كما سترى .

(٣) ولنا في الكتاب المذكور دلائل أخر لا ريب فيها ولا يقدر الموارنة ان يعارضوها وهي تبين بالتأكيد ان يوحنا مارون لم يكن كاثليكياً في مسألة المشيئتين . فانه في ورقة ٢ حيث شرح عقيدته في باب الثالوث الالهي قال :

« نؤمن ونعتقد نحن أبناء البيعة المقدسة القاثليقية كما تعلمنا من الانبياء والرسل
« ومن المرتبة الثالثة اي الملافنة القديسين الذين اشتهروا بالايمان الحقاني المستقيم
« وجاهدوا جهاداً حسناً في المجامع الاربعة وناضلوا أولئك الاقوام الذين ذكرناهم »
ثم اتى على تفصيل هذه المجامع الاربعة فذكر النيقاوي والقسطنطيني والافسسي
والخلقيدوني وهذا سماه المجمع المشهور. فترى ان يوحنا مارون لم يكن يقبل المجمع
السادس المسكوني الذي فيه حُرمت هرطقة المنوثليتيين. لانه لو كان يقبله لكان
يستشهده خاصة اذ انه فيه حُرمت بدعة الطبيعة الواحدة والاقنومين اكثر من سائر
المجامع التي قبله. وكيف كان يمكن ان يستشهده وهو قد ناهض تعليمه ودحضه كما
يقرأ في عنوان كتابه. وفي ورقة ٣١ نقرأ :

ܐܝܟܢܐ ܓܝܪ ܕܟܕ ܐܡܪܝܢܢ ܐܒܐ ܘܒܪܐ ܘܪܘܚܐ ܕܩܘܕܫܐ ܠܬܠܬܐ
ܩܢܘܡܝܢ ܡܫܬܘܕܝܢ ܘܚܕ ܟܝܢܐ ܐܡܪܝܢܢ ܘܡܗܝܡܢܝܢ. ܗܟܢ ܟܕ
ܕܐܡܪܝܢ ܐܠܗܘܬܐ ܘܐܢܫܘܬܐ ܠܬܪܝܢ ܟܝܢܝܢ ܡܫܬܘܕܝܢ ܘܚܕ ܩܢܘܡܐ
ܡܘܕܝܢ ܘܚܕ ܒܪܐ ܘܚܕ ܨܒܝܢܐ ܘܚܕ ܫܘܠܛܢܐ .

« كما اننا حينما نقول الاب والابن وروح القدس ننذر بثلاثة أقانيم ونعترف
« ونعتقد بجوهر واحد. هكذا حينما نقول لاهوت وناسوت ننذر بطبيعتين ونعترف
« باقنوم واحد وابن واحد ومشيئة واحدة وسلطة واحدة » (١). انظر كيف كان

---

(١) ان اليد التي عاثت في هذا الكتاب قد غفلت عن هذا الموضع لتحكه كغيره لانها لم تشعر به. *** ان هذه الشهادة بنفسها وبحروفها وجدت في نسخة باريس التي أشهرها الاب نو الفرنساوي صديق الموارنة وذلك في مقالته المدرجة في مجلة الشرق المسيحي الجزء ٤ (سنة ١٨٩٩) وجه ١٩٧ وقد ترجمها الى الفرنساوية هكذا :

يوحنا مارون يعتقد بمشيئة واحدة في المسيح .

وهاك شهادة أخرى لترى كم كان معتقد يوحنا مارون في تجسد المسيح غريباً .

قال في ورقة ٤ :

ܡܗܝܡܢܝܢ ܕܚܕ ܡܢ ܩܢܘ̈ܡܐ ܕܬܠܝܬܝܘܬܐ.. ܕܐܝܬܘܗܝ ܡܠܬܐ.
ܫܘܐ ܒܐܘܣܝܐ ܠܢ ܘܒܟܝܢܐ ܒܪ ܡܢ ܚܛܝܬܐ. ܒܬܪ̈ܝܢ
ܟܝ̈ܢܐ ܐܠܗܘܬܐ ܘܐܢܫܘܬܐ.. ܚܕ ܒܪܐ ܚܕ ܡܪܝܐ ܚܕ ܡܫܝܚܐ ܚܕ
ܦܪܨܘܦܐ. ܘܠܐ ܟܠܝܢܢ ܚܕ ܟܝܢܐ ܕܐܠܗܐ ܡܠܬܐ ܕܡܬܒܤܪܐ ܐܝܟ
ܕܐܡܪܘ ܐܒܗ̈ܬܐ ܩܕܝ̈ܫܐ ܠܐ ܡܬܟܠܝܢܢ

« نعتقد ان واحداً من الثالوث .... وهو الكلمة .... مساوٍ لنا في الجوهر « والطبيعة ما خلا الخطية .... في طبيعتين اللاهوت والناسوت .... ابن واحد « ورب واحد ومسيح واحد وشخص واحد . ثم اننا لا نمتنع من ان نقول طبيعة « واحدة لله الكلمة المتجسد كما قال الآباء القديسون » . وفي الترجمة العربية المحاذية للنص السرياني الكلمات الاخيرة ترجمت هكذا « ولا ننكر انا نقول ان الله الكلمة المتأنس جوهر طبع واحد كاعتقاد الآباء القديسين » . فهذا التقرير هو عين تقرير اليعاقبة اذ يقولون ان في المسيح طبيعة واحدة ويوحنا مارون يقرّ ان ملّته لم تكن تمتنع ان تقول هذا القول . وهذا يفهمنا سبب الاخوّة الشديدة التي كانت بين اليعاقبة والموارنة منذ القديم حتى ان كتب الموارنة نراها مشحونة باسماء أئمة اليعاقبة . ولا عجب . فان يوحنا مارون لم يتصد لمجادلة اليعاقبة اذ لم يذكرهم في كتابه ولو بحرف

« Quand nous disons Père, Fils et Saint-Esprit, nous proclamons trois personnes, mais, nous annonçons et confessons une seule nature; de même, lorsque nous disons divinité et humanité, nous proclamons deux natures et confessons une personne, un Fils, ***une volonté,*** un pouvoir, un gouvernement et une adoration. »

واحد بل جادل الاوطاخيين . وهؤلاء كان اليعاقبة نفسهم يرفضونهم كما هو معلوم لدى العلماء . وبناء على ذلك لم يأنف يوحنا مارون من ان يستشهد في كتابه أحد عمد الملة اليعقوبية ويسمّيه قديساً . وهو سويرس البطريرك المشهور حيث قال في ورقة ٧٣ « ܣܗܕܘܬܐ ܐܘ ܦܬܓܡܐ ܡܢ ܡܠܦܢܘܬܗ ܕܩܕܝܫܐ ܣܘܝܪܘܣ » شهادة أو قضية من تعليم القديس سويرس » . وفي الترجمة العربية المحاذية « ايضاً من علم القديس ساويرّا » . أما اليد التي عبثت بالكتاب فقد افسدت هذا الموضع ايضاً حيث كتبت بدل اسم سويرس « المجامع الاربعة » وخزّقت الاوراق التي كانت تحوي بحث هذا سويرس الطويل كما يظهر من ايراد السمعاني نفسه . ثم ان يوحنا مارون في جداله مع أهل الطبيعة الواحدة لم يستثقل من تسميتهم قديسين حيث قال في مطلع خطابه لهم في ورقة ١٠٢ :

« قولوا لنا يا اخوتنا القديسين في هذه الطبيعة الواحدة التي تنسبونها للمسيح « من بعد الاتّحاد أمتساوية هي في الجوهر مع الاب أم لا » . هل روي الى الآن ان أحداً من ملافنة البيعة الكاثليكية يسمّي الهراطقة قديسين .

وقبل ان أختم هذا البحث ما أقدر ان أخفي تعجبي من السمعاني حيث قال في وجه ٥١٠ من المجلد الاول من المكتبة الشرقية انه يغلب ظنه ان يوحنا مارون لم يكتب شيئاً عن مسألة المشيئتين لا سلباً ولا ايجاباً . مع انه هو بنفسه أورد الكلمات التي فيها يقال انه ناضل القائلين بالمشيئتين تبعاً لمكسيموس أو كما حرّفت اليد المارونية ناضل القائلين بالمشيئة الواحدة تبعاً لانثيموس . أفما كان هذا سبباً كافياً للشك ولتحقيق الامر . ولذلك فقد أخطأ اذ رجح ظنه الى ان يوحنا مارون كتب كتابه قبل المجمع السادس . وكيف يتفق هذا القول مع قول الموارنة الذي لقنوه للبابا بندكتس الرابع عشر وهو ان سكان جبل لبنان في أواخر القرن السابع (اي في سنة ٦٨٧ بعد المجمع السادس بسبع سنين على قول اسطفانس الاهدني) أقاموا يوحنا

مارون بطريركا عليهم ليحفظوا أنفسهم من فساد المنوثليتية . ويوحنا كتب لهم هذا كتاب شرح المعتقد بعد سنة ٦٨٧ ، وكيف يصدق انه اذ كان قد جُعل بطريركا من سبب هذه البدعة على قول خصومنا وهو في كتابه حذَّر أهل لبنان من النسطورية التي كانت بعيدة منهم جداً . ومن اليعقوبية التي من سببها لم يقيموا لهم بطريركية جديدة . . لم يذكر لهم في كتابه ولو بكلمة واحـدة بدعة المنوثليتية التي من سببها انفصلوا عن سائر الطوائف على قول الموارنة المتأخرين . فالصحيح هو ان يوحنا مارون جُعل بطريركا على أهل لبنان بغضة لمعتقد المشيئتين . وهو في كتاب شرح المعتقد كتب معضداً القول بالمشيئة الواحدة ولكن الموارنة المتأخرين قد أخفوا هذا الجزء من كتابه . وأنا لا أشك ان هذا الجزء المتلف من كتاب يوحنا مارون هو ما أشار اليه اسطفانس الاهدني في كتاب الاحتجاج عن ايمان الموارنة (في ورقة ٢٦ من المصحف الوتيكاني السرياني ٣٩٦) حيث سماه الكراسة السريانية ܥܠ ܚܕ ܨܒܝܢܐ في المشيئة الواحدة . وأورد منه هذه الكلمات وهي :

ܐܡܪ ܠܗ ܗܠܝܢ ܠܬܪܝܢ ܨܒܝܢܝܢ ܕܡܘܕܐ ܐܢܬ ܒܡܫܝܚܐ. ܡܫܘܝܢ ܐܢܘܢ ܐܘ ܡܫܚܠܦܝܢ. ܐܢ ܐܡܪ ܡܫܚܠܦܝܢ. ܘܐܢ ܐܡܪ ܡܫܘܝܢ ܐܡܪ ܠܗ ܘܟܕ ܕܐܫܬܘܝܘ ܐܝܬܝܗܘܢ ܚܕ ܨܒܝܢܐ ܗܘܝܐ ܟܕ ܨܒܝܢܐ ܚܕ ܡܫܘܝܢ ܗܘܘ ܡܫܘܝܢܐ ܟܠ ܐܚܕ ܐܝܬ ܗܘܐ ܠܗ ܠܬܪܝܢ ܨܒܝܢܝܢ ܐܝܟܢܐ ܘܡܫܘܝܢ ܐܠܐ ܒܨܒܝܢ ܠܦܠܓܘܬܐ ܐܝܟܢܐ ܕܝܢ ܐܡܪ ܐܢܬ ܐܠܗܐ ܡܕܝܢ ܒܗܢܐ ܟܕ ܒܝܬ ܠܐ ܨܒܝܢ ܐܢܬ ܬܪܝܢ ܢܗܘܘ ܠܟܠ ܐܡܪ ܕܠܐ ܐܠܗܐ ܕܐܝܬ ܨܒܝܢܐ ܐܠܐ ܨܒܝܢܗ ܕܐܒܘܗܝ ܕܒܪܐ.

« (يعلم الماروني ان يعترض على المعتقد بالمشيئتين قائلاً) قل له ماذا تقول في « هاتين المشيئتين اللتين نعتقد بهما في المسيح . أمتفقتان أم مختلفتان . فان قال

« مختلفتان فقد كفر . وان قال متفقتان فقل له وهما بعد ما اتفقتا صارت مشيئة
« واحدة فاعترف بالمشيئة الواحدة . انما نحن نقرّ انه لما كان المسيح على الارض كان
« له مشيئتان الهية وانسانية . الا انه أبطل المشيئة الانسانية اذ قال يا أبتاه أجز عني
« هذه الكأس ولكن لا تكن مشيئتي بل مشيئتك . واذ قال ما اتيت لاصنع مشيئتي
« بل مشيئة من أرسلني » .

اعلم ان الاهدني حاول ان يبرئ صاحب هذه الكلمات ويدفع عنه الضلالة. ولكن هيهات ان يبرأ من الضلالة من يجادل الكاثليكيين ويعارضهم في معتقدهم ولو تظاهر مقرًا بالقول الارثدكسي . ومن يجهل انه لم يكن أحد يقول بالمشيئتين الا الكاثليكيين . فصاحب هذه الكلمات اذ قد خالفهم في ذلك وأثبت المشيئة الواحدة وانكر المشيئة الانسانية . لا يحل لرجل كاثليكي ان يسميه ارثدكسياً . أما ما يوجب التصديق بان صاحب هذه الكلمات التي أوردها الاهدني هي نقلاً عن كتاب ليوحنا مارون في شرح المعتقد فهو ان هذا النص وجدال يوحنا مارون مع أهل الطبيعة الواحدة هو واحد حيث قال « هذا الطبع الواحد الذي تقرّون به في الرب بعد « الاتحاد أمتساوٍ للاب في الجوهر أم لا ... ثم اسأله قل لنا باي طبع مساوٍ للاب « وباي طبع للناس فان قال انه مساوٍ له في الطبع الالهي الخ ».وقال يوحنا مارون في مطلع جداله مع النساطرة « أنت كنت تقول باقنومين فماذا تقول عن هذا الاقنوم « الاهي هو أم انساني . وان حددت المسيح طبعين واقنومين الخ » . فترى ان طريقة الجدال الذي استعملها يوحنا مارون مع أهل الطبيعة الواحدة ومع النساطرة تظهر هي بنفسها في تلك الكلمات الحاوية الجدال مع أهل المشيئتين . فان كان السمعاني رغب ان يكذب ابن القلاعي والاهدني حيث قالا ان يوحنا مارون كتب كتابه بعد ما صار بطريركا وبعد المجمع السادس لتحذير قومه من المنوثليتية أفما كان يعلم ان يوحنا مارون كتب في أواخر القرن السابع الذي فيه شاعت المسألة

المنوثليتية شرقاً وغرباً براً وبحراً . فكان لا بد لمثله من ان يتكلم عنها .

ولكن يرد علينا الموارنة بقولهم لو كان يوحنا مارون منوثليتياً لذكرته التواريخ القديمة كما ذكرت سائر الهراطقة . نجيب برد البرهان على الخصم ونقول لو كان يوحنا مارون قد حارب المنوثليتيين كما يدعي الموارنة لذكرته التواريخ كما ذكرت سائر من حارب الهراطقة . والصحيح ان سكوت الاثار القديمة عن يوحنا مارون انما هو متأت عن ان هذا الرجل كان خامل الصيت لم يُعرف الا عند قومه ولم يشتهر بشيءٍ من المآثر مع انه كان يقتضي ان يكون له ذكر عند غير قومه . ولا سيما اذا تأملنا ان يوحنا قضى حياته في جبال وفي دير يقلّ تردد الناس اليه . وكم من مثله عاش ومات ولم يدرِ به الا قومه . ولنا شهود كثيرون على ذلك في المجلد الثاني والثالث من المكتبة الشرقية للسمعاني.



الفصل السادس

في ان النافورة المنسوبة الى يوحنا مارون

ليست له

لم يكتف الموارنة المتأخرون بتبرئة يوحنا مارون من كل هرطقة وجعله من أعظم ابطال الكنيسة . بل أرادوا ان يجعلوه بمصنفاتهم في مصاف الملافنة الذين نوّروا بيعة الله . وهذا قد أتوا به تدريجاً . فان الاولين لم يذكروا لمارون سوى كتاب واحد وهو كتاب شرح المعتقد الذي كتبنا عنه في الفصل السابق مع الجدال الملحق باخره

مع أهل الطبيعة وأهل الاقنومين وأهل المشيئتين. وهكذا قل عن جبرائيل بن القلاعي فانه لما أسهب في شرح قصة يوحنا لم ينسب اليه الا هذا الكتاب .

ثم بعد ذلك بقليل ظهر في جزيرة قبرص سنة ١٥٣٥ نافورة للقداس سمّيت باسم يوحنا مارون . وفي سنة ١٦٦٠ اذ أخذ ابراهيم الحاقلاني في الفهرست الملحق بآخر كتاب تبرئة سعيد بن البطريق يعد مصنفات يوحنا مارون (في حرف الياء) نسب اليه كتاب شرح القداس . وكتاب الكهنوت ما عدا شرح المعتقد الذي مر الكلام عنه والنافورة . ولكن بعد سنين قليلة قام اسطفانس الاهدني ووجد ما لم يجده اسلافه . فانه ذكر ليوحنا مارون عشرة مصنفات من كتب ورسائل وغير ذلك . الا ان يوسف سمعان السمعاني الذي كتب بعد الاهدني بخمسين سنة . لم يقبل من هـذه المصنفات الا كتاب شرح المعتقد مع ملحقه والنافورة . وأما بقية ما نسبه اليه ابرهيم الحاقلاني ككتاب شرح القداس وكتاب الكهنوت فلم يسلم به السمعاني وقال مصرحا ان أولهما هو ليعقوب بن الصليبي اليعقوبي. وثانيهما هو ليوحنا اسقف دارا اليعقوبي (وذلك في وجه ٥٢٠ من المجلد الاول من المكتبة الشرقية ووجه ٥٣٤ من المجلد الثاني) . الا ان الموارنة لم يعجبهم هذا النقص الذي عزاه السمعاني الى كتب زعيمهم الاول. فنرى المطران يوسف الدبس في كتاب روح الردود ينسب الى يوحنا مارون كتاب شرح القداس . والنافورة . وشرح المعتقد مع الرسائل التي فيه . وكتاب الكهنوت . وهذا هو آخر من كتب في هذا الشأن من الموارنة .

أما نحن فنقول انه لا شيء من تأليف يوحنا مارون سوى كتاب شرح المعتقد مع الجدال الملحق به وخلاف ما ذكر فهو منتحل اليه كذباً لا أصل له البتة . وهاك الادلة الجلية على ذلك.

ولنبتدين بالنافورة فانها أول ما انتحل الى يوحنا مارون . فنقول ان هذه النافورة لم يؤلفها يوحنا مارون أول بطريرك الموارنة . (١) ان هذه النافورة ظهرت أول مرة

برص سنة ١٥٣٥ اي بعد يوحنا مارون بنحو الف سنة ولم يذكرها أحد قبل ذلك ولا وجد لها أثر قبل ذلك في جبل لبنان نفسه حتى ان الموارنة لما أرادوا سنة ١٦٧٧ استنساخ هذه النافورة استنسخوها على هذه النسخة القبرصية كما ذكر الناسخ وهو المطران اثناسيوس سفر في آخر كتابه وهو يوجد في الموسيوم البرجياني التابع لمكتبة مدرسة برو بغندا. حيث وضع في ذيله هذه التعريفة « نسخة من كتاب « عتيق كان في مدرسة اخوتنا الموارنة وكان قد انكتب في جزيرة قبرص من مدة « مائة وخمسين سنة من يدقس يامين الماروني ابن سالم من قرية حاقل. وكان مليان من غلط وزيادة ونقصان. لكن اوصونا ان ننسخه على هيئته». فهل من عاقل يصدق ان نافورة مؤسس شيعة الموارنة وأول أئمتهم على قولهم بقيت خفيّة نحو الف سنة ولم يظهر لها أثر الا في محل بعيد جداً عن مركز طائفتهم. والنافورة كتاب يستعمل كل يوم في القداس وتترتب معرفته على كل قسيس لا كمثل سائر الكتب التي تُحفظ في الخزائن (٢) ان قطع هذه النافورة مسروقة من نافورة اليعاقبة. كما يتضح لمن يستقريها واحدة واحدة. فان القطعة الاولى والثانية مثلاً مأخوذتان من النافورة المسماة على اسم الرسل الاثني عشر. وقس على ذلك البواقي. وليس الامر كما ظن السيد يوسف الدبس ان النوافير كلها متشابهة في المعاني الاصلية بعضها من بعض. بل من قبيل ان القطع المسروقة موجودة برمتها كما هي حرفاً بحرف في الاصل المسروق منه. (٣) لو كانت هذه النافورة بالحقيقة عمل يوحنا مارون لادرجها الموارنة في كتاب قداسهم الذي طبعوه في رومية سنة ١٥٩٤. والحال ان هذا الكتاب يحوي ثلاث عشرة نافورة من نوافير اليعاقبة (*) ولا توجد فيه هذه النافورة المنسوبة

(*) ان الحق يلزمنا ان نقول ان هذه النافورات الثلاث الموجودة في كتاب الموارنة هذا لم يكن أصلها من اليعاقبة وهي المنسوبة الى مار بطرس في آخر الكتاب ونظن ظناً قريباً من اليقين ان هذه النافورة الاصلية القديمة هي التي كان يستعملها

الى يوحنا مارون . فاما ان الذين طبعوا هذا الكتاب عرفوا تلك النافورة واما لم يعرفوها وفي كلا الحالين لا جواب للموارنة . فان كانوا قد عرفوها فلمَ لم يسردوها مع سائر النوافير وهي أحق بهم من غيرها اذ هي منسوبة الى امام أئمتهم ومؤسس ملتهم وان كانوا لم يعرفوها فليست هي اذاً لمارون وأي شيء يكون معروفاً عند ملة الموارنة اكثر من الاشياء التي تنسب الى زعيمها . أو ليس هو من أغرب الغرائب ان الموارنة الذين طبعوا ذلك الكتاب عرفوا نافورات يوحنا بن شوشان وماروثا التكريتي وديونيسيوس بن الصليبي وايونيس اليعاقبة وجهلوا نافورة رأس ملتهم .

فهذه النافورة اذاً قد لفقها أحد موارنة القرن السادس عشر في جزيرة قبرص من نوافير اليعاقبة ونسبها زوراً الى يوحنا مارون .

الموارنة لان علامات قدميتها كثيرة . أخصها انها تحوي رسم اخراج الموعوظين بعد قراءة الانجيل تبعاً للطقس القديم وان جزءها المتضمن رفع العقول الى فوق هو موجود بعينه في نافورة النساطرة الذي هو بلا شك أقدم كل النوافير السريانية الموجودة الآن كله أو على الاقل اكثره . فنحن نعتقد ان هذه نافورة الموارنة التي كانت تستعمل يوماً في الكنيسة الانطاكية قبل شقاق اليعاقبة . وان الموارنة اخذوها معهم يوم انشقوا وابقوها على حالها تقريباً . وأما اليعاقبة فمنذ شقاقهم لم يزالوا يعتبرونها قليلا قليلا حتى صارت في زمان يعقوب الرهاوي على الحال التي ترى فيه في النافورة المنسوبة الى مار يعقوب الرسول .



الفصل السابع

في ان كتاب شرح القداس

ليس هو ليوحنا مارون

هذا كتاب سرياني تشرح فيه جميع الصلوات والادعية والخدم التي يقضيها الكاهن في القداس وسائر رسومه وضوابطه بموجب طقس السريان على نص النافورة المنسوبة الى يعقوب الرسول أول أساقفة أورشليم يوجد منه نسخة واحدة فقط مخطوطة بيد ابراهيم الحاقلاني الماروني في رومية نفسها في نحو سنة ١٦٦٠ . وهذه النسخة هي خاصة الخزانة الكتبية التي للاحبار الرومانيين المسماة الواتيكانية . اعلم انه يوجد كتاب مثل هذا الكتاب تأليف يعقوب بن الصليبي مطران آمد اليعقوبي الذي عاش في اواخر القرن الثاني عشر . فنقول ان الكتاب المنسوب الى يوحنا مارون اصله هو ان ابراهيم الحاقلاني سرق كتاب ابن الصليبي المذكور وحذف منه ما لم يجده موافقاً لمعتقد الكاثوليك وغير فيه وزاد عليه ما رآه مناسباً ونسب مسروقه هذا الى يوحنا مارون . ولنا دلائل كثيرة على ذلك بعضها خارجية و بعضها باطنية . ولنبدأن بالخارجية فنقول :

١ — اول ظهور هذا الكتاب كان في سنة ١٦٦٠ اذ بقي مجهولاً قبل ظهوره بنحو الف سنة ولم يعرفه احد ولا ذكره احد ولا وجد له اثر في بلاد الشرق كلها . واول نسخة ظهرت منه خطها ابراهيم الحاقلاني نفسه من دون ان يذكر من اين نقلها كما شهد السمعاني نفسه وابراهيم كان عائشاً في جيلٍ كانت فيه العلوم ولاسيما علم الانتقاد وتحقيق اثار الاولين قد بلغت اوج الكمال . واذ كان ابراهيم يعلم جيدا انه بحسب صول هذا العلم لا يقبل كتاب ما لم يبين من اين أخذ وما اصله لم يذكر هو شيئاً من

ذلك عن الكتاب الذي اظهره ولم . يكتم ذلك الا لسبب انه سرق الكتاب من ابن الصليبي واستحيا من ان يقرّ بذلك . حتى ان السمعاني نفسه رفض هذا الكتاب في المجلد الاول من المكتبة الشرقية ولم يرجع عن رفضه هذا صريحاً في المجلدات الاخرى . بل اكتفى بقوله ان ابراهيم الحاقلاني نسب الى يوحنا مارون كتاباً يشبه كتاب يعقوب بن الصليبي (مجلد ٢ وجه ١٧٧) .

٢ ـ ان كتاب يوحنا مارون وكتاب ابن الصليبي متساويان في الالفاظ حرفاً حرفاً الاّ ما قلَّ مما أدخل فيه من التغيير والزيادة والنقصان لتسهيل عبارته على اذان القارئين الكاثليك . وليس الامر كما يبان ان صاحب روح الردود ظنّ في وجه ١٩٦ ان المشابهة هي في العنوان وفي أشياء زهيدة فقط . وكل واحد يقرّ ان هذه المشابهة لايمكن ان تكون اتفاقية بدون عمد . وكيف يقبل العقل ان فصولاً صحيحة طويلة وجدت حرفاً بحرف بعينها في كتاب ابن الصليبي وكتاب الحاقلاني من دون ان يكون الواحد قد نقل عن الاخر . والحال انه لايمكن ان يكون الصليبي قد نقل عن يوحنا مارون لان يوحنا لم يكن يعرف له عند الشرقيين أدنى مؤلف سوى كتاب شرح معتقد الموارنة عند الموارنة وحدهم فقط . حتى ان اسمه نفسه ضائع عند الشرقيين . ولم يذكره أحد منهم بصفة مؤلف كتب . فان كان الموارنة أنفسهم قبل عهد ابراهيم الحاقلاني أي الى القرن السابع عشر لم يكونوا يعرفون هذا كتاب مارون . فكيف قدر ان يقف عليه يعقوب بن الصليبي وهو في أقصى بلاد بين النهرين وفي القرن الثاني عشر مع انه كان يعقوبياً لا مارونياً . فاذاً يجب ان نقول ان الذي انتحل الكتاب الى يوحنا مارون قد سرقه من كتاب ابن الصليبي .

٣ ـ لامراء أن الاقدم من هذين الكتابين قد نقل عنه في الآخر . والحال ان كتاب ابن الصليبي هو أقدم من كتاب الحاقلاني بكثير . فان لكتاب الحاقلاني نسخة واحدة فقط كتبت في أواسط القرن السابع عشر . واما كتاب ابن الصليبيّ

فمنه نسخة في المكتبة الواتيكانية كتبت سنة ١٦٤٦ . ونسخة أخرى في تلك المكتبة أيضاً كتبت سنة ١٤٥٥ ونسخة أخرى موجودة في دير الشرفة الذي في جبل كسروان كتب سنة ١٢٢٤ (١) ومن يعلم كم يوجد منها في باريس (٢) وفي سائر مدن أوروبا وفي بلاد الشرق . فاذاً لا شك ان نسخة ابراهيم الحاقلاني لا يمكن ان تكون مصنفة في جيل يوحنا مارون وهاك اثباتاً لذلك :

انه في الفصل العاشر من هذا الكتاب وجه ٢٣٠ وما يليه حيث يتكلم المؤلف عن الذبيحة استشهد بنوافير مار يعقوب ومار بطرس الاولى والثانية والاثنى عشر رسولاً و يوحنا الانجيلي ومرقص الانجيلي وقورلس الاسكندري و يوحنا فم الذهب كأن هذه النوافير كانت موجودة في جيل يوحنا مارون أي في القرن السابع . وهذا لا يصدقه الاّ ابراهيم الحاقلاني . فانه (١) لم تذكر هذه النوافير وسائر نوافير اليعاقبة المسماة بأسماء القديسين والملافنة الاعند مصنفيّ القرون المتأخرة ولم يذكرها أحد من المتقدمين البتة وقد أجمع العلماء على انها كلها الاّ واحدة أو اثنتين منها اخترعها اليعاقبة في الازمان المتأخرة . طالع رنودوت في ذلك . (٢) أيّ انسان ذو عقل يصدّق ان

(١) *** يقرأ في آخر المصحف السرياني ما ترجمته : قد كتب دانيال الحقير بين الكهنة الخاضع لكنيسة قرية بيت صحرايا . . . وكان ذلك في سنة ١٥٣٥ يونانية المناسبة لسنة ٦٢٠ هجريه في حادي عشر ذي القعدة . انتهى .

(٢) *** بعد ان كتب المؤلف رحمه الله ملخص هذه المقالة في حاشيته اللاتينية عنى أحد علماء الافرنج في البحث عن هذه المسألة وكشف نقابها وهو الاب لابور الذي برهن بنوع قطعي عن ان هذا الكتاب هو ليعقوب بن الصليبي الذي الفه بين سنة ١١٦٦ الى ١١٧١ وأثبت ذلك من المخطوطات السريانية الموجودة في مكتبة باريس بعدد ٢٠٨ و٢٠٩ (راجع ما كتبته في هـذا الشأن مجلة Echos d'Orient سنة ١٩٠٦ وجه ٢٦٦)

بطرس الرسول مثلاً ألف نافورتين كبيرة وصغيرة ومن الاثنتين لم يبق أثر الاّ عند اليعاقبة حق ان الكنيسة الرومانية نفسها التي تأسست وتعظمت وتزينت بهذا زعيم الرسل لم تحظَ ولو بالصغيرة من هاتين النافورتين . (٣) وكيف يمكن ان قورلس الاسكندري ألف نافورة لايوجد أثر منها في كنيسته أي في الكنيسة القبطية . فان الاقباط عندهم نافورة أخرى باسم هذا الملفان . (٤) وأعجب من كل ذلك استشهاد هذه الكلمات من نافورة ماريوحنا فم الذهب على قوله وهي ܚܝܠܢ ܠܟ ܐܘ ܡܪܝܐ ܗܕܐ ܕܒܚܬܐ ܠܟ ܕܢܩܪܒ ܠܡܩܪܒܘ «قوّنا يارب لكي نقرّب لك هذه الذبيحة» والحال ان النافورة التي فيها هذه الكلمات ليست ليوحنا فم الذهب بل ليوحنا اسقف حاران وماردين اليعقوبي الذي عاش في القرن الثاني عشر كما تشهد النسخ الكثيرة الموجودة فيها هذه النافورة التي بدءها ܫܠܡܐ ܐܚܘܢ ܕܪܒܐ ܘܡܪܝ ܡܪܝܐ . ويوجد أكثر من عشر نسخ من هذه النافوره في قرية قرقوش بقرب الموصل وفي كلها تنسب تلك النافورة الى يوحنا أو ايونيس المذكور . وقد أقرّ بذلك يوسف السمعاني نفسه في المجلد الثاني من المكتبة الشرقية وجه ٢٣٠ وفي المجلد الاول وجه ٥٧٤ . وسبب غلط الموارنة في حقيقة صاحب هذه النافورة هو انهم عند ما أخذوها من اليعاقبة وجدوها باسم ايونيس فظنوه اسم ايونيس خروسسطموس أي يوحنا فم الذهب . والدليل القاطع على ان هذه النافورة لم يؤلفها يوحنا فم الذهب هو انه في احدى صلواتها يذكر المجمع الرابع المسكوني (كذا في طبعة الموارنة سنة ١٥٩٤ . مع ان اليعاقبة يذكرون فيها ثلاثة مجامع فقط تبعاً لمذهبهم) ومن المعلوم ان فم الذهب توفي سنة ٤٠٧ أي قبل المجمع الثالث باربع وعشرين سنة . فاسمع وتعجب .

ثم اعلم ان عند اليعاقبة نافورة باسم يوحنا فم الذهب تبتدئ ܡܪܝܐ ܐܠܗܐ ܐܚܝܕ ܟܠ ܩܕܝܫܐ « أيها الرب الاله الضابط الكل القدوس » وقد طبعها

الموارنة بهذا الاسم في رومية سنة ١٧١٦ بدل تلك الاخرى. فاسمع وتعجب من ذكاء الحاقلاني كيف جعل يوحنا مارون الذي عاش في القرن السابع يستشهد كتاباً صنف بعده بنحو خمسمائة سنة.

٢ — في الفصل السادس حيث الكلام عن لفظة السرّ ومعناها توجد هذه الكلمات وهي: «لعلّ سائلاً يسأل لماذا حينما نقول السر بلا زيادة نعني سر جسد المسيح ودمه مع «انه يوجد غيره تدعى اسراراً وهي بالحقيقة اسرار. وهي المعمودية والمورون والخيروطونية «(اي رسامة الكهنوت) والتوبة والزيجة على موجب شريعة المسيح والقنديل اي «مشحة المرضى مع الصلوة»

لله درّك يا ابراهيم الحاقلاني انك قد اوليت ارباب علم اللاهوت معروفاً جزيلاً بكتابك هذا. فان اللاهوتيين من قبلك كانوا قد تجشموا تعباً لا يوصف لكي يجدوا شهادة من احد الاباء القدماء فيها تعد سبعة اسرار الكنيسة كلها باسمائها. فخاب املهم. وها انت قد قدّمت لهم شهادة من القرن السابع نفسه فيها تذكر هذه الاسرار السبعة باسمائها بالترتيب نفسه الذي به نعدها نحن المتأخرين (فليطالع مثلاً كتاب اللاهوت بيروني (Perrone) المجلد ٦ الفصل الاول من المقالة في الاسرار على وجه العموم). قال العلاّمة الشهير في عصرنا هذا فرنسلين امام اللاهوتيين في وجه ٢٥٥ من كتابه في الاسرار على وجه العموم: «ان مجموع الاسرار السبعة لا يمكن بيانه من الكتب «المقدسة ومن عتائق المسيحيين الاّ افراداً فان اجمال الاسرار السبعة لا يوجد «مذكوراً في الكتاب المقدس ولا لدى الاباء القديسين الى القرن الثاني عشر تقريباً «ولا توجد اسرار العهد الجديد كلها مجملة في عدد واحد ومبحوثاً عنها بحثاً مستوعباً «شاملاً». نقول ان الكتب الطقسية التي تستعملها الكنيسة السريانية سوآء التي في يد اليعاقبة او في يد الموارنة تذكر الاسرار السبعة كلها ولكن بالافراد من دون ان تجملها جملة. وعندما تجمل تذكر سرين منها فقط او ثلاثة لا اكثر.

٣ ـ ثم ان عندنا في ورقة ١٣٢ وما بعدها من هذا المصحف الواتيكاني المنحول الى يوحنا مارون شهادة واضحة تقطع كل نزاع . وذلك انه ترد فيها هذه الكلمات:

ܥܠ ܗܝ ܕܝܢ ܕܫܐܠܬܘܢ ܕܐܢ ܒܠܚܡܐ ܚܡܝܥܐ ܐܘ ܦܛܝܪܐ.
ܠܡܩܪܒܘ ܐܝܟ ܐܡܪܝܢ ܕܠܝܬ ܗܘܐ ܠܢ ܦܘܩܕܢܐ ܡܪܢܝܐ
ܘܫܠܝܚܝܐ. ܕܗܢܐ ܡܦܩܕ ܐܘ ܕܟܠܐ ܥܠܠ. ܘܥܠ ܗܕܐ ܗܢܘܢ ܡܢܗܘܢ ܒܚܕܐ
ܘܗܢܘܢ ܒܗܢܐ. ܡܩܪܒܝܢ ܐܝܟ ܥܝܕܐ ܕܐܫܬܠܡܘ. ܒܪܡ ܐܝܠܝܢ ܕܒܚܡܝܥܐ
ܡܩܪܒܝܢ ܡܥܕܠܝܢ ܠܢ ܘܠܡܥܪܒܝܐ ܘܠܐܪܡܢܝܐ ܟܕ ܐܡܪܝܢ ܕܦܛܝܪܐ
ܠܝܬܘܗܝ ܠܚܡܐ

« واما لسوألكم بالخبز الخمير ام بالفطير ينبغي ان نقدّس . فنجيب انه ليس لنا « امر رباني او رسلي يأمر بهذا او ينهي عن ذاك . ولذلك فبعضهم يقضون القداس «بالواحد و بعضهم بالاخر حسبما تسلموا من العوائد . غير ان الذين يقدّسون بالخمير « يؤنبونا نحن والغربيين والارمن بقولهم ان الفطير ليس خبزًا » . ثم يتابع كلامه بالمدافعة عن صحة الفطير وايراد البينات التي منذ القرن الحادي عشر فصاعدًا شرع اللاتين يردّون بها اعتراضات اليونان على استعمال الخبز الفطير في القداس .

فقولك يا ابراهيم الحاقلاني ان ثلاث طوائف فقط كانت تقدس بالفطير في القرن السابع اي طائفتك وطائفة الارمن وطائفة اللاتين . وباقي الطوائف كانت تقدّس بالخمير . هو مخالف لما اثبته السمعاني حيث قال في وجه ٤١٠ من المجلد الاول من المكتبة الشرقية ان اليعاقبة كانوا يقدسون بالفطير .

ان كل خبير قليلاً بالامور التاريخية يحكم ان هذه الفقرة التي اوردناها عن الخمير والفطير لايمكن البتة ان تكون قد كتبت في القرن السابع (١) لانه فيها يذكر

خلاف وجدالات بين طوائف النصارى من جهة استعمال الخبز الخمير او الفطير في القداس . والحال انه اول نشوء هذه الخلافات والجدالات كان في القرن الحادي عشر . وقد اقرَّ السمعاني نفسه في المجلد الخامس من مكتبة الشرع وجه ٢٣٦ بانه في القرن السابع لم تكن مجادلة في هذا الامر حيث قال :

Quo quidem sœculo (i. e. sœculo Jacobi Edesseni) neque apud Grœcos aut Syros, neque apud Latinos circa azimum et fermantatum nota fuerit quaestio.

« وفي ذلك الجيل (اي جيل يعقوب الرهاوي وهو اواخر القرن السابع وبدء الثامن) لم تكن قد نشأت مسألة الفطير والخمير عند اليونان والسريان ولا عند اللاتين» وعلى ذلك بنى السمعاني برهانه في امر كتاب سرياني يبحث فيه عن الخمير والفطير ليبين ان ذلك الكتاب ليس هو تأليف يعقوب الرهاوي . فلم يكن اذاً في القرن السابع احد يوبخ اللاتين او الارمن او الموارنة على استعمال الفطير في القداس ولا كان من سبب الخمير والفطير « جدالات وابحاث خصوصية قبل عصر يوحنا مارون وان كانت الطوائف منقسمة في مذاهب دينية عديدة » خلافاً لما زعم صاحب روح الردود (وجه ٢٠٢) بلا حجة ولا سند . (٢) يذكر الارمن بين الذين كانوا يستعملون الفطير في القرن السابع . وهذا مخالف للواقع . فانه لو كان الارمن في ذلك الجيل يقدسون على الفطير لذكر ذلك مجمع القصر المعقود سنة ٦٩١ اذ ونب الارمن على اشياء كثيرة طقسية كما افاد العلاّمة لكويان المستشهد في هذا الكتاب مراراً في المقالة الاولى من مقالاته الدمشقية فصل ٣١ . (٣) يجعل يوحنا مارون ان يعرف في القرن السابع في مغاور لبنان نفسها بان اللاتين كانوا في ذلك الجيل يقدسون على الفطير . مع ان اللاتين انفسهم اعني افاضل العلماء والمحققين منهم الى الان ما قدروا ان يعرفوا بتأكيد أالفطير ام الخمير كانت كنيستهم تستعمل في ذلك الجيل وما بعده . وبعد التفتيش والبحث والمطالعات الطويلة اجمع رأيهم على ان الكنيسة اللاتينية كانت تستعمل الخمير والفطير بلا تمييز الى جيل فوتيوس وهو القرن العاشر . طالع

سرمُند اليسوعي في المقالة عن الفطير والكردنال بونا في كتاب الامور الليترجية في الفصل ٢٣ من كتاب بروني (Perrone) في مقالة الاوخارستيا جزء ٢ فصل ٣ قضية ١ . (٤) يجعل الموارنة من جملة الذين كانوا يقدسون على الفطير في القرن السابع . والحال اننا سنبين بادلة لا مردّ عليها انهم قدسوا بالخمير الى عهد تصالحهم مع الكنيسة الرومانية . وناهيك ان ملتهم تأسست على يد يوحنا مارون على قول اصحابها . فيكون يوحنا مارون قد كتب هذا الكتاب على قول الموارنة في وقت كانت الطائفة لم تنفصل بعد انفصالاً تاماً عن سائر الطوائف او كانت من قريب قد انفصلت . فكيف كان يمكن ان يشيع بين الطوائف في وقت وجيز هكذا خبر اتخاذها الفطير في القداس حتى تلومها سائر الطوائف لأنها وافقت الارمن واللاتين .

٤ - يستعمل صاحب هذا الكتاب الفاظاً لم تدخل في الاستعمال الاّ بعد اجيال كثيرة . فمن ذلك قوله في بيان وجود المسيح في القربان غير منظور .

ܐܝܟܢܐ ܕܝܫܘܥ ܡܬܚܙܐ ܗܘܐ ܐܢܫܐ ܘܐܝܬܘܗܝ ܐܦ ܐܠܗܐ . ܗܟܢܐ
ܗܠܝܢ ܐܦ ܡܬܚܙܝܢ ܠܚܡܐ ܘܚܡܪܐ : ܐܠܐ ܐܝܬܝܗܘܢ ܒܫܪܪܐ ܘܒܐܘܣܝܐ
ܦܓܪܐ ܘܕܡܐ ܕܦܪܘܩܢ ܬܚܝܬ ܐܕܫܐ ܕܠܚܡܐ ܘܚܡܪܐ

« كما ان يسوع كان يرى انساناً وهو كان الاهاً ايضاً . كذلك هذان ولو انهما « يظهران خبزاً وخمراً الاّ انهما بالحقيقة والجوهر جسد ودم مخلصنا تحت اعراض « الخبز والخمر » . فهذه العبارة اي وجود المسيح في سر الاورخاستيا تحت صورة الخبز والخمر او تحت اعراضهما لم يستعملها الاباء قط في الكلام عن القربان المقدس . واوّل من استعملها كان اللاهوتيون الذين يسمونهم المدرسيين وذلك في القرون المتأخرة من القرن الحادي عشر فصاعداً في اللغة اللاتينية فقط حيث ارادوا ان يعبروا عن كيفية وجود المسيح في القربان بالفاظ فلسفية .

واسمع الان عبارة ابن الصليبي الذي سرق منه الحاقلاني هذه النبذة وتعجب.

قال ابن الصليبي في الفصل ٢٣ :

ܐܪ̈ܙܐ ܡܬܩܪܝܢ ܦܓܪܐ ܘܕܡܐ ܡܛܠ ܕܠܐ ܗܘܐ ܕܡܬܚܙܝܢ ܐܝܬܝܗܘܢ ܒܚܙܬܐ ܠܚܡܐ ܘܚܡܪܐ ܐܢܘܢ. ܐܠܐ ܡܬܝܕܥܝܢ ܕܐܝܬܝܗܘܢ ܦܓܪܐ ܘܕܡܐ ܕܐܠܗܐ. ܘܐܝܟܢܐ ܕܝܫܘܥ ܡܫܝܚܐ ܡܬܚܙܐ ܗܘܐ ܐܢܫܐ ܘܐܝܬܘܗܝ ܐܠܗܐ ܐܝܟܢܐ ܐܦ ܗܠܝܢ ܡܬܚܙܝܢ ܠܚܡܐ ܘܚܡܪܐ ܘܐܝܬܝܗܘܢ ܦܓܪܐ ܘܕܡܐ. ܘܐܦ ܪܘܚܐ ܩܕܝܫܐ ܥܒܕ ܠܐܪ̈ܙܐ ܦܓܪܐ ܘܕܡܐ ܐܠܐ ܕܒܪܐ ܐܝܬܝܗܘܢ ܐܝܟ ܕܐܦ ܒܒܬܘܠܬܐ ܐܣܬܥܪܬ.

« يسمى الجسد والدم اسراراً الا انهما لا يظهران بالنظر. فانهما بالنظر خبز وخمر. « الاَّ انهما يعرفان جسد الله ودمه وهما بالحقيقة كذلك. وكما ان يسوع المسيح كان « يرى انساناً وهو الاه هكذا هما يظهران خبزاً وخمراً وهما جسد ودم. ثم انه ولو « ان روح القدس يصنع الاسرار جسداً ودماً الاَّ انهما جسد الابن ودمه كما حدث « الامر في العذراء ». واما لفظة ܐܕ̈ܫܐ التي استعملها الحاقلاني بمعنى الاعراض الظاهرة بمقابلة الجوهر كاصطلاح المدرسيين فانما استعملها المؤلفون السريان بمعنى المادة التي يصنع منها السر في الكنيسة. قال العازر بن سبتا اسقف بغداد في كتاب تفسير اسرار البيعة:

ܠܚܡܐ ܕܝܢ ܘܚܡܪܐ ܡܩܪܒܝܢܢ ܡܛܠ ܕܟܕ ܨܒܐ ܡܫܝܚܐ ܕܢܒܛܠ ܠܕܒ̈ܚܐ ܒܪ̈ܡܫܐ ܗܘ ܕܒܗ ܐܚܕ : ܠܚܡܐ ܘܚܡܪܐ ܢܣܒ ܚܠܦ ܐܕ̈ܫܝܗܘܢ ܘܐܡܪ: ܕܗܢܘ ܦܓܪܝ ܘܕܡܝ. ܠܐ ܡܕܡ ܐܚܪܝܢ ܡܦܪܫ ܡܢܗܝܢ ܐܕ̈ܫܐ.

« انما نقرّب خبزاً وخمراً لانه لما اراد المسيح ان يبطل الذبائح في المساء الذي

« فيه تألم اخذ خبزًا وخمرًا على يديه وقال هذا هو جسدي ودمي ولم يأخذ شيئًا اخر « سوى هاتين المادتين » . وقال ايضاً في كلامه عن مادة سر الميرون :

ܕܗܘ ܡܢ ܟܠ ܡܫܚ̈ܐ ܡܪ̈ܬܐ ܕܒܣܝܡ̈ܢ ܘܪ̈ܒܐ ܡܬܪܟܒܝܢ ܗܘܘ ܠܗ . . . ܡܢ ܝܘܡܢ ܕܝܢ ܒܬܪ̈ܬܝܢ ܒܠܚܘܕ ܡܬܪܟܒ . . . ܡܢ ܡܫܚܐ ܘܗܘ ܡܢ ܒܠܣܡܘܢ ܕܡܢ ܡܨܪܝܢ ܡܬܝܬܐ .

« انهم كانوا يركبونه يوماً من كل نوع من الدهون الكثيرة الذكية الرائحة . . . ولكنه يركب اليوم من مادتين فقط وهما دهن الزيت والبلسم الذي يجلب من مصر »

٥ ـ ومن غرائب اختلاقات الحاقلاني بحثه في الفصل الثالث والثلاثين عن معنى دعوة روح القدس المستعملة في القداس عند السريان وعند سائر الشرقيين كأن يوحنا مارون قال في القرن السابع :

ܐܡܪܝܢ ܕܠܐ ܩܪܝܢ ܠܪܘܚܐ ܕܩܘܕܫܐ ܕܬܐܬܐ ܘܬܥܒܕ ܕܢܫܚܠܦ ܠܠܚܡܐ ܘܚܡܪܐ ܠܦܓܪܗ ܘܠܕܡܗ ܕܡܪܢ . ܐܠܐ ܕܢܥܒܕ ܕܢܗܘܘܢ ܠܫܘܒܩܢܐ ܕܚܛܗ̈ܐ ܘܠܚ̈ܝܐ ܕܠܥܠܡ ܠܗܠܝܢ ܕܡܩܒܠܝܢ ܠܗܘܢ

« نقول اننا لاندعو روح القدس لكي يحلّ ويصنع أي يحول الخبز والخمر الى « جسد ربنا ودمه . بل لكي يجعل ان يكونا لغفران الخطايا وحياة الابد للذين « يتناولونهما ». فهذا التفسير لدعوة روح القدس قد تعلمه الحاقلاني من الجدال الذي حدث في زمان المجمع الفلورنتيني . فانه لم يرد قبل ذلك في كتاب أحد ملافنة الشرق حتى ان الذي لفق النافورة باسم يوحنا مارون وضع من لسانه في دعوة روح القدس هذه الكلمات وهي :

ܐܦ ܒܥܒܕ ܡܕܡ ܡܪܝܐ ܠܐܠܗܐ ܕܢܫܕܪ ܘܢܫܪܐ ܘܢܓܠܐ ܢܚܬ ܥܠ ܡܫܝܚܐ ܗܘܐ ܘܢܥܒܕ ܠܦܘܪܩܢܐ ܗܘܐ ܦܓܪܐ ܘܕܡܐ ܘܡܫܬܠܡܢ

ܒܠܚܡܐ ܗܢܐ . ܘܢܗܘܐ ܠܚܡܐ ܦܓܪܐ ܘܚܡܪܐ ܕܡܐ ܕܢܬܦܠܓ
ܠܣܓܝܐܐ

« نعم نبتهل اليك أيها الرب الاله ان يحلّ روحك وقوتك وكلمتك على هذا « المذبح ويقدس هذا القربان ويسكن في هذا الخبز وفي هذا الدم فيكون الخبز جسداً « والخمر دما ليقسم على كثيرين » . كذا في النافورة المنسوبة الى يوحنا مارون في المصحف البرجياني عدد (ح) وفي المصحف الواتيكاني السرياني عدد ٢٩ . ألامن يصدق ان الذي قال هذه الكلمات هو الذي قال الكلمات الاولى . أوان الذي قال الكلمات الاولى قال هذه الكلمات الثانية . أما الموارنة الذين طبعوا هذه النافورة المنسوبة الى يوحنا مارون سنة ١٧١٦ فرأوا كلمات دعوة روح القدس غريبة جداً تميل الى الهرطقة . فاسقطوها وجعلوا مكانها كلمات أخرى اخترعوها من عندهم وهي : « لتنفتح يارب أبواب السماء وتنكشف أبواب النور ولتأت روحك القدوس من « أعلى الاعالي ويسكن ويحلّ عليّ وعلى هـذا القربان ليكون به غفران الذنوب «ومسامحة الخطايا للذين يتناولونه ».

٦ ــ واما مايبين خباثة هذا سارق كتاب ابن الصليبي ويخجله أكثر من كل شيء فهو ايراده في الفصل الرابع والخامس مقالة يعقوب الرهاوي اليعقوبي في ترتيب القداس جاهلاً الزمان الذي فيه عاش هذا يعقوب . وهي المقالة التي أتى بها السمعاني في المجلد ١ من المكتبة الشرقية وجه ٤٧٩ . نقلا عن كتاب ابن الصليبي المذكور . يا ابراهيم الحاقلاني أنسيت ماقلت في أحد مؤلفاتك ان يوحنا مارون عاش في القرن السادس ومبادى السابع ففهمنا كيف قدر اذاً ان يورد كلام ملفان عاش في القرن السابع ومبادىء الثامن . فان يعقوب الرهاوي توفى في سنة ٧١٠ وكيف تدعي ان يوحنا مارون كان ارثذكسيًا بعد ماتجعله مواليًا لاحدايمة أعداء بيعة الله المشاهير .

٧ ــ ولولا اضجار القاري من الاطالة لبيّنا من اختلاف الانشاء والمضمون

ان المؤلف الاصلي لهذا الكتاب هو غير الذي ادخل فيه الزيادات . ولبرهنا من النص والعبارات والالفاظ عن امتناع تأليف هذا الكتاب في القرن السابع .

فهذه البينات وغيرها تظهر لنا خطة هذا الرجل الماروني اذا انه استجهل الافرنج الذين بينهم ألف كتبه وموّه عليهم ما أدخله فيها من الكذب والبهتان . فماذا نقول الان عن صاحب كتاب روح الردود الذي أجهد كل قواه (في وجه ١٩٧ وما بعده) ليبين لنا الفرق الموجود بين كتاب ابن الصليبي و بين مسروق ابراهيم الحاقلاني . ويكفي ان نذكر صاحب روح الردود ان ابراهيم الحاقلاني لم تصل به الحماقة الى حدّ ان يترك في كتاب عزاه الى مارونه ماراه في الكتاب اليعقوبي المسروق منه مخالفا لايمانه أو لعادات كنيسته .



الفصل الثامن

في ان كتاب الكهنوت المنسوب الى يوحنا مارون هو لموسى بن كيفا

ان ابراهيم الحاقلاني لم يكتف بسرقته من ابن الصليبي اليعقوبي كتاب شرح القداس بل سرق أيضاً كتاب الكهنوت تأليف أحد علماء اليعاقبة ونسبه الى مارونه . ومن بعد ما رأيناه في الفصل السابق لاحاجة الى اطالة الكلام لبيان كذب الحاقلاني في هذا الكتاب أيضاً لانه لم يأت ببينات واضحة تعزز قوله . والحال ان أول من نسب هذا كتاب الكهنوت الى يوحنا مارون كان الحاقلاني في القرن السابع عشر وقد كتبه بيده فلا يستحق ان يوثق بكلامه البتة . لان السمعاني نفسه في المحل

المذكور سابقاً قد كذّب الحاقلاني ولو انه لم يحب ان يعنفه مراعاة لجنسه.

فماذا نقول الان في ما قاله صاحب كتاب روح الردود وجه ١٩٢ نقلا عن اسطفانس عواد السمعاني اي ان يوحنا اسقف دارا وديونيسيوس بن الصليبي انتحلا من كتاب مارون اشياء كثيرة . يا للفظاعة . ان الموارنة لم يكتفوا بان يأخذوا من اليعاقبة كتب صلواتهم وطقوسهم ونوافيرهم وكلندارهم وقديسيهم المنوفيستين وان يسرقوا كتباً من علماء هذه الملة وينسبوها الى مؤسس شيعة اجدادهم . بل بلغت بهم الجسارة الى ان يتّهموا اثنين من عمد الملة اليعقوبية بانهما اختلسا مصنفاتهما الواحد في القرن التاسع والاخر في القرن الثاني عشر من كتب انشأها ابراهيم الحاقلاني الماروني في القرن السابع عشر . وبعد ذلك افيحق لصاحب روح الردود ان ينقم علينا لاننا قلنا في كتابنا اللاتيني ان علماء الموارنة قد اسأوا التصرّف بامامتهم في علم السريانية في مدينة رومية وسائر بلاد اوروبا في القرن السابع عشر والثامن عشر.

بقي لنا ان نرى لاي واحدٍ من علماء اليعاقبة يجب ان ينسب كتاب الكهنوت الذي سرق منه الحاقلاني اثنين وثلاثين فصلاً . اعلم ان هذا الكتاب قد وقع منه بيد السمعاني نسخةٌ ناقصة كما ذكر في وجه ١٣٢ من المجلد الثاني من المكتبة الشرقية ويوجد في مكتبة دير الشرفة المار ذكره مصحفٌ كتب سنة ١٣٢٤ ذكرناه في وجه ١٣٣ وهو يحوي هذا كتاب الكهنوت كاملاً اي مؤلفاً من ستة كتب او ابواب.

ان السمعاني قد جعل صاحب هذا الكتاب يوحنا اسقف دارا الذي عاش في القرن التاسع . والظاهر انه استدلَّ على صاحب هذا الكتاب مما وجده في رأس المصحف الذي استعمله . وذلك من باب التخمين (فان اخر الكتاب كان ناقصاً). واما النسخة التي سبق ذكرها وهي الشرفية فيقال فيها مصرّحاً ان صاحب هذا الكتاب هو موسى بن كيفا الذي اورد ترجمته السمعاني في المجلد ٢ من المكتبة الشرقية فانه في مبدأ الباب الرابع يقال:

ܬܘܒ ܡܐܡܪܐ ܕܐܪܒܥܐ ܥܠ ܟܗܢܘܬܐ ܕܝܠܗ ܕܚܣܝܐ ܡܘܫܐ
ܒܪ ܟܐܦܐ

« الباب الرابع من كتاب الكهنوت للطاهر موسى بن كيفا المذكور ».وفي مبد الباب الخامس : ܕܝܠܗ ܕܡܪܝ ܡܘܫܐ ܒܪ ܟܐܦܐ.

« لمار موسى بن كيفا المذكور ».ومثل ذلك يقرأ في مطلع الباب السادس و بعد نهاية كتاب الكهنوت توجد موعظة يقرأ في مطلعها هذا العنوان .

ܬܘܒ ܟܕ ܕܝܠܗ ܕܩܕܝܫܐ ܡܪܝ ܣܘܝܪܐ ܕܗܘ ܡܘܫܐ ܒܪ ܟܐܦܐ
ܚܣܝܐ ܕܒܝܬ ܪܡܢ. ܡܐܡܪܐ ܐܘܟܝܬ ܡܬܪܥܝܢܘܬܐ ܠܒܢܝ̈ܐ
ܕܥܕܬܐ ܩܕܝܫܬܐ

« مقالة أو موعظة لاولاد البيعة المقدسة تأليف القديس مارسويرا الذي هو «موسى بن كيفا الطاهر اسقف بيت رامان الذي سبق ذكره »

ثم ان في هذا المصحف الشرفي مصنفات اخرى لموسى بن كيفا غير المذكورة فوق . قد ذكر بعضها السمعاني في ترجمة هذا المؤلف وهي ١ً مقالة في رسامة الاسقف والقسيس والشّماس . ٢ً ترجام في تقديس المورون . ٣ً مقالة في العماذ . ٤ً تفسير القداس . وفيه ايضاً مصنفات في ما يخص اسرار الكنيسة وتراتيبها ليعقوب الرهاوي وغيره لم يطلع عليها السمعاني .

فلا شك اذاً ان كتاب الكهنوت الموجود في هذا المصحف الشرفي ينسب فيه صريحاً اكثر من مرّة الى ابن كيفا . فيتضح ذلك جلياً ان السمعا ني قد توهم اذ نسب هذا الكتاب الى يوحنا اسقف دارا . (١)

---

(١) بعد كل ما كتبنا الى الآن من لا يتعجب ويندهل اذ يقرأ الكلمات الآتية التي كتبها في سنة ١٧٤٨ اسطفان عواد السمعاني في المجلد الثاني من كتاب أخبار الشهداء وجه ٤٠٨ في وسط زمرة علماء اوروبا كانه يستهزئ بهم . وهي قوله عن

الفصل التاسع

في ان اخبار حرب الملكيين مع الموارنة في القرن السابع حكايات لا أصل لها

بعد ما فرغنا من البحث عن أول أصل الموارنة وعن مارون الذي يحسب أول مؤسس لشيعتهم علينا الان ان نبحث عن حكايات رواها الموارنة المتأخرون عن مبادئ نشوء ملة أجدادهم .

ان ملخص هذه الحكايات التي لفقها اسطفانس الاهدني في كتابه في أصل الموارنة هو انه بعد ما جعل يوحنا مارون بطريركا وتفاقم عليه وعلى الموارنة غضب الملك يسطنيانوس الثاني الاخرم لمخالفتهم مأثوراته الدينية أيضاً وتشبثهم بعرى الكنيسة الرومانية . أرسل عساكره للتنكيل بهم سنة ٦٩٤ . فأتوا الدير المذكور (أي دير مارون الناسك) فجعلوه قاعاً صفصفاً وقتلوا خمسمائة من رهبانه وقرضوا سكان قنسرين والعواصم تلامذتهم وأتوا كورة طرابلس قاصدين القبض على يوحنا مارون والتنكيل باللبنانيين . فشتتهم الموارنة وقتلوا قائدهم في موقعة أميون الشهيرة » . كذا في كتاب روح الردود وجه ٦٩ . وقد ذكر هذه الحكاية السمعاني أيضاً في وجه ٥٠٤ من المجلد الاول من المكتبة الشرقية نقلا عن اسطفانس الاهدني .

يوحنا مارون « ان مارون الثاني كتب بعد عهد قورش المنوثليتي أصلا أو فرعاً . فانه « قد ذكر كانه قد مات في كتاب شرح القداس الذي في يدنا واستشهد القرآن الذي « صنف بعد انشاء المنوثليتية وحارب بدعة المنوثليتية وقد اشهر بالطبع قصة حياته « كوارسم .... وعد مؤلفاته عبد يشوع مطران صوبا في دفتر المؤلفين السريان « واسطفانس (الاهدني) بطريرك الموارنة واستشهده أبو غريغوريوس المكني بابن « العبري في كتاب خزانة الاسرار » . يالها من غباوة ووقاحة .

ونحن نقول ان هذه رواية الاهدني حكاية مخترعة لا أصل لها وتخالف حقيقة التواريخ وأدلة ذلك كثيرة: (١) ان أول من روى هذه الحكاية هو اسطفانس الاهدني في القرن السابع عشر وذلك من دون ان يستند الى كتاب أو مؤرخ أو دليل أو أثر قديم معاصر . فيحق لنا ولكل عاقل ان يرفضها مالم تورد بينات تؤيدها وتدفع عنها كل ريب . (٢) ان الاهدني لاشاهد هذه الامور ولاسمعها ممن شاهدها ولا قراها في كتاب مؤرخ ولا اتاه فيها وحي الهي . فكيف قدر بعد مرور نحو ألف سنة ان يعرف هـذه مناقب يسطينيان الاخرم التي لارواها ولا اشار اليها أحد من المؤرخين القدماء مع كل ما توغلوا في استقصاء أعمال هذا الملك كثيوفانس وديونيسيوس التلمحري وقدرانس وزوناراس وغيرهم . (٣) لابل ان لنا في التواريخ الصحيحة أدلة جلية تكذب رواية الاهدني وتفندها تفنيداً تاماً . وذلك انه يذكر ان يسطينيان الاخرم استجلب الى بلاد الارمن عسكر المردة الذي كان له في جبل لبنان ونواحيه في السنة الثانية لملكه وهي سنة ٦٨٦ . وقال المؤرخون ان الملك بهذا العمل هدم سوراً حصيناً كان يقي مملكة الروم من غائلة العرب . وعزّت بذلك شوكة العرب حتى كما تعلمنا التواريخ انهم أخذوا من ذلك الحين يمتدون في الارض ويضبطون جميع البلاد الشرقية التي كانت تحت حكم الروم . فكيف قدر اذاً عسكر الروم ان يدخل ثانية الى بلاد الموارنة سنة ٦٩٤ أي بعد ثماني سنين ويعمل ماذكره الاهدني . بل ذكر المؤرخون انه لما تجاسر يسطينيان ان ينقض العهد مع العرب سنة ٦٩٠ وحاربهم بعسكر الصقالبة كسرته العرب وهزمت جيشه حتى ان العرب تقووا وغاروا على داخل المملكة الرومية . فكيف أمكن بعد أربع سنين ان يأتي عسكر الروم الى بلاد سورية ويتوغل فيها الى أرض حماة وينزل ماذكره الاهدني من الاضرار بنصاري تلك

البلاد . وذلك في وقت كان العرب قد استولوا فيه على كل الجهات الجنوبية الغربية من المملكة الرومية ومن جملتها جبل لبنان وما يجاوره .

ان ديونيسيوس التلمحري كما نقل ابن العبري في الفصل ١٥ من المقالة الحادية عشرة من تواريخه بعد ماذكر ان ملك الروم أخرج عسكر المردايت من جبل لبنان سنة ٦٨٦ قال : « حينئذ لما رأي عبدالملك نفسه في امان من قبل الروم حارب كل « الذين كانوا عصاة عليه وغلبهم كلهم » . و بعد ان روى ان يسطينيان نقض العهد « مع العرب قال : لاجل هذا دخل محمد أمير الجزيرة بلاد الروم فحاربه الروم على « جانب قيصرية قبادوق وتوافق الصقالبة مع العرب وخرج منهم الى سورية نحو « سبعة الاف فاسكنوهم في انطاكية . . . وفي سنة ٦٩٥ أتى الروم الى عمق انطاكية « فاجتمع اليهم عسكر العرب وقتلوا أكثرهم والباقون هربوا ». فالروم أتوا الى نواحي انطاكية سنة ٦٩٥ لا ليدمروا دير مارون ولا ليعذبوا يوحنا مارون كما زعم الاهدني بل ليؤذوا العرب ويضبطوا منهم البلاد . وهم لم يستفيدوا شيئاً بل هلكوا وولوا مدبرين .

(٤) ثم اننا نسأل الخصوم قائلين : لاي سبب اضطهد يسطينيان على قولكم أمة الموارنة فان قالوا لسبب انهم كانوا يعتقدون بالمشئتين بالمسيح . قلنا لهم لا بل ان يسطنينان وكل عسكره وكل أهل مملكته كانوا يعتقدون بالمشيئتين وهو في مجمع القصر قد أمضى بيده بمداد من الزنجفر قبول معتقد المشيئتين كما كان المجمع السادس قد حدّد قبل سنين قليلة ولم يبق متمسكا بمعتقد المشيئة الواحدة سوى اليعاقبة والنساطرة والموارنة كما بينا وسنبين . فلماذا ترك يسطينيان كل تلك الجماهير الكثيرة ولم يتعرّض الاّ لاهل جبل لبنان الذين كانوا معروفين ببسالتهم . راجع تواريخ ثئوفانس وقدرانوس وزوناراس وكتاب التواريخ المنثورة وكتب المؤرخين المتأخرين كلهم .

انظر الى أين تفضي أقاويل علماء الموارنة كلها اذا وضعت في قالب الامتحان . فلو فرضنا من باب المحال صدق رواية الاهدني

لحصل منها مايكرهه خصمنا غاية ما يكون وهو ان الموارنة كانوا هراطقة حتى اقتضى ان يعاقبهم عسكر ارثذكسي دون سائر الامم العديدة الخاضعة لحكمه .

والحاصل ان تواريخ صنفت في القرن السابع عشر عن احوال القرن السابع وهي لاتؤيد بشهادة احد من المعاصرين او من القريبين الى العصر بل تخالف الاخبار الصحيحة لا يقبلها ذو عقلٍ سليم ولو كان مصنفها احكم الحكماء .

وهلمَّ الان نسمع ما يمكن الموارنة ان يدافعوا به عن هذه الحكاية .

١ ــ ربما يقولون : ان يوسف العاقوري ومرهج نمرون ذكرا شيئاً من هذه القصة في كتبهما . نجيب : ان نمرون والعاقوري لم يسبقا عصر اسطفانس الاهدني الاَّ بسنين قليلة . فان كان قد بدأ العاقوري ونمرون بشيء من هذه الحكاية ثم تممها اسطفانس الاهدني بعد سنين قليلة واوسعها وزخرفها فلا ينتج ان هذه الحكاية صحيحة . فلا يقدر الاخصام ان يقنعونا بصحة هذه الرواية ولو اتوا بشهادة مائة الف شاهد من المتأخرين ما لم يوردوا لنا شهادة احد المعاصرين او القريبين من العصر .

٢ً ــ لعلهم يقولون : ان مؤلف كتاب معتقد اليعاقبة (الذي سيأتي البحث عنه في الفصل الثامن والعشرين من الباب الرابع) ذكر شيئاً من هذه القصة كما روى الاهدني حيث قال : « عندما وصل تمليك الملكية الى قرية اسمها اميون ارتفع « مويرين وابن اخته بريهين عن الملكية الى صمرجبل وحماهم من الجزية التي فرضوها « الملكية على من لا يتبع دينهم ووافقوه كل السريان والذين في جبل لبنان وتبعوا مارون (١) الخ » . نجيب : ان هذا كتاب معتقد اليعاقبة صنف في القرن الخامس عشر وليس هو كتاب تواريخ بل جدالات مع الملكية والموارنة فلا يمكن ان تقبل شهادته اذا ما قبلت في الامور التاريخية الاَّ عن احوال عصر مؤلفه .

---

(١) بعد هذه الكلمات قال صاحب هذا الكتاب « وكان هذا في زمان ساويرس البطريرك » اي في القرن الخامس . فاسمع وتعجب من السند الذي يعتمد عليه علماء الموارنة في رواياتهم . راجع ما قلناه في حاشية وجه ١٢٧ من هذا الكتاب .

وناهيك ان ما روي في هذا كتاب معتقد اليعاقبة انما هو عن احوال الموارنة المتأخرين حينما دخلوا طاعة الكنيسة الرومانية على يد الافرنج في القرن الثاني عشر. كما يظهر من قرائن كلامه هذا . ومما قاله عن مارون الذي هو كناية عن ارميا العمشيتي وكما افاد يوسف السمعاني نفسه في المجلد الثاني من تواريخ ايطاليا . اذ قال ان الامور التي حدثت في القرن الثاني عشر في زمان رجوع الموارنة الى الكنيسة الكاثليكية نسبها جهال القرن الخامس عشر الى يوحنا مارون وزمانه . ونحن نتعجب من الموارنة فيما يروونه عن اخبار طائفتهم كيف يستندون الى كتب اليعاقبة و يبينون بذلك ان ليس عندهم اثار قديمة تؤيد زعمهم حتى يضطرون ان يلتجئوا الى شهادة كاتب اجنبي بالكدّ تقبل شهادته في امور عصره لا بل ان السمعاني نفسه في وجه ٢٥ من مقالته في السريان المنوفيستيين قد دحض شهادة مؤلف هذا الكتاب في الامور التاريخية والمباحث التحقيقية وقرّر ان كتابه مشحون بالخرافات وانه لا يستحق ادنى ثقة . ويكفي لافحام الخصم الذي اعتمد على هذا الكتاب ان نمعن النظر في العبارة الاتية وهي : « حماهم من الجزية التي فرضوها الملكية على من لا يتبع دينهم » . ألا من يجهل ان دين الملكية سنة ٦٩٤ كان ارتدّ كسياً وانه لم يمكن لملوك الروم ان يفرضوا جزية على اهل لبنان لانهم لم يكونوا مالكين شيئاً في تلك البلاد بل كان تباعهم في الدين تحت حكم الاسلام كما كان اهل لبنان كافةً .



الباب الرابع

﴿ في ايراد شهادات المؤلفين القدماء على ان ﴾

(الموارنة كانوا منوثليتيين أو غير كاثليكيين)

الفصل الاول

في بسط البرهان السلبي على ان الموارنة القدماء لم يكونوا كاثليكين

قد اثبتنا سابقاً ان الطائفة المارونية انفصلت في القرن السابع عن الكنيسة الكاثوليكية لسبب انها تمسكت بمذهب المشيئة الواحدة الذي كانت الكنيسة الكاثليكية قد حرمته في المجمع السادس المسكوني . ونحن نقول ان الطائفة المارونية ثبتت في انفصالها وانشقاقها هذا وتمسكها ببدعة المشيئة الواحدة الى عهد صلحها التام مع الكنيسة الرومانية مركز الديانة الكاثليكية . وهذا القول سنقرره ونبينه في الفصول الاتية بشهادات وافية شافية من اثار تلك الاعصار القديمة . فانه لا يخفى القاري اللبيب ان هذه المسألة لا يمكن حلها الا بشهادات اهل تلك الاعصار القديمة كما بينا في الفصل السادس من الباب الاول .

ولكن قبل ان نشرع في هذا البَحث الدقيق الطويل الذي جلّ كتابنا مبني عليه ويسوغ ان نسميه لبّ عملنا هذا علينا ان نتخذ برهاناً على ابطال زعم الموارنة من عدم وجود شهادة من الاولين تؤيده .

فنقول ان علماء الموارنة مع كل الجهد الذي بذلوه في تفتيش الآثار القديمة لم يفوزوا قط بشهادة ولو زهيدة تؤيد زعمهم او ترجحه من احد كتاب القرون التي فيها نقول ان ملتهم كانت في ضلال اي في الحقبة المارونية . ولبيان ذلك علينا ان نطالع كتاب الدرّ المنظوم وكتاب روح الردود اللذين جمع مؤلفاهما كل ما حصله اسلافهما. فاننا لا نجد في هذين الكتابين شاهدًا ولو واحدًا من القرن السابع وما بعده لاثبات زعم الموارنة . واقدم مؤلف او كاتب قدر صاحب روح الردود ان يجده من القائلين بقول الموارنة كان في اواخر القرن السادس عشر اي في الزمان الذي فيه كانت الطائفة المارونية قد ثبتت ورسخت في وحدة الكنيسة الكاثليكية من نحو مائة سنة . وعلى هذا يحق لنا ان نقول بكل امان وتأكيد انه لا يوجد مما خلفته لنا اثار الاولين شهادة واحدة من القرن السابع الى القرن الثاني عشر يتبين منها ان الطائفة المارونية كانت اذ ذاك ارثذكسية او كاثليكية . لانه لو امكن وجود شاهد واحد من كل مؤلفات تلك القرون لنشره موارنة زماننا بما افرغوه من الهمة والتعب . فينتج من هذا كله ان الطائفة المارونية في تلك المدة من الاحقاب لم تكن كاثليكية .

وهذا البرهان نراه نحن من اقوى البينات المبطلة زعم خصومنا . لاننا نقول انه لو كانت الطائفة المارونية كاثليكية في تلك القرون كما يزعمون لوجد شاهد او دليل على ذلك في آثار تلك الحقبة الطويلة التي تحوي نحو ستمائة سنة . وكيف امكن ان تبقى امة نحو ستمائة سنة منضمة الى الكنيسة الجامعة المنتشرة في العالم كله من دون ان يعلم بذلك احد . مع ان تلك الامة كانت ساكنة في نواحي مركز العالم المعروف وقتئذٍ وكيف لم تغفل التواريخ والآثار القديمة عن ذكر كل امة دخلت حضن الكنيسة الكاثليكية زمانًا بعد زمان وثبتت فيه من عهد الرسل الى يومنا هذا من جزائر بريتانيا الى ابحر الصين القاصية ومن اقصى بلاد سقوثيا الى اعمق بلاد النوبة واهملت ذكر امةٍ واحدة ساكنة في بلادٍ مشهورة في التواريخ وفي الكتاب المقدس ؛

وكيف امكن الطائفة المارونية ان تختفي عن معرفـة الكنيسة وتلبث مجهولة خاملة الذكر كل ذلك الزمن مع كل التقلبات والاضطرابات والانزعاجات والضيقات والانتصارات التي طرأت على الكنيسة الكاثليكية في العالم كله في بحر القرون الستة المارونية مع انه كان يجب ان تعرَف وتشتهر ولو من قبل بطاركتها واساقفتها او من قبل الملافنة الذين ظهروا فيها والملحدين الذين آذوها او القديسين الذين زينوها كما حدث ذلك كله في جميع الامم التي كانت في تلك القرون منضمة الى الكنيسة الكاثليكية شرقًا وغربًا . فاننا في كل صحيفة من تواريخ تلك الازمان نشاهد ذكر وقائع الامم المختلفة الكاثليكية التي كانت في البطريركيات الاسكندرية والاورشليمية والقسطنطنية والانطاكية حتى لا نذكر الاّ الامم الشرقية ولا نجد ادنى حرف يدل على ان الطائفة المارونية معدودة من جملة الامم الكاثليكية . فنقول بالاجمال انه اذ كانت الطائفة المارونية في تلك القرون الستة التي بحثنا عنها لم يخبر عنها احدٌ من الكاثليكيين ولا من المنشقين انها كانت من جملة الامم الكاثليكية فيحق لنا ان نقرّر تقريرًا وطيدًا انها كانت وقتئذٍ خارجة عن حضن الكنيسة الكاثليكية . ولاثبات ذلك هلمَّ بنـا في الفصول الآتية نبحث عن الشهود الذين وصلت الينـا شهاداتهم بشأن هذه القضية .



الفصل الثاني

في تزكية الشهود الذين شهدوا ان الطائفة المارونية لم تكن كاثليكية زماناً

ان كان الموارنة ماقدروا ان يجدوا شاهداً واحداً من الاعصار المارونية يشهد ان ملتهم كانت حينئذ كاثليكية فنحن عندنا جمّ غفير من الشهود من كل جنس ومن كل مذهب يثبتون دعوانا ويبطلون زعم خصمنا . ولكن قبل ان نشرع في ايراد شهادات هؤلاء الشهود رأينا من الواجب ان نزكيهم على وجه العموم . لاننا نعلم ان الموارنة يحاولون ان يردوا شهاداتهم مستندين الى أنواع من الحجج . وحيث ان لنا شهوداً من كل ملة من الملل لنا ان نبين ان هؤلاء الشهود من أي مذهب كانوا لايضرّ بصدقهم كونهم من هذه الملة أومن غيرها .

ولنتكلمنّ اولاً عن الشهود الكاثليكيين الغربيين والشرقيين فنقول ان هؤلاء لا كذبوا ولا توهموا في ماقالوا عن الموارنة . أما الغربيون منهم فلم يتوهموا لان معظمهم قد حكوا ماحكوا عن معرفة ذاتية واطلاع حالي اذ زاروا بنفسهم بلاد الشرق وراؤا بعيونهم وسمعوا بأذانهم ماروه . وكيف يمكن ان يقع التوهم في أمر جوهري يتعلق بامة صحيحة واقعة تحت النظر والاطلاع . وهوا أمر مذهبها الذي به تتميز من سائر الامم ولاسيما ان جميع هؤلاء الشهود قد بان كلامهم مطابقاً بعضهم لبعض في الجوهريات ولو اختلفوا في العرضيات وانهم لوكانوا يرون الموارنة في المذهب الكاثليكي لما أمكن ان يتوهموا في أمرهم ويحسبوهم غير كاثليكيين اذ كانوا هم بنفسهم كاثليكيين ومطلعين على حقيقة الديانة الكاثليكية . ونقول أيضاً انهم لم يكذبوا في شهاداتهم لان الانسان لايكذب الا لغرض أو امل يرتجيه من كذبه . وأي

غرض يكون لاشخاص شتى كاثليكيين كانوا في أطوار مختلفة وأحوال مختلفة وأهواء مختلفة من اتفاقهم بصوت حي وكذبهم على أمة صحيحة كانت كاثليكية وجعلها غير كاثليكية. لا بل لو كان لهؤلاء الشهود غرض في شهادتهم لجعلوا الموارنة كاثليكيين ولو لم يكونوا كذلك. اذ ان كل انسان يميل طبعاً الى تعظيم أهل مذهبه وملته.

وقس على ذلك حال الشهود الكاثليك الشرقيين فان التوهم عنهم أبعد جداً اذ كانوا في الاغلب مجاورين للموارنة ومساوين لهم في اللغة والجنس والعوائد ولو كانوا يتوهمون وينسبون اليهم مالم يكن فيهم حقيقة لثار عليهم غضبهم وكذبوهم وسفهوا رأيهم وأنبوهم وكان أمراً سهلاً على الموارنة الاطلاع على كذبهم لان ما كتبوه قد كتبوه باللغات المعروفة عندهم. ونحن سنرى انهم أطلعوا على أقوال هؤلاء الشهود ولم يكذبوهم لا بل اثبتوا ماقالوه. وكذلك كان الكذب بعيداً عن هؤلاء الشهود لانه لم يكن لهم أدنى فائدة في ان يجعلوا الموارنة غير كاثليك وينقصوا هكذا عدد طوائف الكنيسة الجامعة التي هم كانوا من أولادها وكان يهمهم ان يعظموها و يكبروها.

أما الشهود غير الكاثليكيين فمنهم الروم المنفصلون عن الكنيسة الكاثليكية. فهؤلاء لا ننكر انه كان بينهم وبين الموارنة عداوة كبرى وهذه العداوة كانت دينية أي لاختلاف مذهبهم في باب تجسد المسيح فقط كما سنبين. فان الروم كانوا كالكاثليك يعتقدون ان المسيح ذا الطبيعتين له مشيئتان ويلومون الموارنة لقولهم بمشيئة واحدة في المسيح المتجسد. ولكن ما قاله هؤلاء الشهود الروم عن الموارنة لم يقولوه افكا من قبل عداوتهم لهم كما يدعي خصمنا بل من قبل الحقيقة المحضة. وذلك (١) لان الروم لم يلوموهم الا في هذا الباب فقط باب المشيئة الواحدة الذي نسبه اليهم الشهود الكاثليك نفسهم وسائر الشهود. (٢) لو كان الموارنة كاثليكيين وتابعين للكنيسة الرومانية وكان الروم يتهمونهم من باب البغضة لنسبوا اليهم أشياء أهم من القول

بالمشيئة الواحدة . بقولهم مثلاً ان الموارنة هم تباع اللاتين الذين كان الروم يبغضونهم أشد بغض وغير ذلك . (٣) لم يكن ممكناً ان يكذب هؤلاء الروم على الموارنة وهم يسكتون ولا يبينون كذبهم ولا يردون تهمتهم عنهم . ومن يقدر مثلاً في أيامنا هذه من الشرقيين كلهم ان ينسب لا الى الموارنة بل الى كلدان ملبار نفسهم القاصين جداً هرطقة بولس الشميشاطي مثلاً ولا يبكم في الحال ويخزى على بهتانه هذا . والحاصل اننا لا ننكر ان العداوة تفضي بصاحبها الى انواع الكذب والتهم والافتراء والتزوير وما اشبه . ولكنها لا تبلغ من تأصلت فيه الى حد ان يلتجئ الى حيلة يعرف انه لا ينجح فيها ولا ينال بها مقصده بل يأول منها خائباً مكسوراً . وناهيك ان عداوة الروم للموارنة لم تكن الاَّ من هذا السبب عينه الذي نسبوه وحده اليهم وراثة من اجدادهم الذين كانوا كاثليكيين اي من سبب ان الموارنة كانوا يقولون بمشيئة واحدة في المسيح . فلم تبقَ حاجة الى ان يخترعوا ضدهم اختراعاً ليفرّغوا حقدهم فيهم . فان هذا كان عندهم سبباً كافياً . ولو لم يكن هذا الضلال في الموارنة لما بقي ادنى عداوة بينهم وبين الروم .

ولنا ان نعتبر ان الروم سوآء حين كانوا كاثليكيين او في حال انفصالهم عن الكنيسة الرومانية لم يكونوا يبغضون الموارنة اكثر مما كانوا يبغضون النساطرة واليعاقبة . والحال اننا نرى عداوتهم هذه لم تدعهم ان ينسبوا الى النساطرة او اليعاقبة انواعاً من الاضاليل لم تكن عندهم . طالع مؤلفات يوحنا الدمشقي وانسطاسيوس السيناوي وثؤدوروس ابي قرّة ولاونطيوس البوزنطي والباقين . واما الموارنة فكلهم عابوهم بضلالة المشيئة الواحدة بلا خلاف . ولو كانت عداوة الروم لهم اشدّ مما صارت اليه مع الكنيسة اللاتينية وذلك ابتدآء من القرن العاشر فصاعداً فلماذا لم تسقهم عداوتهم هذه الى ان يستنبطوا اكاذيب لا اصل لها ضد تلك الكنيسة التي كانوا يقذفونها باشنع المذمات .

واما اليعاقبة والنساطرة الذين شهدوا على الموارنة فتوهمهم امر مستحيل كما قلنا عن الكاثليك الشرقيين . وبكلفة يسيرة نبين انهم لم يقصدوا ان يتهموهم في ما قالوا عنهم . وذلك انهم ان كانوا قد كذبوا على الموارنة فقد كذبوا اما لانهم كانوا يبغضونهم واما لانهم كانوا يحبونهم . ولا ثالث . فلو كانوا قد تحركوا الى ان يقولوا ما قالوه عن الموارنة من محبتهم لهم وقصدهم موالاتهم ومعاضدتهم على الكنيسة الكاثليكية لما كانوا يقدمون على الافتراء عليهم ليهيجوا غضبهم وينفروهم منهم . ولا نقل ان اليعاقبة والنساطرة انما نسبوا الى الموارنة معتقد المشيئة الواحدة لان هذا كان معتقدهم هم ايضاً وارادوا بذلك ان يسندوا غوايتهم بشهادة الموارنة . فانه لو كان الامر كذلك لنسبوا معتقد المشيئة الواحدة الى امم بعيدة كاللاتين مثلاً او الكرج او الصقالبة او الحبش ونسب اليهم النساطرة من باب اولى معتقد الطبيعة الواحدة الذي افرزهم من جميع الملل ولكن النساطرة في شهاداتهم اقروا ان الموارنة كانوا يعتقدون باقنوم واحد . واليعاقبة شكوهم بانهم تبعاً للمجمع الخلقيدوني كانوا يقولون بطبيعتين . ولو كان النساطرة واليعاقبة الشاهدون على الموارنة قد كذبوا عليهم لبغضهم لهم لما نسبوا اليهم شيئاً هو زين عندهم ولو كان شيناً عندنا وهو معتقد المشيئة الواحدة . فان اليعاقبة والنساطرة جميعاً كانوا يعتقدون بمشيئة واحدة في المسيح . فمن حيث انهم لم ينسبوا اليهم الاّ هذا الفرق الكائن بينهم وبين اولئك يجب ان نقرّ انهم لم يفعلوا ذلك من باب البغض بل من باب الحق .

ألا ترى ان اليعاقبة والنساطرة كافةً كانوا يتعوذون من الملكية اكثر مما كانوا ينفرون من الموارنة وقد بالغوا في الجدال مع الملكية وذهبوا كل مذهب في مخاصمتهم . ولكنهم لم ينسبوا اليهم شيئاً كذباً في امر المذهب . ثم ان كلاً من ملتي اليعاقبة والنساطرة كانت تبغض الاخرى وتنازعها وتحاربها اكثر جداً مما كانت كلتاهما تبغضان الملة المارونية . وطالما اشتدت بين الملتين الخصومات ومع هذا لم تكذب

الواحدة على الاخرى في امر المعتقد .

ونقول بالاجمال انه لا يمكن التوهم ولا الكذب في امر مذهب امة حية يشار اليها نراها وترانا ونسمعها وتسمعنا . فانه قد يقع الكذب والتوهم في الحكم على مذهب ملةٍ قد اندثرت ولم يبقَ لها وجود . كما تجاسر الموارنة من القرن السابع عشر الى عهدنا هذا ان يدّعوا بان الطائفة الملكية من بعد المجمع السادس كانت منوثليتية وهذا قلما نرى امثاله .

ويتضح من مدافعة الموارنة انهم يعدّون شهادة كل انسان غير كاثليكي مردودة باطلة . أتكون حال الهرطقة والشقاق سبباً لنفي الصدق عن صاحبهما . فينتج اذاً من قولهم ان جميع ما قرره السمعاني في مكتبته الشرقية باطل مردود اذ ان معظمه مبني على شهادات اليعاقبة والنساطرة .

ومما يجعل شهادات هؤلاء الشهود قوته قاطعة كل شكٍ هو انهم جميعاً في كلامهم عن مذهب الموارنة متفقون كافة في شيء واحد دون أدنى اختلاف وهو قولهم ان الموارنة كانوا منوثليتيين . فكيف يعبر ياصاح عن هذا الاتفاق العجيب في اشخاص كثيرين مختلفين في الزمان والمكان والمذهب والغرض الاّ بالقول ان ماقالوه هو الحق المحض . ولاسيما انهم متفقون مع الموارنة القدماء نفسهم الذين وصلت الينا شهاداتهم عن دينهم .

فترى ان الموارنة المتأخرين الذين يرفضون شهادة هؤلاء الشهود مرادهم ان يجعلوا كل الناس الاولين كاذبين أوضالين سواء كانوا من النساطرة أو اليعاقبة أو الروم أو الموارنة القدماء والكاثليك شرقيين كانوا أم غربيين ليجعلوا جبرائيل القلاعي الذي وضع أساس زعمهم هـذا وحده صادقا . فليحكم الان القارئ أدعوى مثل هذه تقبل عند العقلاء .

ولا نظن ان خصومنا تلجئنا الى ان نزكي أيضاً لهم الشهود الذين كانوا من

الطائفة المارونية نفسها فان هؤلاء لا يمكن ان يقال عنهم أنهم جهلوا حقيقة دينهم اذ لم يسمع قط ان أحداً تجرأ ان يكذب على نفسه قائلاً : ان ديني هو كذا وكذا . وهو ليس كذلك . أو يمكن ان يعرف أحد دين الدروز مثلاً أحسن من الدروز . ولا يجوز أيضاً القول انهم كذبوا على ملتهم لان طائفة الموارنة باسرها لم تعارضهم في قولهم ولا أخرجتهم من شركتها ولا كانوا من شيعة مشتقة من الموارنة كما زعم نيرون الباني . فانه لو كان الامر كذلك لما سموا مذهبهم مذهب الموارنة على الاطلاق بل لخصوه بصفة ما ليتميز من مذهب الموارنة الاخرين على قول نيرون. ولا يجوز أيضاً ان يقال ان شهودنا الموارنة انغشوا بما كتبه سعيد بن بطريق وغيره عن الملة المارونية . فانه لم يسمع قط الى الان ان قوماً من الناس بلغت بهم الجهالة الى حدّ ان يغشهم غريب باهمّ مالديهم وهو دينهم . فكما انه لا يمكن ان يغش أحد رجلاً ألحى بتوهمه انه كوسج فكذلك لا يمكن غش قوم بظنهم دينهم غير مايتدينون به .

بقي لنا ان نقول في الشهود الاسلام كلمات وجيزة . اننا نقرّ ان الشهود الاسلام في هذه المسألة لا يقيمون سنداً قوياً في ذاتهم (الاّ الذين ناضلوا النصارى في أمور دينهم وتعمقوا في درسه ليمكنهم التحجج عليهم . وهؤلاء تساوي شهادتهم شهادة النصارى) لان المؤرخين المسلمين نراهم في الغالب لا يحسنون معرفة أمور النصارى حق المعرفة في مايتعلق بدينهم واختلافات مذاهبهم . الا ان شهادتهم في هذه القضية تنفع غير قليل لأنها تؤيد أولاً شهادة النصارى اذ تبين اقلما يكون ان الامور التي يحكيها المؤرخون النصارى سمعها المسلمون مثلهم ومثلهم من وقف على حقيقتها . وثانياً تبين ان الاسلام نفسهم كانوا يرون ان الطائفة المارونية لم تكن متصالحة مع الكنيسة اللاتينية التي في زمانهم كان منها جمٌ غفير في بلاد الشرق . وهذا كاف لصحة شهادتهم .

ونختم الفصل بقولنا انه لا يجوز للخصم ان يعترض على هؤلاء الشهود بأنهم قد

تعلموا بعضهم عن بعض فان شهودنا هم على اختلاف كبير في الجنس واللغة والزمان والمكان والمذهب. فتناقلهم غير ممكن كما لا يمكن تناقل الناس بعضهم عن بعض في قولهم مثلا ان الدولة العثمانية أيدها الله دينها هو الاسلام.



الفصل الثالث

في شهادة القديس

يوحنا الدمشقي

يطيب لنا ان نفتتح باسم هذا القديس الشريف بحثنا عن الشهود والذين يشهدون لصحة مدعانا. فلا ينكرن خصمنا لوابتدأنا باسم أحدمن النساطرة أواليعاقبة. وهذا الشاهد ولو انه كان ملكيًا الا ان اسم قداسته يجعله مقبولا عند الموارنة.

اشتهر القديس يوحنا الدمشقي في مدينة دمشق في أواسط القرن الثامن وعلى ما ارتأى المحققون ان وفاته كانت نحو سنة ٧٥٦ في مدينة أورشليم في دير القديس سابا حيث كان منعكفًا على السيرة الرهبانية. ونرى انه عاش بقرب انشأ ملة الموارنة فشهادته فيهم تستحق غاية الاعتبار. وهو أقدم مؤلف عرفناه انه ذكر الموارنة في مصنفاته. (١)

ان يوحنا الدمشقي قد ذكر الموارنة في موضعين من مؤلفاته. الاول في كتاب الرأي المستقيم الذي ألفه اذ كان بعد في دمشق ووجهه الى حضرة بولس مطران

(١) *** قد ذكرهم قبله القديس جرمانس بطريرك القسطنطينية وسترى شهاداته في الملحق.

تلك المدينة وسلمه بيد ايليا الاسقف الذي على ماظن لكويان جامع كتب الدمشقي كان قد أتى من الملة المارونية الى حظيرة الكنيسة الكاثليكية . وفي هذا الكتاب شرح يوحنا أبواب المعتقد الارثدكسي في سرّ الثالوث الالهي وفي سرّ التجسد خاصة ومن جملة ماقال في الفصل الخامس :

Confiteor Trisagium hymnun designare tres deitatis hypostases; unamque substantiam et unum dominatum. Guamobrem adjonctionem insanis illius Petri Fullonis nequaquam admitto. Aut enim Trinitati crucifixionis passionem attingit, autquartam Trinitati personan profane inserit.

« اعترف (١) ان التسبحة التي يقال لها تريساجيون (اي قدوس الله الخ)
« موجهة الى ثلاثه اقانيم اللاهوت و يعنى بها ذات واحدة وسلطة واحدة ولذلك لا
« اقبل البتة الزيادة التي زادها عليها بطرس القصار الغبي . فانها اما توجب الم الصلب
« للثالوث واما تهين الثالوث بادخال اقنوم رابع ».

تأمل هنا ان يوحنا الدمشقي اذ كان عالمًا ان قومًا من النصارى المنتسبين اليه كانوا يستعملون زيادة الذي صلب لاجلنا في التريساجيون خلافًا لعادة الكنيسة الجامعة التي في المجمع الخامس حرمت هذه الزيادة (وكان هولاء القوم هم الموارنة بلا شك لا غيرهم) رأى من الواجب عليه ان يدرج في صورة ايمانه رفض هذه الزيادة مصرّحًا من حيث ان ذلك الرفض كان لديه من ابواب المعتقد الارثدكسي. فيكون اذًا بحسب تعليم يوحنا الدمشقي الموافق لتعليم الكنيسة الكاثليكية كلها (كما سنرى) استعمال هذه الزيادة في قدوس الله هو عادة غير ارثدكسية . وبالنتيجة ان الموارنة الذين كانوا يستعملون هذه الزيادة لم يحسبهم الدمشقي ارثدكسيين . بل كانوا عاصين على الكنيسة التي كان خاضعًا لها . لانه لم يمكن ان يرفض هذا القديس جماعة

---

(١) اعلم اننا نورد هنا أقوال يوحنا الدمشقي نقلا عن الترجمة التي أشهرها لكويان وقد اتفق كل العلماء في الاعتراف بفضله .

كانت منضمة الى كنيسته . وكنيسته كانت الكنيسة الكاثليكية . فاذاً الجماعة المارونية لم تكن ارثذكسية بشهادة يوحنا الدمشقي .

وقال في الفصل الثامن بعدما فرغ من تقرير ايمانه بالثالوث المقدس مفصلاً وبسرّ التجسد باباً باباً اي بالاقنوم الواحد والطبيعتين والمشيئتين والفعلين وبالستة المجامع المسكونية التي عقدت الى زمانه .

Et juro per sanctam consubstantialemque et adorandam Trinitatem absque omni dolo et fraude me ita sentire, nec aliud quidquam practer illa admittere, nec me communicaturum cum altero qui fidem hanc non confiteatur ac praesertim cum Maronitis. Praeterca me subditum fore sanctae catholicae et apostolicae Ecclesiae . . . neque recepturum citra sanctitatis tuae sententiam et jussionem aliquam ex Manichaeis.

« واحلف بالثالوث المقدس الواحد الجوهر المسجود له اني هكذا اعتقد بلا « مكر ولا غش ولا اقبل شيئاً بخلاف هذه الاشياء ولا اشترك مع احدٍ ممن لا « يعترف بهذا الايمان ولاسيما الموارنة . ثم اني اكون خاضعاً للكنيسة المقدسة « الكاثليكية الرسلية . . . ولا اقبل احداً من (١) المانويّين دون رضى قداستك وامرها » .

فترى من هذا النص شيئين . الاول ان يوحنا الدمشقي كان يرفض كل من يخالف هذه صورة ايمانه في شيء . فكان يرفض اذاً الموارنة لانهم كانوا يزيدون الذي صلب لاجلنا على قدوس الله الزيادة التي قرّر رفضها في هذه صورة ايمانه . الثاني ان يوحنا بكلمات واضحة جعل الموارنة خاصةً من الاقوام الذين يحرم عليه الاشتراك معهم فكانوا اذاً في رأيه غير ارثذكسيين . وانما ذكر الموارنة خاصةً اولاً لانهم كانوا ساكنين جبال لبنان القريبة الى دمشق . ويمكن انه كان جماعة منهم في تلك المدينة . وثانياً لانهم كانوا احدّ شيعة ظهرت في ايام الدمشقي وعصت على الكنيسة الانطاكية وقاومت جميع ما صنعه روساء تلك الكنيسة في ذلك الزمان

(١) من المحتمل ان يوحنا الدمشقي كتب في الاصل الموارنة بدل المانوين فحرف النساخ تلك اللفظة لقلة استعمالها .

لتشلها من وهدة الضلال وحملها على ترك الزيادة في التريساجيون كما رأينا في الفصل السادس والسابع والثامن من الباب الثاني . وثالثاً لان ايليا الاسقف الذي على يده بعث هذا الكتاب على ما ظنّ لكويان كان قد رفض الضلالة المارونية . فحقّ ان يصرّح برفض هذه الضلالة خاصةً ليثبته على ايمانه الارثذكسي الذي دخله جديداً .

وقبل ان نأتي الى الشهادة الثانية من القديس يوحنا الدمشقي هلمّ بنا ننظر ما اعترض به السيد يوسف الدبس على هذه الشهادة الاولى في وجه ٨١ وما بعده :

١ً ـ قال في نسخة كتاب الدمشقي في الراي القويم لا وجود البتة لعبارة « ولاسيما الموارنة » وقد طبع نص الدمشقي اليوناني في مدينة باسيليا صحيحاً بدون هذه الكلمات. اجيب : ان افضل من طبع كتب الدمشقي هو لكويان باعتراف جميع المحققين . وهو قد حرَّر طبعته على كثير من افضل النسخ القديمة . وفي نص طبعة لكويان توجد تلك الكلمات بدون اشارة الى اختلاف قرأة في ذلك الموضع بين النسخ كما يوجد في مواضع أخرى كثيرة . فيجب اذاً على السيد الدبس ان يقره ان جميع النسخ التي استعملها لكويان يوجد فيها ذكر الموارنة . واما الطبعة الباسيلية فكل خبير يعلم انها مشحونة بالغلط والتحريف والنقصان وناهيك ان السمعاني الذي كان أخبر مني ومن الدبس بكثير في هـذه الامور لم يجد ما يعترض به على هذه طبعة لكويان في هذا الموضع الا قوله ان هذه الكلمات زادها أحد اليونانيين على كلام الدمشقي . ولما كان هذا القول غير مسنود الى برهان يؤيده لم يحتفل به أحد من العلماء لابل انهم لم يزالوا يقرأون و يطبعون هذا الموضع كما حرّره لكويان ولم يشك أحد في صحته الاّ السمعاني والدبس .

٢ ـ قال : ان الدمشقي في ديوان الاراطقة الذي نظمه مبتدئياً من سيمون الساحر الى أيامه لم يشر الى كون الموارنة اراطقة » . أجيب : قد ذكر الدمشقي

الموارنة كفاية عند ذكره المنوثليتيين في فصل ٩٩ من هذا ديوان الهراطقة . وعلى كل حال فعلى قول الموارنة كان يجب على الدمشقي ان يصرّح بوجود قوم في زمانه تابعين يسطينيان الاخرم ملك الروم كما يدّعون ان طائفتهم في القرن السابع انفصلت عن هؤلاء القوم الرافضين المجمع السادس وحاربتهم . فالدمشقي لم يذكر اسم الموارنة كما لم يذكر هذه الحكاية المارونية . فهل ينتج من ذلك انه لم يكن حينئذ قوم يرفضون المجمع السادس . ثم ان الدمشقي لم يذكر في هذا ديوان الهراطقة ملة الاقفالين أي الذين بلا رأس الذين كانوا مشهورين ومنتشرين في ذلك الزمان وقد ذكرهم الدمشقي في مواضع أخرى من مصنفاته . ولذلك لم يذكر في ديوان الهراطقة القوم الذين من أجلهم ألف كتاباً خصوصياً ليفندهم . فهل ينتج من ذلك انه لم يوجد في تلك الازمان هؤلاء القوم . ولا ذكر يوحنا في ذلك الكتاب ملة الارمن فهل ينتج ان الارمن لم يكونوا خارجين عن الكنيسة الكاثليكية في زمان هذا القديس . لا بل لنا ان نعتبر ان يوحنا الدمشقي قد ذكر الموارنة صريحاً في موضعين من مصنفاته . واما الارمن فلم يذكرهم البتة ولو مرة في كل مصنفاته . فاذا كان الدمشقي لم يذكر الموارنة في كتاب الهراطقة عند ذكر المنوثليتيين فلا ينتج من ذلك انه لم يكن في زمانه قوم خارجون عن الكنيسة الكاثليكية اسمهم موارنة . وهذا دليل على ان نصّ الدمشقي في كتاب الرأى المستقيم لم تفسده يد حديثة كما زعم السمعاني . لانه لو كان ذلك كذلك لافسدت هذه اليد كتاب ديوان الهراطقة خاصة وادخلت فيه اسم الموارنة واسم الارمن وغيرهم تبرّعاً .

٣ . — وقال لم يأت الدمشقي قبلاً بذكر الموارنة في تقرير صورة ايمانه اذ كان مناسبة الموقع لذكرهم لو كانوا هراطقة . فاية مناسبة لقوله اخيراً : لاسيما الموارنة . أجيب : ان يوحنا بعد الموارنة ذكر أيضاً المانويين كما رأيت في الفقرة التي أوردناها (طلع حاشية وجه ١٩٢) وهو لم يذكر المانويين ولا معتقدهم قبلاً ولو بحرف

واحد . فلا عجب اذا فعل هكذا أيضاً بالموارنة . اما ذكر الموارنة خاصة دون سائر الهراطقة فلأنه في تقرير أبواب معتقده بتجسد المسيح في هذا الكتاب لم يذكر من الهراطقة الناكرين هذه الابواب الا المنوثليتيين المحرومين في المجمع السادس واورد أسماءهم في الفصل السابع . ولكن لما شرح معتقده مثلاً بالثالوث وبالاقنوم الواحد في المسيح وبالطبيعتين فيه لم يذكر أسماء الهراطقة الذين أنكروا هذه الابواب . فكان مناسباً بل واجباً ان يذكر في آخر كتابه الموارنة خاصة .

٤ ـ قال : لم يكن اسم الموارنة في القرن الثامن بل كانوا يسمون مردة . أجيب : ان شهادة القديس يوحنا الدمشقي كافية لدحض هذا القول الغير المبني على سند . فاسم الموارنة اذاً كان موجوداً في القرن الثامن بشهادة القديس يوحنا الدمشقي . والاَّ فان كان في القرن الثامن نفسه لم يكن اسم الموارنة فبحب الله متى وجد اذاً هذا الاسم . أليس يوحنا مارون على قول أصحابه أعطاهم هذا الاسم أو اثبته عليهم وهو عاش في أواخر القرن السابع على قولهم . أو ليس المطران الدبس نفسه قال في وجه ٢٦٠ من كتابه ان اسم موارنة كان منذ الجيل الرابع والخامس وتمكنت هذه التسمية في الموارنة لما أقيم القديس يوحنا مارون أحد رهبان دير القديس مارون بطريكا عليهم في أواخر الجيل السابع . وكيف كان مردة في الجيل الثامن ولم يذكرهم أحد من المؤرخين ولا المؤلفين غيرهم كما ذكروهم في تواريخ القرن السابع الى ان دعاهم يسطينيان الاخرم الى بلاد أرمينية . واذا كان قد وجد في القرن الثامن مردة فليسوا هم موارنة كما بينا في الفصل الثاني عشر .

٥ ـ قال ان لكويان الذي طبع كتاب الدمشقي انخدع أولاً برواية قول الدمشقي الغير الصحيحة . الاَّ انه بعد الاستقصاء فطن لغروره وأقرّ في كتاب الشرق المسيحي ان الموارنة مبرئون من كل ارطقة . ـ أجيب ان لكويان لم يرجع قط عما أتى به في طبعه كتب الدمشقي حيث تكلم في المجلد الثالث من كتاب الشرق

المسيحي عن مسألة الموارنة حتى انه عند ذكره في هذا الكتاب شهادات يوحنا الدمشقي اظهر واضحاً انه واقف على ماطبعه هناك وختم مقالته الطويلة التي فيها نقل أخصَّ ما قاله نمرون والسمعاني عن الموارنة بهذه الكلمات وجه ٤٣ :

« Haec diligentius exaranda visa sunt, ut libratis aequa lance rationibus, caterisque momentis, quibus vel impeditur vel defenditur fides antiqua gentis Maronitarum, de qua apud auctores maxime recentiores, vix quidquam certi erui potest, maturius ferre valeat circa illam prudens lector judicium. »

« اننا قد رأينا ان نفرغ الجهد في تحرير هذه الروايات لكي يسهل للقارئ « اللبيب ان يزن بميزان العدل كل البينات وسائر البراهين التي بها تنكر أمانة طائفة « الموارنة القديمة والتي بها يحامي عنها اذ كانت هذه المسألة لايمكن الوقوف على « شيء أكيد فيها لدى المؤلفين ولاسيما المتأخرين فيمكنه هكذا ان يحكم حكما مستويًا في هذه المسألة »

أهذا الكلام هو كلام عالم اكتشف على غروره فعدل عن رأيه الى الصواب .

وهذا لكويان نفسه في وجه ٦٩٨ من المجلد الثاني من كتابه الشرق المسيحي :قال

« Atqui Phoenicum illorum Monotheletarum nepotes fuerunt Maroni-
« tae Libani incoloe, qui quum antehac Chàlcedonensi synode refracto-
« res se proebuissent, ita at patratam a Petro Fullone interpolationem
« Trisagii admitterent, ex Monophysitis Monotheletoe saltem eva-
« serant. »

« وان أولاد أولئك المنوثليتيين الفونيقيين كانوا الموارنة سكان لبنان الذين « اذ كانوا قبلاً قد ظهروا متمنعين من قبول المجمع الخلقيدوني حتى ادخلوا التحريف « الذي اخترعه بطرس القصار على قدوس الله من كونهم منوفيسيتيين صاروا منوثليتيين » . هذا هو لكويان الذي يعده الموارنة من أهل رأيهم .

لنأت الان الى الموضع الثاني الذي فيه شهد القديس يوحنا الدمشقي ان الموارنة

لم يكونوا من الذين تقبلهم الكنيسة الكاثليكية وذلك في رسالته الى يردانس في التريساجيون في الاخر حيث قال :

« Trisagium Hymnum tamquam inelegantem pannum quemdam, fullonum more expurgare veritus non est (Petrus Fullo). Etenim si ter sanctum Hymnum de filio solo dicamus, omnis prorsus sublata est ambiguitas, atque cum Maronitis Trisagio Crucifixionem adjicimus (ΜΑΡΩΝΙΣΩΜΕΝ ΠΡΟΣ ΔΕΚΕΝΟΥ ΤΩ ΤΡΙΣΑΓΙΩ ΤΗΝ ΣΤΑΥΡΩΣΙΝ) Verum absit ut vel labiis hoc usurpemus : propitius nobis sit Deus; optanda potius mors est.»

« لم يخش (بطرس القصار) ان يقصر تسبحة التريساجيون كأنه ثوب وسخ .
« لانه اذا قلنا هذا النشيد المقدس عن الابن فقط لم يبق أدنى شبهة البتة . وصرنا
« نتمورن أي ننسب الصلب الى المثلث التقديس كعادة الموارنة (١) ولكن حاشا
« ان نستعمل ذلك ولو بالشفتين فقط . نستغفر الله . ان الموت الينا أحب من ذلك »

فترى ان يوحنا اذ كان في رسالته هذه قد بين ان التريساجيون لايجوز ان يقال الاّ عن ثلاثة اقانيم الثالوث . رفض زيادة « الذي صلب لاجلنا » عليه ولو عني بذلك الابن وحده . لسبب ان ذلك يوجب التمورن (كذا اشتق الدمشقي من اسم الموارنة فعلاً جديداً لم يلفظه أحد قبله) أي يوجب ان نكون موارنة . واستقبح

(١) لعل القارىء يستغرب من ان يوحنا الدمشقي في هذه الشهادة وفي الشهادة التي أوردناها قبلا لم يذكر هراطقة اخر كانوا في زمانه يستعملون الزيادة على التريساجيون . ولكن هذا الاستغراب يبطل أذا اعتبر ان الدمشقي لم يذكر اليعاقبة مثلا في تحريمه تلك الزيادة لان اليعاقبة كانوا من زمان قد خرجوا من حظيرة الكنيسة ولم يكن محل لتحذير الارثذكسيين منهم . وانما ذكر الموارنة انهم لم يكونوا قد أقاموا لهم بطريركا على حدة في الزمان الذي فيه كتب الدمشقي فلم يكونوا بعد قد انفصلوا نفصالا تاماً عن الكنيسه الكاثليكية بناء على ما أثبتناه في الفصل الثامن من الباب الثاني . فكان ينبغي للدمشقي ان يحذر المؤمنين من ضلالهم .

ذلك واستغفر الله وفضل الموت عليه . فهل يمكن ان يقال قولاً أوضح من هذا البيان ان الموارنة لم يكونوا محسوبين ارثذكسيين عند الكاثليك في عهد يوحنا الدمشقي لسبب استعمالهم الذي صلب لاجلنا في التريساجيون خلافاً لاوامر الكنيسة الكاثليكية وعادتها .

ولنسمع الان ما يعترض به السيد الدبس على هذه الشهادة :

١ً — قال ان نسختين قديمتين في مكتبة باريس يقرأ فيهما ΠΑΡΟΝΙΣΟΜΕΝ: اي نهذي كالسكارى بدل ΜΑΡΩΝΙΣΟΜΕΝ اي نتمورن » . اجيب : نعم ولكن النسختين الاخريين اللتين اعتمد عليهما لكويان في طبعته فقراءتهما افضل . ولذلك فضلها على قرآءة النسختين الباريسيتين . ولاسيما ان الترجمة اللاتينية القديمة تقرأ هكذا . فاذ كان خلاف في هذا الموضع بين النساخ لنا ان نعتبر ان الذي يرجح التصديق فيه اكثر هو ان بعضاً من النساخ اذ وجدوا في نص الدمشقي كلمة جديدة اعجمية لم يقرأوها قبلاً واستعجمت عليهم ظنوها قد افسدت فكتبوا بدلها اللفظة الاخرى المعهودة. وهذا اقرب الى التصديق من القول بان النساخ قلبوا لفظة معهودة معلومة الى لفظة جديدة اعجمية لم يستعملها احد المؤلفين . ولا يمكن ان الدمشقي اكتفى بتنزيل زيادة التريساجيون منزلة الهذيان كالسكارى لان هذه الزيادة كانت عنده نوعاً من الكفر حتى فضل الموت على التلفظ بها . فهل يقال ذلك عن قولٍ منزَّل منزلة الهذيان كالسكارى .

٢ً — ان الدمشقي تكلم سابقاً عن بطرس القصار فكان حقه ان يشتق فعلاً من اسم القصار لا من اسم الموارنة . اجيب : اذ تكلم الدمشقي سابقاً عن مبتدع هذه الزيادة ذكر بطرس القصار الذي كان قد قضى نحبه من زمان . ثم اذ تكلم عمن كان يستعمل هذه الزيادة في زمانه ذكر الموارنة الذين كانوا على نوع ما بمرأى من عينيه .

٣ً — قال : انِ الموارنة كانوا يستعملون زيادة التريساجيون بالمعنى الكاثليكي

فلم يكن سبيل الى ذمهم . اجيب : لو كان الموارنة يستعملون زيادة التريساجيون في زمان يوحنا الدمشقي على راي الكنيسة الكاثليكية لما ندّد بهم هذا القديس تنديداً شديداً . لانه كان بصحة الاقوال الارثذكسية وفسادها اعلم من خصمنا. ولا يصدّق ان قديساً شريفاً حكيما مثل يوحنا الدمشقي ظلم الموارنة اذ خطأهم في ما لم يكن خطأً . ثم انه لو كان الموارنة يستعملون زيادة التريساجيون على رأي الكنيسة الكاثليكية لما الزمتهم الكنيسة الرومانية ان يحذفوها اوّل ما شعرت باستعمالهم اياها وذلك بعد عهد مصالحتهم للكنيسة الكاثليكية . فان كانت الكنيسة الكاثليكية لم تحتمل هذه الزيادة في القرن السادس عشر نفسه فكيف كان يمكن ان تحتملها في عصر يوحنا الدمشقي الذي فيه عن قرب كانت قد حدثت نزاعات طويلة بين الهراطقة والكاثليك بسبب هذه الزيادة وكانت الكنيسة قد حرمتها بانواع شتى كما سترى كل ذلك في محل آخر . فكل الذين اذاً كانوا يستعملون هذه الزيادة في عصر الدمشقي كانوا عاصين على الكنيسة الكاثليكية ومن جملتهم الموارنة. فبكل صواب تعوّذ منهم يوحنا الدمشقي ونرى انه آثر الموت على الاختلاط معهم .



الفصل الرابع

في شهادة طيمثاوس الاول

بطريرك النساطرة

هذا هو ثاني شاهد قدرنا ان نحصل عليه في قضية الموارنة -وهو طيمثاوس الاول بطريرك النساطرة الذي نصب سنة ٧٧٨ وتوفي سنة ٨٢٠ كما ترجمه السمعاني

في المجلد الثالث من المكتبة الشرقية وجه ١٥٨ وما يليه . فهذا البطريرك المشهور لدى قومه خلف موًلفات شتى ومن جملتها عدَّة من الرسائل ذكرها عبديشوع الصوباوي (وجه ١٦٣ من المجلد المذكور).وهذه الرسائل لم تقع بيد السمعاني لانه لم يكن يوجد حينئذٍ نسخة منها في رومية ولا في غيرها من مدن اوروبا . ولذلك لم يقدر ان يدرج شرحها وتلخيصها في مكتبته كعادته. وانني اذ كنت في سنة ١٨٦٩ قد اخذت الى رومية العظمى خزانة من الكتب المخطوطة باليد السريانية والعربية من موًلفات النساطرة واليعاقبة خاصةً بامر ذي النيافة الكردينال الكسندر برنبو رئيس مجمع انتشار الايمان المسمى برو بغندا لتضاف الى مكتبة ذلك المجمع كان من جملة هذه الكتب رسائل طيمثاوس المذكورة اهتممت بنقلها مع مجلد جسيم ضخم جدًّا يحوي مجموع المجامع والسنهدسات المسكونية والاقليمية المقبولة عند النساطرة ومقالات شتى في امور شرعية وقانونية على نسخة قديمة جدًا ناقص اوّلها وآخرها وهي ملك دير هرمزد الذي للكلدان الكاثليك بقرب القوش من اعمال الموصل .

وكل احد يرى كم تستحق الاعتبار شهادة طيمثاوس في قضية الموارنة اذ ان هذا البطريرك عاش بعد انشاء الطائفة المارونية بنحو مائة سنة . فاعلم ان بين رسائل هذا البطريرك رسالة هي الثالثة والاربعون عنوانها ܠܘܬ ܕܝܪ̈ܝܐ ܕܒܝܬ ܡܪܘܢ « الى رهبان مار مارون » كتبها في السنة الثالثة عشرة من بطريركيته كما ذكر في معرض كلامه نحو آخر الرسالة اي سنة ٧٩١ (١) . ومما نقرأ في هذه الرسالة كما سترى يتضح بلا شك ان هذا الدير هو دير مار مارون القديس الناسك المبني بقرب حماة والذي تسمت الطائفة المارونية باسم رهبانه.قال طيمثاوس في مطلع هذه الرسالة :

---

(١) من أعجب العجائب تردد صاحب كتاب روح الردود في صحة هذه الرسالة لانها قد خفيت معرفتها عن يوسف سمعان السمعاني وعواد السمعاني (ب). كان هذين الرجلين المارونيين قد رأيا وعرفا كل ما في الدنيا باسرها .

ب

ܠܗ̈ܕܡܘܗܝ ܕܡܫܝܚܐ ܡܪܢ ܘܓܠܝ̈ ܐܪ̈ܙܐ ܕܡܠܟܘܬܐ ܕܫܡܝܐ .. ܐܚ̈ܐ
ܢܟ̈ܦܐ ܘܡܟܝ̈ܟܐ ܕܝܪ̈ܝܐ ܕܒܡܛܠܬܗ ܕܡܪܝ ܡܪܘܢ ܡܩܪ̈ܒܝܢ ܬܕܝܪܐܝܬ.
ܕܒܚ̈ܐ ܕܟܝ̈ܐ ܘܪ̈ܘܚܢܝܐ ܠܡܫܝܚܐ ܗܘ ܕܐܝܬܘܗܝ ܐܠܗܐ ܕܟܠ
ܟܠ ܒܠܒܐ ܬܒܝܪܐ ܘܒܪܘܚܐ ܡܟܝܟܬܐ ܠܛܝܡܬܐܘܣ ܡܙܥܪܢ.
ܨܥܘܪܬܐ ܗܘ ܐܟܘܬ ܥܒܕܐ ܕܐܠܗܐ ܪܒܐ ܘܦܪܘܩܢ ܝܫܘܥ
ܡܫܝܚܐ ܗܘ ܕܡܫܡܫ ܒܛܝܒܘܬܐ ܕܐܠܗܐ ܠܟܘܪܣܝܐ ܕܦܛܪܝܪܟܘܬܐ
ܕܒܡܕܝܢܬܐ ܕܡܠܟ̈ܐ ܫܐܠ ܒܫܠܡܟܘܢ ܒܪܘܚ
ܘܒܥܐ ܨܠܘ̈ܬܟܘܢ ܫܐܠ

« الى اعضاء المسيح سيدنا المكتشفين عل اسرار ملكوت السماء . . . الاخوة « العفيفين القانتين الرهبان السا كنين في مظلة مارمارون . الذين يقرّبون على الدوام « ذبائح طاهرة روحانية للمسيح الذي هو اله على كل احد بقلب منكسر وروح متواضعة من طيمثاوس ذلك الصغير عبد الله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح . الخادم « بنعمة الله عبودية الكرسي البطريركي الذي في مدينة الملوك (١) . يقرئكم السلام « بالروح ويطلب صلواتكم بشوقٍ » . ثم افتتح كلامه بوصف الرسالة التي كان اولئك الرهبان قد بعثوا بها اليه قائلاً :

ت

« ان الشمس لا تولي فرحاً وابتهاجاً السالكين في الظلمة . . . بمقدار ما سرَّنا « وابهجنا خطابكم ذلك الالهي » . وقال بعد قليلٍ :

(١) هي مدينة بغداد مقر الخلفاء العباسيين وكان بطاركة النساطرة يقيمون فيها.

ث

« ان الهدية الجليلة التي اتتنا منكم وهي مخاطبتكم الالهية قد كانت جميلةً في
« شكلها ... واكثر من ذلك كانت جميلة بفحواها ومضامينها . واكثر من كل شيء
« كانت جميلة ببراعة معانيها . لانها كانت مكتوبة كتابة بسيطة وطاهرة وروحانية »
ثم بعد قليل ذكر المنافع الناتجة من اولئك الرهبان لشعبهم السامع لكلامهم قائلاً :

ج

« قد اشرقت علينا اضواء لامعة من ذلك النور الذي يضيء على قلوب المومنين
« بالمسيح من ذلك خطابكم العجيب المفعم نعمة الالهية . ولذلك عرض لنا نحن
« ايضاً ان نتهنأ باضوأ متضاعفة اي تلك التي نحن لنا فينا . . . وتلك التي انبعثت منكم »
ثم بعد قليل اشار الى معنى رسالتهم حيث قال :

ح

« نشكركم على الديانة التي فيكم اذ انكم هكذا التجأتم الينا كما الى اخوتكم في
« الرب وكما الى اعضائكم في الروح . . . . ولذلك قد فرحنا وابتهجنا خاصةً بالاخبار
« الخصوصية الفريدة التي تحاكي صور الاباء واشكالهم ». واستتلى قائلاً :

خ

« ولما ذكرتم صليبا زخا البطريرك وما جرى من المعاملات منه اليكم ومنكم اليه
« قد شملنا جزيل الفرح بالرب وزاد وثبت حبنا لكم . اذ فهمنا من ذلك ان الوديعة
« التي اودعها بالروح اباؤنا لابائكم الاولين محفوظة الى الان عندكم (١). »

---

(١) كان النساطرة يدعون ان كل الخيرات والبركات والنعم التي نالها جنس البشر ولا سيما في أمور الدين اصلها من بلادهم التي يسمونها أرض المشرق وحدودها من العراق الى مبادىء بلاد سورية .

ثم بعد قليل قال :

د

« ولكي تطلعوا أنتم أيضاً علي أمورنا وتفهموا ان أبواب معتقدنا لاهي مطابقة
« ولاهي غير شبيهة بما عندكم . ولكي يكون عندكم وعندنا وجه واحد وقياس واحد
« للتعبير عن الاشياء التي وهبت من روح القدس روحانياً . هلم بنا نبسط لكم قليلاً
« من هذه المعاني السامية والفائقة التي عندنا » .

وأخذ يشرح صورة معتقد النساطرة تفصيلاً . وبعد ماقرّر الايمان بالثالوث الالهي تقريرًا ارثد كسياً أتي الى شرح سر تجسد الكلمة باسهاب . وابتدأ من ايضاح معتقد الاتحاد في ابن الله . فقرّره تقريرًا لولا استعماله لفظة الاقنوم مكان الطبيعة لكان مقبولاً ارثذكسياً . ثم جعل يبرهن على ان الاقرار بالطبيعتين في المسيح يوجب الاقرار باقنومين (واما مسألة الطبيعتين فلم يشرحها اذ فرض انه لاحاجة الى بيانها) . فقال من جملة ذلك :

ذ

« وان كنا نعترف ان المسيح هو من طبيعتين فلما كان الطبيعة لايقال لها
« متساوية في الطبيعة مع الطبيعة . . . نتج من ذلك انه مثلما يقال في المسيح طبيعتان
يجب ان يقال اقنومان » .

وبعد شرح طويل أتي الى مسألة الارادات والافعال في المسيح . فقال :

ر

ܡܫܝܚܐ ܓܝܪ ܒܟܝܢܘܬܐ ܘܡܫܝܚܐ ܚܝܕܝܐ ܕܬܪ̈ܬܐ ܒܟܝܢ̈ܬܐ
ܘܦܪܨܘܦܐ ܚܕ ܕܒܪܐ ܚܕ ܕܒܟܝܢ̈ܐ ܘܩܢ̈ܘܡܐ ܘܒܟܠܗ ܚܕ ܡܫܡܫܢܘܬܐ
ܘܡܠܟܘܬܐ ܕܐܠܗܘܬܗ ܘܥܒ̈ܕܐ ܐܦ ܡܬܝܕܥܢܘܬܐ ܕܒܪܢܫܐ . ܠܐ ܓܝܪ

ܐܝܟ ܦܘܠܓܐ ܕܐܝܬ ܠܟܠܗܘܢ ܒ̈ܢܝܢܫܐ ܘܠܟܠܗܝܢ ܡܡܠܟܘ̈ܬܐ
ܘܫܘܠܛܢ̈ܐ ܡܫܬܟܚܝܢ ܒܥܠܡܐ ܕܐܢܫܐ.. ܐܠܐ ܢܫܬܕܐ ܗܘܐ ܠܗܝ̈ܟܠܐ
ܕܗܪ̈ܛܝܩܐ . ܘܢܬܟܠܠ ܒܐܪܓܘܢܐ ܘܐܟܣܘܪܝܣܛܝܐ ܢܗܘܐ.

« ان وحدة البنوّة والشخصية تقرن الاقنومين (على رأي النساطرة) وتوصلها.
« لان الحاصل من الاقنومين مشيئة واحدة وقوة واحدة وفعل واحد وخاصة واحدة.
« فاننا لسنا نقسم ابن الله الى مشيئتين وفعلين وخاصتين (١) كأنهم قوم من
« الناس . . . . بل من كان هذا شأنه فليطرح الى قصور الهراطقة ويكلل بالارجوان
ويكون منفياً . »

يريد بقصور الهراطقة مدينة القسطنطينية التي فيها قبل مائة واحدى عشرة سنة كان قد عقد المجمع السادس وحدد المعتقد بمشيئتين وفعلين في المسيح . ويريد بالارجوان ملوك الروم الذين على قول النساطرة كانوا يلجئون المسيحيين الى اتباع مايهوونه في أمور الدين . وأشار بالنفي الى عادة ملوك الروم وهي ان ينفوا كل من لايقول قولهم في أبواب الايمان . وهكذا بكلمات وجيزة قوية المعنى صرف هذه مسألة الارادتين والفعلين.

ثم أخذ يبحث عن تسمية سيدتنا مريم العذراء أم الله واسهب في ذلك وبذل مجهوده ليدافع عن ضلالة النساطرة قائلاً ان هذه العذراء المغبوطة لايجوز ان تسمى بهذا الاسم . وبعد بحث طويل أتى الى زيادة كلمات الصلب على التريساجيون أي قدوس الله ليبين انه لايجوز استعمالها ولو عني بها ابن الله . وختم هذا البحث قائلاً .

ز

ܡܛܠ ܫܘܒܚܐ ܘܐܝܩܪܐ ܕܐܠܗܐ ܕܥܠܡܝܢ : ܠܐܘܪܫܠܡ ܒܬܪܐ ܗܠܝܢ ܗܘܐ

(١) هذه الكلمات نفسها بحرفيتها توجد في كتب الموارنة القدماء كثيراً .

ܕܢܘܕܥܘܢ ܕܡܢܟܘܢ ܗܝ ܬܫܒܘܚܬܐ... ܠܗ ܓܝܪ ܡܫܬܐܡܪܐ ܗܘܐ ܗܘܝܐ. ܩܕܝܫܐ ܐܠܗܐ. ܩܕܝܫܐ ܚܝܠܬܢܐ ܕܐܬܓܫܡ ܘܐܨܛܠܒ ܡܛܠܬܢ. ܩܕܝܫܐ ܠܐ ܡܝܘܬܐ ܐܬܪܚܡܥܠܝܢ. ܐܝܬ ܗܘܐ ܠܗ ܟܒܪ ܐܬܪܐ ܠܗܕܐ ܕܡܫܬܐܡܪܐ ܗܘܐ.

« فاذاً أيها الاخوة المحبوبون نرغب اليكم بالرب فلتسقط من ديركم ذاك المقدّس « هذه اللفظة التجديفية . . . لانه لو كان يقال مثلاً قدوس الله قدوس القوي « الذي تأنس وصلب لاجلنا قدوس الذي لا يموت ارحمنا لامكن ان يكون محل لتقال تلك اللفظة (١) ».

وبعد مامهد الطريق للصلح مدعياً ان وديعة الايمان بقيت محفوظة عند طائفته بلا خلاف منذ أيام الرسل أتى الى النتيجة قائلا : « ليس شيء يمنعنا يا أحبانا من ان نصير كنيسة واحدة بالمسيح ربنا » . ثم أخذ يتكلم عن ضرورة الاتفاق ورفع الانقسامات بين الطوائف المسيحية . وذكر الحوادث التي كانت قد جرت على يديه بتنصرّ ملك الترك مع جمهور قومه . ووعدهم ان يرسل اليهم صورة الرسالة التي كان قد بعث بها الى ذلك الملك . ثم أخذ يغري أولئك الرهبان بالصلح مع كنيسته من مثل الامم الكثيرة الخاضعة لبطريركيته ومن مثل هؤلاء الترك المذكورين ومن مثل ما كان قد حدث قبل سنة اذ انضمت ثلاث عشرة كنيسة من بلاد نجران الى شيعة النساطرة .

وختم رسالته واضعاً الشروط لقبول أولئك الرهبان في كنيسته قال :

س

« اما الاشياء التي ينبغي ان تقبل فهي هذه . الاول الاعتراف باقنومين طبيعتين

---

(١) اعتبر هنا ان معظم الذين تكلموا عن الموارنة القدماء من ارثذكسيين وغيرهم خصوهم بكونهم يستعملون الزيادة على التريساجيون وان رؤساء الكنيسة حاولوا كثيراً ان يردوهم عن ذلك قبل ان ينشقوا منها انشقاقاً تاماً فلم يذعنوا .

« في المسيح .... والثاني ان يقال لسيدتنا العذراء والدة المسيح (لا والدة الاله)....
« والثالث ان تحذف لفظة الذي صلب لاجلنا من تقديس السرافيين .... والرابع
« ان يقبل نسطور وثئودوروس وديودورس ويرفض قورلس الهرطوقي . فان جرت
« هذه الامور على هذه الشروط بمعونته تعالى صرنا لكم نحن عبيداً بالرب وكنتم لنا
« اباء وسادةً ».

ان هذه الرسالة طويلة جدًّا ونحن قد احببنا ان لا نفرط في تلخيصها ليفهم جلياً ما كان مقصود مؤلفها منها . و يسهل اتخاذ البرهان الذي نريده منها . فنقول انه من القطع التي اوردناها من رسالة طيمثاوس تتضح الاشياء الاتية وهي :

١ — ان رهبان مار مارون كانوا قد كتبوا رسالة الى طيمثاوس بطريرك النساطرة يراجعونه في امور الايمان اي يشرحون له صورة معتقدهم وايمانهم و يلتمسون منه الاتفاق مع شيعته وان هذه رسالتهم قد سرَّته . وكانوا قبل ذلك قد كتبوا بهذا المعنى الى البطريرك صليبا زخا سالفه . وهذا صليبا زخا جلس على كرسي بطريركية النساطرة سنة ٧١٤ (١) اي بعد حرم بدعة المنوثلتية في المجمع السادس المسكوني بسنين قليلة . ويا ليت هذه رسائل رهبان مار مارون وصلت الينا فتحل بها اوضح ما يكون مسألة مذهب الموارنة القدماء . والان لنا ان نعتبر ان هولاء الرهبان لو كانوا كاثليكيين بالحقيقة لما كاتبوا روساء شيعة مقطوعة عن الكنيسة

(١) في ذلك الزمان لم يكن الموارنة بعد قد تفردوا ببطريركية لهم كما رأينا في الفصل الثامن من الباب الثاني . فلا ريب انهم كتبوا الى بطريرك النساطرة لعلهم يجدون سبيلا لينضموا الى كنيسته . ولا سيما انهم كانوا يأملون من ذلك منافع كثيرة لهم ولتباعهم . فان بطاركة النساطرة كان لهم وجه كبير لدى خلفاء بغداد فكان رهبان مار مارون يلتمسون منه الحماية من تعرضات الملكيين الانطاكيين واذياتهم التي بها كانوا يحاولون جذبهم الى ارثذكسيتهم .

الكاثليكية ومشهورة اذ ذاك في العالم كله بهرطقتها يعرضون عليها صورة معتقدهم ويلتمسون الاتفاق معها . فان ذلك منكر على كل انسان كاثليكي ولاسيما في تلك الاجيال التي فيها حدثت هذه المكاتبات بين رهبان مار مارون والنساطرة . واما ان هولاء الرهبان طلبوا الموافقة مع النساطرة في المذهب فواضح من كل قرائن الرسالة ونظن انه لا حاجة الى بيانه . بل يكفي للاقتناع بذلك قليل من التأمل في ما اوردناه من تلك الرسالة .

٢ - يظهر من نص هذه الرسالة ان اولئك الرهبان في الرسالة التي كتبوها الى طيمثاوس بينوا له انه يوجد شعب تبعهم في الدين ويسترشدهم . (طالع القطعة التي علامتها (ج)) وهذا يؤيد ما قاله توما الكفرطابي عن اتباع سكان جبل لبنان لرهبان مار مارون في امر الدين كما راينا في الفصل الثالث من الباب الثاني .

٣ - يتضح جلياً ان اولئك الرهبان كانوا يعتقدون بطبيعتين واقنوم واحد في المسيح وانهم من هذا القبيل كانوا ارثذكسيين تماماً .

٤ - يتضح ايضاً انهم كانوا يقولون لسيدتنا مريم العذرآء ام الله مثلما يسميها الكاثليكيون .

٥ - يتضح ايضاً انهم في تلاوة التريساجيون اي قدوس الله كانوا يزيدون الذي صلب لاجلنا .

٦ - يتضح ايضاً ان اولئك الرهبان كانوا يعتقدون بمشيئة واحدة وفعل واحد في المسيح مثل النساطرة . والدليل على ذلك (١) ان طيمثاوس حيث تكلم في قطعة (ر) عن الذين يعتقدون بمشيئتين وفعلين في المسيح جعلهم بعيدين عن ملته وعن ملة الرهبان الذين كتب اليهم . (٢) قذف فيهم اشنع قذف اذ سمَّاهم هراطقة وسمى مذهبهم اثماً . فلو كان يعلم ان اولئك الرهبان هم من هذا المذهب لم يقذف فيهم هذا القذف وهو قد الزم نفسه في كل رسالته ان يملق اولئك الرهبان ويلاطفهم بالين

كلام كان يمكنه كما يظهر من القطع التي اوردناها . (٣) لما رسم شروط اقتبالهم في شيعة النساطرة في قطعة (س) لم يفرض عليهم الاعتقاد بالمشيئة الواحدة والفعل الواحد ذلك الاعتقاد الذي كان من ابواب مذهب النساطرة كما يبين طيمثاوس في قطعة (ر) وفي رسالة اخرى من رسائله طويلة الانشاء سنذكرها عن قريب .

فهذا دليل على انه كان يعلم انهم كانوا يعتقدون بذلك . فمن هذا كله نستنتج ان طيمثاوس الاول بطريرك النساطرة شهد في رسالته ان رهبان دير مار مارون كانوا منوثليتيين اي يعتقدون بمشيئة واحدة وفعل واحد في المسيح وانه كان يجاورهم طائفة من الناس تتبعهم في هذا المعتقد .

وهلم الان نسمع ما اعترض به صاحب روح الردود على هذه الشهادة في وجه ٦١ وما بعده .

١ً — قال اولاً : لو فرضنا صحة هذه الشهادة لصدقت في رهبان مار مارون فقط لا في كل الموارنة . اجيب : قد نسي هذا السيد المطران المحترم ان اولئك الرهبان كانوا في امور الدين ايمة شعب يهتدي بهم ويتبع تعليمهم ولذا سمي ذلك القوم تسمياً باسمهم الملة المارونية كما قرّر المطران المشار اليه بنفسه في وجه ٢٥٨ من كتابه حيث قال « لما كثر عدد الهراطقة في سورية .... شرع الرهبان تلامذة القديس مارون يذبون عن الايمان الكاثوليكي .... فمن اذعن لارشاد اولئك الرهبان .... دعي مارونياً » . وسبقه في هذا القول ابراهيم الحاقلاني . وقد بينا ذلك بشهادة آثار هذه الامة القديمة في الفصل الثالث من الباب الثاني . وقد رايت آنفاً كيف طيمثاوس في قطعة (ج) من رسالته ثبت هذا القول .

٢ً — قال : لم يشترط طيمثاوس النسطوري على رهبان مارون ان يعتقدوا بمشيئة واحدة . لان النساطرة لا يحتفلون بالقول بمشيئة او مشيئتين والشاهد ابن العبري . لا لسبب ان رهبان دير مار مارون كانوا من المعتقدين بالمشيئة الواحدة » . نجيب :

ان ابن العبري قد سها وكانه لم يطالع كفاية كتب النساطرة ليطلع على هذا الامر، فانه لو فحص الكتب لعلم ان رأيها هو موافق لرأي اولئك العلماء من النساطرة الذين سألهم عن ذلك مشافهةً . فاعلم اذاً ان النساطرة هم من القائلين بالمشيئة الواحدة والفعل الواحد في المسيح كاليعاقبة والموارنة . ولنا شهادات واضحة في ذلك تنفي كل ريب . فمن ذلك (١) ان شهادة طيمثاوس التي اوردناها من رسالته الى رهبان مارون لا تبقي ادنى ريب في ان النساطرة في القرن الثامن نفسه كانوا متمسكين تمسكاً شديداً برأي المشيئة الواحدة . حتى انهم كانوا يجعلون القول بخلاف ذلك هرطقةً واثماً . وليعلم خصمنا ان بين رسائل طيمثاوس رسالة طويلة الى سرجيوس القسيس هي الثانية والاربعون في ترتيب رسائله . فيها حامى عن مذهب المشيئة الواحدة والفعل الواحد في المسيح باسهاب مملّ مضجر . والسمعاني نفسه الذي اغترَّ اولاً على ما يظهر بكلام ابن العبري في المجلد الثاني من المكتبة الشرقية انتبه لهذا التوهم في المجلد الثالث وجه ٥٤٥ حيث قال : ان النساطرة مع انهم يقولون باقنومين وطبيعتين في المسيح ينسبون اليه مشيئة واحدة وفعلاً واحداً » .وقال ايضاً في المجلد الرابع وجه ٢١٠ : « ان اصل ضلالة النساطرة متوقف في انهم يقولون بمشيئة واحدة وفعل واحد وقوة واحدة وشخص واحد وصورة واحدة ووجه واحد للطبيعتين والاقنومين المتحدين في المسيح » .

(٢) ان نسطور نفسه امام البدعة النسطورية ينسب اليه اصحابه القول بمشيئة واحدة في المسيح . قال القس صليبا النسطوري في كتاب تواريخ البطاركة في وجه ١٤٤ من المصحف (ض): « ان نسطور قال انه يعتقد طبيعتين باقنومين ومشيئة واحدة ». وقد صرَّح بذلك يوسف السمعاني نفسه في وجه ٨٤ من مقالته في السريان النساطرة حيث قال :

« Quorem (Monothelitarum) Nestorius ipse ut suo loco ostendetur, « parens fuit ». « ان اباء المنوثليتيين هو نسطور نفسه كما سنبين »

(٣) وما هو اعظم من كل ذلك هو ان اساقفة النساطرة في قانون الايمان الذي يلتزمون بالاشهاد على انفسهم به بين يدي بطريركهم يوم سيامتهم يصرّحون بمعتقد المشيئة الواحدة . وعندنا صورة هذا القانون في المصحف (س) وهاك نبذة من هذا قانون الايمان :

ܡܘܕܐ ܐܢܐ ܐܢܐ ܡܣܟܢܐ ܦܠܢ ܕܒܫܡ ܩܫܝܫܐ ܐܘ ܝܚܝܕܝܐ ܕܡܢ ܐܬܓܒܝܬ ܡܢ ܒܝܬ ܡܪܥܝܬܐ ܒܪܝܟܬܐ ܦܠܢܝܬܐ ܘܐܬܩܪܝܬ ܡܢ ܐܒܘܢ .. ܡܪܝ ܦܠܢ ܩܬܘܠܝܩܐ ܦܛܪܝܪܟܐ ܕܡܕܢܚܐ ܠܡܫܡܫܘ ܕܪܓܐ ܕܟܘܪܣܝܐ ܐܦܣܩܘܦܘܬܐ ܕܡܪܥܝܬܐ ܕܐܡܝܪܬܐ . ܗܢܐ ܕܐܠܗܐ ܡܠܬܐ ܢܣܒ ܡܢ ܓܢܣܢ ܒܪܢܫܐ ܡܫܡܠܝܐ ܘܐܚܕܗ ܥܡܗ ... ܘܗܘܐ ܠܥܠܡ ܥܠܡܝܢ ܚܕ ܒܪܐ ܚܕ ܡܪܝܐ . ܚܕ ܡܫܝܚܐ ܚܕ ܦܪܘܩܐ ܚܕ ܨܒܝܢܐ ܘܚܕܐ ܡܫܠܛܢܘܬܐ ܒܬܪܝܢ ܟܝܢܝܢ ܘܬܪܝܢ ܩܢܘܡܝܢ ܚܕ ܦܪܨܘܦܐ .

« أنا الضعيف فلان القسيس أو الراهب الذي انتخبت من بين الرعية المباركة « الفلانية . ودعيت من أبينا مار فلان الجاثليق بطريرك المشرق لاخدم درجة « الكرسي الاسقفي في الرعية المذكورة اعتقد . . . ان ابن الله الكلمة أخذ من « جنسنا انساناً (١) كاملاً واتحد معه وصار الى الابد ابناً واحداً وربًا واحداً « ومسيحاً واحداً . ومخلصاً واحداً ومشيئةواحدة وقوة واحدة في طبيعتين واقنومين وشخص واحد » . فاذا كان في نفس صورة الايمان الملتزم بتقريره كل أسقف

(١) هذا على مذهب الاقنومين الذي يضل به النساطرة .

جديد عند النساطرة ليبين ارثد كسيته لبطريركه يصرح واضحاً بمشيئة واحدة في المسيح كما يصرّح بمذهب الطبيعتين والاقنومين الذي هو زبدة معتقد النساطرة. فكيف يجوز القول ان النساطرة مخيرون بالاعتقاد بمشيئة واحدة أو بمشيئتين. وما أعجب مارأيناه في كتاب روح الردود حيث قال في وجه ٦٤ ان الاحبار الاعظمين لايشترطون على النساطرة المقبلين الى حظيرة الكنيسة الكاثليكية الاعتقاد بالمشيئتين مع انه أورد هو بنفسه أمر البابابولس الخامس الموجب صريحاً على أولئك المنشقين الراجعين الى الحق ان « يحرموا جميع الهراطقة الذين حرمهم المجمع الخامس والسادس». أنسي ان المجمع السادس قد حرم جميع القائلين بمشيئة واحدة في المسيح (١).

٣ً ــ قال من كل البحث الذي سبق يتبين فقط ان طيمثاوس بطريرك النساطرة أقرّ بالمشيئة الواحدة أو أكثر مايكون ظنّ الموارنة على هذا الرأي. ولكن

---

(١) ان السيد عبد يشوع خياط مطران العمادية والمتعرف البطريركي في كرسي آمد للكلدان قد تفضل علينا في هذه الايام بشهادة جليلة تؤيد ما بينا في المتن وهو ان النساطرة مع قولهم بالاقنومين كانوا يعتقدون بالمشيئة الواحدة. والشهادة هي من تاودوروس الانبأ الكشكري الذي اشتهر بعلمه بين النساطرة في القرن الثامن في كتاب سماه ܦܘܫܩܐ. أي الحواشي. وتوجد منه نسخة في مدينة آمد مخطوطة في دير مار يعقوب الحبيس الذي بقرب سعرد. قال هذا المؤلف النسطوري «حاشية في المشيئة. س أكان للذي أخذ اي (للناسوت) مشيئة أم لا. وان قيل نعم حصل مشيئتان. ج انه من الواضح ان الذي اخذ كان ذا نفس فكان له مشيئة يريد بها مايريد أخذه (اي الاقنوم الالهي) فلم يكن يصنع ارادته بل ارادة آخذه. س فاذا كان مجبراً على ان يريد ذلك. ج لو كان (الناسوت) لم يرد ما يريده اخذه لصح قولك. ولكن لما كان (الناسوت) لا يريد الا ما يريده اخذه وجب ان نقول ان لكليهما مشيئة واحدة اذ لم يكن الواحد منهما يريد شيئاً والاخر شيئاً آخر».

لاينتج من ذلك ان الموارنة كانوا يعتقدون بالمشيئة الواحدة . أجيب : يعرف رأي الانسان اما من اقراره واما من شهادة من اطلع عليه . فنحن بينا ان طيمثاوس بعد ما اطلع على رأي الموارنة من رسائلهم ومن الخبر الشائع بين الناس شهد انهم كانوا يعتقدون بالمشيئة الواحدة .

٤ً — قال ان دير مار مارون لم يكن موجوداً في عصر طيمثاوس البطريرك النسطوري لانه كان قد دُكّ سنة ٦٩٤ بشهادة اسطفانس الاهدني » . أجيب : لابل ان دير مار مارون كان واقفاً صحيحاً بشهادة طيمثاوس الذي وردت اليه رسالة من رهبانه سنة ٧٩١ . ومن يكون مستحقاً للتصديق أكثر . أطيمثاوس الذي شهد عن أمر كان في زمانه أم اسطفانس الاهدني الذي عاش بعد ذلك بنحو تسعمائة سنة . وقد رأيت في الفصل الثامن من الباب الثاني ان دير مار مارون كان موجوداً سنة ٧٤٥ أي خمساً وثلاثين سنة قبل رسالة طيمثاوس . حتى ان بطريرك الملكية هجم عليه ليدعو رهبانه الى المعتقد الارثذكسي . أما ماروواه الاهدني عن هذا الدير من ان يسطينيان الاخرم ملك الروم بعث عسكراً ودكه وجعله قاعاً صفصفاً وغير ذلك فتلك حكاية طريفة مطربة بل مشجية ولكنها مخلة من وجه واحد فقط وهو انها غير صادقة كما رأينا في الفصل التاسع من الباب الثالث .

٥ً — قال ان استيلا الاسلام في سورية في ذلك الجيل لايبيحنا التصديق انه بقي للموارنة دير عند حماة . نجيب : لاننكر ان الاسلام بعد استيلائهم على بلاد الشرق قد أخربوا أديرة كثيرة وهدموا كنائس كثيرة . ولكن قد سلم من الاديرة والكنائس شيء كثير ومنها ماهو باقٍ الى الان . فمن أين يعلم السيد يوسف الدبس انه لم يكن ممكناً ان يكون دير مار مارون من عدد الاديرة التي سلمت من غائلة الاسلام الى القرن التاسع وما بعده .

فما اذاً شاهدان أحدهما كاثليكي قديس معظم والآخر نسطوري يشهدان ان الموارنة كانوا في القرن الثامن غير كاثليكيين .



الفصل الخامس

في شهادة ديونيسيوس التلمحري

بطريرك اليعاقبة

هذا ديونيسيوس المعروف بالتلمحري جلس على كرسي انطاكية لليعاقبة في القرن التاسع وتوفي في سنة ٨٤٥ واشتهر خصوصاً بالتاريخ الذي كتبه وجمع فيه اخبار زمانه مدة ٢٦٦ سنة و يستدل من تواريخه على انه كان عالماً فقيهاً ذا دقة وحذاقة في النظر بالامور والوقائع . وقد ادَّى في تواريخه شهادة عظيمة في مذهب الموارنة كما رأيت في الفصل السادس والسابع من الباب الثاني . وسبيلنا هاهنا فقط ان نورد شيئاً مما قاله ديونيسيوس عن الموارنة اذ بين خاصةً جوهر دينهم . قال : « بقي الموارنة كما هم « اليوم يسمون لنفسهم بطريركاً واساقفة من ديرهم . وهم مميزون من اهل مكسيموس « (اي الكاثليك القائلين بالمشيئين) بانهم يعتقدون بمشيئة واحدة في المسيح « ويقولون الذي صلب لاجانا (في التريساجيون) ولكنهم يقبلون المجمع الخلقيدوني » . فيتضح من هذا ان الموارنة كانوا في القرن التاسع يعتقدون بالمشيئة الواحدة .

اما ما يمكن ان يعترض به خصومنا على شهادة ديونيسيوس لكونه يعقوبياً فقد سبق حله في الفصل الثاني . حيث زكينا شهودنا على وجه العموم ولنا هاهنا ان نقول بالخصوص ان ديونيسيوس يستحق كل التصديق والثقة لانه في رواياته يوافق

المؤرخين الغربيين قاطبةً في الامور التي رووها هم ايضاً سوى انه كان متعصباً لدينه. وهذا مما لا يؤاخذ عليه مؤرخ كان امام شيعة اليعاقبة . ومما اشتهر عنه ديونيسيوس ضبط تاريخ السنين والايام بكل تدقيق وذكر تفاصيل شتى قلما تجدها عند مؤرخي الازمان القديمة . وهو كان خبيرًا بالامور التي رواها لانه قضى اكثر حياته بالاسفار وخالط اقواماً شتى ومن جملة ذلك سكن مدة في انطاكية ورأى بلاد مصر . اما كونه يعقوبياً فلا يعدّه سبباً لتكذيبه الاَّ من لم يبقَ له ادنى عقل . ولماذا من دون جميع الاقوام الالوف والربوات الذين كانوا كاثليكيين في عصر ديونيسيوس في العالم كله لم يجعل ديونيسيوس قوماً منهم منوثليتياً الاَّ قوم الموارنة الذين كانوا يحبون اليعاقبة ويتقربون اليهم ويلتمسون سندهم . وهو لم يكتف بان يقول بانهم كانوا في زمانه منوثليتيين . بل روى مبادئ انشاء ملتهم وحال انشقاقهم من الشيعة اليعقوبية وتثبتهم في مذهبهم مع كل ما اصابهم من المقاومة بتفصيل وتدقيق كما يروي سائر الاخبار التاريخية . ونسأل خصومنا : لو كان ديونيسيوس يقول عن اجدادكم انهم كانوا يعتقدون بالمشيئتين أما كنتم تتلقون ذلك باهتشاش وتوردون شهاداته كبرهان قوي ضد خصومكم . فان قلتم لا كذَّبكم مرهج نيرون الذي استشهد بكتاب شرح معتقد اليعاقبة ليبين ان موارنة القرن الخامس عشر كانوا يعتقدون بالمشيئتين . وكذَّبكم السمعاني الذي استشهد ابن العبري اليعقوبي ليبين ان اجدادكم كانوا يقبلون المجمع الخلقيدوني.فان كنتم تصدقون اليعاقبة في ما يعجبكم فصدقوهم ايضاً في ما لا يعجبكم.فانهم كانوا اولياء اجدادكم.واجدادكم كانوا يحبونهم وقد اخذوا عنهم كتبهم وقديسيهم وعوائدهم.فلم يمكن البتة ان يكذبوا عليهم في شيء كان عند الفريقين شرعاً.

وكأن الاخصام يعترضون علينا قائلين وكيف تقبل شهادة رجل هرطوقي جعل مكسيموس القديس مبدعاً على قوم ارثذكسيين . فنجيبهم كأنكم تستندون علي مذهب من يزعم ان شهادة كافر لا تصح على مؤمن . ولكن كأنكم

ايضاً قد نسيتم ان اهل هذا المذهب عينه يزعمون انه تصح شهادة كافر على كافر. فان كان ديونيسيوس كان غير ارثذكسي فاجدادكم ايضاً كانوا غير ارثذكسيين. فعلى كل حال تصح شهادة ديونيسيوس عليهم.



الفصل السادس

في شهادة سعيد بن بطريق

البطريرك الاسكندري

ان هذا المؤرخ الشهير الذي كتب تواريخ العالم في اللغة العربية في مبادى القرن العاشر كان بطريركاً على مدينة الاسكندرية للطائفة الملكية الارثذكسيين. واول من جعله من المنشقين او اشار الى ذلك على ما نعهد هو السيد يوسف الدبس في وجه ١٤٧ من كتاب روح الردود تبعاً لصاحب كتاب الدر المنظوم ولا ندري باي حجة. اننا نعلم فقط ان الملكيين بجملتهم لم ينشقوا حقيقةً من الكنيسة الكاثليكية الّا في القرن الحادي عشر على يد ميخائيل قرولاريوس. ونعلم ان لكويان الخبير بهذه الامور اكثر من غيره وشهادته مقبولة عند الموارنة لانه ادّاها بعدما وافق رأيهم في مسألة مذهب اجدادهم على قولهم جعل هذا البطريرك ابن بطريق كاثليكياً في وجه ٤٧٥ من المجلد الثاني من الشرق المسيحي. فاذا تقرّر ذلك فاعلم ان لهذا المؤرخ شهادة واضحة في مذهب الموارنة.

قال سعيد بن بطريق الاسكندري في تاريخ موريق ملك الروم: «وكان «(مارون) يقول ان لسيدنا يسوع المسيح طبيعتين ومشيئة واحدة وفعل واحد وقنوم

« واحد فافسد مقالة الناس واكثر من تبعه على مقالته تلاميذه القائلين به اهل مدينة
« حماه وقنسرين والعواصم وجماعة من اهل الروم . فسميوا التابعين له والقائلين
« بمقالته المارونية مشتق من اسم مارون ». فترى ان سعيد بن بطريق شهد ان المارونيين
هم من المعتقدين بمشيئة واحدة وفعل واحد في المسيح ولو انه توهم في بيان زمان
مارونهم كما رأينا في الفصل الاول من الباب الثالث . فنقول ان ابن بطريق لم يتوهم
ولا كذب في شهادته عن مذهب الموارنة .

١ — لم يمكن ان يتوهم ابن البطريق في حقيقة مذهب الموارنة . اذ كانت هذه الطائفة قريبة منه ولابد من انه رأى أناساً من هذه الملة وتعاطى معهم . فان مدينة الاسكندرية التي كتب فيها وكان بطريركا عليها كانت في كل وقت مجتمع الناس من كل مذهب وكل ملة وكل قطر من أقطار العالم . فكيف من البلاد المجاورة جبال لبنان . ولا يخفى ما لرؤساء الملل في بلاد الشرق ولاسيما البطاركة من المعاطيات والمجالسات مع كل صنف من الناس . ولا يبعد ان الموارنة كان لهم في ذلك العصر في الاسكندرية كنيسة لملتهم كما لهم الان . فان كان ابن البطريق لم يتوهم البتة في ما رواه عن مذهب النساطرة والارمن الذين كانوا بعيدين عنه جداً . فكيف كان يمكن ان يتوهم في معرفة مذهب الملة المارونية القريبة منه أكثر من جميع الملل بعد الاقباط وناهيك ان كل ما قاله ابن بطريق عن مذهب الموارنة مطابق لما تنطوي عليه جميع كتب هذه الطائفة مطابقة عجيبة . هذا وان كتاب ابن بطريق قد طاف البلاد في أسرع وقت من الزمان حتى وصل الى بلاد العراق محور النساطرة . فلو كان قد توهم في ما كتبه عن الموارنة اما كان يوجد أحد في بلاد الشرق كلها ينتبه لغلطه هذا ويردّ عليه ولاسيما الموارنة . كما نعلم ان اليعاقبة الاقباط ردّوا عليه بواسطة سويرس أسقف الاشمونيين . والنساطرة بواسطة صليبا بن يوحنا الموصلي في ما به جرح شيعة كلّ واحد منهم . واما الموارنة فضلاً عن انهم لم يكذبوا ابن بطريق

في ماروا عن مذهبهم قد اثبتوا روايته والشاهد على ذلك توما الكفرطابي الذي جادل في القرن الحادي عشر بطريرك الملكية . فانه في المقالة الرابعة من مقالاته العشر (وجه ١٤٩ من المصحف الواتيكاني بين السريانيات ١٤٦) قال : « فلما وصل كتاب البطريرك (لاون الثاني البابا) قبله هرقل (ملك الروم المحامي عن بدعة المشيئة الواحدة) قبل الوقوف عليه . عند ذلك سيرّ الملك هرقل أحضر مكسيماس (المحامي عن المشيئتين) الى حضرته وأمر بعض غلمانه احد اسمه قسطا فقطع لسان مكسيماس ويده ونفاه الى جزيرة تسمى الريكية . وهـذا المقال مكتوب عندنا (١) وعندكم في كتاب سعيد بن بطريق . هناك مات مكسيماس منفياً »

فنرى ان الموارنة فضلاً عن انهم لم يغلطوا ابن بطريق كانوا يستشهدونه في نفس مسألة أصل مذهبهم .

٢ً ـ فاذا ثبت ذلك يتبين لنا دون عناء ان سعيد بن بطريق لم يكذب في ماروا عن مذهب الموارنة . وذلك ان الانسان ولاسيما ذا الفضيلة كالمؤرخ لايكذب الاّ لسبب قوي يلجئه الى الكذب ونحن لانرى أدني سبب اضطر سعيد ان يكتب خلاف ما كان يعرف . وأي منفعة كان يأمل من وراء كذبه في طائفة قريبة اليه تراه وتسمعه ويراها و يسمعها في أمر المذهب الذي هو أعز شيء لدى كل قوم . واسخاطها هكذا عليـه اسخاطاً أبدياً . أو ليس موارنة زمانه كانوا أجداداً لموارنة زماننا . ومن يتجاسر الان من البشر ان يقول عن موارنة زماننا انهم مثلاً يعتقدون باقنومين في المسيح . فكيف اذاً قدر ابن بطريق ان يكتب ضدّ الموارنة

(١) من هذا قول توما الكفرطابي يتضح انه كان عند الموارنة كتب تواريخ تنبيء عن سالف الازمان مؤلفة عندهم . وهذه الكتب قد أحرقها بطاركة الموارنة بعد انضمامهم الي الكنيسة الرومانية مع كثير من غيرها .

الذين قرأوا كتابه وعدوّا شهادته عليهم أكذوبة لا أصل لها وهم لم يغتاظوا منه ولا كذبوه . فنقول اما انه سحرهم . واما انهم كانوا بالحقيقة منوثليتين كما رواه عنهم .

وتأمل ان ابن بطريق لم يكتف ان ينسب المنوثليتية اليهم في محل واحد بل جعل ذلك قياساً له في كتابه كله . حتى انه كلما عرض له ان يذكر واحداً من المنوثليتيين سماه مارونياً . فلو كان ابن بطريق في كل ذلك قصد ان يكذب لعمل بالحقيقة شيئاً يفوق الطاقة البشرية . وأيّ انسان قدر الى الان ان يكذب هكذا على قوم أحياء يرونه ويسمعونه كذباً ثابتاً مستديماً في أمر مذهبهم ويجعل كذبه أساساً لتواريخ انتشرت بين كل صنف من الناس ولايردّ في الحال منخزياً .

هاك الان نسمع أخص ما يرد به الموارنة على شهادة سعيد .

١ً — يقولون : قد كذب وتوهم سعيد بن بطريق في ماروواه عن مارون فاذاً قد كذب وتوهم في ماقاله عن الموارنة . أجيب ان مارون عاش قبل ابن بطريق باجيال . فكان يمكن ان يتوهم ابن بطريق في أمره كما حدث كثيراً لاشهر المؤرخين حتى الاباء القديسين في كلامهم عن الازمان السالفة . واما الكذب أو التوهم في حقيقة مذهب قوم أحياء نراهم ويرونا فلا يتأتي ارتكابه الاّ عن سفاهة أو بلادة بليغة لا يتصورها الانسان في مؤرخ وان كان قاصراً . فلو فرضنا ان أحد السياح رأى اليعاقبة في بلاد الهند ووصف دينهم ومذهبهم . ثم اذا أراد ان يخبر عن أصلهم قال انهم منسوبون الى يعقوب الرهاوي الذي عاش في القرن السابع . هل ينتج ان هذا السائح كذب في ماقاله عن مذهب اليعاقبة لانه توهم في ماقاله عن أصلهم وعن يعقوب الرهاوي .

٢ً — يقولون : قد غلط ابن بطريق في اشياء كثيرة كما يشهد المحققون فاذاً قد غلط في مذهب الموارنة . — اجيب نعم قد غلط في ما كان يمكن الغلط فيه اي في

امور غائبة او دقيقة او عسرة التحقيق . واما امر مذهب الموارنة فلم يمكن ان يغلط فيه لانهم كانوا قدّام عينيه تقريباً وكان مذهبهم جلياً واضحاً لكل انسان . افكان دينهم خفياً مستوراً عن العامة حتى لا يمكن لكل احد ان يقف على حقيقته كدين الدروز او اليزيدية او لم يكن سهلاً لابن بطريق ان يطالع كتاباً من كتبهم التي كان كثيرٌ منها مكتوباً بالعربية ليطلع على حقيقة دينهم .



الفصل السابع

في شهادة يحيى بن عدّي التكريتي

ومحمد بن هارون الوراق

كان يحيى بن عدّي التكريتي طبيباً وفيلسوفاً شهيراً بين اليعاقبة واشتهر في مدينة تكريت في القرن العاشر . وذكره ابو الفرج ابن العبري في مواضع شتى من كتاب تاريخ الدول .

ومن جملة مؤلفات يحيى كتاب ردَّ به على محمد بن هرون المسلم المعروف بابي عيسى الورَّاق في ما تهم به الفرق النصرانية الثلاث اليعقوبية والنسطورية والملكية في ابواب معتقد الثالوث وتجسد ابن الله . وهذا الكتاب موجود في المصحف الواتيكاني العربي عد ١١٣ .فهذا يحيى اورد في كتابه اقوال ابن عيسى شيئاً فشيئاً وردَّ عليها . وبعد ان فرغ من ردّه على ما قاله ابن عيسى عن معتقد النسطورية وعن معتقد الملكية في امر اتحاد الكلمة بالناسوت اتى الى الردّ على ما قاله في معتقد اليعاقبة في ذلك الشان و بعدما ردَّ عليه اورد كلمات ابن عيسى وهي (في ورقة ٨):«لم نذكر في

« هذا الموضع كل اليعقوبية لان في اليعقوبية صنوفاً اخر تخالف هولاء في الاتحاد في
« معنى المسيح ولها القاب اخر لم نسميها ولم نذكر اقاويلها في هذا الكتاب . ولا
« اقاويل غيرها من صنوف النصارى كالمارونية والاليانية والسبالية والاريوسية
والبولية اصحاب بولي الشمشاطي » .

وورد في ورقة ١٩٧ ايضاً : « قال يحيي : هذا آخر ما في كتاب عيسى من الردّ
« على النصارى وقد بينا فساد جميع ما ردّه على اليعقوبية في هذا الكتاب وما كان
« فاسداً من ردّه على الملكية والنسطورية .... قال يحيي ووجدت في آخر بعض نسخ
« هذا الكتاب بعد تمام الكتاب هكذا : ونحن مبتدئون بالنقض على من أضيف الى
« اليعقوبية كالاليانية واصحاب اوطاخي . وعلى باقي صنوف النصارى كالمارونية
« والسبالية ... في كتاب مفرد ان شاء الله » .

فترى اذاً ان الموارنة في زمان يحيى بن عدي اي في القرن العاشر كان معتقدهم في امر التجسد مختلفاً عن معتقد الملكية واليعقوبية والنسطورية . امـا هذه الفرق الثلاث فلا شك في حقيقة مذهب كلٍ منها . فان الملكية قال يحيى بن عدّي في معتقدهم (ورقة ١٦٢) : « قال ابو عيسى : اما الملكية فقد مرَّ عليهم كلام كثير في « المسيح عند مسائلتي اياهم في الاتحاد . ونسأل الان ايضاً من اختار منهم ان يعبر «عن المسيح بذي جوهرين وذي مشيئتين ».فلما كان الموارنة بشهادة ابي عيسى لم يكونوا ملكيين فينتج من ذلك انهم لم يعتقدوا بالمشيئتين والاَّ لما كان لابي عيسى وجه للردّ عليهم في امر التجسد وهو غير ما ردَّ به على الملكية . وناهيك انه لم يذكر الافرنج بين الفرق النصرانية . وليس ذلك الاَّ لسبب انه لم يكن له سبيل للرد عليهم من حيث ان معتقدهم في امر التجسد هو واحد مع الملكية . وترى ان يحيي باعراضه عن الرد على ابي عيسى في تمييز الموارنة عن اليعاقبة وعن سائر الفرق اثبت هذا التمييز.

ولا حاجة الى القول بان يحيي واباعيسى لم ينقلا عن سعيد بن بطريق ما

روياه عن مذهب الموارنة . فان هذا البطريرك عاش في عصرهما . ولم يكن وقت كافٍ لتنشر تواريخه في البلاد وتتصل الى مدينة تكريت التي هي في ارض العراق . ولاسيما اذا أعتبر انه في تلك الازمان لم يكن شيء من التسهيلات الموجودة في زماننا لاتصال بلدٍ ببلدٍ آخر . ويمكن ان ابا عيسى الورّاق الذي ردَّ عليه يحيى التكريتي عاش قبله بزمان . ولا شكَّ في ان يحيى وابا عيسى اللذين بحثا بحثاً عامياً عن مذاهب النصرانية في امر التجسد وتعمقا في شرح حقيقتها الواحد للرد عليها وتفنيدها والآخر للدفاع عنها كان لهما علم كامل مستوعب في المذاهب التي كانت في زمانهما . فها شاهدان اخران احدهما يعقوبي والآخر مسلم يشهدان ان الملة المارونية كانت في القرن العاشر تختلف عن سائر الملل النصرانية في امر تجسد الكلمة .



الفصل التاسع

في شهادة سويرس بن المقفع

اسقف الاشمونين

انه في نحو سنة ٩٨٠ عرف هذا المؤلف في مدينة الاشمونين من البطريركية الاسكندرية وكان اسقفاً ليعاقبة تلك المدينة . واشتهر سويرس بن المقفع بكتب شتّى صنفها باللغة العربيـة . اخصها كتاب سير البطاركة الاسكندريين (١) . فهذا

(١) قد وقع منا سهو في صفة هذا الاسقف في كتابنا اللاتيني حيث سميناه سريانيا قبطياً . وكان حقنا ان نسميه يعقوبياً قبطياً . وسبب توهمنا اننا رأينا كتبه مكتوبة بحروف سريانية اي بالكرشوني . نعم انه في زمان هذا الاسقف جلس على كرسي الاسكندرية للاقباط بطريرك سرياني اسمه افرام .

سويرس ذكر الموارنة في مؤلفاته أكثر من مرة وجعلهم طائفة من النصارى مميزة عن سائر الطوائف الموجودة في عصره في العوائد والدين . ومن جملة شهادات هذا الاسقف القبطي عن الموارنة هاك ما كتبه في ذيل تواريخ بطاركة الاسكندرية وهو مختصر في المجامع . قال : (في المصحف الواتيكاني العربي ٦٨٠ في ورقة ٢٣٧ :)

« المجمع السادس للروم بعد الفرق (أي بعد افتراق اليعاقبة من الكاثليك) مائتين
« تسعة وثمانين اسقف اجتمعوا في القسطنطينية في السنة الثالثة عشر من مملكة
« قسطنطين في السنة الرابعة لمعاوية . . . ونفوا كورس وبطرس بطريرك الاسكندرية
« وقاريوس(١) بطرك رومية وسرجيوس وقورس وبولس بطاركة انطاكية وقسطنطينية
« وكل من يقول بمقالة اليعاقبة والموارنة . ولعنوا أصحاب المشيئة الواحدة وفي هذا
« المجمع قرّروا ان لا يقوم في مملكة الروم يعقوبي الا ويقتل أو ينفى وكذلك المارونية» .

فترى سويرس يقول مصرّحاً ان مذهب الموارنة قد نفي أو حرم في المجمع السادس المسكوني . وحقيقة مذهبهم هذا تتبين من قوله انه في ذلك المجمع « لعنوا أصحاب المشيئة الواحدة » وهكذا كان بالحقيقة مذهب اليعاقبة . فكان اذاً هو مذهب الموارنة أيضاً على قول سويرس اسقف الاشمونيين . فالموارنة كانوا اذاً منوثليتيين في عصر سويرس أي في أواخر القرن العاشر .

ولا يعترض الموارنة على هذه الشهادة بقولهم ان لا ذكر لهم في المجمع السادس . فان سويرس لم يقل ان الموارنة حرموا في المجمع السادس بل حرم كل من يقول بمقالتهم وبمقالة اليعاقبة أي كل منوثليتي كالموارنة وكل منوفيسيتي كاليعاقبة . فكما اذا قلنا مثلاً ان بولس الرسول حرم في رسائله كل قائل بمقالة نسطور لا ينتج من

---

(١) أراد ان يقول انهم ذموا هنوريوس البابا وحرموه كما هو معلوم لسبب رخاوته في منع البدعة المنوثليتية . فاخطأ في قراءة اسمه أو حرفه نساخ كتابه كما يحدث كثيراً .

ذلك ان نسطور مذكور في رسائل بولس الرسول . كذلك الامر في شهادة سويرس .

ولا يقولن الموارنة ان سويرس قد نقل شهادته عن سعيد بن بطريق الملكي الذي كتب قبله بسنين قليلة . فان سويرس (١) قد قال في الموارنة أشياء لم يقلها سعيد قط . فمن ذلك قوله في كتاب المجادلة مع الطوائف (المصحف الواتيكاني السرياني ١٥٩) في ورقة ١٤٠ : « القول في تقدمة القسيس صبي وكذلك الافرنج . ثم الموارنة . « وهذا لا يجب . وهذا أمر صعب جداً . وذلك ان القسيس يكون مؤتمناً على « أعمال جليلة . » فترى ان سويرس قد قال ما قال في الموارنة عن خبرة كاملة واطلاع دقيق على أحوالهم حتى كان يعلم انهم كانوا يرقون الصبيان الى درجة الكهنوت . وهل شيء من ذلك لدى سعيد . (٢) ان سويرس قد ألف كتابا مخصصاً للرد على سعيد بن بطريق موجوداً في المصحف الواتيكاني العربي عدد ١٥٥ فكيف أمكن ان ينقل عنه وهو كان من غير دينه . وكانت عداوة شديدة بين ملته وبين الملكيين الذين كان سعيد بطريركا عليهم . (٣) وذلك يتأكد من الفرق الموجود بين عبارة سعيد وعبارة سويرس في شأن المجمع السادس . فان سعيداً قال : « فدفع (رسول « الملك) الصحيفة الى أغابيوس . فجمع أغابيوس من حضر من الاساقفة . . . . فلما « وصلوا الاساقفة الى القسطنطينية . . . . جمع قسطنطين مائة وثمانية وستين سقفاً « وكان جملتهم مائتان واثنين وتسعين اسقف . فاسقطوا الثلاثة شمامسة المرسلين من « قبل أغابيوس بطرك رومية . فبقي مائتان وتسعة وثمانين اسقف . وكذلك يذكرون « في الدبتيخة . . . فلعنوا مقاريوس ومكدونيوس وجريج بطاركة انطاكية واسطفان « تلميذ مقاريوس . ولعنوا كورس و بطرس بطاركة الاسكندرية . ولعنوا أنوريوس « بطريك رومية . ولعنوا سرجيوس وتودرس و بولس و بطرس بطاركة القسطنطينية « الخ . . . . فلما فرغوا من لعن أصحاب المشيئة الواحدة جلسوا فصححوا

« الامانة الخ . . . وذلك في ثلثة عشر سنة من ملك قسطنطين (١) » .

فانظر ما أعظم الفرق بين عبارة سعيد وبين عبارة سويرس وانظر خصوصاً ان سعيد في كلامه عن المجمع السادس لم يذكر الموارنة ولو بحرف. واما سويرس فذكرهم . ثم لاحظ ان سويرس لم يقل كلمة واحدة في مارون الذي ذكره سعيد . ولو كان قد نقل سويرس عن سعيد روايته لكان حقه ان يذكر مارون الذي حرمت بدعته في المجمع السادس .



الفصل التاسع

في شهادة داود المطران

والاب يوسف المارونيين

ان لنا من جملة الشهود الشاهدين بان الموارنة كانوا منوثليتيين في القرن الحادي عشر شهوداً من طائفتهم نفسها . منهم رجل يقال له في كتبهم داود المطران ولا يذكر اسم كرسيه بل يذكر عنه انه في سنة ١٠٥٩ للمسيح ترجم من اللغة السريانية كتاباً يسميه الموارنة كتاب الهدى او كتاب الناموس بطلبة رجل اخر من تلك الطائفة اسمه الاب يوسف لعله كان رئيس دير . وذلك مذكور في المصحف

---

(١) قد نقلت هذه النبذة عن نسخة في حلب هي ملك الخوري انطون قندلفت النائب العام في تلك الابرشية السريانية *** وهي مطابقة لطبعة اوكسونيا سنة ١٦٥٨ الجزء ٢ وجه ٣٤٩ .

الواتيكاني السرياني عدد ١٣٣ حيث يقال في ورقة ٣ : « رسالة الاب يوسف الى « المطران داود المنفذة سنة الف وثلاثمائة وسبعين للاسكندر (وهي سنة ١٠٥٩ « للمسيح) : سألت الاب الطاهر ايده الله .... ان يفسر لي الكتاب المنسوب الى « الاب القديس وينقله من اللغة السريانية الى العربية ويشرحه شرحاً مبيناً ويعين « ما فيه من التحريم والتحليل والمنهى عنه والمندوب اليه والمباح والمحذور الخ . » وفي ورقة ٥ تبتدي رسالة داود المطران الى هذا الاب يوسف حيث قال : « وصلتني « رسالتك ايها الاخ الروحاني . سألت ارشدك الله وايانا الى طاعته والهمك وايانا « الى (العمل) الجيد بمرضاته ان انقل لك الكتاب المرسوم بكتاب الكمال المنسوب « الى الاب القديس من اللغة السريانية الى اللغة العربية واشرح جميع ما فيه الخ »

فترى هنا شهادة اثنين من الموارنة على هذا الكتاب احدهما بطلب نقله الى اللغة العربية وقبوله . والاخر باجابته الى ذلك . والحال ان هذا الكتاب تقرَّر فيه البدعة المنوثليتية بعبارات لا يمكن ان يكون اوضح منها . فانه في ورقة ٢٢ مثلاً بعد ما شرح ايمانه بتجسد المسيح قال : « واذ اعتقدنا فيه هذا الاعتقاد الذي ذكرناه . « فانا ايضاً لا نعتقد فيه انه اثنين ولا مسيحين ولا شخصين ولا مشيئتين ولا فعلين . « حاشاه من ذلك . بل هو واحد يسوع المسيح ابن الله الكلمة » . وفي ورقة ٢٥ بعد ما عدَّ فِرق النصارى التي ظهرت الى زمانه وذكر التي قد زالت منها ولم يبقَ منها اثر كالبرديصانية والمانوية . شرع يشرح الفرَق التي بقيت موجودة في زمانه ومن جملتها المارونية اذ قال : « ثم المارونية وهي المنسوبة الى مارون يوحنا بطريرك « انطاكية العظمى .... وثبتت هذه الفرق الاربع (اي الملكية والمارونية واليعقوبية « والنسطورية) على ان الفرقة الملكية والمارونية اللتين ذكرناهما انما هما فرقة واحدة « ورايهما في الاتحاد والجوهر والاقنومية رأى واحد . وانما اختلفتا في المشيئة .

« فقالت الملكية بمشيئتين وقالت المارونية بمشيئة واحدة » . ايمكن ان يكون شهادة اوضح من هذه على حقيقته مذهب الموارنة في القرن الحادي عشر ،

واوضح من ذلك ما ورد في ورقة ٣٠ حيث قال : « واما الملكية اختلفت هي « والمارونية في المشيئة والمشيئتين فقالت الملكية ان المسيح ذو مشيئتين للجوهرين « مشيئة الاهية للجوهر الالهي ومشيئة انسانية للجوهر الانساني . وقالت المارونية « بل هي مشيئة واحدة للجوهرين الالهية والانسانية » . وقال : « قالت الموارنة « (للملكية) هاتين المشيئتين . . . لا تخلو من ان تكونا اما متساويتين واما متضادتين . « فان كانتا متساويتين في جميع حالهما عاد الامر الى مشيئة واحدة الخ » . فان كان هذا كله لا يكفي لتقنيع الموارنة بان اباءهم في القرن الحادي عشر كانوا ضالين باعتقاد المشيئة الواحدة فلست ادري باي شيء يقنعون .

واما الاحتجاجات الباطلة التي بها حاول السيد يوسف الدبس ان يوهن قوة هذه الشهادة فسنراها اذا ما اتينا الى الكلام عن هذا كتاب الهدى نفسه .



الفصل العاشر

في شهادة يوحنا الرابع البطريرك الانطاكي الملكي

وتوما اسقف كفرطاب الماروني

ان آثار الملة المارونية القديمة قد ذكرت خبر جدال مشتهر جرى في القرن الحادي عشر بين يوحنا الرابع البطريرك الانطاكي على الملكيين . وبين توما اسقف كفرطاب الماروني . ولنا في هذه المجادلة شهادة عظيمة على حقيقة مذهب الموارنة في

ذلك العصر . فاليك ما ورد في الكتاب الحاوي الجدال المذكور وذلك نقلاً عن المصحف الواتيكاني السرياني ورقة ١٣١ . قال : « بسم الاب والابن والروح « القدس اله واحد وثلاث بالصفات موحد بالذات . نخبركم يا اخوة فلما كان من « بعض الزمان في تاريخ اسكندر ابن فيليفوس اليوناني الف وار بعمائة سنة (وهي « سنة ١٠٨٩ للمسيح) جرى فيها مكاتبات ومراسلات بين بطريرك الروم في مدينة « انطاكية انبا يوحنا و بين انبا توما مطران (كفرطاب في) كورة حلب الماروني . « بركة صلاتهم ترحمنا امين . لان جرى بينهما تصحيح المذهب المسيحي باعتقاد « المذهب الايمان المقدس . وكان الامر في اعتقاد الملكين بالمشيئتين لذي الطبيعتين . « وفي تصحيح مذهب الموارنة بتأنس ربنا من لاهوت وناسوت طبيعتين متحدة « (متحدتين) بمشيئة واحدة . فلما كثر التصحيح بينهما وجعلت كتب انبا يوحنا « واردة الى انبا توما وكذلك كتب توما الى انبا يوحنا . فلما كثرت المكاتبات « بينهما الى نهاية ما يكون عند ذلك كتب انبا يوحنا بطريرك انطاكية رسالة « جزيلة طويلة الشرح كثيرة المعاني وارسلها مع قاصد الى انبا توما مطران الموارنة « الى كفرطاب بلد كورة حلب . وهو يحتج عليه فيها لان كل من لا يعتقد ان في « ربنا السيد المسيح مشيئتين فهو ناقص . وجعل يستقبح اعتقاد انبا توما بمشيئة « واحدة بربنا السيد المسيح يقول له انه على ضلالة بمذهبه ومخالف . فلما وصلت « الرسالة الى انبا توما مطران كفرطاب ثم انه تأملها وقرأها في بالغ فهمه شافياً حينئذٍ « وجد فيها تعاليم كثيرة مخالفة قوانين المجامع وكنيسة الله الجامعة الرسولية . . . عند « ذلك حزن انبا توما حزناً شديداً و بكى على قساوة قلب السيد البطريرك انبا يوحنا « ونقص امانته . . . عند ذلك وقف انبا توما مبتهلاً متضرّعاً الى رحمة الله . . . « عند ذلك ورد اليه رحمة روحانية وجعل ينقض رسالة انبا يوحنا لفظة لفظة وكلمة « كلمة في تبطيل المشيئتين واثبات المشيئة الواحدة بتأنس ربنا السيد المسيح . . .

« وحقق بذلك اعتقاده النير طبيتين ومشيئة واحدة لاهوته وناسوته ربنا السيد
« المسيح متحد بلا انفصال.... لان مشيئة اللاهوت واحدة لا تنقسم. كما انه الاه
« حق من الاه حق ولم هو الاهين كذلك لم له مشيئتين بل مشيئة واحدة وابيه
« وروح قدسه. وان انبا توما جعل رسالة جزيلة لتصد اعتقاد البطريرك يوحنا
« بمشيئتين وجمع فيها شهادات وجعلها عشر مقالات ... وارسلها الى بين يدي السيد
« البطريرك الى مدينة انطاكية مع رسول قاصد الى شرف مجلسه. وكان حاضر عنده
« رجل فاضل كريم من مجالسه يسمى جرجس ابن الشتوي ورجل اخر يسمى
« سقراط بن البندقي فيلسوف حاذق. فلما ناولهم رسول انبا توما تلك الرسالة الجزيلة
« التي سيرها لهم تحقيق العدل الكريم. ثم انهم تأملوا معانيها... حينئذٍ بقيوا
« مدهوشين وافكارهم طائشة مقدار ساعة كاملة لم يتكلمون. فلما راهم البطريرك
« كذلك خاطبهم: ما لي اراكم خامدين عن رسالة انبا توما. ما تخبراني من هو
« هذا. وانهم جاوبوه قائلين يا ابونا فما كان واجب الحب الروحاني من العدل بان
« كنت واجهت انبا توما بمثل ذلك الذي ارسلت توبخه باعتقاده وتسميه انه ضالّ
« ومخالف. لاننا نحن لما حضرنا عنده رأينا منه محبة. وضفنا عنده بكنيسته بطعامه
« وشرابه وجعلنا نخاطبه عن اعتقاده بمذهبه. فكان يرد لنا جواب مقنع من شهادات
« كتب الكنيسة بلا محال بل بتواضع عالم روحاني. عند ذلك جعلنا بيننا وبينه محبة
« روحانية. وانت يا ابونا القديس ابديت المحاورة بكلام عنيف بغير واجب المحبة
« الروحانية التي اعتقدها هو بابوتك. لاجل ذلك ردَّ لك جواب روحاني يصد
« عداوة كلامك القاصر بغير واجب بما لا هو بكتاب.

« عند ذلك قال لهم فسروا لي اياها من لغة العربي الى لغة الرومي (١) فلما

(١) اعتبر هنا ان من بطاركة انطاكية من كان يونانياً محاً الى القرن الحادي عشر. وان اللغة اليونانية كانت معروفة معرفة كافية في ذلك الجيل في انطاكية حتى سهل نقل الكتاب من العربية اليها.

« فسروا له تلك الرسالة الكريمة وفهم تحقيقها عظم عليه ردّ جوابها وصعب عليه
« جدًا . عند ذلك اجاب قائلاً لهم هذا خطاب رجل سرياني من اهل الشام في
« هذه المعاني السنية الجزيلة الروحانية . تعالا كي نبطل شهادات هذه الرسالة بجواب
« آخر نرسله اليه ونغلبه . فقالوا له اولئك الخواص فلم يمكن تبطيلها لانه كلام تفسير الانجيل
« وغيره من الكتب الروحانية . من يقدر يبطلها . فلما علم ان قولهما حق قال كيف
« يكون العمل . عند ذلك حكم سقراط بن البندقي انها تحرَق ولا يعرَف لها خبر
« بانطاكية لئلا تفسد ضمائر الشعب ويقولوا عنا اننا جائزين العدل . عند ذلك
« احرقوها لئلا يميل احد من عباد المشيئتين الى اعتقادها . ولم قدروا يردّوا لها
« جواب ام قدروا ينقضوا منها شيئًا ام قدروا يقولوا ان فيها خلل ام تصنع .

« فلما بلغ الى انبا توما خبر الرسالة انهم احرقوها لان جرجس بن الشتوي
« خبره بكل ما تم بحضرته لاجل سابق المحبة الروحانية التي كان بينهما عند ذلك
« فرح انبا توما غاية ما يكون وعاد كتبها اخير ما كانت وجعلها في دوان كنيسته
« يصدّ فيها كل مكثرين الفضول . فلما صار من امور حوادث الزمان الوارد من
« الله تبارك وتعالى توجه انبا توما الى جبل لبنان بمشيئة ربنا له المجد . وكان يظنّ
« انه ما يقيم فيه غير نصف سنة ثم يعود الى مستقرّه . فحدث بغتةً ان الافرنج نزلوا
« على طرابلس الشام ورادوا افتاحها وكذلك صار انهم فتحوها . وان القديس انبا
« توما مكث في جبة يانوح اربع سنين وعاد الى جبة بشرى واقام فيها سنتين . وفي
« بعض الايام حضر بين يديه خوري ماهر قديس من اهل فرشع وتضرّع اليه
« بمسألة جزيلة كي يعود يجدّد لهم هذه الرسالة بعينها قوّة بشهادات صادقة . . . .
« ثم ان انبا توما وقف بين يدي ربنا متضرّعًا لرحمته ان يفتح عيني عقله كي يجدّد
« تلك الرسالة قوّة لايمانهم كي يصدّوا بها كل مكثر كلام باطل وكذب وبغضة
« ومحسدة من اهل مكسيماس الراهب الذي قطع هرقل ملك قسطنطينية يده ولسانه

« لاجل انه افترى وجعل تلك الرواهب رموا جسد المسيح في كفهم وانفاه الى
« جزيرة الريكية ومات هناك » .

انتهى الى هنا ما ورد في المصحف الواتيكاني المذكور في خبر هذه المجادلة الشهيرة التي جرت بين بطريرك الملكيين وبين اسقف الموارنة . ثم تلي المجادلات نفسها وهي المقالات العشر المشهورة . ونحن رأينا ان نورد قصة هذه المجادلة كلها لكي يستوعبها القارئون ويقفوا على حقيقتها ويسهل اتخاذ البرهان الساطع منها :

فنقول انه مما أوردناه من المحادثات الجارية بين يوحنا البطريرك وبين توما الاسقف يتبين :

(١) انه كان أمراً معهوداً وشائعاً لدى كل أحد ان الفرق بين ملة الموارنة وبين ملة الملكية انما هو متوقف في ان الموارنة كانوا يعترفون بمشيئة واحدة للمسيح الذي كانتا الملتين كانتا تعتقده في طبيعتين . والملكيون كانوا يعترفون بمشيئتين له . حتى انه مع كثرة المكاتبات والمراسلات التي جرت بين يوحنا وتوما لم يظهر أدنى علامة من توما على انه مبتدع بدعة جديدة ولا من يوحنا على ان توما أتاه بمذهب جديد ونسب الى طائفة الموارنة شيئاً لم يكن هو بالحقيقة . بل وافق الخصمان على ان مدّعى توما انما كان بالحقيقة مذهب الموارنة .

(٢) ادعى توما ان مذهبه كان مذهب الموارنة . ويوحنا البطريرك وافقه على ذلك ولم يكذبه . فلو كان توما قد كذب لردّه يوحنا وبين كذبه واخجله امام جميع الناس ولاسيما امام طائفته المارونية .

(٣) ان المجادلة بينهما شاعت في مدينة انطاكية وفي مدينة كفرطاب وعلم بهما أهل المدينتين وكل من جماعة الطائفتين أي الملكية والمارونية حتى الحكماء فيهم . ولم يستغرب أحد من مدعى توما بالمارونية في اعتقاده بالمشيئة الواحدة لا الذين من ملته ولا الاخرون . بل اثبتوا كلهم بسكوتهم ان هذا المدعى كان صحيحاً .

(٤) ان توما وضع في ديوان كنيسته نسخة من الكتاب الذي فيه حامى عن المشيئة الواحدة ليقرأه كل واحد. فهل كان جميع أهل تلك الكنيسة المارونية حتى الشمامسة والقسان قد بلغ بهم العمى الى حدّ انهم لم يعرفوا حقيقة مذهبهم ولم يحسوا ان ما دافع عنه صاحب ذلك الكتاب لم يكن هو بالحقيقة دينهم الذي به يتميزون عن الطوائف التي حولهم .

(٥) ان خبر هذه المجادلة وصل الى جبل لبنان نفسه وأهل ذلك الجبل فضلاً عن انهم لم يقيموا الحجة على توما كأنه قد خان دينهم ونسب اليهم شيئاً لم يكن من شأنهم قد رضوا وفرحوا بما صنع حتى انهم اذ اشتاقوا ان يقرأوا هم أيضاً تلك الرسالة التي أودعها توما في ديوان كنيسته ولم يكن ممكناً الحصول عليها لسبب هول الافرنج الذين هجموا على تلك البلاد . طلبوا الى توما متضرعين ان يعود يؤلف لهم في جبل لبنان تلك الرسالة من جديد . فأجاب الى سؤالهم وألف الرسالة وأودعها يد موارنة جبل لبنان حتى في دار البطريركية المارونية نفسها . فحفظوها وجعلوا يتداولونها ويتناسخونها . لا بل ضموها الى كتاب شرح معتقدهم وبقي جماعة منهم على هـذه الحال الى زمان جبرائيل القلاعي في القرن الخامس عشر حيث نبههم ان هذا الكتاب لا يوافق الدين الكاثليكي الذي دعوا اليه .

فان كان هذا كله لا يكفي لاقناع موارنة زماننا بأن أجدادهم في القرن الحادي عشر كانوا يعتقدون بالمشيئة الواحدة في المسيح فلسنا ندري هل يريدون ان يأتي ملاك من السماء ويؤكد لهم ذلك ؟

الفصل الحادي عشر

في ان قصة افساد الطائفة المارونية في القرن الحادي عشر على يد توما الكفرطابي حكاية لا أصل لها

ان علماء الموارنة يقبلون كل عيب على أجدادهم بغية ان يجعلوهم كاثليكيين فحدّث ولا حرج عن الموارنة القدماء بشرط ان تثبت فقط انهم كانوا طائعين للكنيسة الرومانية . فقد رأيت وسترى كم من المعايب والشوائب يوجبونها على آبائهم الاولين حتى يبرئوهم فقط من الضلالة أو من الشقاق . والآن هلم بنا ننظر كيف انهم حتى يخلصوا أجدادهم من تهمة القول بالمشيئة الواحدة يزعمون ان أولئك المارونيين القدماء الكاثليكيين على قولهم الذين بقوا نحو خمسمائة سنة عرضة لهوى الهراطقة يلعبون بهم ويعثون بكتبهم ويفسدونها ويملاونها من الهرطقات بلغ بهم الخرق والسخافة في القرن الحادي عشر الى حدّ انهم في لحظة من الزمان انخدعوا لقول رجل غريب سحرهم وقلبهم من كونهم كاثليكيين صحيحين الى ضلالة المنوثليتية المحرومة .

وذلك ان علماء الموارنة اذ رأوا انهم لا يقدرون ان يتفلتوا من قوة البينة القائمة عليهم من قصة توما الكفرطابي التي أوردناها في الفصل السابق فتقت لهم همتهم حيلة ظريفة لتوفيق هذه القصة مع زعمهم . قال نيرون الباني في وجه ٩٦ وما بعده من كتابه في أصل الموارنة ماملخصه : ان توما هذا الكفرطابي لم يكن في الاصل مارونياً . بل كان يعقوبياً قد أتي من ماردين وترك اليعقوبية وتمسك بالمنوثليتية وحامى عنها حتى قام عليه يوحنا البطريرك ورده بكتاب . فردّ عليه توما بكتاب العشر مقالات . ولما انطلق الى جبل لبنان تظاهر بالمارونية وجذب الى ضلالته كثيراً من الموارنة حتى من الاقليرس . ولكن قام عليه يوسف بطريركهم وارسانيوس مطران

عاقورة . ثم جدد توما كتاب العشر مقالات بطلبة رجل قسيس من (فرشع) . ونشر تباع توما كتابه هذا بين الناس . وعثوا بكتب الطائفة وأفسدوها . وعند ذلك انقسمت الامة المارونية الى فرقتين . فرقة ارثذكسية ثبتت على الايمان الصحيح وفرقة صارت منوثليتية . هذا وأمثاله ماحكاه نيرون غير مستند الى شهادة مؤرخ أو كتاب قديم بل مستشهداً بحكايات جبرائيل بن القلاعي التي لفقها باشنع مايكون من الانشا والكلام في القرن السادس عشر .

وقبل ان نبين كذب هذه القصة نرى من الواجب ان نورد من جديد نبذة من القصة الصحيحة التي استشهدناها في الفصل السابق . قال صاحب هذه القصة في ورقة ٣٣١ من المصحف المذكور « فلما صار من أمور حوادث الزمان توجه انبا توما « الى جبل لبنان وكان يظن انه ما يقيم فيه غير نصف سنة (ثم) يعود الى مستقره « فحدث بغتة ان الافرنج نزلوا على طرابلوس الشام وفتحوها . وان القديس انبا توما « مكث في جبة بانوح أربع سنين وعاد رجع الى جبة بشرى واقام فيها سنتين . وفي « بعض الايام حضر بين يديه خوري ماهر قديس من أهل فرشع وتضرع اليه كي يجدد لهم هذه الرسالة بعينها . » انظر ما أعظم الفرق بين هذه الرواية و بين روايات ابن القلاعي الخيالية .

فنقول (١) ان توما الكفرطابي عاش في القرن الحادي عشر وجبرائيل بن القلاعي في أواخر القرن الخامس عشر . فكيف قدر ابن القلاعي ان يعرف أشياء لم يروها المعاصرون وتخالف الآثار القديمة الواصلة الينا منهم . فنحن لا نصدق البتة ابن القلاعي ولا نيرون الناقل عنه ولا غيرهما من الموارنة في ايرادهم شيئاً عن الاولين مالم يؤيدوه بشهادات من المعاصرين . ونحن نكتفي بهذا الكلام الاجمالي تكذيباً لحكاية ابن القلاعي هذه ولكي يظهر أكثر ما يكون كذب هذه القصة نزيد على ذلك

قائلين . (٢) ان آثار الموارنة القدماء جعلت توما الكفرطابي ما رونياً . وابن القلاعي جعله يعقوبياً مار دينياً بعد مضي ثلاثمائة سنة فأكثر . فمن من الاثنين هو الصادق . ثم ان الآثار القديمة قد ذكرت ان توما انطلق الى جبل لبنان ليقيم فيه نحو ستة أشهر ثم يرجع الى ابرشيته وان اللبنانيين تلقوه بالترحاب ومزيد الاكرام . وابن القلاعي حكى انه ذهب الى هناك ليقيم زماناً حتى يفسد الطائفة المارونية . فأي القولين صحيح . (٣) لو كان رأي توما جديداً ولم يكن رأي الموارنة في زمانه لما قال صاحب قصته انه جرى بينه وبين بطريرك الملكيين مكاتبات « في تصحيح مذهب الموارنة بتأنس ربنا من لاهوت وناسوت طبيعتين متحدتين بمشيئة واحدة » . بل كان يقول : « تصحيح مذهب الكفرطابي » . (٤) لانفهم البتة كيف قدر توما بعد ان غشّى على عيون جماعته ان يطغي موارنة جبل لبنان ويجذبهم الى مذهبه الذي على قول موارنتنا لاجل دحضه قاسى أجدادهم الاذيات في كل وقت من الملكيين . فان كان الملكيون في مدة نحو خمسمائة سنة لم يقدروا ان يردّوا الموارنة عن دينهم على قول خصمنا فكيف قدر توما الكفرطابي ان يطغيهم هكذا في ظرف ست سنين . (٥) وان كانوا قد افترقوا من الملكيين لسبب تمسكهم بالكنيسة الرومانية فكيف اننا في كل هذه القصة العظيمة المهمة لانجد أدنى أثر للكنيسة الرومانية لاسيما وقد كان ظهر لذلك العهد في تلك البلاد الافرنج تباع الكنيسة الرومانية . (٦) ان الاهدني والسمعاني اقرّا انه قبل توما الكفرطابي بنحو خمسين سنة كان الموارنة يعتقدون بمشيئة واحدة في المسيح كما سترى في الفصل العاشر من الباب السادس . فقد كذب اذاً جبرائيل القلاعي بقوله ان توما الكفرطابي ادخل المنوثليتية بين الموارنة . (٧) واما ان توما الكفرطابي كان مارونياً محضاً وان دينه كان المارونية لاغير فثابت من دفاعه عن دين الموارنة وليس أحد في الدنيا يدافع عن دين غيره أبداً وسمى نفسه في مجادلاته كلها مارونياً . ولم يكذبه أحد سواء كان من الموارنة الذين كانوا معه أو من

الملكية الذين كانوا ضده . ثم ان هذا كتاب توما أي كتاب المقالات العشر لم يوجد الاَّ عند الموارنة ولا أثر له عندملة أخرى حتى انه يوجد في خزانة الكتب البطريركية المارونية نفسها نسخة منه كما شهد صاحب كتاب روح الردود في وجه ٣٠٧ ولم يستشهد به أحد من المؤلفين سوى الموارنة . (٨) ان هذا الكتاب يوجد دائماً مقروناً مع كتاب شرح معتقد الموارنة المنسوب الى امامهم يوحنا مارون . وهل لملة من الملل كتاب أخص بها من كتاب معتمدها . ولذا فكل ماتقرنه به يكون مقبولاً غاية القبول . (٩) وقد اضطر الحق الواضح اسطفانس الاهدني نفسه ان يقر بأن هذا توما كان مارونياً . فانه قال كما أورد السمعاني في المجلد ٣ من المكتبة الشرقية وجه ٥٤٤ : « واما ارسال كتابه (أي كتاب أبي الفرج بن الطيب) الى أهل « جبل لبنان وتسميته ماروني يدلان على انه في الاصل كان ماروني وانه انسام « كاهن على شبه ما قلنا عن توما مطران كفرطاب الذي سلف قبل منه بنحو خمسين « سنة . وان اثنينهما في خروجهما من بين جماعتهما ومسا كنتهما الامم الغربية عدما « الحرية الاولى ومالا الى الاعتقادات الغير مقبولة من روساء ملتهما . . . . وتخيلا « ان ربنا ذامشيئة واحدة وفعل واحد » . (١٠) اننا لم نكن نصدق انه يوجد أحد من علماء الموارنة نفسهم يرفض هذه قصة توما الكفرطابي القلاعية حتى رأينا بعيوننا المعلم بولس زين الماروني الذي هو لسان السيد يوسف الدبس يصرح بذلك في فصل سماه المجاوبة الثالثة . ونشره في ٣ من أدار في جريدة النجاح حيث يقول عن اشارتي في أحدى الصحائف الى ماروا مرهج نيرون من ان أحد بطاركة الموارنة انخدع لتعليم توما الكفرطابي : « اماما أشار به الى ان نمرون الباني روى الخ فتلك رواية مردودة . . . لان نمرون روى ذلك عن ابن القلاعي ورواية ابن القلاعي هذه مردودة » . قصد بذلك ان يكذب ابن القلاعي في جزء واحد من روايته الكفرطابية فيما لم يعجبه ونحن بذلك الحق نفسه نبطل هذه الرواية برمتها . ونحاكم خصمنا لدى الكفرطابي

نفسه وما رواه عنه الموارنة المعاصرون . ونقول للمعلم بولس زين : ان كان لا يعجبك ماروواه ابن القلاعي عن البطريرك الذي انخدع وسقط عن الايمان فاقرّ ان الرواية القلاعية كلها كاذبة . لانك ماعندك شاهد من المعاصرين استند اليه ابن القلاعي في روايته هذه . فهذه الاسباب وغيرها تضطرنا ان نرفض رفضاً قاطعاً قصة توما الكفرطابي التي صنفها جبرائيل القلاعي وان نثبت على قولنا المعزز بشهادة الآثار القديمة بأن هذا توما كان مارونياً حقيقياً كسائر الموارنة الذين كانوا في عصره . فانه لم يكن قد خان ملته بل كان أحد علمائها الذين ندر وجودهم المحامين عن مذهبهم بمؤلفاتهم . كما ظهر أمثال ذلك كثيراً في كل ملة .

١ً - ولكن يعترض الموارنة قائلين : ان الموارنة لم يكن لهم اسقفية في كفرطاب . فتوما اذاً لم يكن اسقفاً مارونياً بل يعقوبياً . اجيب : ان موارنة القرن الحادي عشر كانوا عالمين بامور طائفتهم احسن من الدبس والاهدني فيرون فالقلاعي . ونحن نصدّق اولئك القائلين انه كان في كفرطاب اسقفية مارونية وكان في القرن الحادي عشر اسقفها توما هذا . فموارنة زماننا يقبلون ان يقال عن طائفتهم انها كانت بلا اساقفة احرى من ان يقال انها كانت غير ارثذكسية . فان كانوا يفضلون تقليل عدد اساقفة اجدادهم على القول بانهم كانوا منفصلين عن الكنيسة الرومانية فلا ينكروا على القليل من تشهد آثار ابائهم نفسها بانهم كانوا من اساقفتهم . وكيفما كان الامر فان اسقفيات اليعاقبة معروفة معرفة تامة وليس في هذه الاسقفيات اسم كفرطاب . والشاهد هو السمعاني نفسه الذي بذل في المجلد الثاني من مكتبته الشرقية من الجهد اقصاه في عد اسقفيات اليعاقبة واستحق من سببه كل الثنا والحمد . وفي كل ذلك لا نجد اثراً لكفرطاب . فكفرطاب اذاً كانت اسقفية مارونية لا يعقوبية . واسقفها توما كان مارونياً بلا ريب . وسترى في الفصل الثالث عشر ان احد شهود القرن الثاني عشر اثبت ان مركز الملة المارونية كان في كفرطاب . ويوسف السمعاني لم

يسمّ توما الكفرطابي يعقوبياً ابداً بل قال عنه في وجه ٥٠٨ من المجلد الاول انه كان من شيعة المنوثليتيين . فهل كان شيعة منوثليتية محضة غير شيعة الموارنة . ولو كانت جماعة توما في كفرطاب يعقوبية كما يدّعي الموارنة لكانت طردته وفضحت امره عندما رأته ياتيها بتعليم الطبيعتين وبقول المجمع الخلقيدوني وليس احد يجهل ما كان عليه اليعاقبة من التمسك الشديد كل آنٍ بمذهبهم .

٢ً ــ يعترضون قائلين : ان يوسف الجرجسي بطريرك الموارنة وارسانيوس مطران العاقورة قاوما توما الكفرطابي . فاذاً ما اتى به توما الكفرطابي لم يكن مذهب عامة الموارنة ــ الجواب اننا ننكر انكاراً مطلقاً هذه الرواية عن ارسانيوس العاقوري وعن بطريرك الموارنة لعدم اقترانها بادلة تاريخية ونقول انها حكاية صنفها جبرائيل القلاعي ليغش بها الجهال . فان اراد الموارنة ان يكذبونا في هذا الانكار فليظهروا التاريخ القويم الذي استندوا اليه في ايراد هذه الرواية . على انه لو كان لديهم تاريخ مثل هذا لما غفلوا عن اظهاره بالهمة التي نعهدها فيهم لتبرئة طائفتهم القديمة من كل ضلال .

٣ً ــ قال صاحب كشف الستار المار ذكره مراراً وجه ١١ : « الكفرطابي نفسه قال في مقدمة كتابه انه اتى الى لبنان ايام قدوم الصليبية اولاً الى مدنه . وانه كلم الموارنة بالمشيئة الواحدة فلم يقبل كلامه الاّ خوري قرية كفرشع ونفر قليل فعاد بصفقة خاسر . فلم يكن اذاً مارونياً » . نجيب : يا للتزوير الشنيع . هاك ما قاله صاحب ترجمة توما الكفرطابي في مقدمة كتابه بحروفه (ورقة ١٣٣) من المصحف الواتيكاني السرياني عدد ١٤٦ : « فلما بلغ الى انبا توما خبر الرسالة (التي بها « جادل يوحنا بطريرك الملكيين) انهم احرقوها ... عند ذلك فرح انبا توما غاية ما « يكون وعاد كتبها اخير ما كانت وجعلها في دوان كنيسته المقدسة يصدّ فيها كل « مكثرين الفضول . فلما صار من حوادث الزمان ... توجه انبا توما الى جبل لبنان

« بمشيئة ربنا له المجد وكان يظن انه ما يقيم فيه غير نصف سنة ... وفي بعض
« الايام حضر بين يديه خوري ماهر قديس من اهل فرشع وتضرع اليه بمسألة
« جزيلة كي يعود يجدّد لهم هذه الرسالة بعينها (لانه كان قد تركها في كفرطاب).
« ثم ان انبا توما وقف بين يدي ربنا متضرعاً لرحمته ان يفتح عيني عقله كي يجدّد
« تلك الرسالة قوّة لايمانهم كي يصدّوا بها كل مكثر باطل وكذب وبغضة ومحسدة
« من ملة اهل مكسيماس » .

هذا ما قاله مترجم توما الكفرطابي عن اتعابه في خدمة ملته المارونية . فلينظر القارئ اللبيب باي دقة وضبط يروي موارنة زماننا ايضاً اقوال المؤلفين السالفين .

فائدة

بعد ما فرغنا من هذا الفصل وفدت الينا من مدينة رومية العظمى شهادة جلية تؤيد كون توما الكفرطابي مارونياً . وهي من البطريرك اسطفانس الاهدني في كتاب الاحتجاج (ورقة ٨٥ من المصحف الواتيكاني السرياني ٣٩٥) حيث قال : « ولكن
« لئلا يظن احد اننا بهذا الجواب (اي بالقول ان توما الكفرطابي كان يعقوبياً لا
« مارونياً) قصدنا الفرار من الصعوبة . فنسلم بان توما كان ماروني وانه كان مطران
« على كفرطاب . ولكن يبان معلناً ان هذا توما ما انخدع الاَّ من قرآءة تواريخ
« سعيد بن بطريق . فانه لما وجد فيها ان مارون كان في عصر موريق الملك . وانه
« على اسمه انبنى في حماه الدير باسمه وان منه اشتقت الطائفة المارونية وانه كان
« يقول في تعليمه ان في السيد المسيح ربنا طبيعتين ومشيئة واحدة وفعل واحد ...
« انخدع عقله وصار يحتج وينتصر للاعتقاد في مشيئة واحدة ويناصب ليس فقط
« الروم . بل ايضاً جماعته الموارنة .»

يا له من اقرار ثمين عظيم وهو يكفينا حجة لافحام خصمنا . وحسبنا ان نقول ردًّا على الاهدني انه لو كان توما الكفرطابي ينخدع بتواريخ ابن بطريق لما قال (كما رأينا في الفصل الاول من الباب الثاني) : ان اسم الموارنة مشتق من اسم ماران اي دير الرب لا من اسم مارون كما قال سعيد . وهل وجد توما في تواريخ ابن بطريق شيئاً مما حكاه هو من رفض اهل جبل لبنان لتعليم مكسيماس والمجمع السادس ومراجعتهم قول رهبان دير مار ماران وغير ذلك . واي اعتبار يولي الاهدني اساقفة الموارنة بهذا كانهم لم يكونوا يعرفون دينهم بل كانوا محتاجين ان يتعلموه من كتاب اعداء ملتهم . يا للغرائب . ولماذا لم يقل الاهدني ان الكفرطابي تعلم مذهب المشيئة الواحدة من كتب كانت كل وقت بين يديه اي من كتب ملته المارونية . من كتاب شرح ايمان يوحنا مارون وكتاب شرع الموارنة مثلاً . لا بل من تقرير الايمان الذي قرّره يوم رسم قسيساً ويوم رسم اسقفاً بل من الحساية التي كان يتلوها كل يوم في القداس .



الفصل الثاني عشر

في شهادة نيقون

اليوناني

هذا المؤلف اليوناني عاش في اواخر القرن الحادي عشر وكان من المحامين لفوتيوس . وله مؤلفات شتى في اليونانية . من جملتها كتاب سمّاه : التبيكون . وقد ترجم هذا كتاب التبيكون الى اللغة العربية في القرن الثاني عشر او قبل ذلك . وفي

الفصل الحادي والثلثين من هذا الكتاب (في المصحف الواتيكاني العربي ٧٦) يحث عن اسبوع الجبن وهو الاسبوع السابق لصوم الخمسين الذي فيه اليونانيون ينقطعون عن اللحم الى البياض فقط خلافاً للموارنة الذين في ذلك الاسبوع يصومون صوماً تاماً تذكاراً لهرقل المنوثليتي كما سترى. لست محققاً أموءلف الكتاب ام مترجمه (لانه ما امكن الوقوف على الاصل اليوناني نفسه لقلة وجوده) كنى المنوثليتي بالماروني اذ قال: (في ورقة ٣٤٠): « اصحابنا (اليونانيون) ما يصومونها « (اي سبة الجبن) على هذه الصفة. (اي كفارةً ليمين هرقل كالموارنة) سيما « وهرقل مات مارونياً ». فترى اذاً انه في القرن الحادي عشر او الثاني عشر كان اسم الماروني كنايةً عن المنوثليتي. فالموارنة في ذلك الزمان كانوا منوثليتيين.



الفصل الثالث عشر

في شهادة يشوعياب بن ملكون النسطوري

لناتينَّ الان الى القرن الثاني عشر . فنقول ان لنا شهوداً من هذا القرن ايضاً يشهدون ان الموارنة كانوا منوثليتيين . وليكن اولهم يشوعياب، بن ملكون النسطوري الذي وصفه السمعاني في وجه ٣٠٣ وما بعده من المجلد الثالث من المكتبة الشرقية . فهذا الف كتاباً في اللغة العربية عنوانه كتاب البرهان على صحة الايمان . وفي الفصل الاول من هذا الكتاب اخذ يدعي ان الفرقتين الملكية واليعقوبية هما فرقتان حديثتان ليثبت مذهب ملته النسطورية . و بعد ان تكلم عن كل من الفرقتين قال في ورقة ١٥٧ من المصحف الواتيكاني العربي ١٨٠ : « اما المارونية فهي فرقة يسيرة « محدثة في المدة المذكورة . وهم سريان ومقامهمْ في كفرطاب وما والاها . وهم « يقولون بجوهرين ومشيئة واحدة » . وقال : « انهم لا يقولون اقنومين او اقنوماً واحداً ». فالموارنة اذاً بشهادة هذا المؤلف كانوا يعتقدون بطبيعتين ومشيئة واحدة في المسيح . ومن العجب ان السمعاني في استقرائه هذا كتاب يشوعياب في المكتبة الشرقية لم يورد هذه الشهادة عن الموارنة ولا ذكرها .

ولا حاجة الى اطالة الكلام لبيان ان يشوعياب لم ينقل روايته هذه عن سعيد بن بطريق فان يشوعياب قد ردَّ في مواضع كثيرة من كتابه على سعيد وفنده وطعن فيه طعناً اليماً فلم يمكن ان ينقل عنه . و بيان ذلك خاصةً من اختلاف عبارة سعيد وعبارة يشوعياب فان سعيداً لم يذكر قط كفرطاب ولا قال ان الموارنة سريان . بل قال سعيد مصرّحاً عنهم انهم يعتقدون باقنوم واحد . واما يشوعياب فلم يحقق

اعتقادهم في امر الاقانيم . وهذا دليل قاطع على ان يشوعياب لم يثق بقول سعيد بان الموارنة يعتقدون باقنوم واحد وقد اصاب يشوعياب من وجه اذ قال عنهم ان معتقدهم بين الاقنومين والاقنوم الواحد . فان كتبهم ولو انها يرد فيها غالباً القول بالاقنوم الواحد لا تخلو من القول بالاقنومين في بعض المواضع كما سترى . فعبثاً يدّعي الموارنة الحديثون ان سعيد بن بطريق البطريرك الاسكندري هو الذي اخترع على اجدادهم مذهب المشيئة الواحدة . فها قد رأيت كم من الشهود قد وافقوا قول سعيد بن بطريق من دون ان ينقلوا عنه ومنهم من ناقضه . ومنهم من عاش قبله .



الفصل الرابع عشر

في شهادة ديونيسيوس

بن الصليبي اليعقوبي

اشتهر هذا المؤلف في القرن الثاني عشر وكان اسقفاً على يعاقبة آمد وهي ديار بكر مركز الامة اليعقوبية . وتوفي سنة ١١٧١ . وكان رجلاً عالماً حاذقاً الف كتباً شتى اظهر فيها طول باعه في العلوم الدينية . ومن جملة مؤلفاته كتاب جسيم سمّاه (ܐܪ̈ܘܥܬܐ ܠܘܩܒܠ ܚܠܩܝܕܘܢܝܐ) « كتـاب الرد على الخلقيدونيين » ما راه السمعاني . وفي الفصل السادس والعشرين من المقالة الاولى من هذا الكتاب ادّى شهادة جلية في امر مذهب الموارنة حيث تكلم عن حقيقة الهرطقات التي صارت في الكنيسة وفي آخر كلامه وضع جدولاً سريانياً يحوي اسماء المذاهب التي عرفها . وهاك تعريب الجدول بعينه كما يوجد في نسخة قديمة (ش) :

النوبة السكوشيون	السريان والقبط
الهنود	الارمن
ܡܪ̈ܘܢܝܐ ܕܚܕ ܨܒܝܢܐ	الروم اي الافرنج
الموارنة أهل المشيئة الواحدة	الخياليون
الايبريون	الخ
النساطرة	
الخ	

وفي نسخة اخرى (ص) يوجد الجدول بالسريانية مفصلاً وهاك تعريبه :

١ طبع واحد الاب والابن وروح القدس	الكوشيون اي الحبش
٢ طبع واحد ثلاثة اقانيم	السريان
٣ اتحاد طبيعي واقنومي	النوبة
٤ لاهوت واحد مثلث الاقانيم	القبط
٥	الهنود
٦ ܡܫܝܚܐ ܚܕ ܨܒܝܢܐ	الموارنة اهل المشيئة الوحدة
٧ الله تراءى بالجسد	الارمن
٨ روح القدس ينبثق من الاب والابن	الافرنج
٩ اتحاد اقنومي لا طبيعي	الروم
١٠ ابن واحد وطبيعتان	الخلقيدونيين
١١ طبعان واقنومان صانع ومصنوع	النساطرة

فترى في الجدولين وصف الموارنة دون سائر الملل بمعتقد المشيئة الواحدة. هل قرأ الموارنة جدولاً مثل هذا في كتاب سعيد بن بطريق .



الفصل الخامس عشر

في شهادة غليلم الصوري

اذ قد بلغنا الى هذه الشهادة الشهيرة التي توجب علينا بحثاً طويلاً رأينا ان نذكر شيئاً من ترجمة هذا المؤلف قبل ان نخوض في البحث عن الشهادة نفسها . فنقول :

ان غليلم الصوري كانت أورشليم مسقط رأسه . وقد اختلف المؤرخون في أصله . فقال قوم ان أباءه كانوا في الاصل من بلاد سورية . وقوم جعلوه فرنساويًا وقوم جرمانيًا . وهو في صبائه درس العلوم في أوروبا . ثم رجع الى بلاد سورية التي كانت الافرنج قد استولوا على معظمها . وفي سنة ١١٦٧ أقيم أرخيدياقونًا أي شدياقًا على كنيسة صور اللاتينية وفي سنة ١١٧٤ رسمه ايمريك بطريرك أورشليم على اللاتين مطرانًا على تلك الكنيسة برضى بلدوين ملك الافرنج . وحضر المجمع اللاتراني المعقود في رومية وكتب أخباره وانطلق الى القسطنطينية برسالة الى ملك الروم . وسكن أيضًا في مدينة انطاكية مدة من الزمان . وأكثر ما اشتهر به غليلم هو تواريخ العرب المقدسة أي أخبار الافرنج الصليبيين الذين استولوا على الجهات الغربية من بلاد سورية في القرن الثاني عشر . وفي تواريخه هذه ادى شهادته الرائقة عن الموارنة .

قال غليلم الصوري في الفصل الثامن من الكتاب الثاني والعشرين من تواريخه :

« Interea natio quaedam Syrorum in Phoenice provincia circa juga Libani juxta urbem Biblensim habitans, plurimam circa sui statum passa est mutationem. Nam cum per annos poene quingentos cujusdam Maronis heresiarchae errorem fuissent secuti, ita ut ab eo dicerentur Maronitae et ab Ecclesia fidelium sequestrati, seorsum sacramenta conficerunt sua, divina iuspiratione ad cor redeuntes, languere deposito, ad patriarcham Antiochenum Haimericum, qui tertius Latinorum nunc eidem praeest ecclesiae, accesserunt, et abjurato errore, quo diu periculose nimis detenti fuerant, ad unitatem Ecclesiae Catholicae reversi sunt, fidem orthodoxam suscipientes, parati Romanae Ecclesiae traditiones cum omni veneratione amplecti et observare. Erat autem hujus populi turba non modica, sed quadraginta millium dicebantur excedere quantitatem, qui per Bybliensem, Botryensem et Tripolitanum episcopatus juga Libani et montis devexa, ut praediximus, inhabitabant, erantque viri fortes, et in armis strenui, nostris in majoribus negotiis, quae cum hostibus habebant frequentissima, valde utiles. Unde et de eorum conversione ad fidei sinceritatem maxima nostris accessit laetitia. Maronis autem error et sequacium ejus est et fuit (sicut ex sexta synodo legitur, quae contra eos lata esse dignoscitur, et in qua damnationis sententiam pertulerunt) quod in Domino nostro Jesu Christo una tantum sit et fuerit ab initio et voluntas et operatio. Cui

articulo ab orthodoxorum Ecclesia reprobato multa alia perniciosa nimis, postquam a coetu fidelium segregati sunt, adjecerunt. Super quibus omnibus ducti poenitudine, ut praediximus, ad Ecclesiam redierunt catholicam una cum patriarcha suo et episcopis nonnullis, qui eos sicut prius in impietate praecesserunt, ita ut ad veritatem, redeuntibus pium ducatum praestiterint. »

« ثم ان أمة من السريان في صقع فونيقي في نواحي جبال لبنان عند مدينة
« جبيل تغيرت من حال الى حال . وذلك انها بعد ان لبثت نحو خمسمائة سنة متبعة
« ضلالة رجل مبدع اسمه مارون الذي نسبة اليه تسمت جماعتها موارنة وانفصلوا
« عن كنيسة المؤمنين وكانوا يقضون أسرارهم على حدة رجعوا بالهام الهي عن غيهم
« ونزعوا عنهم توانيهم واقبلوا الى ايمريك البطريرك الانطاكي الذي هو ثالث
« بطريرك لاتيني يسوس الان تلك الكنيسة ورفضوا ضلالتهم التي كانوا متشبثين
« بها وقد اضرت بهم كثيراً ثم عادوا الى وصال الكنيسة الكاثليكية وتمسكوا بالايمان
« القويم . واستعدوا ان يتبعوا تعاليم الكنيسة الرومانية ويحترموها غاية الاحترام
« ويجتهدوا في حفظها . وكانت جماعة هذه الطائفة غير زهيدة . بل قيل ان الذين
« كانوا يسكنون نواحي جبال لبنان وبقاعه كما قلنا في اسقفيات جبيل والبترون
« وطرابلس كان عددهم ينيف على الاربعين ألفاً . وكانوا رجالاً أقوياء وأشداء في
« حمل السلاح . وكانوا ينفعونا جداً في مصالحنا العظيمة الكثيرة التي كانت لنامع
« أعدائنا . ولذلك قد شمل قومنا فرح جزيل برجوعهم الى استقامة الايمان . واما
« ضلالة مارون وتباعه الذي كان لهم أولاً والان فهو قولهم بأن في ربنا يسوع
« المسيح مشيئة واحدة وفعلاً واحداً منذ الازل كما يقرأ في المجمع السادس الذي
« عقد ضدهم كما هو معلوم وفيه حكم عليهم بالاشجاب . وهذا الضلال الذي رفضته
« كنيسة الارثذكسيين قد زادوا عليه ضلالات أخرى كثيرة مضرّة جداً بعد ما
« افترقوا من جماعة المؤمنين . ولكنهم ندموا على هذه الضلالات كلها كما قلنا ، ورجعوا

« الى الكنيسة الكاثليكية مع بطريركهم و بعض اساقفتهم . وهؤلاء كما كانوا قد
« تقدموهم سابقاً في الكفر كذلك تقدموهم الان في معرفة الحق . »

انتهى مارواه غليلم الصوري عن الموارنة . واعلم ان ذلك حدث في سنة ١١٨٢ فترى ان غليلم الصوري قرّر أمرين عظيمين في هذه الكلمات . الاول ان الموارنة كانوا ضالين في الاصل ببدعة المشيئة الواحدة كما شهدت سائر الاثار القديمة والحقوا بهذه البدعة الاصلية غوايات أخرى فرعية كما سنرى . الثاني ان قوماً منهم من القاطنين في نواحي جبيل والبترون وطرابلس رفضوا هذا الضلال على يد البطريرك الانطاكي اللاتيني ورجعوا الى حجر الكنيسة الكاثليكية . فنقول ان غليلم الصوري في روايته هذين الامرين لم يمكن ان يتوهم أو ان يكذب .

اما انه لم يتوهم في الامر الاول أي في حقيقة مذهب الموارنة فواضح من ان غليلم كان ساكنا في بلد الموارنة نفسهم وعارفاً بهم حق المعرفة اذ كان مولوداً في مدينة أورشليم وقضى أكثر حياته في انطاكية وفي مدينة صور اللتين كانتا تحويان جماعات منهم . ولاسيما انه كان مطراناً يوم كتب هذه الرواية . فكان من الواجب ان يكون خبيراً بأحوال الاقوام المختلفة التي كانت في ابرشيته ولاسيما بما يتعلق بمذهبهم. وكيف يصدَّق ان مطران بطرسبورغ مثلاً يكون جاهلاً أحوال دين الاقوام الذين في مدينته ولا سيما اذا كان بينهم شيعة شائعة معروفة كما كانت المارونية في زمان غليلم . هذا وان غليلم لم يقل عن مذهب الموارنة الاَّ ماتؤيده جميع الاثار القديمة. وفضلاً عن انه كان مطراناً فقد كان مؤرخاً اقتصَّ أخبار أمور عظيمة حدثت في عصره . ومن شأن المؤرخ ان يعرف أحسن من غيره أحوال الناس الذين يعاصرهم ولاسيما الاقوام الذين يقتصّ أخبارهم .

هذا ولو كان الموارنة في عصر غليلم كاثليكيين كما يدعي موارنة زماننا لاشتركوا مع الكاثليك الكثيرين الذين كانوا وقتئذٍ في سورية وخاصة في انطاكية ونواحيها .

فقد كان في مدن كثيرة من بلاد سورية الغربية اساقفة لاتينيون كاثليكيون. فكيف جهل كل هؤلاء الكاثليكيين ولاسيما اساقفتهم وجود أمة كاثليكية بينهم تقادم عهدها في اطاعتها الكنيسة الرومانية ومن سببها افترقت من جميع طوائف الشرق كما يدعي الخصم. وأي جنس من كثلكة كانت للموارنة وأي جنس من محبة للكنيسة الرومانية حتى انه لما قدم الى بلادهم الافرنج الذين كانوا من بطريركية الكنيسة الرومانية لاهم عرفوا الافرنج انهم اخوتهم في الدين ولا الافرنج عرفوهم مع كثرة المخالطة التي كانت بين القومين ومع ان الموارنة اعانوا الافرنج في حروبهم الدينية كما رأيت في ما نقلنا عن غليلم.

ان القرين الى قرينه ينجذب طبعاً. وأقوام من دين واحد ولو اختلفوا في الجنس واللغة والعوائد يتقاربون طبعاً ويتخالطون ويتحابون ولاسيما اذا تعاونوا في الجهاد عن الدين. كيف لا والموارنة في ذلك العصر كانوا يئنون تحت نير العبودية والاضطهاد من الهراطقة ومن الملكيين خاصة على قول موارنة زماننا لسبب ثباتهم في طاعة الكنيسة الرومانية. فأي سلوى كانت تجبر قلوبهم المنكسرة أكثر من مشاهدتهم قدوم الافرنج الكاثليكيين الى بلادهم فكانوا يتراكضون اليهم ويلتصقون بهم ويستنجدونهم ويستعينون بهم على أعدائهم الكثيرين. فهل كان يمكن ان يحدث كل ذلك والافرنج لايعرفون ان الموارنة هم على دينهم. وانهم وحدهم من بين جميع طوائف الشرق لم يحنوا ركبهم لباعال.

ويا للعجب ان كان جميع الافرنج الذين سكنوا بلاد سورية ومن جملتهم مؤرخوهم وجميع اساقفتهم ومن جملتهم غليلم الصوري وبطاركتهم ومن جملتهم ايمريك بطريرك انطاكية لم يقدروا ان يعرفوا كثلكة الموارنة الذين كانوا في عصرهم وساكنين في بلادهم وانصاراً لهم في حروبهم الدينية فكيف قدر ان يعرفها من عاش بعد ذلك بثلاثمائة سنة واكثر. فيجب اذاً ان نقول انه في عصر غليلم الصوري لم

يكن احد من الكاثليك الذين في الشرق يعرف الموارنة كاثليكيين . لان غليلم كان بمعرفتهم احق من غيره لانه ولد في بلاد الشرق وكان مؤرّخاً واسقفاً في ارضهم . فلم يتوهم غليلم في ما رواه عن مذهبهم .

واما ان غليلم لم يمكنه ان يكذب في ما رواه عن مذهب الموارنة فواضح لا يحتاج الى مزيد بيان . وكيف كان غليلم يتجاسر ان يكذب على امةٍ معروفة لدى كل احد وفي امر اهم من كل امر وهو امر مذهبها الذي به تتميز عن سائر الامم . ان الانسان لا يكذب بلا طمع . وايّ طمع كان يحمل غليلم المؤرخ المعروف بصدقه في تواريخه على ان يكذب على الموارنة الذين اكثر من مدحهم كما رأينا واثنى عليهم لمعاضدتهم لقومه الافرنج وقوتهم و بسالتهم . وهو كان يرجو صداقتهم لاسباب كثيرة وايّ نوع من اسقف كاثليكي كان غليلم حتى انه بدل ما يشجع الكاثليكيين في ثباتهم على الطاعة للكنيسة الرومانية كما كان الموارنة على قول خصمنا يجعلهم هراطقة وينسب اليهم ضلالات كثيرة زوراً و بهتاناً . لعمري ان كان هذا الامر يقبله الموارنة فيكون كل امر مستحيلٍ سهلاً عندهم .

والان لا حاجة الى شرح طويل لبيان صدق غليلم وصوابه في الامر الثاني من روايته اي في رجوع كثيرين من الموارنة الى الكنيسة الكاثليكية . اما انه لم يمكن ان يتوهم في هذه الرواية فواضح من ان الرجوع حدث في زمانه وقريباً منه . وانه في روايته تكلم عن رجوعهم مفصلاً وذكر اسم البطريرك الكاثليكي الذي على يده رجعوا وكان حياً حينما كتب غليلم وغير ذلك . واما انه لم يمكن ان يكذب فبين من ان كذباً مثل هذا كان من شأنه ان يجلب على رأسه بلاءً عظيماً ولا يصيبه منه ادنى نفع .

— حل اعتراضات الموارنة على شهادة غليلم الصوري —

لما كانت شهادة غليلم الصوري عظيمة جليلة قاطعة كل نزاع لم يألُ الموارنة جهدًا وحيلةً في تضعيفها وتكثير الاعتراضات عليها . فلنحلّ شيئًا فشيئًا كل ما قاله في ذلك صاحب روح الردود في وجه ١٢٤ وما بعد :

١ً — قال : ان غليلم في هذه روايته نقل عن سعيد بن بطريق وروايته كاذبة ـ

اجيب (١) لو صحت المقدمة لم تصحّ النتيجة . لاننا قد برأنا سعيدًا من كل كذب في روايته عن مذهب الموارنة . (٢) لما كان قول الخصم بلا دليل فنحن نردّه . واما دليلهم من ان غليلم ذكر سعيد في مقدمة كتابه فلو صحّ لنتج ان جميع تواريخ غليلم منقولة عن كتاب سعيد . (٣) ان الفرق بين ما رواه سعيد و بين ما رواه غليلم ظاهر بين . فان غليلم حكى ان الموارنة حسوا على ضلالتهم ورجعوا الى حضن الكنيسة الكاثليكية وتابوا على يد بطريرك انطاكية وغير ذلك مما لا اثر له في كتاب سعيد فغليلم لم ينقل عن سعيد . (٤) ان كلاًّ من هذين المؤرّخين روى عن الموارنة ما رآهم عليه في عصره . فلا ينتج من ذلك ان الواحد نقل عن الآخرُ ولو اتفقا اتفاقًا كاملاً في ما روياه . فلو حكى مثلاً احد السياح عن دين قوم من الهنود شيئًا و بعد مائتي سنة حكى سائح اخر عنهم ما حكاه الاول أينتج ان الثاني نقل عن الاخر . وهل يقبل خصمنا من اعدآء ديننا اعتراضهم علينا مثلاً بقولهم ان لوقا الانجيلي نقل عن انجيل متى لكثرة المشابهة التي بين متى ولوقا . (٥) ان غليلم لو رأى الموارنة في عصره على خلاف ما قرأه في كتاب سعيد لما وافقه بل كان يكذبه . او كان يأخذه ريب لعلهم قد تغيروا في عصره عما كانوا عليه في عصر سعيد وتركوا ذلك المذهب الذي كانوا عليه في ذلك العصر . وايّ مؤرخ في زماننا اذا قرأ في احد الكتب ان بلاد فرنسا مثلاً كانت قبل مائتي سنة تحت حكم الملوك يدّعي في تواريخه انها ليست الان تحت حكم الجمهورية . او اذا قرأ ان مدينة القسطنطينية قبل اربعمائة سنة كانت

بيد ملوك الروم يكتب في تواريخه ان هذه المدينة ليست بيد ملوك آل عثمان . او اذا قرأ ان الارمن كانوا يوماً يكتبون بالحروف السريانية يقول ان الارمن ليس لهم الان حروف خصوصية .

فان كان موارنة زماننا يحبون ان يقيسوا حال اجدادهم على الحال الذي يجدون انفسهم فيه الان فليس من مؤرخ عاقل يقبل ان يقيس حال اهل عصره على ما يقرأه في كتب السالفين . (٦) اذا فرضنا ان غليلم لا رأى احداً من الموارنة ولا سكن فيما بينهم واراد ان يروي في كتابه عنهم أبالمشيئتين يعتقدون ام بالمشيئة من دون ان يقرأ كتاب ابن بطريق . ففي اي كتاب سرياني او عربي او لاتيني او يوناني حتى من كتب الموارنة نفسها كان يقدر ان يجد ان الموارنة يعتقدون بالمشيئتين. فليقل لنا الخصم اين كان غليلم يقدر ان يجد كتاباً هكذا ونحن حينئذٍ نسلم له ان غليلم قد اخطأ في موافقته لسعيد بن بطريق . ولكن غليلم لم يكن محتاجاً الى مطالعة كتب ليعرف مذهب الموارنة . لانهم كانوا كل حين قدّام عينيه يراهم ويرونه ويسمعهم ويسمعونه . ولا شكَّ انه كان عارفاً بلغتهم العربية اذ انه كما افاد الخصم قد ذكر في فاتحة كتابه تواريخ ابن سعيد المكتوبة بالعربية وقال انه قد استعان بها.

٢ً ـ قال : قد كذب غليلم او توهم في ما رواه من ان المجمع السادس حرم الموارنة . فاذاً كل روايته كاذبة . ـ

اجيب (١) لو صحت المقدمة لم تصح النتيجة . لان المجمع السادس لم يكن في عصر غليلم . واما الموارنة فكان يراهم ويرونه ويسمعهم ويسمعونه . او كل من يغلط في شيء مما يقوله يكون قد غلط في كل شيء . اما رواية الامور السالفة فيمكن الغلط فيها . واما مذهب قوم احياء معروفين شائعين فلا يمكن ان يقع التوهم فيه الاّ لاعمى او اصمّ او ابله . (٢) ان غليلم لم يكذب في ما قاله عن المجمع السادس . فانه لما كان المجمع السادس قد حرم القائلين بالمشيئة الواحده وكان الموارنة في عصر غليلم

من القائلين بها لم يكذب غليلم اذ قال ان المجمع السادس حرم الموارنة . أو لسنا نقول كل حين مثلاً ان اليعاقبة حرموا في المجمع الرابع مع ان المجمع الرابع لم يذكر فيه اسم يعقوب ولا اسم اليعاقبة لانهم وجدوا بعد المجمع الرابع .

٣ً _ قال : كيف يصدّق ان جمهور الموارنة اقلعوا عن الضلال بالهام الاهي كما قال غليلم من دون نذير ولا بشير .

اجيب ان ذلك يصدق اكثر جداً مما تصدَّق قصة توما الكفرطابي التي يرويها الموارنة وهي انه غشى على بصائر اجدادهم وجعلهم يظنون ان دينهم الماروني انما هو الاعتقاد بمشيئة واحدة على ما كتب سعيد ين بطريق واطغى جمعاً منهم وافسد كتب الطائفة المارونية الدينية والبيعية والشرعية والتاريخية . فان كان كل هذا على قولهم قد جرى لاجدادهم وهو ضد الالهام الالهي فكيف لم يمكن ان يحدث لبعضهم ما هو اضعف من هذا بكثير مع الالهام الالهي . ولا عجب من ان الموارنة الذين بحسب مذهبهم كل النصارى كانوا عندهم اخوة من اي ملة كانوا اذعنوا للالهام الالهي في اتباع مذهب الافرنج الذين كانوا قد سكنوا بينهم نحو مائة سنة والذين لا بد من انهم في هذه المدة قد وعظوهم واندروهم ولم يكن ايمانهم بعيداً عن ايمان الموارنة . لا بل اذا اعتبرنا سهولة الموارنة وسائر احوالهم التي كانوا فيها فلنا ان نتعجب من انهم أخروا كل هذه المدة من الزمان رجوعهم الى طاعة الكنيسة الرومانية.

٤ً _ قال : ان غليلم نفسه في الفصل ٢١ من الكتاب السابع ذكر ان الافرنج عند نزولهم الى ارض سورية دلهم على الطريق رجال مؤمنون من اهل جبل لبنان فكان اذاً هولاء المؤمنون موارنة . _

اجيب : ان هولاء المؤمنين كانوا ملكيين لا موارنة . فان الموارنة سماهم غليلم هراطقة بالفاظ صريحة فكيف كان يمكن ان يسميهم مؤمنين . واما الملكيون فكلما ذكرهم في تواريخه سماهم ارثدكسيين او مؤمنين او كاثليكيين . وهاك مثالاً لذلك :

قال غليلم الصوري في فصل ٢٣ من الكتاب السادس عن يوحنا الرابع البطريرك الانطاكي الملكي الذي كان جالساً على كرسي انطاكية حينما استولى الافرنج على تلك المدينة: « واما يوحنا السيد البطريرك الذي كان من المعترفين المحقين (اي المحتملين « الاضطهاد من اجل الايمان بالمسيح) ومن بعد مجيء اصحابنا قاسى عذابات لا « تحصى من الكفار فاثبتوه (اي الافرنج بعد فتح مدينة انطاكيـة) على كرسيه « باكرام جزيل » . فهل يدّعي الموارنة ان هذا يوحنـا كان مارونياً لانه كان من المؤمنين بل من المعترفين المحقين . واذا سلمنا ايضاً من باب التساهل ان اللبنانيين الذين استقبلوا الافرنج ودلوهم على الطريق كانوا موارنة لا ينتج من ذلك انهم كانوا كاثليكين لان الموارنة كسائر الشرقيين الغير الارثدكسيين لم يكونوا يتحاشون الاشتراك مع النصارى من اي ملة كانوا - حتى في الروحانيات كما هو معهود لدى كل خبير وكما سنرى في الفصل السادس من الباب السابع من خصوص الموارنة - ولا عجب من ان الموارنة الذين استعاروا كتباً كثيرة من اليعاقبة واستعملوها في عباداتهم وتركوا لليعاقبة ان يخطوا لهم كتباً ويخالطوهم في وادي الفراديس وفي قرية بشرّى على قول صاحب روح الردود ترحبوا بالافرنج منذ قدومهم الى ارضهم ودلوهم على الطريق - اما ان غليلم سمى القوم الذين دلوا الافرنج مؤمنين فليس امراً غريباً في الفرض ايضاً انهم كانوا موارنة . لان النصارى قاطبةً من جميع الملل كانوا يسمون مؤمنين عند كل كاتب لتمييزهم من الغير المسيحيين الذين يسمون غير مؤمنين . ويا للعجب كيف هذه الشهادة المبهمة تكفي وحدها (في الفرض انها تعني الموارنة) لتكذيب العدد الغفير من الشهود الذين شهدوا ان الموارنة كانوا منوثليتيين وتبطيل شهادة غليلم نفسه وشهادة البابوات نفسهم وشهادة كتب الموارنة نفسها.

٥ً - قال: روى الاهدني عن بينات يوثق بها ان بطريرك الموارنة قبل الوقت

الذي فيه جعل غليلم رجوعهم الى الكنيسة بعث قصاداً الى رومية يسأل الحبر الاعظم التثبيت الخ .

أجيب : ان هذه الاخبار لا أثر لها في سجلات الكنيسة الرومانية نفسها الموعبة . فكيف وجدت لدى الموارنة الذين لم يكن لهم سجلاّت ولا أرخيون حتى ان دفتر أسماء بطاركتهم نفسه لا يمكن الوثوق به . فان كان الاهدني قد أخذ عن ثقات ما رواه عن تعاطي الموارنة مع الكرسي الرسولي قبل عهد مصالحتهم التى تكلم عنها غليلم فليسمّ لنا الموارنة هؤلاء الثقات وحينئذ يستحقون منا التصديق . واما الان فنحن لا نصدق البتة . وسياتيك في الفصل العاشر من الباب السابع دحض هذا الزعم الباطل .

٦ً — قال : لنا ان نخرج قول غليلم في توبة الموارنة الى معنى لا يخالف زعمنا بمخرجين الاول ان نقول انهم لم يكونوا قبلاً هراطقة وتابوا . بل ادوا فقط الطاعة للبابا الشرعي على يد ايمريك البطريرك الانطاكي ورفضوا البابا الكاذب . الثاني ان الذين على قول غليلم تابوا كانوا قد ضلوا بخدع توما الكفرطابي .

أجيب : ان هذين المخرجين أحدهما يضاد الاخر . فبايّ منهما نتمسك . فان كان أحد هذين المخرجين صحيحاً ومبنياً على الحق فكيف يمكن ان يكون الاخر أيضاً صحيحاً مبنياً على الحق . ونقول في المخرج الاول انه زور ولا أصل له في تواريخ الكنيسة الرومانية . ولو كان غليلم مراده ان يقول ذلك اما كان يعرف اللغة اللاتينية ليقوله وهو قال عكسه . ونقول في المخرج الثانى : ان كان غليلم قد صار له اطلاع على الموارنة المنكودي الحظ الذين دهاهم توما الكفرطابي واطغاهم بضلاله فلما لم يسعفه الحظ في الاطلاع على القسمة الاخرى السعيدة من الموارنة التي لم يقدر توما ان يغويها . وأين كانت هذه حصة المسيح (على قولهم) مخفية حتى ان غليلم المؤرخ لم يعلم بموضعها مع انها كانت على دينه ومذهبه ومتمسكة على قول خصمنا بعرى

الكنيسة الرومانية التي كان خاضعاً لها بالخصوص . وانظر الى تناقض اعتراضاتهم على هذه الشهادة الواضحة اللامعة . فانهم في الاعتراض الواحد يكذبون غليلم وفي الاعتراض الاخر يصدقونه ولكن يحاولون ان يخرّجوا كلامه الى معناهم . ولاغروفان مقصدهم الاول هو ان يحاولوا ابطال الحق الواضح . ولا عبرة بما اذا كان كلامهم الواحد يخالف الآخر .

فقد ثبت اذاً من شهادة غليلم اسقف صور المعاصر المؤرخ العياني ان جماعة كبيرة من الموارنة مع بطريركهم و بعض اساقفتهم رفضوا البدعة المنوثيليتية سنة ١١٨٢ على يد ايمريك البطريرك الانطاكي اللاتيني وعاهدوه بالطاعة للكنيسة الرومانية . ولكن لانظن ان أمة الموارنة باسرها رجعت عن غيها في تلك السنة بل قد أصرّ قوم منهم على الضلال حتى الاجيال التابعة أيضاً كما يتبين من قول غليلم حيث قال ان الموارنة رجعوا الى الكنيسة الكاثليكية مع بطريركهم و بعض اساقفتهم . فبقي اذاً البعض من اساقفتهم في الضلال . كما يتضح من الشهادات التي سنوردها في الفصول الاتية . ثم ان ذلك الصلح الذي عقدوه مع الكنيسة بين يدي ايمريك لم يثبتوا عليه زماناً . فاننا نرى انه بعد ذلك التزموا ان يجدّدوه كما سنبين . وهو ماجرى مع سائر الطوائف الشرقية من نساطرة وارمن واقباط و يعاقبة .

الفصل السادس عشر

في شهادة إنوكنتيوس الثالث

الحبر الاعظم

ان التواريخ القديمة بعد ماذكرت أمر رجوع جانب عظيم من أمة الموارنة الى الكنيسة الكاثليكية الحادث سنة ١١٨٢ لم تذكر عن هذه الطائفة الراجعة الى الحق شيئاً حتى مبادي القرن الثالث عشر حيث جرى بين بطريركهم وبين الكرسي الرسولي معاطيات لتثبيت الطاعة التي كانوا قد ألزموا بها أنفسهم للكنيسة الرومانية . وذلك انه يحكى في التواريخ ان بطريرك الموارنة أرميا العمشيتي الذي كان كاثليكياً وأراد ان يبين صحة ايمانه للكرسي الرسولي انطلق الى رومية . وهناك اكرمه الحبر الاعظم انوكنتيوس اذ اختبر ثباته على الايمان المستقيم . وجعل له مكاناً في المجمع اللاتراني الذي كان وقتئذٍ ملتئماً . وبعد ما فض المجمع أطلقه الحبر الاعظم بهدايا وبرسالة أي بلة حبرية له ولطائفته كلها . وأنعم عليه وعلى خلفائه بلبس التاج والخاتم وبان يستعملوا قرع النواقيس المعدنية في كنائسهم كعادة اللاتين فرجع الى بلاده فرحاً مسروراً . وكان ذلك سنة ١٢١٥ وسنة ١٢١٦ (١)

فاذا تقررَّ ذلك فاعلم ان لنا في الرسالة المار ذكرها التي وجهها انوكنتيوس الثالث الى الموارنة بتاريخ أول شباط من سنة ١٢١٦ شهادة جليلة جلية في البحث الذي تعمدناه وهاك نبذة من أول هذه الرسالة :

---

(١) اننا في كتابنا اللاتيني وضعنا بدل هذا الرقم ١٢٠٧ تبعاً لكتاب مجموع البلات البروبغندية الذي نقلنا عنه نبذة من رسالة البابا انوكنتيوس . الا انه كما أفاد لكويان لم يمكن ان تكتب رسالة هذا البابا قبل سنة ١٢١٥ التي في آخرها انفض المجمع اللاتراني الذي يذكر في هذه الرسالة حضور أرميا البطريرك الماروني فيه .

« Innocentius Episcopus servus servorum Dei. Venerabilibus fratribus Hieremiæ Patriarchæ sive Primati, Archiepiscopis et Episcopis et dilectis filiis Prioribus et clero et populo Maronitano. Quia Divinæ Sapientiæ bonitas etc. (mens humana) in stuporem et admirationem deducta se convertit ad digna Deo laudum omnia exsolvenda super eo maxime, quod Divina Providentia illos, quos diu passa est justo judicio, sed occulto, sub quodam obscuritatis nubilo ambulare, tandem per misericordiam suam magnam cœlestis gratiæ rore perfusos ambulare facit per illustratam semitam veritatis, quod de Grœcorum Ecclesia et vobis nuper factum novimus et gaudemus.

Nam quum olim essetis quasi oves errantes, non recte intelligentes unam existere Christi sponsam, atque columbam sanctam, scilicet Ecclesiam Catholicam, unum et esse verum pastorem Christum scilicet et post ipsum ac per ipsum apostolicum, ac Vicarium ejus Petrum...Dudum transmisso a Nobis ad partes vestras bo... me... P. Sancti Marcelli, presbytero Cardinali tunc apostolicœ Sedis legato, conversi fuistis ad Pastorem Vestrum et episcopum ecclesiarum vestrarum, Domino inspirante, nos Universalis Ecclesiœ Summum Pontificem, ac Jesu Christi Vicarium et Matrem Vestram Sanctam Romanam Ecclesiam agnovistis, ut juxta promissum suum dominicas oves et alias quas habebat prœdestinatas etiam ab œterno suo tempore ad caulas adduceret, quatenus sicut pastor unus unum et ovile in quo eædem firmiter constitutœ voces alienorum errantes per devia de cœtero non sequantur.

Siquidem quum esses olim apud Tripolim coram cardinale prœdicto, tu frater Patriarcha cum quibusdam tuis suffraganeis scilicet Josepho Archiepiscopo Hassala et Theodoro episcopo Capharphio et aliis quam pluribus episcopis, presbyteris et laicis tibi subditis constitutus tu et ipsi pro se ac aliis prœsentibus quibusdam episcopis, viris religiosis ac clero et populo Tripolitano juxta formam solitam, qua Metropolitani obædientiam Sedi Apostolicœ repromittunt voluntate spontonea juravistis Ecclesiœ Romanœ ac Nobis et Successoribus nostris obædientiam et reverentiam debitam et devotam deinceps humiliter prœstituros.

Quia vero dictus Cardinalis in quibusdam intellexit vos pati defectum illum in vobis apostolicae auctoritatis plenitudine supplere curavit, injungens ut amodo secundum quod Romana tenet Ecclesia sine dubitatione credatis qnod Spiritus Sanctus procedit a Filio sicut procedit a Patre cum sit Spiritus utriusque quemadmodum et Sacris

auctoritatibus et certis rationibus comprobatur; et ut hanc formam baptizando servetis quod in trina immersione unica tantum fiat invocatio Trinitatis; ut etiam confirmationis utamini sacramento a vobis episcopis inferendo, et ne in confectione Chrismatis aliquam specien nisi balasamum et oleum apponatis; et ut quilibet vestrum saltem semel in amo sua confiteatur peccata proprio sacerdoti et ter ad minus in anno devote Eucharistiœ Sacramentum; ut et duas in Domino confiteamini voluntates divinam scilicet et humanam, et in altaris sacrificio non vitreïsligneis aut aereis, sed stagneis, argenteis, et aureis vasibus ut amini habentes campanos ad distinguendas horas, et populum ad Ecclesiam convocandum.

Quæ omnia vos obœdientiœ tamquam filii devote ac humiliter recepistis....

Volentes autem tibi Frater patriarcha, qui ob multam devotionem Matrem tuam Sanctam Romanam Ecclesiam personaliter visitans ad sacrum Generale Concilium accessisti et populo tuo noviter ad obœdientiam Ecclesioe Romanœ reverso gratiam facere speeialem etc.

« انوكنتيوس الاسقف عبد عبيدالله الى الاخوة المحترمين ارميا البطريرك أو
« الجاثليق وروساء الاساقفة والاساقفة وأولادنا المحبوبين والروساء والاقليروس
« والشعب المارونيين . لما كانت جودة الحكمة الالهية الخ . . . . ان العقل البشري
« يأخذه الانذهال والاندهاش من أحكام الله الغير المدركة . وليس له الاَّ ان يؤدي
« كل الحمد الواجب لله وخاصة على انه تعالى لطف بحال أولئك الذين تركهم بحكمه
« العادل الخفي ان يسيروا زماناً تحت ظل القتام فتحنن عليهم أخيراً برحمته العظيمة .
« وسكب عليهم كل نعمته السماوية وجعلهم يسيرون في طريق الحق المنور . وقد
« علمنا ان ذلك قد جرى من قرب في كنيسة اليونان وعندكم وسررنا بذلك . لانكم
« كنتم يوماً مثل الغنم الضالة لاتفهمون باستقامة ان المسيح له عروس واحدة وحمامة
« مقدسة أعني الكنيسة الكاثليكية وان الراعي الحقيقي هو واحد أعني المسيح
« وبالمسيح نائبه الرسلي بطرس . . . . ولكن لما أرسلنا الى جهاتكم بطرس الكردنال
« قسيس مار مرقلس الصالح الذكر بصفة قاصد الكرسي الرسولي . رجعتم الى راعيكم

« ورقيب كنائسكم و بالهام الرب عرفتم الحبر الاعظم الذي يسوس الكنيسة الجامعة
« نائب يسوع المسيح والكنيسة الرومانية المقدسة امكم ... فانك اذ كنت يوماً
« أيها الاخ البطريرك في طرابلس بحضرة الكردنال المذكور مع بعض الاساقفة
« اللائذين بك وغيرهم كثيراً من اساقفة وقسوس وعلمانيين من رعيتك . حلفتم
« أنت وهم بخاطركم ورضاكم ان تؤدوا للكنيسة الرومانية ولنا ولخلفائنا الطاعة والاحترام
« الواجب ووعدتم على النسق الجاري حين ينذر المطارين الطاعة للكرسي الرسولي
« بأن تجزوا كل ذلك فيما بعد . ومن حيث ان الكردينال المذكور فهم انكم مقصرون
« في ذلك من جهات . جبر نقصانكم بملء السلطة الرسولية وأمركم ان تؤمنوا من
« ذلك اليوم فصاعداً بكل يقين بما تتمسك به الكنيسة الرومانية . أي ان روح
« القدس ينبثق من الابن مثلما ينبثق من الاب . وان تستعملوا في التعميدات ثلاثة
« تغطيسات مع تسمية واحدة للثالوث . وان يكون للاساقفة وحدهم الحق ان يمنحوا
« سرّ التثبيت وان لا تستعملوا في تركيب زيت الميرون سوى البلسم والزيت . وان
« يعترف كل واحد منكم بخطاياه لدى قسيسه ولو مرّة في السنة . وان تتناولوا
« سر الاوخارستيا بعبادة ولو مرة في السنة . وان تعتقدوا بمشيئتين في الرب مشيئة
« الهية ومشيئة انسانية . وان لا تستعملوا في القداس آنية من زجاج أو من خشب
« أو من نحاس بل من قصدير أو فضة أو ذهب . وان تستعملوا النواقيس لتمييز
« الساعات وتنبيه الجماعة للاجتماع في البيعة . وأنتم قد قبلتم كل ذلك كالاولاد
« الطائعين بخشوع وتواضع ..... ثم اننا أيها الاخ البطريرك الذي لشدة حبك لامك
« الكنيسة الرومانية المقدسة قد حججت اليها بشخصك وتقدمت الى المجمع المسكوني
« المقدس نحب ان نصنع معروفاً جزيلاً معك ومع قومك الذي من قرب قد رجع
الى نعمة الكنيسة الرومانية الخ . »

انه يتضح من هذه النبذة التي أوردناها من رسالة انوكنتيوس الثالث التي

امضاها ما عدا الحبر الاعظم اثنا عشر كردنالاً من كردنالات الكنيسة الرومانية وخمسة اساقفة : (١) ان انوكنتيوس الثالث .... والممضيين معه اعتبروا الموارنة قوماً كانوا قبلاً ضالين ثم فطنوا لضلالهم بالهام الاهي فرجعوا الى حضن الكنيسة الكاثليكية حديثاً . (٢) ان ذلك أولى الحبر الاعظم والكردنالات فرحاً جزيلا . (٣) ان بطريرك الموارنة مع بعض اساقفته حلف بالطاعة للكرسي الرسولي بين يدي الكردنال قاصده . (٤) ان ضلالة الموارنة كانت الاعتقاد بمشيئة واحدة في المسيح خاصة . (٥) ان الكردنال رسم على الموارنة رسوماً جديدة من الايمان والاسرار وعبادة الله فقبلوها كلها مسرورين . فالموارنة اذاً قبل ذلك العهد بقليل لم يكونوا كاثليكيين بل كانوا ضالين بضلال المشيئة الواحدة بشهادة رأس الكنيسة الكاثليكية نفسه وأهل مشورته الخاصة .

تزكية البابا انوكنتيوس الثالث من الكذب ومن الغلط

نقول اولاً بكل خجل ان البابا انوكنتيوس الثالث لم يكذب على الموارنة اذ قال انهم كانوا قبل زمان قليل ضالين بضلال المشيئة الواحدة . وهل يضطرنا خصمنا ان نطيل الكلام في بيان ذلك . فيكفي ان نعتبر ان البابا لم يكن يأمل أدني نفع من كذب مثل هذا . بل بالعكس كان ينتظر منه اضراراً كثيرة . فالحبر الاعظم اذا لم يعرف الموارنة كاثليكيين الاَّ منذ قريب . فاذاً لم يكونوا قبلاً كاثليكيين . وكيف يمكن ان يكون كاثليكياً مَن رأس الكنيسة نفسه لا يعرفه كاثليكياً . اليس أول شرط

من شروط الكاثليكية ان يكون الانسان مدرجاً في جسم الكنيسة الكاثليكية . وكيف يكون مدرجاً في جسم الكنيسة الكاثليكية من ينكره رأس الكنيسة . فلو فرضنا أيضاً ان البابا انوكنتيوس الثالث كذب في حق الموارنة اذ جعلهم كاثوليكيين من قرب لنتج من الضرورة انهم لم يكونوا كاثليكيين الاَّ من الحين الذي اعتبرهم كاثليكيين . ولا نظن ان خصومنا يستطيعون دحض هذا البرهان السديد الواضح .

بقي لنا ان نبين ان البابا انوكنتيوس الثالث لم يغلط في جعله الموارنة كاثليكيين جدداً . وذلك انه لو كانوا كاثليكيين قبل العهد الذي فيه اتخذهم انوكنتيوس الثالث كاثليكين لوُجد اثر لذلك في صحائف الكنيسة الرومانية . وكيف كان يمكن ان يجهل ذلك راس الكنيسة هذه . ومن كان اولى بمعرفة قوم كاثليكيين الاَّ رأس الكنيسة الكاثليكية . وهل كان يمكن ان تبقى الطائفة المارونية ثابتة في طاعة الكنيسة الرومانية مدة اكثر من خمسمائة سنة كما يدّعي خصومنا ورأس الكنيسة الرومانية لا يعرف ذلك من عهد قريب و يظنهم كاثليكيين . ولاسيما رجل مثل انوكنتيوس الثالث الذي اشتهر في حبريته اكثر من الذين سبقوه قاطبةً . هذا وان انوكنتيوس الثالث لم يحكم في حال ديانة الموارنة من تواتر عرض الناس او من ظنٍّ او من تصوّر عقلي بل من تحقيق وقف عليه على يد قاصده وامينه الذي بنفسه زار بلاد الموارنة واقام عندهم واختبر احوالهم واطلع على حقيقتهم . ولو كان الموارنة كاثليكيين منذ خمسمائة سنة كما يدَّعي خصومنا كيف خفي ذلك على نائب الحبر الاعظم بعدما اقام عندهم واختبرهم كل تلك المدة . لا بل ان البابا اطلع هو بنفسه على حقيقة ما كانوا عليه سابقاً من اختبار بطريركهم ارميا نفسه الذي اقام مدّة في رومية وحضر المجمع اللاتراني المسكوني . فلم يكن ممكناً ان تخفى عن البابا معرفة حقيقة ديانتهم اذ اطلع عليها بشخصه .

ومما يرفع كل شك ان البابا انوكنتيوس لم يتوهم باتخاذه الموارنة مقلعين عن

الضلال حديثاً ذلك لانه قد اطلع بنفسه على امور عرضية تخص احوالهم . وهي قولهم ان روح القدس ينبثق من الاب دون ذكر الابن . وتعميدهم باسم الثالوث مثلثاً . واعطاء قسوسهم سر التثبيت وخلطهم في الميرون اجزاء غير الزيت والبلسم وغير ذلك . فالذي قدر ان يعرف كل ذلك عن الموارنة كيف كان يمكن ان يفوته معرفة جوهر دينهم . أوَ مشتركون هم مع الكنيسة الرومانية ام لا .

ولنعتبرنّ ان هذه الرسالة التي فيها ادّى انوكنتيوس شهادته قد كتبت اذ كان بطريركهم في رومية وسلمت بيده ووُجهت اليه والى سائر طائفته . فكيف كان يمكن ان يقع تهمة كهذه على حقيقة حال ديانتهم السابقة وهم يسمعون ويسكتون عن بطريركهم الى آخر واحد من شعبهم . ولنفرضنَّ ان احد الباباوات في القرن العاشر او غيره سوَّلت له نفسه ان يكتب الى شعب الانكليز مثلاً رسالة فيها يقول لهم انتم كلكم من مطارنة واساقفة واقليرس وشعب كنتم الى اليوم كالخراف الضالة لا تعرفون الكنيسة الكاثليكية . فماذا كان يصنع هؤلاء القوم . فالموارنة اذ لم يفعلوا شيئاً من ذلك فقد اثبتوا قول البابا انوكنتيوس بانهم صاروا كاثليكيين من قرب .

ثم ان الموارنة بما فعلوه فيما بعد بينوا صحة شهادة البابا انوكنتيوس الثالث . وذلك انه لم يسمع ابدًا انهم تذمروا من رسالة هذا البابا حيث نسب الى اجدادهم بدعة المشيئة الواحدة . حتى ان بطريركهم بعد ذلك بثلاثمائة سنة اي سنة ١٥١٨ قدّم هو بيده هذه الرسالة بين يدي الحبر الاعظم غريغوريوس الثالث عشر دليلاً على طاعة طائفته لكرسي رومية كما افاد صاحب الفصل الذي بحذاقة وعلم فائق طبع في الجرنال الروماني المسمى صوت الحق في ٢ ايار سنة ١٨٧٢ استناداً الى مصحف مخطوط باليد خاصة المكتبة البربرينية برومية (عدد ٢٧ وجه ١٠٢) .

هذا وان الاحبار الرومانيين الذين خلفوا انوكنتيوس الثالث في الكرسي الروماني فضلاً عن انهم لم يخطئوا رسالته قد استشهدوا بهـا وايدوها في برآتهم

مرّات شتى . فمن ذلك انه في مدة جلوس انوكنتيوس الرابع على الكرسي الروماني (وكانت مدة جلوسه من سنة ١٣٥٣ الى سنة ١٣٦١) عمل ملخص رسالة البابا انوكنتيوس الثالث الى الموارنة التي بحثنا عنها على رقّ وقيد في سجل المكتبة الواتيكانية كما اطلع عليه المحقق الشهير تينر (Theiner) وذكره في كتابه المسمى اثار الصقالبة الجنوبيين في مجلد ١ وجه ٦٤ ويقرأ في ذلك الملخص :

Patriarcha Archiepiscopis et populo Maronitarum de novo ad fidem conversorum scribuntur eis mores et ordinationes secundum quod debeant se regere et gubernare juxtaritum Romanae Ecclesia.

« كتب (في هذه الرسالة) الى بطريرك الموارنة واساقفتهم وشعبهم الذين قد « رجعوا الى الايمان جديداً وشرحت لهم العوائد والرسوم التي يجب ان يسيروا « عليها ليتدبروا وينقادوا بمقتضى ترتيب الكنيسة الرومانية »

انني اعترف باني في رسالتي الثانية الى السيد يوسف الدبس قد توهمت حيث نسبت هذا الملخص الى البابا انوكنتيوس الرابع نفسه . وليس هذا مما يقلل قدر الشهادة الحاصلة من هذا الملخص . فان شهادة ديوان الحبر الاعظم ليست باحط قيمة من شهادة الحبر الاعظم نفسه في مثل هذا . فترى كيف فهم ديوان الكرسي الرسولي في القرن الرابع عشر ان الموارنة كانوا قوماً قد رجعوا الى الايمان الكاثليكي حديثاً .

ثم ان اقليميس البابا السابع كتب الى بطريرك الموارنة في ٣ تموز سنة ١٥٢٦ رسالة قال فيها :

Venerabili fratri moderno Patriarchae Maronitarum. Omni studio et affectn te hortamur in Domino, ut te ipsum tuosque populos in catholicae fidei puritate et in ea cum Romana ecclesia unione, quae vobiscum jam inde Innocentii III et Eugenii IV praedecessorum nostrornm sancita est conserves.

« الى الاخ المحترم بطريرك الموارنة حالاً . ننصحك نصاحةً قلبية وحبية في « الرب ان تحفظ نفسك وقومك في طهارة الايمان الكاثليكي وفي الوصال الذي

« عقدتموه مع الكنيسة الرومانية منذ ايام انوكنتيوس الثالث واوجانيوس الرابع

ما لفينا » . والبابا غريغوريوس الثالث عشر في براءته التي بدءها Benedictus Deus

« مبارك الله » المرسلة الى بطريرك الموارنة في ١٤ شباط سنة ١٥٧٧ قال :

Paternis exhortationibus vos duximus incitândos, ut ea quae per felicis recordationis praedecessores nostros et praecipue Innocentium III, Eugenium IV et Leonem X vobis tradita sunt, inviolate observare studeatis. »

« قد احببنا ان نحرّضكم بتنبيهاتنا الابوية لكي تجتهدوا ان تحفظوا بلا خلل ما

« سلمه اليكم اسلافنا المغبوطون ولاسيما انوكنتيوس الثالث واوجانيوس الرابع ولاون

« العاشر ».

فالاحبار الاعظمون قد عرفوا رسالة البابا انوكنتيوس الثالث التي هي مدار بحثنا ولم يستهجنوا ما فيها نظرًا الى الموارنة . لا بل ايدوه وذكروا الموارنة به .

حل اعتراضات مطران بيروت على شهادة البابا انوكنتيوس الثالث

ان قوّة الشهادة السنية الحاصلة من هذه الرسالة الباباوية انما هي متوقفة خاصة على ان الحبر الاعظم مع زمرة كردينالات الكنيسة الرومانية اعتبر الموارنة ملةً راجعة جديدًا من الضلالة الى الكنيسة الحقيقية وعاملها معاملة الاقوام الراجعين الى الكنيسة . وليس من ينكر عظم هذه الشهادة وقيمتها في المسألة التي بيننا وبين خصومنا . فعلماء الموارنة الذين بلا شك عرفوا هذه الرسالة وما تحويه من البينات الكافئة لابطال زعمهم كان واجبًا عليهم ان يهابوا حرمة الكرسي الرسولي ويذعنوا للحق وينكفوا عن مدّعاهم لدى تحققهم ان الحبر الروماني نفسه مع كردينالاته عدّ الموارنة ملة راجعة حديثًا الى الكنيسة . وليس احد اعلم بابناء الايمان كالحبر الاعظم رأس الكنيسة فضلاً عن انه لا يجسر احد على تكذيب رأس الكنيسة او تغليطه

قائلاً له ان الموارنة كانوا منذ القرن السابع منضمين الى الكنيسة الرومانية وانت واهل مشورتك قد جهلتم ذلك . وربما تعرفون ذلك ولكنكم لا تريدون تقرّوا به . فلو فعل الموارنة ذلك لكان قاطعاً كل نزاع .

ولكن علماء الموارنة عوضاً عن تأدية هذا الاحترام لشهادة حبر الكنيسة الرومانية ووزرآئها والتسليم الواجب للحق الواضح فانهم لم يعدلوا ولو خطوةً عن رأيهم واصرّوا عليه وازدادوا تمسكاً به . غير انه لما كانت هذه الرسالة مجهولة عند عامة العلماء سلكوا طريقتهم المعهودة من التفنن للتخلص — ان امكنهم — من قوّة الشهادة الحاصلة منها . فان اغلبهم في بحثهم عن هذه المسألة كتموا هذه الرسالة وتظاهروا بعدم معرفة ما فيها من القول المبطل زعمهم . كذا يوسف السمعاني في مكتبته وفي ملحق المجمع اللبناني واسطفان عواد السمعاني . والسيد بولس مسعد المغبوط وغيرهم . وبقيتهم لم يذكروها على هيئتها بل ذكروا منها جزءًا مما لم يخافوا منه برهاناً عليهم او مما ظنوا ان لهم جواباً لردّه . كذا مرهج نمرون . فانه انما ذكر هذه الرسالة في كتبه ليبين فقط ان البابا انوكنتيوس الثالث انخدع (على قوله) اذ صدّق ان الموارنة عندهم ضلالات مع انهم كانوا سابقاً قوماً كاثليكيين وقد وقع ذلك توهماً من البابا كما حدث في عهد البابا اقليميس الثامن حتى ارسل هيرونمس دنديني ليفحصهم . وهكذا بذكره هذه الرسالة ضرب الصفح عن القول الصريح الذي فيه يذكر بان الموارنة هم امة حديثة الكثلكة قد كانت ملطوخةً يوماً بالبدعة المنوثلية .

فلا عجب اذا كان علماء اوروبا لم يطلعوا اطلاعاً حقيقياً على شهادة البابا انوكنتيوس الثالث . لانهم لو كانوا يطلعون عليها لكان الموافقون للموارنة يتوقفون في رأيهم اذ لا يمكن ان يؤدّى شهادة اوضح منها لابطال زعمهم . والمخاصمون لهم ان يتمسكوا بها اشدّ التمسك لافحامهم وتسكيتهم . ونحن بعكس ذلك لا نرى احداً من

علماء اوروبا الذين تعرّضوا لهذه المسألة علم (على ما نظن) ان احد الاحبار الاعظمين قال صريحاً مع كردينالاته ان الامة المارونية في عهده دخلت حظيرة الكنيسة الكاثليكية وكانت قبلاً ضالة بالمنوثليتية.

ان أول من اضطر من الموارنة ان يتكلم جلياً في مؤلفاته عن شهادة البابا انوكنتيوس الثالث هو السيد يوسف الدبس مطران بيروت الجزيل الحرمة. انما اضطره الى ذلك ايرادي هذه الشهادة في حاشيتي اللاتينية التي باشر الردَّ عليها في كتاب روح الردود. فهلم بنا نسمع احتجاجه على هذه الشهادة كما هي وجه ١٥٨ وما بعد:

١ً — قال: ان انوكنتيوس قد وقع في خطأ الفعل كما يسمونه. والدليل على ذلك انه في رسالته نسب الى الموارنة ما كان مختصاً بالملكيين الذين في مدينة طرابلس جحدوا اغلاط اليونان. فرسول الحبر الاعظم خبره بذلك دون تمييز فجاءت رسالة البابا غير مفصلة بين الموارنة والملكية.

نجيب: ان رسالة البابا موجهة الى بطريرك الموارنة واساقفتهم واقليرسهم وشعبهم فلا شك ان الحبر الاعظم لم يقصد ان يخاطب بها غيرهم. اما انه في معرض كلامه ذكر الملكيين فلا بداء فرحه بهم لسبب رفضهم الشقاق في وقت واحد مع الموارنة لا لسبب آخر. أو يدعي خصمنا ان الحبر الاعظم عنى الملكيين اذ أمر الذين وجه اليهم الرسالة برفض المشيئة الواحدة والامتناع عن اعطاء سرّ التثبيت للمعمذين الاَّ بيد الاسقف. فلماذا اذاً الكنيسة الرومانية حرَّمت على الموارنة فقط ان يعطي القسيس هذا السرّ وتركت للملكيين هذه العادة. وهل حج بطريرك الملكيين الى رومية وحضر المجمع اللاتراني. ياللغرابة.. وترى من هذا ان توما البياتي قد توهم في كتاب خلاص جميع الامم اذ زعم ان البابا انوكنتيوس الثالث نسب الى الموارنة الاضاليل الموجودة في كتب الملكيين. فان كتب الملكيين لما فحصها الكرسي الرسولي

واهتم بطبعها لم يغير منها شيئاً . واما كتب الموارنة فقد أدخل فيها من التغييرات والاصلاحات شيئاً كثيراً . فالاضاليل لم تكن البتة في كتب الملكيين بل في كتب الموارنة . والكرسي الرسولي لم يرسل قط رسولا الى الملكيين يفحص كتبهم كما فعل مع الموارنة أكثر من مرة . وهب ان البابا انوكنتيوس قد توهم أو نسب الى الموارنة اضاليل الملكيين توهماً . ولكن أفبلغت الغباوة لهذا البابا الذي هو من أشهر الباباوات واجلهم واسماهم بشهادة جميع العارفين الى حد انه لم يعرف اذا كان الموارنة قبلا من أولاد الكنيسة الكاثليكية أو لا حتى انه حين أخبر ان الملكيين تركوا الشقاق ظن ان هؤلاء هم الموارنة. باللخرافات المضحكة — ولكي يتمكن الموارنة من تكذيب هذا الحبر الاعظم كان يقتضي لهم ان يأتوا على القليل بشهادة اثنين من العدول المعاصرين المعاينين اجلّ من انوكنتيوس يشهدان بأن الموارنة لم يرعووا عن المنوثليتية في زمان ذلك البابا . ولكنهم الى الان ماقدروا ان يجدوا ولو شاهداً واحداً ولو كان أحطّ من انوكنتيوس قدراً . لا بل ان جميع آثار ذلك الزمان تشهد بصحة قوله .

٢ً — قال ان انوكنتيوس البابا قد غلط والشاهد الاحبار الرومانيون الذين قالوا ان الموارنة لم يسقطوا قط في ضلال . أجيب : أولاً ان الاحبار الرومانيين قد تعاطوا منذ الازمان القديمة مع أمم وطوائف كثيرة مشتتة أكثرها بعيدة عنهم جداً كالنساطرة والاقباط والارمن والملكية واليعاقبة والملباريين والحبش والصين . ولم يسمع الى الان قط ان أحداً من هؤلاء الباباوات الاقدمين قد غلط في أمر أحوال دين احدى هذه الطوائف التي تعاطوا معها . فأي داع اضطرهم ان يغلطوا فقط في تحقيق مذهب الموارنة المظلومين الذين يدعي خصومنا انهم من دون سائر الطوائف الشرقية قد استمسكوا بعرى الكنيسة الرومانية منذ القرن السابع . فكان واجباً على قول خصومنا ان يعرفوهم أكثر من سائر الطوائف الشرقية . ثانياً ان كانت مسألة الموارنة لاتحل الاّ بتغليط الاحبار الرومانيين فنحن نسأل كل انسان عاقل

خال من كل غرض : أيّ أمر أقرب الى التصديق . أغلط انوكنتيوس الثالث الذي في زمانه حدث رجوع الموارنة وهو بنفسه عرف بطريركهم وواجهه واطلع على أحوال تلك الطائفة بشهادة وكيله وأمينه الذي صرف عندهم زمانًا وذكر هذه الاشياء في رسالة كتبت اذ كان بطريركهم في رومية ووجهت الى الامة المارونية كلها وسلمت بيد البطريرك نفسه . أم غلط الاحبار الاعظمون البعيدون جدًا عن هذه الحوادث الذين لارأوا ولا سمعوا وأوّلهم هو اقليميس الحادي عشر (١) الذي وجد بعد خمسمائة سنة من رجوع الموارنة الى حضن الكنيسة . فان كان الموارنة يأبون الاَّ تغليط الاحبار الاعظمين فتغليط اقليميس الحادي عشر ومن بعده اسهل بكثير من تغليط انوكنتيوس . فانه ان كان يجوز لخصومنا ان يقولوا بأن انوكنتيوس اغتر بما رواه أمينه الكردينال بطرس الذي رأى بعينيه وسمع باذنيه أمور الموارنة المتكثلكين جديدًا . فنحن أحق منهم بكثير ان نقول ان اقليميس الحادي عشر ومن بعده اغتروا بما وسوسه في أذانهم الموارنة الذين كانوا في رومية . وكان أجلّ الاشياء لديهم ان يثبتوا زعمهم هذا الذي نفنده . ولكن هيهات ثم هيهات ان نتصل الى هذه الجسارة ولو تقدمنا فيها اخصامنا . فاننا سنرى في الفصل الاول من الباب الثامن كيف تتفق أقوال الاحبار الاعظمين دون احتياج الى تغليط أحد منهم . ولقد ادهشنا جدًا ايراد الخصم شهادة دنديني اليسوعي الذي رأى موارنة القرن السادس عشر اذ كانوا قد عرفوا الديانة الكاثليكية منذ ثلاثمائة سنة فأكثر لتبطيل شهادة الكردنال رسول انوكنتيوس الثالث المعاصر لرجوع الموارنة الى وحدة الكنيسة .

٣ً ـ قال : ان بطريركنا سنة ١٠٩٩ طلب التثبيت من الحبر الاعظم فكانت طائفتنا اذًا كاثليكية قبل عهد البابا انوكنتيوس باكثر من مائة سنة . ـ اجيب ان

(١) ان اقليمس الحادي عشر هو أول من قال من الاحبار الرومانيين ان الموارنة داموا أجيالا في الايمان القويم ولم يزيغوا عنه .

هذه الرواية وامثالها بلا سند وتخالف صحة التواريخ فلا تستحق ادنى اعتبار البتة فنحن لا نقبلها قطعاً بل نرفضها رفضاً ما لم تورد لنا بينات من ثقات المعاصرين .

٤ً - قال : تدعي ان الموارنة تكثلكوا على يد ايمريك البطريرك اللاتيني سنة ١١٨٢ فكيف يتفق ذلك مع مدّعاك بانهم تكثلكوا على يد بطرس الكردنال سنة ١٢١٦ (لا بل قبل سنة ١٢٠٩ التي فيها سافر ارميا العمشيتي الى رومية) . اجيب : ان الفرق بين التاريخين لا يكاد يكون عشرين سنة . فما كان الموارنة قد ادّوه بين يدي البطريرك ايمريك من الاقرار اثبتوه وايدوه بعد سنين قليلة بحضرة السفير الرسولي الذي بعثه الحبر الاعظم لهذه الغاية لتكسب كثلكتهم كل القوّة الشرعية كما كان الواجب . واذا اعتبرنا ان انوكنتيوس البابا لما بلغه ان طائفة الموارنة قد رجعت عن الضلال الى حضن الكنيسة ثم بلغه ان توبتهم يرتاب فيها بعث اليهم رسوله ليختبر توبتهم ويؤيدها . وذلك في اول سنة من جلوسه اي سنة ١١٩٨ . فلا تزيد المدة عن العشرين سنة من عهد توبة الموارنة على يد ايمريك . وما اهمية هذا الفرق من السنين في تلك الاعصار . ولا يبعد الامر من ان يكون الموارنة تابوا اوّلاً سنة ١١٨٢ ولما لم تكن توبتهم ثابتة دعت الحاجة الى ان يجدّدوها ويؤيدوها بحضرة نائب الحبر الاعظم سنة ١٢١٦ . ومن كان خبيراً باخبار رجوع المنشقين والاراطقة الشرقيين الى حضن الكنيسة يرى كثيراً من امثال ذلك في النساطرة والارمن واليعاقبة خاصة . اوليس الموارنة انفسهم التزموا ان يعيدوا توبتهم في زمان البابا اوجانيوس الرابع وفي اوقات غيرها . اوليس صاحب الدر المنظوم قد روى التوبات المختلفة التي قضاها الاقباط واليعاقبة والنساطرة وقتاً بعد وقت (وجه ٨٨ وما بعد) . فهل كان الله تعالى قد عصم الموارنة وجللهم بظله حتى لا يصيبهم ما اصاب سائر الطوائف الشرقية من التقلب .

فقد انتهى الى هنا ما اعترض به السيد الدبس على شهادة انوكنتيوس الثالث

في كتاب روح الردود . ثم انه قد اتبع ذلك باعتراضات اخرى شهرها في جرنال صوت الحق المار ذكره في ٣ تشرين اول سنة ١٨٧٢ لا بدَّ من ذكر ما كان منها جديدا وحله .

١ ـ قال : ان البطريرك ارميا العمشيتي والاساقفة الذين معه لم يرفضوا بين يدي رسول البابا ضلالة كانوا مربوطين بها قبلا . بل ادّوا فقط رسم الطاعة للكرسي الرسولي على جاري عادة المطارين . اجيب . ـ ان البطريرك والاساقفة المذكورين ادّوا الامرين بين يدي القاصد الرسولي . اي رفضوا الضلالة بدليل قول انوكنتيوس « كنتم يوماً مثل الغنم الضالة . . . . ورجعتم الى راعيكم ورقيب كنائسكم وبالهام الرب عرفتم الحبر الاعظم الخ » وادّوا رسم الطاعة على جاري عادة المطارين بدليل ما اشار اليه الخصم . وغير بعيد من انهم في وقت واحد قضوا هذين الامرين العظيمين المتناسبين احدهما الى الاخر . ولاسيما انهم لم يدخلوا حينئذٍ حضن الكنيسة اوّل مرة . بل اكدوا وايدوا توبتهم التي كانوا قد قضوها بين يدي ايمريك البطريرك من نحو عشرين سنة في زمان بطريرك اخر واساقفة اخر . ثم اننا نفيد الخصم ان هذا الكردنال بطرس نفسه قاصد انوكنتيوس الثالث الذي بين يديه ادَّى بطريرك الموارنة واساقفتهم تقرير التوبة والطاعة قصد بلاد الارمن ايضاً وبين يديه ادَّى بطريرك الارمن واساقفتهم رسم الطاعة والتوبة كما ذكره بطريركهم يوحنا في رسالة بعث بها الى البابا انوكنتيوس الثالث سنة ١٢٠٩ حيث يقول : « نحن « عبيدها اي عبيد الكنيسة الرومانية بغير استحقاق بحضرة قاصدكم الكردنال بطرس « قسيس مار مرقلس بحسب القصادة التي تولاها لدى جثلقتنا . . . . ادَّينا الطاعة « والاحترام للكنيسة الرومانية ولكم بمقتضى رسالتكم واقتبلنا منه الدرع الذي غبطتكم « انعمتم به علينا الخ » . طالع كتاب السيد عزاريان في تعليم الكنيسة الارمنية في رئاسة الحبر الروماني المطبوع في اللاتينية برومية سنة ١٨٧٠ . أيستنتج من هذا ايضاً

السيد يوسف الدبس ان الارمن كانوا قبل سنة ١٢٠٩ من اعضاء الكنيسة الكاثليكية.

٢ ـ قال: قد بينت في كتاب روح الردود باستنادي على ثقاتٍ من المؤرخين ان طائفتنا منذ سنة ١١٠٠ وسنة ١١٣١ عرفت الكرسي الرسولي بواسطة بطاركتها. اجيب: اني قد تقفيت في كتاب روح الردود هذه الثقات فوجدت في وجه ١٦٣ هذه الكلمات: « قد قدّمنا ايضاً بينات تثبت عن قرب ما نحن الان مثبتون وهي ما رويناه عن ثقاتٍ من ان بطريركنا الخ. ثم فتشت بجهد اكثر عن هؤلاء الثقات فرأيت في وجه ١٢٦ قوله: « روى البطريرك اسطفانس الاهدني .... نقلاً عن بينات يوثق بها انه لما قدم الافرنج الصليبية الخ ». أوهذا يسمى استناداً الى ثقات من المؤرّخين. ويكفي لتفنيد هذا البرهان ان السمعاني مع كل ما اتى به للموافقة عن طائفته لم يذكر حرفاً واحداً من الرواية الاهدنية. فبكل حق انكرناها سابقاً ورفضناها رفضاً قاطعاً. ثم اننا اذا سلمنا بما زعمه الخصم من باب المجاراة لم ينتج ما يريده. فاننا نعلم من التواريخ الصحيحة ان الطوائف الشرقية كالنساطرة واليعاقبة قد كاتبوا كثيراً الكرسي الروماني في الاجيال القديمة ومن جملة ذلك نعلم ان بطاركة الارمن من زمان البابا غريغوريوس السابع اي سنة ١٠٧٥ طالما كاتبوا الاحبار الرومانيين كما شرح السيد عزاريان المذكور في وجه ٨٢ وما بعد. وهل ينتج ان هذه الطوائف كانت كاثليكية منذ تلك الاعصار وان الارمن كانوا كاثليكيين في القرن الحادي عشر.

٣ ـ قال: قد غلط انوكنتيوس البابا اذ اعتقد قول امينه الكرديال ان الموارنة كان عندهم غلطات كثيرة. فان دنديني الذي ارسله البابا اقليميس الثامن سنة ١٥٩٥ قاصداً الى بطريرك الموارنة قد برّأهم من كل غلط. اجيب: ان من الغرابة والجسارة تكذيب شاهد مثل الحبر الاعظم بشهادة قسيس عاش بعده بنحو ثلاثمائة وثمانين سنة. ان انوكنتيوس قال ما قاله عن موارنة زمانه. ودنديني قال ذلك عن موارنة زمان اقليميس الثامن بعد كل ما بذله الاحبار الرومانيون من الاجتهاد

لاصلاح كتب الموارنة . وهل يقدر الناظر ان يشهد بغير ما يرى بعينه . ودنديني لم يكن نبياً ليرى اموراً سبقته منذ اربعة اجيال . فلو سلمنا ان كتب الموارنة كانت سالمة من كل شائبة في زمان البابا اقليميس الثامن لم ينتج انها كانت سالمة ايضاً في زمان انوكنتيوس الثالث . فلم يكُ يحق للخصم ان يكذب انوكنتيوس البابا بشهادة دنديني الذي عاش بعده بنحو اربعمائةسنة. بل كان يجب عليه ان يأتي بشهادة واحد جليل القدر مثل انوكنتيوس من معاصريه يشهد ان الموارنة لم يرعووا عن ضلال المنوثليتية في زمانه . وناهيك ان الخصم لم يقدر ان يعارض انوكنتيوس على انه نسب اليهم غلط اشياء غريبة في عمل الميرون غير الزيت والبلسم . فان بطريركهم في زمان لاون العاشر البابا نفسه في رسالة ارسلها الى هذا الحبر الاعظم وقرئت في المجمع اللاتراني الخامس ذكر عشرة اشياء كان الموارنة معتادين ان يركبوا منها الميرون . (طالع وجه ١٠٠٥ من مجلد ١٩ من خزانة المجامع للباى) .

٤ — قال : قد غلط انوكنتيوس حيث نسب الى الموارنة ضلالة انبثاق روح القدس من الابن كانبثاقه من الاب لان الموارنة لم تكن عندهم قط هذه الضلالة . — اجيب : كان واجباً على القليل الاتيان بدليل ما للوصول الى تكذيب الحبر الاعظم بهذه الجسارة . وخصمنا لم يأت بادنى دليل . فنحن نقول ان الموارنة قبل زمان انوكنتيوس الثالث لم يكونوا يقولون ان روح القدس ينبثق من الابن كما ينبثق من الاب والشاهد امين البابا انوكنتيوس الذي سمع واختبر ورأى . وكيف يتجاسر الخصم بعد مرور ستمائة وسبعين سنـة ان يكذّب شهادته . ونقول ايضاً ان كان الموارنة المحدثون لم يغيروا كتبهم الطقسية عما كانت في ايام انوكنتيوس فانه لا بد من ان توجد فيها بينات تؤيد قول البابا عن انبثاق روح القدس . وذلك ان كتب الموارنة الطقسية في الاصل لا تختلف عن كتب اليعاقبة . والحال انك لا تجد ابداً في كتب اليعاقبة عن روح القدس انه ينبثق من الاب والابن . بل اما انه ينبثق من

الاب ويأخذ من الابن . واما ينبثق من الاب بواسطة الابن وهذا نادر . وكلتا العبارتين ولو كانتا في المعنى ارثذكسيتين الاَّ انهما تختلفان من عبارة الكنيسة اللاتينية القائلة رأساً بانبثاق روح القدس من الابن . وتحتملان التأويل المعوج كما كان اليونان يأولونهما اذ عندهم ايضاً توجد العبارتان . فبكل صواب اذاً ولرفع كل ريب رسم انوكنتيوس الثالث للموارنة كما رسم الاحبار الاعظمون لسائر الشرقيين الراجعين الى وحدة الكنيسة من ملكية ويعاقبة ونساطرة ان يقولوا مصرّحاً بان روح القدس ينبثق من الابن كما ينبثق من الاب . وهل يمكن الخصم ان يقنعنا ايضاً بان الموارنة في زمان انوكنتيوس كانوا في قانون الايمان يقررون عن روح القدس انه ينبثق من الاب والابن . فلماذا يزيدون الان في قانون الايمان لفظة الابن خلافاً للعادة القديمة . أليس ذلك امتثالاً لاوامر الاحبار الاعظمين . وهذا هو الذي اراده انوكنتيوس البابا . وان كان خصمنا يسوغ له ان يخطئ حبر الكنيسة الكاثليكية الاعظم . فيقدر ان يكذّب بطريرك امته ايضاً الذي اقرّ في سنة ١٥١٦ بان طائفته تعلمت من الرهبان المرسلين الفرنسيسيين معتقد انبثاق روح القدس من الابن .

٥ — قال : قد غلط انوكنتيوش حين اعتقد ان الموارنة كانوا يغلطون في العماد اذ يسمون ثلث مرات اسم الثالوث على المعمد فان ذلك لم يكُ قط عندهم والشاهد داود الاسقف في كتاب الهدى المتقادم عهده على زمان انوكنتيوس البابا . اجيب : قد صدق الخصم في ما قال عن كتاب داود الاسقف . ولكن نقول ان كتب الطقس المستعملة عند اليعاقبة والموارنة يرد فيهما في صورة العماد تارةً بسم الاب والابن وروح القدس كما امر انوكنتيوس ان يستعمل وكما يوجد في كتاب الهدى . وتارة باسم الاب وباسم الابن وباسم روح القدس كما نهى البابا المذكور موارنة زمانه عن

استعمال ذلك . اما ان كتب اليعاقبة تحوي الصورة الثانية ايضاً فلا شك فيه . ولنا شهود كثيرة في خزائن الكتب القديمة التي في بلاد اوروبا والتي في بلاد الشرق . فان كان اليعاقبة كانوا يستعملون هذه الصورة فلا شك ان الموارنة ايضاً كانوا يستعملونها . اذ كانت الكتب الطقسية للطائفتين واحدة ولاسيما كتب توزيع الاسرار . كما هو معلوم ولا حاجة الى بيانه . لا بل ان الملكية نفسهم كانوا يستعملون يوماً الصورة الثانية المنهى عنها . والشاهد من مصحف قديم من مصاحف الموسيوم البرجياني عدد (ب) يحوي طقس الكنيسة الملكية . ففيه واردة هذه الصورة وهي :

ܡܥܡܕ ܒܫܡ ܐܒܐ ܘܒܫܡ ܒܪܐ ܘܒܫܡ ܪܘܚܐ ܩܕܝܫܐ .

اي « يعمذ باسم الاب وباسم الابن وباسم روح القدس » وقبل ان يقول لنا الخصم وما لنا وللملكيين . نخاصمه لدى واحد لا يقدر ان يردّ شهادته وهو اسطفانس السمعاني في المجلد الثالث من الكوديك الليترجي حيث يوجد طقس العماذ المنسوب الى مار باسيليوس وفيه صورة العماذ المنهي عنها باسم الاب وباسم الابن الخ . ووضع السمعاني حاشية يقول فيها ان هذا الطقس يخص الملكية ولو ان بعضاً من الموارنة يستعملونه ايضاً . فبشهادة السمعاني نفسه كان بعض الموارنة يستعملون في العماذ طقساً فيه توجد الصورة التي نهاهم عنها البابا انوكنتيوس . ولكي يتبين خصمنا مزيد علم بعتائق طائفته نقول : انه يوجد في الموسيوم البرجياني مصحف ماروني قديم العهد عدد ٥ (ث) يحوي من الجملة في وجه ١٩٩ وما بعده طقساً لعماذ الاطفال المشرفين على الموت منسوباً الى مار باسيليوس وهو غير الذي سبق الكلام عنه . فان السمعاني في الحاشية المشار اليها آنفاً ذكر ايضاً هذا الطقس المختصر وقال ان الموارنة يستعملونه . فاعلم انه في هذا الطقس توجد صورة التعميذ الاتية :

ܐܢܐ ܡܥܡܕ ܐܢܐ ܠܟ ܦܠܢ ܐܡܪܐ ܠܡܪܥܝܬܗ ܕܡܫܝܚܐ . ܒܫܡ ܐܒܐ

ܚܝܐ ܠܚܝ̈ܐ ܐܡܝܢ. ܒܫܡ ܒܪܐ ܚܝܐ ܠܚܝ̈ܐ ܐܡܝܢ. ܒܫܡ ܪܘܚܐ ܕܩܘܕܫܐ ܚܝܐ ܠܚܝ̈ܐ ܕܠܥܠܡ ܠܥܠܡܝܢ ܐܡܝܢ .

« انا اعمذك يافلان خروفاً في رعية المسيح باسم الاب الحي للحياة أمين . باسم « الابن الحي للحياة أمين . باسم روح القدس الحي لحياة الابد أمين » . وفي ذلك المصحف البرجياني نفسه يوجد طقس آخر مطوّل للعماذ في وجه ١٣٣ منسوب الى يعقوب الملفان . وفيه صورة التعميذ هكذا :

ܐܢܐ ܡܥܡܕ ܐܢܐ ܠܟ ܦܠܢ ܐܡܪܐ ܒܡܪܥܝܬܗ ܕܡܫܝܚܐ. ܒܫܡ ܐܒܐ ܐܡܝܢ. ܘܒܪܐ ܐܡܝܢ ܘܪܘܚܐ ܕܩܘܕܫܐ. ܠܥܠܡ ܐܡܝܢ: ܬܘܒ ܡܬܢ̈ܐ ܠܡܠܬܐ ܘܡܬܠ̈ܬ

« انا أعمذك يافلان خروفاً في رعية المسيح باسم الاب امين والابن امين وروح « القدس الى الابد امين . ثم يثني القول ويثلث » . انظر التثنية والتثليث في العماذ . فهل من دليل أوضح من هذا يثبت ان الموارنة كانوا في العماذ يسمون ثلث مرات اسم الثالوث المقدس .

وأقدر ان أورد شهادات أخرى لتأكيد ذلك . انما أكتفي بذكر شهادة من المجمع اللبناني المشهور هي كافية لافحام خصمنا وذلك ما ورد منه في وجه ٢٥ و ٢٦ من طبعة ١٨٢٠ :

«Et quoniam in nonnullis manu exaratis ritualibus verba haec adhiberi reperiantur: Ego te baptizo vel baptizatur N. in nomine Patris amen, in nomine Filii amen, in nomine Spiritus Sancti amen, districte praecipit sancta synodus ut nemo post hac alia forma utatur quam quae in rituali probato praescripta est. »

« لما كانت توجد في بعض كتب الطقس المخطوطة باليد هذه الكلمات وهي « أعمذك أو يعمذ فلان باسم الاب امين . باسم الابن امين . باسم روح القدس

« امين . فيجزم هذا المجمع جزماً قاطعاً على كل أحد ان لا يستعمل من الان فصاعداً « صورة أخرى غير المرسومة في كتاب الطقس الذي قرت عليه الاجازة » . فليحكم القاري اللبيب الان . من أدرى بحال الطائفة المارونية ، اصاحب روح الردود أم البابا انوكنتيوس الثالث حبر الكنيسة الرومانية .

٦ ـ قال : ان كان ما يعجبكم هذا الجواب فلنا طريق آخر لحلّ شهادة انوكنتيوس الثالث . وهو ان نقول ان البابا قصد بتلك الرسالة تحريض الموارنة على الثبات في الايمان وتحذيرهم من غش الملكيين . وان لم يعجب الخصم ذلك نقول بأن البابا انوكنتيوس أشار الى ماذكره ابن القلاعي من ان راهبين من الموارنة اطغيا طائفة يسيرة من أمة الموارنة . ثم تابت في عهد البابا انوكنتيوس الثالث . أجيب : يريد الخصم من ذلك تبطيل شهادة الحبر الاعظم ظلماً أو عدلاً . ويمكنه اذ ذاك تبطيل أوضح ما يكون من الحقائق حتى أخصّ مايوجد في الانجيل الالهيّ نفسه . ولما كان مرادنا في هذا الكتاب اظهار الحق فسبيلنا ان نعرض عن كل ما من شأنه ان يغشي وجهه بغشاء الخداع والمكابرة . ثم نقول ان حكاية ابن القلاعي عن الراهبين اللذين اطغيا الموارنة في زمان البابا انوكنتيوس الثالث لانقبلها أبداً . فان القلاعي لم يكن نبياً ليعرف في القرن الخامس عشر أموراً حدثت في مبادئ القرن الثاني عشر . أليس هذا هو جبرائيل الذي نسب الى يوحنا مارون الحوادث التي جرت في مبادئ القرن الثالث عشر . وأما غشّ الملكيين الذي أشار اليه الخصم فليس هو الاّ من اختراع مخيلته . وهو قول مهين جداً لهذه الملة القديمة . ونسأل الخصم قائلين : أي الملتين قد خاف الكرسي الرسولي من غشها هل الملة الملكية التي لما رجعت الى حضن الكنيسة الكاثليكية تركها الكرسي الرسولي على جميع طقوسها وعوائدها ورسومها ولم يفرض عليها سوى الطاعة للكنيسة الرومانية وقبول معتقد انبثاق روح القدس من

الابن أم المارونية التي فرض عليها ان ترفض هرطقات وضلالات وان تغير طقوسها ورسومها وعوائدها ؟

هذا كل ما استطاع السيد يوسف الدبس ان يعترض به أولاً وآخراً على شهادة انوكنتيوس الثالث البابا . واذ كان كله واهياً كما رأيت ثبتت هذه الشهادة الجليلة المحترمة على قوتها كلها وأخزت كل مقاوم يدّعي ان الموارنة لم يكونوا قط خارجين عن حضن الكنيسة الكاثليكية ولا ضالين بضلال المشيئة الواحدة .



الفصل السابع عشر

في شهادة يعقوب دي وِتري

كان يعقوب دي وتري من الافرنج الذين سكنوا بلاد سورية في القرن الثالث عشر . وفي سنة ١٢١٨ سيم مطرانا على مدينة عكا . ثم في سنة ١٢٢٩ صير كردنالاً وكان الحبر الاعظم يريد ان ينصبه بطريركا على أورشليم ولكنه توفي قبل نجاز هذا الامر .

فهذا يعقوب كتب في اللاتينية تواريخ أورشليم أي أخبار ماجرى من الحروب في أرض فلسطين بين الافرنج الصليبيين وبين الاسلام . وفي الكتاب الذي ألفه قد أدى شهادةً جلية تؤيد شهادة غليم الصوري وشهادة البابا انوكنتيوس الثالث . قال يعقوب دى وتري في الفصل ٧٧ من الكتاب ١ من تواريخ أورشليم في الوجه ١٠٩٣ من المجموع المسمى Gesta Dei per francos, (مآثر الله على يد الافرنج) :

« Quidam autem homines circa juga Libani in Phœnice provincia non longe ab urbe Bibliensi inhabitantes numero non pauci, arcubus et sagittis in praeliis educati et expediti, Maronitae nominatur a quodam majistro suo Marone qui unam voluntatum et unam tantum operationem in Christo asserebat. cujus erroris auctor extitit quidam Antiochenus episcopus Macarius. Hic autem cum suis complicibus in Synodo VI[a] Constantinopolitana ad quam 150 patres convenerunt, condemnatus est, et tamquam heresiarcha vinculo anathematis innodatus, ab Ecclesia fidelium est ejectus. . .Praedictus igitur Maro diabolica illusione imprudenter obcoecatus, multos habuit sui erroris sequaces, quos Maronitas dicunt, qui per annos fere 500 ab.Ecclesia Sancta et consortio fidelium sequestrati sua conficiunt sacramenta. qui tamen postea redeuntes ad cor in praesentia venerabilis patris Aimerici Antiocheni patriarchae fidem catholicam profitentes et errorem praedictum abjurantes, S. Romanae Ecclesiae secuti sunt traditionem, Unde cum omnes Orientales praelati, exceptis dumtaxat Latinis, annulis et mitris pontificalibus non utantur nec baculos pastorales gestent in manibus, nec usum habeant campanarum sed percussis baculo vel tabulis populum ad Ecclesiam soliti sunt congergare, hi praedicti Maronitae in signum obedientiae, consuetudinem et ritus observant Latinorum. Unde et eorum Patriarcha interfuit concilio generali Lateranensi. »

« ان في نواحي جبال لبنان في مقاطعة فونيقي قوماً يسكنون بقرب مدينة « جبيل عددهم غير يسير وهم مدربون بالحروب ومشهورون بقسيهم وسهامهم . ويسمون « موارنة نسبة الى امام كان لهم اسمه مارون كان يقول بمشيئة واحدة وفعل واحد « في المسيح . ومبدع هذا الضلال كان رجلاً اسمه مقاريوس بطريرك انطاكية . « وهذا مع أصحابه حكم عليه في المجمع السادس القسطنطيني الذي اجتمع فيه مائة « وخمسون اسقفاً . وحرم حرم المبتدعين ونزع من جماعة المؤمنين .... ومارون « المذكور المتعامه بغواية الشيطان قد تبعه كثيرون في ضلالته وسموا موارنة . وبقوا « نحو خمسمائة سنة مفصولين عن الكنيسة المقدسة وعن شركة المؤمنين وهم يقضون « أسرارهم على حدة . ولكنهم بعد ذلك أرعووا بحضرة الاب المحترم ايمريك « البطريرك الانطاكي وتمسكوا بالايمان الكاثليكي وجحدوا الضلالة المذكورة وتبعوا « تعليم الكنيسة الرومانية المقدسة . ولهذا لما كان جميع الاساقفة الشرقيين دون

« اللاتينيين وحدهم لا يستعملون الخاتم والتاج الحبريين ولا يحملون عكاكيز بأيديهم .
« ولا يستعملون النواقيس . بل من شأنهم ان يقرعوا بالعصا او بالالواح لجمع الجماعة الى
« الكنيسة اختلف منهم هؤلاء الموارنة المذكورون اذ اتخذوا عوائد اللاتينيين
« وطقوسهم دليلاً على طاعتهم . ولذلك فبطريركهم حضر المجمع اللاتراني المسكوني » .

هل يمكن ان يؤدى شهادة أجلى وأصدق من هذه لبيان ما كان عليه الموارنة قبل رجوعهم الى حضن الكنيسة الكاثليكية وما صاروا عليه بعد ذلك . ونحن نعتقد ان وضوح هذه الشهادة يغني عن شرحها فنكتفي بايرادها ولا نمل القاري باطالة الكلام فيها . غير اننا لنا ان نبين ثلاثة أشياء حذرًا من كل اعتراض يمكن ان يعارض به خصمنا هذه الشهادة .

الاول ان هذا يعقوب لم ينقل شهادته عن غليلم الصوري . وذلك بين من الفرق الكبير الموجود بين كلام غليلم و بين كلام يعقوب فان يعقوب ذكر مقاريوس المنوثليتي واختلاف الاساقفة الشرقيين من اللاتينيين في علامات الحبرية واتباع الموارنة هذه العادة وحضور بطريركهم المجمع اللاتراني وهذا كله لم يذكره غليلم . واما غليلم فأتي بتفصيلات أخرى عن عدد الموارنة ومنافعهم للافرنج وفرح اللاتين برجوعهم الى الكنيسة ووقوعهم في ضلالات غير المنوثليتية وغير ذلك مما لا أثر له عند يعقوب .

الثاني ان يعقوب لم يكذب في روايته هذه . وهذا واضح من انه لم يمكن ان يرجو شيئًا من كذبه بل كان له ان يخاف على نفسه من غيظ الموارنة هذا وانه قد مدحهم فلم يكن اذًا عدوًا لهم . وما الذي كان يحمله ان يكذب عليهم هذا الكذب الشنيع .

الثالث ان يعقوب لم يتوهم في روايته هذه وذلك واضح (١) من ان شهادته توافق جميع الآثار القديمة ولاسيما كتب الموارنة القديمة . و (٢) من ان يعقوب سكن زمانًا في بلاد سورية وقريبًا من الموارنة لانه كان مطرانًا بينهم . لان مدينة

عكا التي كان يعقوب راعيها لا بد من انه كان فيها كثير من الموارنة . فكيف كان يمكن ان يتوهم في حقيقة ما كان اصلياً في مذهب هذه الامة وما كانت به تتميز عن سائر الملل النصرانية . كذلك لم يكن ممكناً ان يتوهم في أمر رجوع هذه الطائفة الى الكنيسة الكاثليكية لان ذلك كان أمراً شائعاً معروفاً عند كل أحد حتى بلغ خبره عاجلاً الى بلاد أوروبا . ومن كان يتجاسر ان يخترع أكذوبة مثل هذه في تغييرات كبيرة من مذهب الى مذهب ويسلكها بين الناس حتى يغتر بها عظماء الارض وهم الاساقفة المقلدون سياسة الجماهير في دينهم والمؤرخون أنفسهم . وأعظم من كل ذلك هو ان ماحكاه يعقوب حدث في عصره . فان رجوع الموارنة على يد ايمريك حدث في زمان حداثته .وتثبيته على يد الكرسي الرسولي حدث قبلما سيم مطراناً بنحو ثلاث سنين .



الفصل الثامن عشر

في شهادة ابي اسحاق

ابن العسال القبطي

اشتهر هذا المؤلف القبطي اليعقوبي في القرن الثالث عشر بمصنفات كثيرة عربية في معان شتى . ومن جملتها كتاب فصول الدين . وفيه شهادة عن مذهب الموارنة القدماء .

فاعلم ان أبا اسحاق بن العسال في فصول الدين (ورقة ٨٠ من المصحف الواتيكاني العربي ١٠٣) بعد ما ذكر فرق النصرانية الموجودة في زمانه قال : « اما

« الفرقة الثانية وهي الروم الملكية ومن تبعهم ووافقهم من فرنج وكرج فاعتقادهم ان
« المسيح له المجد جوهران الخ »

وقال في ورقة ٨١ : « اما الموارنة فعلى ماحكاه سعيد بن بطريق بطريرك
« الملكية . وليس هو من المحققين قال انهم يعتقدون ان للمسيح طبيعتين ومشيئة واحدة
« وفعل واحد وأقنوم واحد . وقيل انهم في هذا العصر مالوا الى اعتقاد الفرنج
« وانتقلوا اليه فهو اعتقاد الملكية . ولم أتحقق ذلك » . أيقدر الموارنة ان يعترضوا
بشيء على صدق هذا المؤلف . وخلوصه أوضح من رابعة الشمس . فيتبين اذاً من
شهادة ابن العسال ان المارونية كانت فرقة مميزة من الملكيين والافرنج في أمر المعتقد
بتجسد المسيح . فكانوا اذاً قبل انحيازهم الى الافرنج المذكور هنا يذهبون غير مذهب
الافرنج في أمر التجسد الالهي .

ولا عجب في ان ابا اسحق خامره الشك في قول سعيد بن بطريق عن حقيقة
مذهب الموارنة لانه كان قبطياً يعقوبياً مبغضاً للملكيين . وكان الاقباط خاصةً
يبغضون سعيد بن بطريق لكثرة ما طعن في طائفتهم بتواريخه حتى ان واحداً منهم
وهو سويرس اسقف الاشمونيين الف كتاباً للردّ عليه . ثم ان ابا اسحق اذ كان
يرى بين الموارنة واليعاقبة تقارباً وتحابياً لم يقبل ان يقنع بان الموارنة كانوا يعتقدون
بالطبيعتين كما قال سعيد بن بطريق . بل كان يودّ لو قال انهم يعتقدون بطبيعة
واحدة مثل الاقباط ابناء طائفته كما قال انهم يعتقدون بمشيئة واحدة . واما سبب
قوله انه لم يتحقق خبر ميل الموارنة الى الافرنج هو لانه كان يودّ لو بقي الموارنة على
حالهم . لان مذهبهم الديني كان الى مذهب طائفته اقرب من مذهب الافرنج . وعلى
كل حال يظهر من هذه الشهادة امران مؤكدان : الاول ان مذهب الافرنج لم
يكن كمذهب الموارنة قبل انحيازهم اليهم بل كان كمذهب الملكيين . والثاني انه كان

قد شاع الخبر و بلغ بلاد مصر بان الموارنة في نحو ذلك الزمان تركوا مذهبهم وتقلدوا مذهب الافرنج كما روي غليلم الصوري و يعقوب دي وتري .



الفصل التاسع عشر

في شهادة الصفيّ

ابي الفضائل القبطي

هذا المؤلف كان اخا ابي اسحق بن العسال المار ذكره في الفصل السابق. ومن جملة مصنفاته كتاب الصحائح في الرد على الصائح . والصائح كناية عن كتاب لاحد الاسلام اسمه نهج السبيل في جواب ما في الانجيل . فيه اعتراضات على دين النصارى رد عليها ابو الفضائل المذكور . وفي موضع من كتابه ذكر الموارنة حيث قال (في المصحف الواتيكاني العربي ٣٨ ورقة ٤٥) : « وليست فرقة اليعقوبية « وحدها تقول ان المسيح هو الله وان مريم والدة الله . بل سائر الفرق النصرانية . « الملكية والفرنجية والمارونية خلا الفرقة النسطورية فانهم لا يقولون مريم والدة الله »

ان هذا المؤلف ميز الملكية من الافرنج في امر المعتقد خلافاً لاخيه ابي اسحق . ولا غروَ فان من لا يميز هاتين الفرقتين يصدق اذ كانتا في المعتقد بتجسد المسيح سوآءً . ومن يميزها يصدق ايضاً لاختلافهما في القرون المتأخرة في امر انبثاق روح القدس . وكيفما كان الامر فبشهادة ابي الفضائل كانت الفرقة المارونية مختلفة من الملكية ومن الافرنج في امر المعتقد بتجسد المسيح في القرن الثالث عشر . ولا يقولنَّ الخصم ان ابا الفضائل عنى بالفرقة ما نسميه الان طقساً اي طائفة مميزة من غيرها

بالرسوم البيعية مما لا يمسّ جوهر الدين كما يقال عند الكاثليك طائفة السريان وطائفة الكلدان مثلاً . وبهذا المعنى اذا افترقت الموارنة من الافرنج فلا ينتج ان الموارنة لم يكونوا ارثدكسيين كالافرنج في نية ابي الفضائل . فانه لو كان مراد ابي الفضائل ان يتكلم عن فرَق طقسية لا مذهبية لذكر في عدّ الطوائف النصرانية الاقباط والارمن والحبش . ولكنه لم يذكر هذه الطوائف لانها في المذهب كانت كلها يعقوبية ولكن اقتضى ان يذكر المارونية لانها كانت في علمه مختلفة في المذهب من سائر الطوائف التي ذكرها .



الفصل العشرون

في شهادة فيلبس رئيس الرهبان

الدومنكيين اللاتيني

ان هذا فيلبس كان رئيساً على الرهبان الدومنكيين وقضى مدة من الزمان في الشرق للانذار بالانجيل . وفي سنة ١٢٣٧ بعث من بلاد الشرق الى الحبر الاعظم غريغوريوس التاسع رسالة فيها يخبره برجوع قوم كثيرين الى معرفة الحق على يده . وهذه الرسالة موجودة في تواريخ متى باريس للسنة المذكورة. فبعد ان تكلم فيها عن تكثلك بطريرك اليعاقبة وغيره من اساقفة النساطرة والاقباط قال ، « واما « الموارنة الذين يسكنون جبال لبنان فقد رجعوا من زمان الى طاعة الكنيسة وثبتوا « فيها » . وقد اورد هذه الرسالة روهرباخر المؤرخ الحديث في الكتاب ٧٣ من تواريخ الكنيسة .

ترى ان فيلبس عدَّ الموارنة مع الطوائف الشرقية التي كانت خارجة عن طاعة الكنيسة وميزها عنهن فقط بكونها قد رجعت الى هذه الطاعة وثبتت فيها قبل ذلك العهد . ولو انه لم يقل مصرّحاً ما كان ضلالها قبل رجوعها . ولكن المفهوم من كلامه بلا ريب هو انها كانت ايضاً في ضلال . فهذه الشهادة تؤيد الشهادات التي سبقت في رجوع الطائفة المارونية الى الكنيسة الكاثليكية في اواخر القرن الثاني عشر .



الفصل الحادي والعشرون

في شهادة أبي الفرج بن العبري

المفريان اليعقوبي

ان كل خبير بتواريخ الشرق ومطالع كتب السمعاني يعرف سموّ هذا الرجل العظيم الذي اشتهر وفاق اهل عصره في القرن الثالث عشر . ارتقى ابو الفرج بن العبري درجة الاسقفية في ملته سنة ١٢٤٦ وهو صغير السن . وفي سنة ١٢٦٤ صُير مفرياناً . والمفريانية عند السريان اليعاقبة كما هو معلوم كانت اول رتبة بعد رتبة البطريرك . والمقلد بها كان يسوس جميع الكنائس اليعقوبية التي في الشرق اي في العراق والجزيرة وكردستان كما كان البطريرك يستولي على كنائس الغرب . وقد صنف ابو الفرج كتباً كثيرة اظهر فيها ذكاء عقله وحذاقة ذهنه واتساع باعه في المطالعة والتحقيق . فهذا الرجل النبيل لم يبارح الدنيا من دون ان يخلف لنا شهادة عن مذهب الموارنة .

اننا نقول هنا عما قاله ابن العبري عن الموارنة نقلاً عن ديونيسيوس التلمحري

في كتاب التواريخ ونكتفي هنا بايراد شهادته الموجودة في كتابه منارة الاقداس حيث يتكلم عن مذاهب الطوائف في تجسد المسيح . واوردها السمعاني في المجلد ٢ من المكتبة الشرقية وجه ٢٩٢ وهي :

ܡܢܗܘܢ ܐܘܪܚܐ ܡܨܥܝܬܐ ܓܒܝܘ (ܒܝܬ ܗܠܝܢ ܬܪܬܝܢ ܐܘܪ̈ܚܢ ܠܒܪ . ܘܚܝܕܘܬܐ ܩܢܘܡܝܬܐ ܘܠܐ ܟܝܢܝܬܐ) ܐܡܪܘ . ܘܐܝܬܝܗܘܢ ܝܘ̈ܢܝܐ ܘܪ̈ܗܘܡܝܐ ܘܡܠ̈ܟܝܐ ܣܘ̈ܪܝܝܐ . ܘܡܪ̈ܘܢܝܐ ܣܘ̈ܪܝܝܐ ܘܐܝܒ̈ܪܝܐ ܘܪ̈ܘܣܝܐ ܘܐܠܐ̈ܢܝܐ . ܪ̈ܗܘܡܝܐ ܕܝܢ ܐܘܟܝܬ ܦܪ̈ܢܓܝܐ ܦܪ̈ܝܫܝܢ ܡܢ ܗܠܝܢ ܐܚܪ̈ܢܐ ܒܗܝ ܕܪܘܚܐ ܩܕܝܫܐ ܡܢ ܐܒܐ ܘܡܢ ܒܪܐ ܐܡܪܝܢ ܕܢܦܩ . ܘܡܪ̈ܘܢܝܐ ܦܪ̈ܝܫܝܢ ܡܢ ܟܠܗܘܢ ܒܗܝ ܕܚܕ ܨܒܝܢܐ ܘܚܕܐ ܡܥܒܕܢܘܬܐ ܠܬܪ̈ܝܢ ܟܝ̈ܢܐ ܐܡܪܝܢ . ܘܠܘ ܬܪ̈ܝܢ ܨܒܝ̈ܢܝܢ ܘܬܪ̈ܬܝܢ ܡܥܒܕ̈ܢܘܝܢ . ܐܦ ܓܝܪ ܘܟܠܗܘܢ ܡܘܕܝܢ ܚܕ ܨܒܝܢܐ ܘܚܕܐ ܡܥܒܕܢܘܬܐ ܡܘܕܝܢ ܗܘܘ ܥܕܡܐ ܠܙܒܢܐ ܕܡܩܣܝܡܘܣ ܐܒ ܕܝܪܝܐ . ܘܬܐܘܕܘܪܝܩܘܣ ܚܪܢܝܐ . ܘܝܘܚܢܢ ܕܕܡܣܩܘܣ .

« والبعض اختاروا طريقاً متوسطاً بين ذينك الطريقين (اي بين القول « بالاقنومين والقول بالطبيعة الواحدة) وقالوا باتحاد اقنومي لا طبيعي . وهم اليونان « والروم (اي الافرنج) والملكيون السريان والموارنة السريان . والايباريون . « والروسيون . والالانيون . اما الروميون اي الافرنج فيختلفون عن الباقين بقولهم ان « روح القدس ينبثق من الاب والابن . واما الموارنة فيختلفون عن كلهم باعتقادهم « مشيئة واحدة وفعلاً واحداً لذي الطبيعتين لا بمشيئتين وفعلين . وقد كان اليونان « ايضاً يعتقدون بمشيئة واحدة وفعل واحد الى زمان مكسيموس الراهب « وثئودوريقوس الحاراني ويوحنا الدمشقي » .

فترى هنا كيف ميز ابن العبري ملة الموارنة عن سائر الملل وخصها باعتقاد المشيئة الواحدة والفعل الواحد في المسيح حالة كونها تعتقد بالطبيعتين . وليس في رواية ابن العبري ما يرتاب بصحتها لانه كان اسقفاً بل مفرياناً على نصف طائفة السريان اليعقوبية . ثم انه كان قد سكن في حداثته في سورية ودرس فيها العلوم وطاف بلاداً كثيرة في عصر اشتهر بكثرة الوقائع وتقلبات الدول . ثم انه كان بارعاً في علم اللاهوت وسائر علوم الدين وصنف فيها مؤلفات كثيرة . وكان مؤرخاً محققاً وكتب تواريخ العالم الى زمانه بالسريانية والعربية . افكان يمكن ان يغلط رجل مثل هذا في امر مذهب ملة معروفة هي من جنسه اصلاً غير بعيدة عنه موقعاً ومذهباً كما كانت ملة الموارنة .

وهلمَّ الان نسمع ما اعترض به الخصم على شهادة ابن العبري في كتاب روح الردود وجه ١٣٤ وما بعده :

١ً — قال : ان ابن العبري انتحل قوله هذا في الموارنة عن سعيد بن بطريق الاسكندري ولم يطلع على حقيقة الامر بعلم وكيد .

اجيب بالانكار . فان ابن بطريق تكلم عن مارون وديره وعن حماة وقنسرين والعواصم . وابن العبري لم يذكر شيئاً من كل ذلك . ولا ذكر اسم سعيد بن بطريق في كتابه هذا . ولو كان ابن العبري قد نقل رواياته عن ابن بطريق لذكر في تواريخ القرن السادس والسابع التي كتبها بالسريانية او العربية اسم مارون المبدع الذي كتب عنه ابن بطريق . وانك لا تجد حرفاً عن هذا مارون في جميع كتب ابن العبري التاريخية . فهذا دليل على انه اما لم يقرأ كتاب ابن بطريق واما لم يثق بقوله . والدليل القاطع على ان ابن العبري لم ينتحل عن ابن بطريق هو مخالفته له في كثير من الروايات . فان كليهما كتبا تواريخ الازمان السالفة . ولكن شتانَ ما بين ما رواه

الواحد وما رواه الاخر كما يظهر من المقابلة (١).

ان القول بان ابن العبري لم يكن يعرف دين الموارنة معرفة تامة يضاهي القول مثلاً بان روهر باخر مؤرّخ عصرنا هذا لا يعرف دين تباع كلوين الفرنساويين. واما الموارنة فعندهم ابن العبري صادق في ما يعجبهم في قوله عن اجدادهم انهم كانوا يقبلون المجمع الخلقيدوني وكاذب في ما لا يعجبهم كقوله عنهم انهم كانوا يقولون بالمشيئة الواحدة. يا له من شرع غريب.

٢ً - قال ان ابن العبري انتحل ما قاله عن توما الكفرطابي.

اجيب اين قرأ خصمنا في كتب ابن العبري انه ذكر توما الكفرطابي او عرف اسمه او نقل عنه شيئاً. فهذا قول مردود من عين اصله لانه بلا اسناد ولا له شبه حق. ونقول لخصومنا ان قلتم ان ابن العبري قد انتحل ما قاله في الموارنة عن سعيد بن بطريق وعن توما الكفرطابي فقولوا لنا ايضاً عمن انتحل ما قاله في اليونان والروم والملكيين والايباريين والروسيين والالانيين وسائر ما اودعه في تواريخه السريانية والعربية.

٣ً - قال: ان ما قاله ابن العبري في مكسيموس الذي دافع عن معتقد المشيئتين انما رواه عن ابن بطريق وعن توما الكفرطابي.

اجيب: ان قصة مكسيموس كان يعرفها ابن العبري احسن من توما الكفرطابي واحسن من سعيد بن بطريق والشاهد تواريخه السريانيـة المستوعبة من ذكره واخباره وان يكن قد جعل مكسيموس صاحب بدعة جديدة لانه هو منوفيسيتي ولكنه في رواياته التاريخية قد تتبع الحق.

---

(١) ومع هذا كله لم يتوقف اسطفان عواد السمعاني عن ان يقول في وجه ٤١١ من المجلد ٢ من أخبار الشهداء ان ابن العبري انتحل تواريخه عن سعيد ابن بطريق. يا للعجب من علماء الموارنة انه لو كان يقول ان أبي الفداء قد نقل تواريخه عن يوحنا الدمشقي مثلا لما قال قولا أغرب من هذا.

٤ً – قال : قد كذب ابن العبري اذ قال عن اليونان بانهم كانوا قبل عهد مكسيموس يعتقدون بالمشيئة الواحدة فاذًا قد كذب في ما قاله عن الموارنة .

اجيب : (١) ان الموارنة كانوا قومًا حيًا موجودًا في زمان ابن العبري قريبًا اليه . واما اليونان قبل زمان مكسيموس فكانوا قومًا قد انقرضوا من نحو ستمائة سنة . فامكان التوهم في امرهم سهل جدًا خلافًا لامر مذهب الموارنة.(٢) يجب ان نعتبر ان ابن العبري كان من المعتقدين بالمشيئة الواحدة . وبموجب مذهبه كان معتقد المشيئتين بدعة جديدة . فلا عجب اذا قال ان اليونان قبل مكسيموس كانوا يعتقدون بالمشيئة الواحدة كما ان النساطرة يقولون ولو كذبًا ان الطوائف كلها كانت تعتقد بالاقنومين قبل المجمع الثالث . والبروتستنت يدّعون ولو زورًا ان الكنيسة قبل القرن الرابع او الخامس كانت انجيلية على مذهبهم . فهل يجب لذلك رفض كل ما يريده النساطرة والبروتستنت ولو عن امور زمانهم . فهذا قول ابن العبري قول مذهبي لا قول تاريخي . فلا يقاس عليه ما قاله تاريخيًا في مذهب الطوائف التي عدّها . وليس هو اول من قال هذا القول . بل قاله قبله وبعده بلسان واحد جميع القائلين بالمشيئة الواحدة من سريان واقباط وارمن . راجع في الفصل الثامن ما نقلناه عن يشوعياب البطريرك النسطوري الذي عاش في القرن السابع الذي فيه نشأت شيعة الموارنة حيث يقول (ولو افتراء) ان الكاثليك في زمانه احدثوا معتقدًا جديدًا وهو القول بالمشيئتين والفعلين في المسيح . وما قاله التلمحري ديونيسيوس في الفصل السادس من الباب الثاني . وقد صدق ابن العبري في قوله (كما افاد السمعاني) ان اليونان التابعين مذهب ملوك الروم في البطريركيات القسطنطينية والاسكندرية والانطاكية كانوا منوثليتيين قبل المجمع السادس لان بطاركتهم كانوا اعضاء هذه البدعة واركانها كما هو معلوم .

٥ً – قال : انه في زمان ابن العبري لم يكن من الموارنة احد يقول بالمشيئة

الواحدة . لان غليلم شهد انهم في اواخر القرن الثاني عشر انضموا الى الكنيسة الرومانية .

اجيب ان كان الخصوم يصدقون رواية غليلم عن ترك الموارنة مذهبهم في زمانه فيكون ما قاله ابن العبري ليس عن حالهم قبل رجوعهم بل بعد رجوعهم الى حضن الكنيسة . وان كانوا لا يصدقون قول غليلم فلمَ يتخذون شهادته حجة على ما قاله ابن العبري . وكيف كان الامر فان غليلم لم يقل ان جميع الموارنة رفضوا ضلالهم بل البطريرك و بعض اساقفتهم كما رأيت في الشهادة التي اوردناها منه . فما قاله اذًا ابن العبري عن الموارنة لم يقله عن الذين تركوا مذهبهم بل عن الذين لبثوا على معتقدهم الاول .

وناهيك ان المنوثليتية لم تضمحل من الامة المارونية تماماً بصلحها مع الكنيسة الرومانية في ايام البابا انوكنتيوس بل ظهرت فيها علامات تلك الضلالة الى زمان البابا اوجانيوس الرابع الذي على يده تجدَّد صلح الطائفة . ثم تم في عهد غريغوريوس الثالث عشر . وسبب ذلك اما ان توبة الموارنة لم تكن قبلاً ثابتة فضلوا ثانية بعد توبتهم . واما ان الذين تابوا كانوا جانباً من الطائفة لا كلها كما ذكر غليلم الصوري وان التواريخ الصحيحة تخبرنا ان الملكيين في مدينة طرابلس رجعوا الى طاعة الكنيسة الرومانية في عهد البابا انوكنتيوس الثالث كما شهد هو في رسالته الشهيرة الى بطريرك الموارنة فهل ينتج من ذلك انه لم يكن بعد ذلك العصر ملكية منشقون في مدينة طرابلس .



الفصل الثاني والعشرون

في شهادة مارينس سنوتس البندقي

هذا كان مؤرخاً ولد في مدينة بندقية من اعمال ايطاليا في اواخر القرن الثالث عشر. وتوجه خمس مرات الى بلاد الشرق ليقف على حقيقة احوال اهلها ويطلع على امورهم بكل ضبط وجمع كل ما وقف عليه في كتاب سماه: خفايا المؤمنين الصليبيين. وقدَّمه الى قداسة الحبر الاعظم يوحنا الثاني والعشرين في مبادئ القرن الرابع عشر. وقد نشر هذا الكتاب صاحب المجموعة المسماة مآثر الله على يد الافرنج المطبوعة سنة ١٦١١. قال مؤلف كتاب، خفايا المومنين الصليبيين في الفاتحة:

Marinus Sanutus . . . Cardinalis, qui totis temporibus vitae suae conditiones terrae sanctae . . et aliarum terrarum de ultra maris inquirere concupivit. . . cum omni diligentia . . exponit . .

« مارينس سنوتس الكردينال الذي في جميع أيام حياته أحب ان يبحث عن « أحوال الارض المقدسة وأراض أخرى ماوراء البحر وشرح كل ذلك باجتهاد. »

وبعد ماتكلم في متن كتابه عن أحوال الطوائف الشرقية تطرف الى الكلام عن الطائفة المارونية. في وجه ١٨٣ من المجلد الثاني من المجموعة المذكورة وهو الفصل الثاني من الجزء الثامن من الكتاب الثالث. فقال:

«Sunt et alii . . Maronitae a quodam suo magistro Marone vocati ; qui unam tantum operationem atque voluntatem asserunt, cujus erroris extitit quidam Macarius Antiochenus antistes in VIª Constantinopolitana Synodo condemnatus et tamquam haeresiarcha ab universalitatae fidelium est ejectus, Hi quidem maronitae ... per annos 500 ab Ecclesiae sanctae fidelium consortio sequestrati, sua conficiebant ad libitum sacramenta, qui tamen postea reverentes ad cor tempore ultimi Balduini regis in praesentia venerabilis Aimerici Antiocheni Patriarchae fidem Catholicam profitentes S. Romanae Ecclesiae traditiones secuti sunt.»

« ومنهم قوم يقال لهم موارنة على اسم رجل اسمه مارون كان اماماً لهم . وهم
« يقولون بمشيئة واحدة وفعل واحد في المسيح . وكان مبدع هـذه الضلالة رجل
« اسمه مقاريوس كان بطريركا على انطاكية . فحرم في المجمع السادس القسطنطيني
« ونفي من جماعة المؤمنين كالملحدين . ثم ان هؤلاء الموارنة انفصلوا عن شركة
« المؤمنين أولاد الكنيسة المقدسة مدة خمسمائة سنة . وكانوا يقضون أسرارهم على
« خاطرهم . ولكنهم بعد ذلك ارعووا في زمان بلدوين الملك الاخير واعترفوا بالايمان
« الكاثليكي بحضرة ايمريك البطريرك الانطاكي المحترم وتبعوا تعاليم الكنيسة
« الرومانية . »

ان هـذه الشهادة لاتحتاج الى شرح ولا الى تزكية . اذ ان الذي قررها قد زار بلاد سورية خمس مرات للوقوف على أحوال أهلها وعوائدهم وما أشبه ذلك . وقد تأيدت شهادته بشهادة الحبر الاعظم الذي قدم هذا المصنف اليه كتابه فقبله .

ولكن لعل الخصوم يعترضون على شهادة مارينس بقولهم ان هـذا قرأ كتاب يعقوب دي وتري ونقل عنه مارواه عن الموارنة . فأجيب : لو صح ذلك أيضاً لما نتج منه ان مارينس كذب أو غلط . لانه لولم يحقق بنفسه ما قرأه في كتاب يعقوب لما نقله الى كتابه هذا اذا افترضنا انه نقله عنه . وهذا الكردينال كان مخبراً عيانياً معاصراً للامور التي رواها . وكم من المؤرخين تتشابه رواياتهم . فلا ينتج من ذلك ان الواحد نقل عن الاخر ولا ان شهادة الواحد تحط من قدر شهادة الاخر . أليس مرقس الانجيلي قد حذا حذومتى الانجيلي في أغلب رواياته حرفاً بحرف . وهل تنقص بذلك قيمة شهادة مرقس .

الفصل الثالث والعشرون

في شهادة هيثون الارمني

هذا المؤرخ الارمني كتب في مبادئ القرن الرابع عشر كتاباً في التتر. وفي الفصل ١٤ من الجزء ١ من هذا الكتاب الموجود في الكتاب المسمى الدائرة الجديدة العالمية (Novus Orbis Regionum) المطبوع سنة ١٥٣٧ ذكر الموارنة حيث قال في وجه ٤٢٧ ما ترجمته اللاتينية هي :

«In regno Syriae habitant diversae gentium nationes, videlicet, Graeci, Armeni, Jacobini, Nestoriani et Saraceni; ibisunt etiam aliae Christianum nationes, videlicet Syriani et Maronini. Syriani ritum tenent Graecorum, et fuerunt longo tempore obedientes sacrosanctae Romanae Ecclesiae; linguam loquntur arabicam, sed officium Ecclesiae dicunt in litteris Graecis. Maronini vero tenent ritum Jacobitarum et linguam et litteras Arabicas habent.»

« انه في مملكة سورية تسكن شعوب شتى من الناس أي يونان وأرمن ويعاقبة « ونساطرة وسراكسة. وهناك أيضاً أقوام أخرى نصرانية. أي السريان (الملكيون) « والموارنة. اما السريان فيستعملون طقس اليونان وقد كانوا مدة مديدة طائعين « للكنيسة الرومانية المقدسة. وهم يتكلمون باللغة العربية. ولكنهم يؤدون فرائض « الكنيسة بالحروف اليونانية. واما الموارنة فيستعملون طقس اليعاقبة واللغة العربية « والحروف العربية. »

ترى ان كل ما قاله هذا هيثون (Haython) في طوائف بلاد سورية قد أصاب فيه ولا يمكن الاعتراض عليه بشيء سوى انه لم يذكر ان الموارنة قد أطاعوا قبل سنين قليلة الكنيسة الرومانية. وسبب ذلك اما انه لم يبلغه

خبر توبتهم. وما انهم في زمان هيثون كانوا قد نقضوا توبتهم. ورجعوا الى شأنهم الاوّل.

وقد صدق هيثون في قوله ان الملكيين كانوا طائعين للكنيسة الرومانية مدة طويلة: فانهم بالحقيقة كانوا كذلك في مدة الاجيال القديمة الى حين انشقاقهم من الكنيسة الكاثليكية الذي بدأ في القرن الحادي عشر وتم حين خالفوا رسوم المجمع الفلورنتيني المسكوني.



الفصل الرابع والعشرون

في شهادة موسى بن عطشية القبطي

ان هذا المؤلف عاش في منتصف القرن الخامس عشر. وله كتاب فيه دافع عن مذهب الطبيعة الواحدة. وذكر مارون في كتابه حيث قال (في المصحف الواتيكاني العربي ٧٤ ورقة ١٥٢): « ماقدر مارون ان يغير الامانة المقدسة التي « كرز بها يعقوب (البرادعي) فتحيل وفتق فتق وقال اني أصلب بالاصبعين وأقول « طبيعتين ومشيئة واحـدة بعد الاتحاد ». وقال في ورقة ١٤٣: « الذين تبعوا مارون (سموا) موارنة ».

أراد هذا المؤلف بقوله اصلب بالاصبعين ان يشير الى عادة الموارنة في تصليبهم على وجههم بأصبعين خلافاً لليعاقبة الذين يصلبون بأصبع واحد. وقد أشار الى ذلك جبرائيل بن القلاعي حيث قال في ابيات له: « ابن شعبان كان من ماردين. منه

تناسل الطغيان . من أصله كان يوناني . و بعد ذلك صار ماروني . جاء اليه داسوس ملعون . يدعي عيسى باسم مطران . علمون يصلبون بواحد صابع . و ينكرون مجمع الرابع » . فقد ثبت من كلام موسى بن عطشية القبطي ان الموارنة كانوا يقولون بمشيئة واحدة في المسيح .



الفصل الخامس والعشرون

في شهادة بولس الراهب

اسقف صيدا الملكي

هذا الاسقف الملكي عاش في القرن الخامس عشر (١) . وله كتاب في العربية يوجد منه نسخة بخط يد المؤلف في المكتبة الواتيكانية برومية . وفيه (ورقة ٤٨ من المصحف الواتيكاني العربي ١١١) يقال : « اما الموارنة فيعتقدون انه (أي المسيح) اقنوم واحد الاهي وطبيعتان . « طبيعة الاهية وطبيعة انسانية وفعل واحد الاهي ومشيئة واحدة الاهية » . وهذه الشهادة تثبت ما قررناه سابقاً من ان الموارنة لم يثبتوا زماناً على الصلح الذي عقدوه في عهد البابا انو كنتيوس الثالث كما سيتبين في الفصول الاتية .

(١) *** راجع في الملحق مقالتنا في شهادة هذا الاسقف .

الفصل السادس والعشرون

في شهادة ملخص تواريخ

الحروب المقدسة

ان هذا المؤلف غير المذكور اسمه كتب مختصر أخبار الحروب المقدسة أي تواريخ الصليبيين الذين فتحوا النواحي الغربية من بلاد سورية . وهو قد قضى زماناً في بلاد القدس كما ذكر في كتابه . وذكر ايضاً انه الفه سنة ١٤٢٢ . وهذا الكتاب موجود في المجلد ٦ من المجموعـة المسماة : « Collectio monunmntorum ecelesiasticorum et historicorum (auctore Canisio).»

اي « مجموع الآثار البيعية والتاريخية التي جمعها كانيسيوس » وفي وجه ٤٣٤ يقال عن الموارنة .

«Sunt alii Phoemice provincia circa montem Libani habitantes numero (haud) pauci arcubus et sagittis edocti. Maronitae nuncupantur a quodam magistro Marone dicto qui unam voluntatem et unam tantum operationem in Christo asserebat ; cujus auctor extitit quidam Antiochenus Macarius. Utuntur autem praedictae Marouitae littera Chaldaica et lingua Saraccna sive Arabica.»

« ثم ان في بلاد فونيقي قوماً يسكنون نواحي جبل لبنان عددهم قليل وهم مشهورون « بالقوس والسهام . ويقال لهم موارنة نسبة الى رجل اسمه مارون كان امامهم وكان « يقول بمشيئة واحدة وفعل واحد في المسيح . ومبدع هذا الضلال كان رجلا يقال له « مقاريوس الانطاكي . والموارنة المذكورون يستعملون الحروف الكلدانية واللغة السركسية اي العربية » .

ترى ان هذا المؤلف لم يتكلم عن الموارنة الذين دخلوا في عهد البابا انوكنتيوس

الثالث تحت طاعة الكنيسة الرومانية بل عن الذين منهم كانوا باقين على حالهم الاول وقال ان عددهم كان نزرًا .



الفصل السابع والعشرون

في شهادة اوجانيوس الرابع الحبر الاعظم

.. ان الصلح الذي عقدته الامة المارونية في عهد البابا انوكنتيوس الثالث اما لم يكن عامًا للامة كلها . واما لم يمر على الذين عقدوه زمن طويل حتى جددوه في جزيرة قبرص في اواسط القرن الخامس عشر على يد اوجانيوس الرابع الحبر الاعظم . كما يتبين من خطبة الحبر الاعظم التي تلاها سنة ١٤٤٥ في المجمع اللاتراني الذي كان تتمة المجمع الفلورنتيني المشهور وفيها شرح ما كان قاصده اندراوس المطران القولسي قد وفقه المولى عليه من ترجيع المنشقين النساطرة والموارنة في جزيرة قبرص الى حظيرة الكنيسة . فقال في اخبار المجمع الفلورنتيني طبعة يستينياني وجه ٣٨٧ :

«Helium episcopum Maronitarum, qui cum sua natione Macarii dogmatibus in codem regno infectus cum omni multitudine populorum et clericorum in insula Cypri ei subjecta, ad veritatem fidei òrthodoxae convertit,»

« انه (اي اندراوس المذكور) ردَّ الى حقيقة الايمان القويم ايليا اسقف الموارنة الذي كان ملوّثًا مع قومه باعتقادات مقاريوس (المنوثليتي) في المملكة المذكورة مع غفير من الشعب والاقليرس الخاضعين له في جزيرة قبرص ». ثم قال :

«Helias vero Maronitarum episcopus, nuncium de fide Romanae Ecclesiae . . solemnem professionem (emissurum) ad nos usque misit. .»

« واما ايليا اسقف الموارنة فارسل الينا رسولاً ليقرّر باحتفالٍ اعترافه بايمان الكنيسة الرومانية » .

ثم بعدما ذكر صورة تقرير الايمان الذي اداه طيمثاوس مطران النساطرة قال :

Similem per omnia professionem dilectus in Christo filius Isaac nuncius venerabilis fratris nostri Heliae episcopi Maronitarum ipsius vice et nomine, reprobando Macarii de unica voluntate in Christo haeresim cum multa veneratione emisii.

« ومثل هذا التقرير عينه اصلاً قرّر باحترام جزيل ولدنا الحبيب بالمسيح
« اسحاق رسول اخينا المحترم ايليا اسقف الموارنة نيابةً عنه وباسمه رافضاً هرطقة
« مقاريوس القائل بالمشيئة الواحدة في المسيح » (١) .

اننا لسنا ندري هل كان يقدر اوجانيوس البابا المشار اليه ان يقول بكلام اوضح من هذا بان الموارنة في جزيرة قبرص من اسقفهم الى شعبهم كانوا في عصره ضالين ببدعة المشيئة الواحدة ثم رفضوها بهمة اندراوس قاصده الرسولي وكرّروا رفض البدعة المنوثليتية على يد رسول اسقفهم في رومية نفسها بحضور الحبر الاعظم وجميع اباء المجمع اللاتراني . فهذه الشهادة ليست من اوجانيوس الرابع وحده بل من جميع اباء المجمع اللاتراني .

فالموارنة الذين يرفضون هذه الشهادة يقعون لا محالة في شائبتين عظيمتين بل

---

(١) ورد في التواريخ ان موارنة جزيرة قبرص منذ ١٣٤٠ في عهد البابا بندكتوس الثالث عشر رفضوا ضلالهم بلسان اسقفهم جرجس وتمسكوا بطاعة الكنيسة الرومانية مع اليونان والنساطرة والارمن واليعاقبة . وذلك في مجمع عقده ايليا مطران تلك الجزيرة الكاثاليكي كما في وجه ٢٤٣٢ وما بعد من المجلد الثاني من تمة كتاب المجامع للباي . فهذه التوبة لم يثبت عليها أصحابها زماناً كما هو واضح حتى اقتضى ان يجددوها في عهد البابا أوجانيوس الرابع .

جريمتين جسيمتين . الاولى انهم يدعون لانفسهم معرفة حال الامة المارونية في القرن الخامس عشر احسن من الحبر الاعظم والكردنالات واساقفة المجمع اللاتراني الذين كانوا في ذلك العصر ورأوا القاصد الرسولي الذي اخبر برجوع الموارنة في جزيرة قبرص على يده ورأوا وسمعوا اسحاق رسول اسقف الموارنة اذ قرّر بحضرتهم رفض الهرطقة المنوثليتية باسم اسقفه وشعبه . الثانية انهم يجعلون اوجانيوس الحبر الاعظم مع جميع كردنالات الكنيسة الرومانية واساقفة الكنيسة الكاثليكية في غاية قاصية من الجهل حتى انهم ظنوا ان الطائفة المارونية كانت تعتقد بالمشيئة الواحدة مع ان عكس ذلك على قولهم واضح كل الوضوح . لا بل اننا نقول لخصمنا ان كان الحبر الاعظم قد عرف ان موارنة قبرص لم يكونوا من رعيته اي من الكنيسة الكاثليكية فلا بد من انهم لم يكونوا حقيقةً كاثليكيين . وكيف كان يمكن ان يكونوا من رعيته وهو لا يعلم بهم . واي راعٍ لا يعرف رعيته (١) .

وقد أثبت هذه شهادة البابا أو جانيوس الرابع غيره من الاحبار الاعظمين منهم نابغة عصره العلامة بندكتس الرابع عشر حيث قال في براءته المبدوءة « Allatae sunt » أي وردت عدد ٥

Eugenius Pontifex, Florentia Romam profectus, legatos etiam regis Aethiopum excepit : ac Syros Chaldaeos et Maronitas ad obedientiam Romanae Sedis redegit.

« ان أوجانيوس الحبر بعد ما جاء من فلورنسا الى رومية قبل أيضاً سفراء « ملك الحبشة . وادخل في طاعة الكرسي الرسولي الروماني السريان والكلدان

---

(١) ان السمعاني في وجه ١٤١ من مقالته في السريان والنساطرة ذكر ان اوجانيوس الرابع البابا اقتبل رجوع نساطرة قبرص وبطريرك اليعاقبة السريان والاقباط والحبش ولم يسطر كلمة واحدة يذكر فيها رجوع الموارنة . فاسمع وتعجب من علماء الموارنة حتى السمعاني .

« والموارنة » . فترى ان بندكتوس الحبر الاعظم في هذه الكلمات قد ساوى الموارنة مع اليعاقبة والنساطرة في الرجوع الى طاعة الكنيسة الرومانية .

فهلم الان نسمع ما اعترض به المطران يوسف الدبس على شهادة البابا أوجانيوس الرابع في وجه ١٦٥ وما بعده :

١ً — قال : اذا صح ما قاله اوجانيوس الرابع عن الموارنة بحرفيته ثبت منه فقط الهرطقة على موارنة قبرص لاعلى الطائفة بأسرها . ولا تشان بذلك الطائفة كلها كما لم تشان الطائفة اللاتينية بكون بعض بنيها قد هرطقوا . — نجيب اننا نسأل الخصم قائلين ان كان صحيحاً ان موارنة قبرص كانوا ضالين بالمنوثليتية فمن أين اتتهم هذه الضلالة . ومتى اتتهم . وكم من الزمان بقوا ارثذكسيين قبل ان يهرطقوا . وحيث ان خصومنا لايريدون ان يعطوا الجواب الحقيقي عن هذه الاسئلة . فليسمعوا جوابنا الذي يعرفونه وهو ان المنوثليتية انما لحقت بموارنة قبرص من الملة المارونية بأسرها ولبثوا فيها الى عهد أوجانيوس الرابع اذ كان الصلح الذي عقدته البطريركية المارونية في عهد البابا انوكنتيوس الثالث لم يمتد الى الموارنة الذين كانوا في قبرص . وكان موارنة قبرص لم يثبتوا على الرعوى التي قضوها سابقاً سنة ١٣٤٠. فمن أين كان يمكن ان يلحق بأهل قبرص في الاعصار المتأخرة ضلال المنوثليتية المحرومة في المجمع السادس اذا كانوا كاثليكيين قبلاً . ثم لنعتبرنَّ انه لو كان اسم موارنة في الحقبة المارونية دالاً على ارثذكسيين كما يدّعي الخصم لما سمي بهذا الاسم على الاطلاق موارنة قبرص بل كان يجب ان يسموا اما منوثليتيين فقط . واما موارنة منوثليتيين على القليل لتميزهم عن سائر الموارنة الارثذكسيين . فهذا برهان على ان اسم الموارنة كان دالاً على ضلال .

«واما المثال المتخذ من الكنيسة اللاتينية فلا محل له . فان الكنيسة اللاتينية التي أما هي الكنيسة الرومانية معلمة كنائس العالم لايجوز ان تسمى كنيسة بحصر الكلام

بالمعنى الذي يقال به الكنيسة اللاتينية . فان الطائفة المارونية لم تكن في الاصل الاَّ جزءًا صغيرًا من الكنيسة الانطاكية والكنيسة السريانية . فكما ان نسل المسيح الحقيقي لم ينقطع من الكنيسة اللاتينية كذلك لم ينقطع الى اليوم من الكنيسة السريانية والفخر بذلك شامل لجميع فروع الامة السريانية على وجه العموم لا على وجه الخصوص فان هذه الكنيسة لما انشق منها النساطرة أولاً ثم اليعاقبة ثم الموارنة لبث الباقي منها أمينًا في قطيع الكنيسة وهو الذي سمي الكنيسة الملكية . الى ان لحق بالملكيين انشقاق الكنيسة القسطنطينية فلم يشأ الله سبحانه اذ ذاك ان تفرغ الامة السريانية من أبناء الميراث فألهم قلوب جماعة من الموارنة ليرعووا ويدخلوا قطيع المسيح. وبعد ذلك لحقتهم الطوائف الاخر الانطاكية التي كانت قد انشقت قبلاً .

على انه وان كان في عهد اوجانيوس الرابع لم يرجع الى وحدة الكنيسة الاَّ موارنة جزيرة قبرص فلا ينتج من ذلك عدم رجوع باقي الطائفة المارونية قبلاً الى طاعة الكرسي الرسولي في ايام البابا انوكنتيوس الثالث كما ان رجوع طيمثاوس مطران النساطرة في قبرص في عهد البابا اوجانيوس المذكور لا ينتج منه ان باقي الامة النسطورية لم يكن خارجًا عن طاعة الكنيسة . فكل ما اورده الخصم اذًا من الادلة ليثبت كيان الموارنة في قيد الطاعة الكاثليكية قبل عهد اوجانيوس وان سلمنا به فلا نسلم بوجود الطائفة المارونية منذ الازل في قيد هذه الطاعة .

٢ً – قال : ان مطران قبرص الماروني لم يرفض في زمان اوجانيوس البابا ضلالة كان فيها . بل رفض خلع الطاعة الذي كان به قد اهان حقوق البطريرك الانطاكي بشهادة اسطفانس عواد السمعاني – اجيب : ان كان موارنتنا يؤثرون شهادة عواد السمعاني على شهادة الحبر الاعظم مع ان السمعاني عاش بعد ثلاثمائة سنة او تزيد من حدوث هذه الامور فنحن لا يسعنا ان نرفض قول البابا الذي شهد بما رآه عيانًا وصرّح ان اسقف الموارنة كان ملطوخًا مع قومه باضاليل مقاريوس المنوثليتي .

٣ً ـ قال: انه في قيد حيوة البابا اوجانيوس نقش صحائف نحاسية في كنيسة مار بطرس لا يذكر فيها الموارنة بين الاقوام الذين خضعوا للكنيسة الرومانية على يد ذلك البابا وكذلك لا يوجد في تاريخ قبره الذي نقش بعد موته اسم الموارنة بين الاقوام المذكورين. ـ اجيب: (١) لا يوجد ايضاً اسم الكلدان او النساطرة في هذين النقشين. افيمكن القول ان البابا اوجانيوس قد كذب اذ صرّح ان طيمثاوس مطران النساطرة ادّى الطاعة بين يديه هو بشخصه. وفي احدهما لا ذكر للعرب والسريان المذكورين في الاخر. وفي الاخر لا ذكر لليعاقبة اي الاقباط. والصحيح ان اسم السريان المذكور في تاريخ قبر اوجانيوس شامل الموارنة والنساطرة واليعاقبة الذين كانوا كلهم سرياناً. (٢) مهما كان من ذلك فاننا لا يمكننا ان نفضل شهادة النقاشين على شهادة اثنين من الاحبار الاعظمين قد قرّرا ان الموارنة كانوا من جملة الاقوام الذين رجعوا من الضلالة في عهد البابا اوجانيوس الرابع الحبر الاعظم. فان النقاشين او الشعراء لا يمكن ان يعرفوا اولاد الكنيسة الكاثليكية كالاحبار الاعظمين الذين هم رؤوس هذه الكنيسة. فليت شعري لو كان النقاشون يذكرون اسم الموارنة في تلك الصحائف أفكان خصومنا يقتنعون بذلك ويسلمون. لا لعمري. فان كانت شهادة البابا وين اوجانيوس وبندكتس لم تقنعهم فكيف كانت تقنعهم شهادة النقاشين .

٤ً ـ قال: قد شهد الباتري غريفون البلجي سنة ١٤٦٩ ان الموارنة في جزيرة قبرص كانوا يقدسون في كنائس الافرنج والافرنج في كنائسهم. ـ اجيب (١) ان شهادة الباتري غريفون كيف كانت لا يمكن ان تكون اصدق من شهادة البابا اوجانيوس والبابا بندكتس. (٢) لا بل ان قول الباتري غريفون يوافق شهادة اوجانيوس لان مدلول كلامه هو على صلح الافرنج مع الموارنة بعد رجوع هولاء الى طاعة الكنيسة. فان موارنة قبرص رجعوا في سنة ١٤٤٥ واما الباتري غريفون

فكتب في سنة ١٤٦٩ اي بعد ٢٥ سنة من رجوعهم يوم كانوا خاضعين برمتهم للكنيسة الرومانية .



الفصل الثامن والعشرون

في اقرار بطريرك الموارنة في القرن السادس عشر بانهم كانوا في الضلال

ورد في اخبار المجمع اللاتراني الذي عقد في ايام الحبر الاعظم لاون العاشر ان بطريرك الموارنة بعث في خلال سنة ١٥١٦ برسالة الى الحبر الاعظم قرئت في الجلسة الحادية عشرة من ذلك المجمع . وفيها شكر من البطريرك للحبر الاعظم على ارساله اليهم مرسلين من الرهبان الفرنسيسيين . وقال عنهم :

Nobis sacra documenta reliquerunt, quomodo S. Chrisma sit conficiendus, quomodo etiam non sit praestolandus quadrogesimus dies antequam infans recens natus baptizaretur, sicut antea erroris tenebris obvoluti praestolari consueveramus. Nuncii praedicti nos docuerunt aliqua de contractu et impedimentis matrimonii de processione Spiritus Sancti etiam a filio, de verbis consecrationis in Missa, de purgatorio etc. etc.

« انهم قد خلفوا لنا وصايا مقدسة . وعلمونا كيف نعمل دهن الميرون . وان « لانتأخر الى اليوم الاربعين لنعمذ الطفل المولود حديثاً كما كنا معتادين سابقاً ان « نتأخر اذ كنا مكتنفين بقتام الطغيان . ثم ان المرسلين المذكورين أرشدونا الى « معرفة عقد الزواج وموانعه . وانبثاق الروح القدس من الابن أيضاً وكلمات التقديس « الواجبة في القداس والمطهر الخ . » فاذ قد اتضح اقرار بطريرك الموارنة في القرن

السادس عشر بأن طائفته كانت يوماً مكتنفة بقتام الطغيان وانها احتاجت في زمانه الى رهبان يعلمونها حقائق عقد الزواج وانبثاق روح القدس من الابن وما أشبه ذلك هل يصدق بعد ذلك ان طائفة هذا البطريرك الذي يعترف هـذا الاعتراف بين يدي رأس الكنيسة الكاثليكية ثبتت أكثر من سبع مائة سنة في طاعة الكنيسة الرومانية دون سائر الامم الشرقية وكابدت من أجل تمسكها بمعتقد هـذه الكنيسة اضطهادات وأذيات من الهراطقة والمنشقين كما يدّعي موارنة زماننا .



الفصل التاسع والعشرون

في شهادة البابا غريغريوس الثالث عشر
وشهادات اخرى متفرقة

انه في سنة ١٥٧٨ أرسل البابا غريغوريوس الثالث عشر الى مخائيل الرزي بطريرك الموارنة أسئلة شتى يستطلعه بها عن أحوالهم في أمور أسرار البيعة وغير ذلك . فرد البطريرك الجواب على تلك الاسئلة واحداً فواحداً . فأرسل حينئذ الكرسي المقدس جواباً الى البطريرك وفيه شهادة واضحة على ان الموارنة كانوا محسوبين لديه قوماً انضموا حديثاً الى الكنيسة الكاثليكية . فانه مما قيل في ذلك الجواب في الفصل الرابع :

Hunc Patriarchae concedenda videntur priscorum Patriarcharum privilegia nec deleganda facultos absolvendi ab omnibus censuris et casibus . . atque haec concessio quo fuerit amplior, eo minus ipsi videbitur laboriosus et gravis novus ad Ecclesiam Romanam reditus ac subjectio

« لا بأس أن تمنح للبطريرك (أي بطريرك الموارنة) الخصوصيات التي كانت « للبطاركة القدماء ولا يليق ان يمنع سلطان الحل من جميع الرباطات والقضايا ..... « وكلما زاد هذا الانعام وامتدّ قلَّ عليهم الثقل وخف وطاب رجوعهم الجديد الى الكنيسة الرومانية وخضوعهم لها . »

(لك ان تراجع المجلد الخامس من المجموعة المسماة Cursus Completus التي جمعها منيا (Migne) وجه ٦٨٤ .)

فترى مما تقدم انه في أواسط القرن السادس عشر كان الكرسي الرسولي الروماني يجتهد ان يكثر الانعامات لبطريرك الموارنة ليرضي خاطرهم ويثبتهم في رجوعهم الجديد الى الكنيسة الرومانية . وذلك انه في زمان البابا غريغوريوس الثالث عشر قد استعمل الكرسي الرسولي أخر علاج لادخالهم في حضن الكنيسة الكاثليكية واثباتهم فيها . وان كانوا قد تقلبوا منذ عهد البابا انوكنتيوس الثالث تقلبات شتى . أخذوا منذ عهد البابا غريغوريوس الثالث عشر يرسخون شيئاً فشيئاً في طاعة الكنيسة الرومانية الى يومنا هذا . فانهم وان كانوا في عهد البابا لاون العاشر أي قبل ذلك العصر بنحو ستين سنة قد استحقوا ان يسموا ورداً بين الشوك الاَّ انهم لم يثبتوا زماناً على هذا الحال حتى اقتضى الامر ان يبعث البابا غريغوريوس الثالث عشر رسولاً وهو يوحنا ألياني (الذي سماه المطران يوسف الدبس باطشتا) مع غيره من القصاد ليفحصوا حال الطائفة المارونية ويروا اذا كانت تستحق التفات الكرسي الرسولي اليها والاهتمام بمصالحها .

اننا نكتفي بهذه الشهادات التي أوردناها وشرحناها الى الان ولا نريد ان يضجر القارئ اللطيف بايراد شهادات أخري هي وان كانت أقل من تلك قيمة الا انها لا تخلو من

القوة لعضد الشهادات السابقة وهي كثيرة . فحسبنا ان نذكر منها شهادة مؤلف ملكي كتب تواريخ المجامع موجودة في المصحف الواتيكاني العربي ١٥٥ في ورقة ٧٩. وشهادة مؤلف يعقوبي اختصر تواريخ المجامع ويوجد نسخة من كتابه في الموصل حيث يقول : « (المجمع) السادس من المجامع الكبار الذي قال من أجل شرحه « (سرجيوس) وقورش الاسكندري وغيرهم القائلين ان للمسيح طبيعة واحدة « (الصحيح طبيعتان ومشيئة واحدة) التابع لهم المارونية فان كتب اليعاقبة لاتقبل « اعتقادهم . » وشهادة كتاب أخبار الرهبان الفرنسيسيين من ان طائفة من الموارنة مع غيرهم من عباد الاصنام اقبلوا الى الايمان في وسط القرن الخامس عشر . وشهادة المقريزي المؤرخ المشهور . وشهادة جرجس بن العميد في تواريخه وشهادات أخرى تجد ذكرها في كتاب القس انطون صباغ . وحاصل كل ذلك ان جميع الذين تكلموا عن الموارنة الى القرن الثامن عشر قرروا بأنهم لم يكونوا مشتركين مع الكنيسة الرومانية وبأنهم كانوا منوثليتيين والذين تكلموا عنهم من مبادئ القرن الثالث عشر الى مبادئ القرن السادس عشر وما بعد ايضاً جعلوهم اما منوثليتيين حالاً واما مقلعين من المنوثليتية ومنضمين الى شركة الكنيسة الرومانية من قرب ولا يوجد من الذين تكلموا عن هذه الطائفة الى جبرائيل القلاعي من قال انهم كانوا على الدوام ارثدكسيين او متحدين مع الكنيسة الرومانية وكل هذا بين جلي لا يشوبه التباس (١).

(١) قرأنا في كتاب القس انطون صباغ الملكي الحلبي المذكور في المتن في كتاب الرد على الموارنة وفي كراسة حديثة الانشاء في ذلك المعنى (الفها أحد الخبيرين بمسألة الموارنة يوجد نسخة منها في ماردين مخطوطة في دير الزعفران) ان البابا بيوس الثاني كتب الى محمد الفاتح سلطان الترك العثمانيين الذي فتح القسطنطينية رسالة فيها قال له : « ان المسيحيين الموجودين في مملكتك قليل منهم يتمسكون بحقائق الانجيل الشريف

الباب الخامس

﴿ في شهادة الجماعات . وفيه ثلاثة فصول ﴾

الفصل الاول

في ان الكنيسة الرومانية تشهد ان الملة المارونية لم تكن كاثليكية قبل أواخر القرن الثاني عشر

بعد ما فرغنا من ايراد شهادات الشهود الذين يشهدون لصحة مدّعانا يجمل بنا الان ان نأتي بشهادات الجماعات او الكنائس التي قولها يفوق قول الافراد بما لا يحدّ ولنبتدئنَّ من الكنيسة الرومانية امّ الكنائس ومعلمتهنَّ . فنقول ان لنا برهانين من الكنيسة الرومانية لاثبات قولنا احدهما سلبي والاخر ايجابي .

اما البرهان السلبي فمبنيّ على عدم وجود اثر من الذكر للملة المارونية في اثار

« والباقون ولو كانوا يعبدون المسيح الا انهم ملطخون بضلالة ما . وهم الارمن « واليعاقبة والموارنة وغيرهم . » فهذا القول ان كان صحيحاً (وأنا لم يمكني ان اطلع على تلك الرسالة وأتحقق هذه الكلمات) فلا يحتاج الى شرح مسهب لبيان ان ذلك الحبر الاعظم اي بيوس الثاني الذي جلس من سنة ١٤٥٨ الى سنة ١٤٦٤ كان يعتبر الموارنة في زمانه من الاقوام الضالين .

*** ان هذه الرسالة قد كتبت حقيقة من البابا بيوس الثاني المعروف بلقب ايفياس سيلفيوس الى السلطان محمد الفاتح وذلك في سنة ١٤٦١ (راجع Baronius. édit. Raynaldi, ad. ann. 1461, n° 44) .

الكنيسة الرومانية او اخبارها او تواريخها او مجامعها او سائر ما يتعلق بها الى اواخر القرن الثاني عشر . فهذا دليل على ان الملة المارونية في تلك المدة اي مدة نحو خمسمائة سنة لم تكن الكنيسة الرومانية تحسبها كاثليكية.وهو وحده كافٍ على ظننا لقطع النزاع بيننا وبين خصمنا . فان القوم الذي لا تعرفه الكنيسة الكاثليكية من اعضائها وهو في الاوقات الواجبة لا يعرّف الكنيسة الكاثليكية بنفسه لا يستحق ان يسمى كاثليكياً . فان قوماً مثل هذا قد يمكن ان يكون بريئاً قدام الله العارف بخفايا القلوب اذا كان معذوراً بعدم تعريف نفسه للكنيسة الكاثليكية . وهكذا قد يكون منضماً الى روح الكنيسة . ولكن مع هذا فليس باهل ان يضم الى جسم الكنيسة . ولنا مثال على ذلك الكاثليكي الذي يتفق ان الكنيسة تحرمه وهو بريءٌ قدام الله . فهذا يكون منزوعاً بالحرم من جسم الكنيسة ولا يشترك البتة بخيراتها ولو انه متصل بروحها لبراءته .

ويتأيد برهاننا هذا من ان جميع المؤرخين والمؤلفين الذين ظهروا جيلاً بعد جيل في الكنيسة الرومانية لا بل في الكنيسة اللاتينية كلها وكتبوا عن احوال الامم والاقوام والكنائس الكاثليكية لم يذكر احد منهم ملة الموارنة ولا اساقفتها ولا معاطاتها مع مركز الكنيسة الكاثليكية او غير ذلك . مع انه لم يغفل احد ذكر احوال سائر الامم والاقوام الكاثليكية الغربية والشرقية.وليس للملة المارونية ذكر عندهم الا قبل اواخر القرن الثاني عشر ومن هؤلاء كتاب فرنسا المشاهير وان يكن الموارنة في زماننا هذا يدّعون ان الفرنساويين يوافقونهم في مزاعمهم وانهم اخوتهم الاخصاء من دون سائر الطوائف الشرقية وان ما لهم لهم وما عليهم عليهم . ولكن قد انكر عليهم هذه المفاخرة اكبر جهابذة فرنسا الفحول الذين اشتهروا من القرن السادس عشر فصاعداً . حتى انك اذا استطلعت جدول اسماء العلماء حتى مبادئ قرننا هذا في اوروبا لا تجد بينهم واحداً فرنساوياً قد وافق الموارنة في زعمهم بل ان اشهر خصومهم كانوا فرنساويين كرونودوت ولكويان ونطاليس الكسندر وبرجيار .

نقول ثانياً انه لو كانت الكنيسة الرومانية تحسب الموارنة امة كاثليكية لحفظت لبطريركهم الحقوق في المجامع المسكونية التي عقدت في الحقبة المارونية . فان ذلك حق لكل بطريرك كاثليكي . والاحبار الرومانيون فضلاً عن انهم لا يقبلون ان تبخس حقوق الاساقفة فقد بذلوا جهدهم في المحاماة عنها دائماً . والحال اننا لا نرى ادنى اثر للموارنة او لبطريركهم او لاساقفتهم في المجامع المسكونية كلها التي عقدت في المدة المذكورة .

ولعلَّ الخصوم يردّون برهاننا هذا بقولهم ان الموارنة انما لم يذكر اسمهم في آثار الكنيسة الرومانية واللاتينية كلها لعدم معرفتها بهم او كانوا ساكنين بلاداً قاصية . ومن لا يعلم صعوبة المخابرات في تلك الاجيال بين البلاد المتباعدة . فنجيبهم قائلين : نعلم جيداً صعوبة المخابرات في تلك الاجيال ونعدل الآن عن اقامة البرهان على الموارنة من انهم مدة خمس مائة سنة لم يفتكروا ان يعرّفوا الكنيسة الرومانية بانفسهم ليحسبوا من اعضاء الكنيسة الكاثليكية لو كانوا منها حقيقة . ولكن نقول ايضاً ان الكنيسة الرومانية في تلك المدة قد عرفت كنائس اقصى مكاناً من الطائفة المارونية كالقسطنطينية والانطاكية (التي يسميها الموارنة مع سائر الشرقيين المنشقين ملكية) والاورشليمية والارمنية وغيرها . وتجد في كل زمان وكل مكان ذكر اساقفتها ومجامعها وملافنتها وقديسيها . والمعاطيات المختلفة التي جرت بينها وبين الكنيسة الرومانية . ولا حاجة الى تبيان ذلك مفصلا وتكفيك مطالعة أيّ تاريخ شئت من تواريخ الحقبة المارونية وهي من القرن السابع الى القرن الثاني عشر كفلوري ونطاليس الكسندر أو أرسي أو برونيوس لتثبيت قولنا . فكيف قدرت الكنيسة الرومانية ان تتعاطى مع هذه الكنائس البعيدة ولم يمكنها ان تتعاطى أو تتعارف مع الطائفة المارونية التي كانت أقرب منها . فليس اذاً بعد البلاد هو السبب الذي منع وجود اسم الموارنة في آثار الكنيسة المارونية .

ولنا دليل أخر قوي على ان الكنيسة الرومانية في الحقبة المارونية لم تكن تتخذ الموارنة من أولادها . وذلك ان الحبر الاعظم غريغوريوس السابع لما بلغه ان الارمن كانوا يستعملون زيادة يامن صلب لاجلنا على قدوس الله . وذلك من رسالة بعثها بطريركهم اليه في رسالة كتبها الى ذلك البطريرك سنة ١٠٨٠ امره ان يبطل تلك الزيادة كما روى البابا بندكتوس الرابع عشر في رسالته التي بدءها قد جلبت عد ٢٩ . فمن هذا يتبين جلياً انه لو كان الكرسي الروماني يعرف الموارنة و يعتبرهم كاثليكيين لكان منعه لهم في استعمالهم زيادة يا من صلب لاجلنا بأولى وجه من الارمن التي ما زالوا يستعملونها الى عهد عقدهم الصلح مع الكنيسة الرومانية . ولا سيما ان الموارنة كانوا على قول خصمنا أشدّ الطوائف الشرقية تمسكا بطاعة الكنيسة الرومانية . فكان يترتب عليها والحالة هذه ان تسوسهم أكثر من سائر الطوائف وتعتني بأمرهم.

والبرهان الثاني الايجابي مبني على انه أول ماظهر اسم الموارنة في آثار الكنيسة الرومانية واللاتينية كان ذلك بصفة كونهم قوما ضالين منذ خمسمائة سنة وراجعين عن ضلالهم . فان الخصوم لايقدرون ان ينكروا ان أول مرة ظهر اسم الموارنة في قلم أحد المؤلفين اللاتينيين انما كان ذلك في تواريخ غليلم الصوري: وذلك بصفة كونهم قوماً ضالين بالمنوثليتية وغيرها من الضلالات ورجع قسم منها الى حضن الكنيسة . ثم بعد سنين قليلة لاح اسمهم أول مرة في برآآت الاحبار الاعظمين وذلك في رسالة البابا انوكنتيوس الثالث فاعتبرهم هذا قوماً قد نذروا الطاعة جديداً ورفضوا ضلالتهم بين يدي القاصد الرسولي . ثم ذكرهم مؤرخون آخرون لاتينيون تارة بصفة كونهم تائبين وتارة ضالين . اذ ان توبتهم لم تكن ثابتة ولم تعم الطائفة كلها . ثم ورد ذكرهم في سجل الكنيسة الرومانية في زمان انوكنتيوس الرابع البابا بصفة انهم قوم قد عادوا جديداً الى الايمان . ولم يرد ذكر رجوعهم تماماً الا في

أواسط القرن السادس عشر على عهد غريغوريوس الثالث عشر البابا الروماني . وخلاصة القول ان الموارنة لم يرد ذكرهم في آثار الكنيسة الرومانية واللاتينية الاَّ على وجهين باحدى الصفتين المذكورتين أي اما انهم ضالون بالهرطقة واما انهم عائدون الى طاعة الكنيسة . ومن ذلك العهد الى يومنا هذا ترى ذكر الموارنة ثابتاً قياسياً في سجلات الكنيسة الرومانية بصفة جماعة كاثليكية كسائر الامم المنضمين الى الكنيسة الرومانية .

ولكن قد اعترض على هذا البرهان السديد صاحب روح الردود في وجه ٢٦٤ قائلاً : لا أحد يعرف بالرعية أحسن من راعيها . والحال ان الاحبار الرومانيين عرفوا الموارنة من رعيتهم . أجيب : لو كان الموارنة يعتقدون ان لااحد يعرف بالرعية أحسن من راعيها لانكفوا من الجدال من زمان . فكما انهم يقبلون شهادة الاحبار الاعظمين من زمان البابا لاون العاشر فصاعداً الذين قرروا ان الموارنة كانوا حينئذ من رعيتهم كذلك يجب عليهم ان يقبلوا شهادة الباباوات من أغاثون الى انوكنتيوس الثالث وهو معهم الذين شهدوا ان بالكلام المصرح وان بلسان حالهم ان الموارنة لم يكونوا من رعية الكنيسة الكاثليكية . فان كان من أعظم الحقائق ان الرعية لا يعرف بها أحد أحسن من راعيها ثبت باجلى بيان ان الموارنة لم يكونوا قبل البابا انوكنتيوس الثالث كاثليكيين .

الفصل الثاني

في ان الكنائس الارثدكسية الشرقية أي الانطاكيه والاسكندرية والاورشليمية
والقسطنطينية تشهد ان ملة الموارنة لم تكن كاثليكية

لايخفى على أحد عظم قدر الشهادة الحاصلة من هذه الكنائس الارثدكسية لافحام خصمنا اذا قدرنا ان نبين ان هذه الكنائس كلها التي هي عمد النصرانية في بلاد الشرق اعتبرت الملة المارونية منذ القديم طائفة منشقة خارجة عن حظيرة رعية المسيح الحقيقية قبل زمان انضمامها الى الكنيسة الرومانية . فيلم بنا ان نبين ذلك باسطع مايكون من البراهين . ولنبتدئ من الكنيسة الانطاكية التى كان الموارنة مع سائر المنشقين الشرقيين يسمونها ملكية هي والاسكندرية والاورشليمية .

فنقول اننا نعني بالكنيسة الانطاكية الارثدكسية تلك الكنيسة التي ساسها في القرون المارونية تاوفان والكسندر او توما وخلفاؤهم . وعلينا ان نبين امرين : الاول ان هذه الكنسة كانت ارثدكسية كاثليكية في مدة القرون المارونية الى حين اتصالها بانشقاق الكنيسة القسطنطينية . والثاني ان هذه الكنيسة الانطاكية الكاثليكية رفضت الملة المارونية بسبب انها لم تكن كاثليكية .

اما الاوّل وهو ان الكنيسة الانطاكية المشار اليها كانت كاثليكية فذلك مما لا يحتاج الى مزيد بيان. وان انكره خصمنا كان الموارنة اوّل من يتجاسر ان يهين بهذه الصورة قسماً عظيما معتبراً من بيعة الله الجامعة وقدح قدحاً شنيعاً في هذا الكرسي الشريف الذي هو الثالث في رتبة الكراسي الرسلية . وان لجَّ احد في الانكار فهاك البراهين الساطعة على ذلك .

ان الكنيسة الجامعة الكاثليكية الارثدكسية قد اتخذت على الدوام الكنيسة

الانطاكية التي كلامنا عنها كاثليكية وجزءًا منها . وقد اثبتت اعترافها هذا بادلة واضحة جلية لا يشوبها ادنى ريب . فان الكنيسة الكاثليكية المجتمعة سنة ٦٨٠ في المجمع السادس قبلت وايدت تاوفان بطريرك هذه الكنيسة المنتخب في المجمع نفسه وحيته بافخر التحيات . ومن بعده لم تزل تتخذ توما وجرجيوس الثاني وخلفاءهما خلفاء حقيقيين شرعيين لثاوفان دون غيرهم البتة . ولما منع الملكيون الانطاكيون في القرن الثامن مدة اربعين سنة من اقامة بطريرك لهم اعتبرت الكنيسة هذا الكرسي فارغاً غير جالس عليه بطريرك شرعي طول تلك المدة . مع انه قام في خلال ذلك بطاركة باسم ذلك الكرسي من اليعاقبة ومن الموارنة ايضاً . كما يدّعي خصمنا . وفي سنة ٧٨٧ عرفت الكنيسة الكاثليكية هذه الكنيسة الانطاكية في المجمع السابع المسكوني اذ قبلت يوحنا الراهب نائباً عن ثئودوريطس بطريرك تلك الكنيسة. وفي نواحي سنة ٨٩١ ارسل شمعون الاول نائباً من قبله واجتمع مع نائب البابا ونواب سائر البطاركة للبحث فيما يختص بالتفسيح في الزواج الرابع للاون ملك الروم .

وما الحاجة الى اطالة الكلام لبيان ذلك ونحن نعلم ان الكرسي الرسولي الروماني في تلك الحقبة التي نتكلم عنها لم يتخذ غير البطاركة يحكى عنهم بطاركة ارثذكسيين شرعيين للكنيسة الانطاكية حتى انه في صحائف سجلات تلك الكنيسة ام الكنائس لم تحفظ الاَّ سلسلة البطاركة المذكورين للكنيسة الانطاكية . فاضطر يوسف السمعاني نفسه من الراي العام ان يعترف في مكتبة الشرع (مجلد ٥ وجه ٥٠٠) بان الكنيسة الملكية كانت ارثذكسية في القرن الثامن . فقد كانت اذاً كاثليكية في القرن السابع وبعد المجمع السادس وفي القرون التابعة ايضاً من حيث انه لم يذكر في التواريخ كيف ومتى انقلبت هذه الكنيسة من مذهب الى مذهب في تلك الحقبة وهي معدودة عند الجميع كنيسة واحدة في الحقبة كلها . فلا شك اذاً ان هذه الكنيسة الانطاكية كانت ارثذكسية كاثليكية في كل تلك الحقبة المارونية .

بقي لنا ان نبين الامر الثاني . وهو ان الكنيسة الانطاكية قد طردت الملة المارونية من حظيرتها منذ الاول على انها لم تكن ارثدكسية كاثليكية . وهذا واضح (١) من ان الخصم نفسه الى الان لم ينكره . فان المطران يوسف الدبس قد قال في وجه ٢٥١ من كتاب روح الردود « ان تحاشي الموارنة الاشتراك مع الملكية وبالعكس لا مرآء فيه » . وهذا التحاشي دام في تلك الحقبة المارونية كلها . فاذاً ينتج من ذلك ان الكنيسة الملكية انما تحاشت الاشتراك مع الموارنة لانهم لم يكونوا ارثدكسيين . (٢) ثم ان ذلك يتبين من معاملة الكنيسة الانطاكية مع الموارنة في الاجيال المتتابعة فانه لما عزم الموارنة في اواخر القرن السابع (كما يزعم خصمنا) او في وسط القرن الثامن (كما زعمنا نحن) على ان يجعلوا لهم سلسلة بطاركة منفردة عن بطريركية الكنيسة الانطاكية لم تقبل هذه الكنيسة ان تحسب هذه السلسلة شرعية ولا عرفتهم بطاركة حقيقيين ابداً . حتى انها في مدة الاربعين سنة التي فيها بقيت هي بلا بطريرك لم تقبل ان تتخذ بطريرك الموارنة في فرض خصمنا رأساً لها . وفي القرن الثامن صرحت بفم احد فضلائها وقديسيها وملافنتها وهو القديس يوحنا الدمشقي بانها « لا تشترك مع احد من الموارنة » . فلو كانت الكنيسة الانطاكية تحسبهم كاثليكيين لما تجاسر هذا القديس الشريف ان يقول هذا القول عنهم .

واذا اردنا ان نبحث عن سبب رفض الكنيسة الانطاكية لملة الموارنة نجده واضحاً في آثار تلك الكنيسة . فهلمَّ نورد ما امكننا ان نقف عليه من شهادات هذه الكنيسة الانطاكية الملكية بهذا الخصوص . ولنبدأ بايراد ما جاء في المصحف البرجياني (عدد ب) الحاوي رتب الاسرار المختلفة بحسب طقس الكنيسة الملكية في السريانية وهو قوله في رتبة العماد .

ܐܝܟ ܕܦܪܝܫ ܡܢ ܢܣܛܘܪܝܘܣ ܘܡܪܘܢ ܘܐܪܝܘܣ ܘܟܠܗܘܢ ܗܪܛܝܩܐ .

ܝܥܩܘܒܝܐ ܕܝܢ ܘܢܣܛܘܪܝܐ ܘܡܪܘܢܝܐ ܘܐܪܡܢܝܐ ܣܦܩ ܕܢܟܦܪܘܢ

ܒܗܝܡܢܘܬܐ ܕܝܠܗܘܢ.

« ان الذين يرجعون من ارطقة ماني او اريوس يجب ان يعمذوا . واما اليعاقبة « والنساطرة والموارنة والارمن فيكفي ان يجحدوا عقيدتهم » . انظر كيف عدّ الموارنة مع النساطرة واليعاقبة والارمن وجعلهم من الذين لهم عقيدة مخالفة للايمان واعتبر ان هذا التنبيه قد وُضع في زمان كانت فيه الكنيسة الملكية غير منشقة من الكنيسة اللاتينية . لانه لا يذكر في ذلك التنبيه اسم الافرنج او اللاتين . ولو كان ذلك التنبيه قد رُسم في زمان شقاق اليونان لذكر الافرنج مع تلك الطوائف المنشقة بلا شك .

٢ — في كتاب الاوخلوجيون اي رتب الصلوات للكنيسة الملكية يوجد صورة قبول غير الكاثليكيين في حظيرة الكنيسة . فورد في المصحف الواتيكاني العربي عدد ٥٥ الحاوي هذا الاوخلوجيون (ورقة ٣١) : « ترتيب تمليك الخوارج : هذه « هي الامانة المستقيمة يقرّئها الكاهن للذي يرجع الينا من الامم البرانية مثل اليعاقبة « والموارنة والنساطرة وغير ذلك : انا فلان مؤمن بالامانة الارثذكسية والسبعة « المجامع المقدسة . . . اعترف بالثالوث المقدس . . . واومن بالواحد من الثالوث « المقدس يسوع المسيح ان له طبيعتين ومشيئتين وفعلين وارادتين باقنوم واحد بعد « تجسده » . وبعد شرح هذا المعتقد بتجسد ابن الله ختم كلامه . فمن ذلك يتبين امران . الاول ان الموارنة كانوا من الملل التي لم تكن الكنيسة الانطاكية الملكية تقبلهم كاليعاقبة والنساطرة . والثاني ان سبب رفض ملة الموارنة كان في امر تجسد المسيح من حيث ان الموارنة لم يكونوا يعتقدون بان المسيح ذا الاقنوم الواحد والطبيعتين له مشيئتان وفعلان . لا في امر انبثاق روح القدس من الابن كما زعم الموارنة المتأخرون . فانك لا تجد في تلك صورة الايمان حرفاً واحداً عن انبثاق روح القدس . ومن ذلك

يتضح ايضاً ان هذه رتبة قبول الخوارج سابقة لزمان انشقاق الملكيين من الكنيسة الرومانية .

٣ ـ ويشبه ذلك ما جاء في المصحف الواتيكاني العربي عدد ٩٩ في ورقة ٥٣ منه وهو : « اذا تملك الماروني والارمني يقول : انا مقرّ برأي الكنيسة الكاثليكية ... « ومختص بمن اختصت به ومبعد من ابعدت وجاحد رأي المارونيين والارمن « والمتقدمين منهم ... واعترف ان ربنا يسوع المسيح الذي هو الواحد من الثالوث « المقدس ابن واحد معروف بطبيعتين ومشيئتين وفعلين ... واعترف ان هاتين « المشيئتين والطبيعتين ليستا متضادتين كما ذكر المخالفون » . اراد بالمخالفين اهل المشيئة الواحدة كداود الاسقف الذين ادّعوا ان اعتقاد المشيئتين يوجب تضادهما في المسيح . أكان يمكن ان تبين الكنيسة الملكية الانطاكية باوضح من هذه الاقوال رفضها لملة الموارنة لسبب انهم لم يكن لهم رأي مستقيم في امر تجسد المسيح .

وكلٌّ واحدٍ يرى انه لا يجوز القول ان الكنيسة الانطاكية الملكية لم يكن لها معرفة صحيحة بالموارنة فان هولاء كانوا ساكنين في ارضهم ومختلطين بهم . ولا القول بان الكنيسة الملكية ظلمتهم برفضها لهم دون الحق . فان ابقاء الموارنة في حظيرة الكنيسة كان امراً يهمّ الكنيسة الجامعة كلها . فلو تجاسرت احدى الجماعات ان ترفضها دون الحق لمنعتها الكنيسة كلها ولاسيما الكنيسة الرومانية التي يدّعي الموارنة ان اجدادهم كانوا متمسكين بالطاعة لها اكثر من سائر الطوائف الشرقية .

فاذا تحقق لدينا هذا الامر من جهة الكنيسة الملكية الانطاكية لم يبقَ ادنى صعوبة لبيانه ايضاً من جهة الكنيسة القسطنطينية والاسكندرية والاورشليمية واليونانية فان هذه الكنائس كانت مشتركة مع الانطاكية وخصوصاً مع الرومانية . فكانت اذاً كاثليكية كلها كما هو معلوم عند كل احد . واما انها تحاشت هي ايضاً الاشتراك مع ملة الموارنة فذلك غني عن الايضاح . وكيف كان يمكن ان يشترك الكاثليك

الاسكندريون مثلاً مع الملة المارونية التي كانت عدوّة للملكيين الانطاكيين الذين كانوا محسوبين من بيعتهم الجامعة . ام كيف كان يمكن للكنيسة الاورشليمية ان تخالط الموارنة وهي كانت قد آوت مدةً من الزمان واكرمت يوحنا الدمشقي عمود الكنيسة الانطاكية الذي كان يتعوّذ من الاشتراك مع الموارنة .

ولنا شهادة جليلة على ذلك من الكنيسة القسطنطينية مما ورد على الخصوص في الكتاب اليوناني الذي عنوانه « في الذين يتقدمون الى الكنيسة المقدسة » من كتب الكنيسة القسطنطينية وهو منسوب الى طيمثاوس القسيس . وهو قوله : « ان الموارنة « الذين يرفضون المجمع الرابع والمجمع الخامس ويزيدون الصلب على التريساجيون « ويقولون بمشيئة واحدة وفعل واحد في المسيح الخ ».لا يخفانا ان كثيراً من المحققين زعموا ان هذه الكلمات ليست من قلم طيمثاوس المذكور بل مزيدة على كتابه . ولكننا نحن لا نستشهد بها من حيث هي قول احد المؤلفين بل من حيث هي دليل على رأي الكنيسة اليونانية من جهة الموارنة . فان الكتاب المشار اليه هو كتاب كنيسة لا كتاب افرادي فالذي زاد تلك الكلمات لم يزدها لنفسه بل للكنيسة كلها . اما صاحب هذه الكلمات فقد توهم بقوله ان الموارنة كانوا يرفضون المجمع الرابع والخامس وان كنا لا نستغرب قوله هذا بحيث انهم كانوا في امور كثيرة يتزياون بزي اليعاقبة الذين كانوا ينكرون المجمع الرابع والخامس حتى ظنَّ كثيرٌ من القدماء ان الموارنة ايضاً كانوا يرفضون هذين المجمعين .

ولا نظنّ ان خصومنا تتصل بهم المحبة لطائفتهم الى حدّ ان يسنوا لسانهم بالقذف على هذه الكنائس الشريفة أي القسطنطينية والاسكندرية والاورشليمية والانطاكية مدّعين انها كلها لم تكن ارثدكسية وطائفتهم وحدها كانت ارثدكسية ولذلك بقيت مفصولة عنهن على الدوام .

الفصل الثالث

في شهادة الكنيسة الكاثليكية

بأسرها

ان الكنيسة الكاثليكية الجامعة الممتدة في أربعة أقطار المسكونة شهدت في الحقبة المارونية ان الملة المارونية لم تكن ارثذكسية في تلك الاجيال وهاك اخص الدلائل على ذلك.

١ً — انا في تواريخ الكنيسة الكاثليكية شرقاً وغرباً في تلك الحقبة كلها لانجد اسم الطائفة المارونية البتة ولا نرى لها أدني أثر خلافاً لسائر الامم والطوائف الغربية والشرقية.

٢ً — ان الكنيسة الكاثليكية في الحقبة المارونية ماشأت ان تعرف الطائفة المارونية ولا ان تتعاطى معها أو مع بطاركتها أو اساقفتها في جميع مصالحها البيعية كما تعاطت مع سائر الامم التي كانت كاثليكية وكما كانت تتعاطى مع بطاركة انطاكية واساقفتها وجماعاتها قبل الحقبة المذكورة.

٣ً — ان الكنيسة الكاثليكية ارادت ان تقيم في المجمع الثامن نائباً عن بطريرك انطاكية الملكي الذي كان في المنفي ولم تقبل ان تتخذ بطريرك الموارنة الذي كان يسمي نفسه انطاكيا. بل عندنا من هذا المجمع بينة جلية على ان الكنيسة لم تتخذ الموارنة كاثليكيين وذلك انه في الجلسة السابعة من ذلك المجمع يذكر ان باهان البطريق المتوكل على المجمع من قبل الملك قال لفوتيوس المحكوم عليه وتباعه « اليوم البطاركة الاربعة بل الخمسة « يشجبونكم اشجاباً فماذا تقولون . . . أوضع الرب في قوانينه خارجاً عن هذه « الاماكن . وأين توجد الان كنائس . وأين ينادي في الانجيل أفي مكان آخر

«غير المكان الذي يسكنه هؤلاء النواب القديسون» . فترى انه في ذلك المجمع لم يجعل من أهل الانجيل أي المسيحيين الحقيقيين الاَّ أهل البطريركيات الخمس الحاضرة فيه . حتى ان أباء المجمع في آخره حيوا الملك لانه جمع المجمع من جميع الكراسي البطريركية . واذ لم يكن بطريرك الموارنة معهم فذا دليل واضح على انهم لم يحسبوه بطريركا حقيقياً أي ارثذكسياً .

٤ً ـ وفي أواخر القرن الحادي عشر لما أرادت الكنيسة الكاثليكية ان تنصب بطريركية لاتينية على كرسي انطاكية اعتبرت البطريرك الملكي الذي كان على ذلك الكرسي وانتظرت موته أو تخليه عن الكرسي حتى نصبت بطريركا لاتينياً بعده . ولم تعتبر البتة بطريرك الموارنة المسمى نفسه انطاكياً . فنصبت البطريرك اللاتيني من غير ان تبالي به .

٥ً ـ وفي أواخر القرن الثاني عشر ومبادئ الثالث عشر لما علم من تواريخ غليلم الصوري وغيره بأن الموارنة رجعوا في ذلك الزمان الى معرفة الحق لم تكذب الكنيسة الكاثليكية هذا الخبر بل أيدته اذ أرسل رأسها الروماني قاصداً الى تلك الطائفة ليحقق توبتهم ويثبتهم فيها وكتب اليهم تلك الرسالة الشهيرة التي فيها سماهم قوماً كانوا يوماً ضالين وتابعين لمقاريوس المنوثليتي .

هذا واذا كان كل ما أتينا به من الادلة الساطعة لعدم اعتبار الكنيسة الكاثليكية أجداد الموارنة (في الحقبة المارونية) من أعضائها هو غير كاف لاقناع الخصوم فلا أمل لنا باقناعهم البتة بوجه من الوجوه .

الباب السادس

﴿ في الشهادات المتخذة من كتب الموارنة القدماء على انهم لم يكونوا ارثذكسيين وفيه ثمانية فصول ﴾

الفصل الاول

في ان الموارنة لا يقدرون ان ينكروا ان كتب آبائهم كان فيها أقوال غير مستقيمة وضلالات شتى

ان من المقرر ان لا شيء يوقفنا على حقيقة مذهب قوم او عوائده الدينية كالكتب المختصة به . والحال ان في الكتب المارونية القديمة من الاضاليل ما هو محقق لدى كل خبير بمسألة مذهب الموارنة القدماء حتى ان المتأخرين منهم مع تمسكهم بزعمهم لم يقدروا ان ينكروه. قال مرهج نيرون في وجه ١١٢ من كتابه في اصل الموارنة :

Quod autem in ejus demmet nationis libris aliquae comperiantur haereses ac praesertim de unica in Christo Domino natura ac voluntate etc.

« اما انه في كتب هذه الطائفة (المارونية) يوجد هرطقات ولاسيما القول بالطبيعة « الواحدة وبالمشيئة الواحدة في المسيح فذلك الخ . » وقال البطريرك اسطفانس الدويهي الاهدني في رسالة بعث بها الى مرهج المذكور سنة ١٦٧٤ كما اورد مرهج هذا في المحلّ المذكور : « لكنّ الله سبحانه مدبر بيعته ووليّ خلاصنا لم يشأ ان يطرأ « الفساد على جميع النسخ . فترى بعض الكتب مغيرًا وناقصاً و بعضها سالمًا كاملاً « من مكر التحريف » .

وشهد البادري دنديني في الفصل الثامن والعشرين من شرح رسالته بقوله :

Omnibus his non praetermisi opponere partim libros in quibus inveniebantur nonnulli errores, et partim bullas pontificas in quibus legeram alios hinc veritati contrarias.

« انني لم آلُ ان اعترض على هولآء كلهم (اي على بطريرك الموارنة واساقفتهم « واعيانهم) من الجهة الواحدة الكتب التي فيها كان يوجد شيء من الضلالات . « ومن الجهة الاخرى البراءات البابا وية التي فيها كنت قد قرأت غلطات مخالفة لهذا الحق » . وشهادة هذا دنديني مقبولة عند الموارنة .

وقال البابا بندكتس الرابع عشر في فصل ١٨ من براءته المعطاة سنة ١٧٥٥ التي بدءها Allatae sunt « قد وردت » (ولا نظن ان خصمنا يتعذر من قبول شهادة هذا الحبر الاعظم الجليل):

Cumque inimicus homo ut super seminaret zizania, eo nequitiae nonnullorum animos impulisset, ut missalibus, breviariis ac ritualibus admiscerunt errores, quibus ecclesiastici ceterique de clero in ficeruntur, opportuno concilio et post arcuratum examen Romani Pontifices typis Congregationis de Propaganda Fide missale Cophticum ac Maronitarum, sicut etiam Illyrica alique hujusmodi missalia recudenta curarunt.

« ولما كان الرجل العدو رغبةً في الاكثار من زرع الزُوان قد اعمى قلوب بعض « الناس فادخلوا الغوايات في كتب القداس وصلاة الفرض وطقوس الاسرار « وافسدوا بذلك نفوس خدّام البيعة وسائر اهل الاقليرس اهتم الاحبار الرومانيون « بصائب رأيهم بفحص الكتب فحصاً بليغاً و بعد ذلك اجازوا طبع كتاب القداس « للاقباط والموارنة وللالورقيين ولغيرهم من الطوائف في مطبعة مجمع انتشار الايمان » فقد كان اذاً في الكتب البيعية التي كان يستعملها الموارنة ضلالات وغوايات كما كان في كتب الاقباط وغيرهم .

وما الحاجة الى اكثار البراهين في امر لا يقدر الموارنة ان ينكروه حتى انهم اذ لم يقدروا ان يتخلصوا من قوة البينة على فساد كتب اجدادهم لبيان انهم لم

يكونوا غير ارثذكسيين اخترعوا طريقة غريبة لتضعيف قوّة هذا البرهان بادعائهم ان كتب ابائهم افسدتها اليعاقبة وتوما الكفرطابي . في الفصلين الاتيين نفحص هذه المزاعم التي اتخذها الموارنة المتأخرون .

ولكن قبل ذلك علينا ان نحل اعتراضات الخصم على برهاننا المبني على كتب الملة المارونية القديمة .

١ً ـ قال صاحب روح الردود: انما الموارنة كان عندهم كتب فيها ضلالات واقوال غير مستقيمة كما يوجد الان في خزانة الحبر الروماني كتب قديمة كفرية ايضاً فكان الموارنة يستعملون هذه الكتب الفاسدة استعمالاً علمياً لا استعمالاً دينياً .

نجيب (١) : ما اجمل تشبيه حال الطائفة المارونية القديمة بحال الكنيسة الرومانية ثم نقول لو كان للموارنة القدماء غير هذه الكتب الفاسدة كتب اخرى خالية من كل ضلال لكان لقول الخصم نصيب من الصواب . والحال ان كتب الموارنة القدماء كانت كلها تحوي ضلال المشيئة الواحدة وغير ذلك من الضلالات عرفوا بها .
(٢) ان الكتب الفاسدة او الكفرية الموجودة في خزانة الحبر الاعظم ليست كتب الكنيسة الرومانية بل هي كتب اقوام اجنبية حفظت لتتبع احوال الازمان القديمة . واما الكتب التي وُجدت عند الموارنة القدماء فكانت كتبهم وكتبت في بلادهم بيد شمامستهم وقسوسهم ورهبانهم واساقفتهم . ولم يسمع قط ان طائفتهم التي في مدة نحو سبعمائة سنة بالكدّ ظهر فيها اربعة او خمسة من العلماء وصلت الينا اسماؤهم اشتهرت في القرون الخالية بمحمدةٍ لم يشتهر بها سوى الاحبار الرومانيين وذلك في الازمان العابرة القريبة الينا فصاروا في ذلك قدوة للملوك العظام والامم الجليلة الاوروباوية ألا وهي ان يحبوا العتائق العلمية ويحرصوا على الاثار القديمة .

(٣) نذكر الخصم انه في الازمان القديمة لم يكن جائزاً عند الطوائف النصرانية

قاطبةً حفظ الكتب الحاوية ضلالاً بحسب ارثذكسية كل طائفة ولا قراءتها البتة. فالكتب التي وُجدت عند الموارنة تنبئ عن حقيقة معتقدهم. وناهيك انك لا تجد في جميع كتبهم قاطبةً حرفاً واحداً يستدل منه على الاقرار بجرم لاون البابا او المجمع الخلقيدوني او غير ذلك مما نعلم انه لم يكن في مذهبهم. أليس صاحب روح الردود نفسه في وجه ١٧٦ تبعاً لمرهج نيرون اقرَّ ان بطاركتهم واصحاب الغيرة المفرطة فيهم كانوا يحرقون الكتب التي كانوا يرون فيها اضاليل. فان كان البطاركة كانوا يحرقون هذه الكتب فمن هو بحياتك الذي كان يستعملها استعمالاً علمياً. ولو كانوا في الاول يستعملونها استعمالاً علمياً فلماذا احرقوها بعد ذلك.

٢ً — قال: ان اغلب الكتب التي وصلت الينا من الموارنة القدماء مخطوطة بعد القرن الثاني عشر الذي فيه نحن ندّعي ان تلك الامة تصالحت مع الكنيسة الرومانية. فالفساد الذي في هذه الكتب ليس هو دليلاً على ان اصحابها كانوا في ضلال. نجيب (١) ليس كل الامة المارونية تصالحت مع الكنيسة الرومانية في القرن الثاني عشر بل جماعة منها فقط. فهذه الكتب التي كتبت بعد ذلك العهد تخص الجماعة التي لم تتصالح لا الجماعة التي تصالحت. (٢) ان هؤلاء الذين خطوا تلك الكتب الفاسدة لم يدخلوا فيها الضلالات من عندهم ولاسيما اذا كانوا قد رجعوا الى معرفة الحق ورفضوا الضلال بل كما وجدوا خطوا. فكتب الموارنة السابقة لذلك العهد المخطوطة عليها في القرن الثاني عشر وما بعده كانت من نفسها حاوية ضلالات.

ان الضلالات لم تخل من كتب الموارنة الى زمان طويل بعد رجوعهم. فانه في اواسط القرن السادس عشر لما ارسل الكرسي الروماني قصاداً الى بلادهم ليروا هل يرجى من تلك الطائفة خير حقيقي باقامة مدرسة لبعض شبانها في مدينة رومية

ويفحصوا كتبها وينقحوها وجدوا كثيرًا من الضلالات في كتب تلك الطائفة وفي افواه بنيها وجمعوها في كرّاسة موجودة في الفصل السادس من الباب الخامس من المقالة الثالثة من كتاب خلاص الامم لتوما دي يسوع وهاك شيئاً من هذه الضلالات:

١ً ـ ان نفس الانسان تخلق من جوهر الله. ٢ً ان في المسيح طبيعة واحدة ومشيئة واحدة وفعلاً واحداً. ٣ً لا يوجد دينونة خصوصية. ٤ً لا يصح العماذ الاّ على يد القسيس اوالشماس. ٥ً لا يصح العماذ بلا ميرون. ٦ً في الميرون شخص روح القدس. ٧ً لا يجوز القداس الاّ بخبز الخمير المخبوز من يومه. ٨ً لا يجوز جلب القربان الى المرضى. ٩ً يجوز حلّ الزواج بالطلاق لاجل الزناء. ١٠ً ان اخوة المسيح المذكورين في الانجيل هم اولاد يوسف من امّ اخرى.

اما احتجاج موارنة زماننا بان هذه الكتب التي وجدت فيها الضلالات لم تكن كتبهم فاحتجاج باطل لا يجديهم نفعاً. فان قصاد البابا انما أرسلوا ليفحصوا كتب الموارنة الكاثليكيين وينقحوها لا كتب اليعاقبة. ولا شك انهم لم يكونوا يدخلون البيوت هجماً ويخطفون ما فيها من الكتب بل كان اصحابها يأتونهم بها بايديهم. فكان اذاً اصحابها موارنة وكانت كتبهم مارونية او كانوا يحسبونها هم مارونية. وهذا كافٍ لتنسب اليهم الضلالات التي فيها. وناهيك ان اولئك الفاحصين لم يجدوا في تلك الكتب رفض المجمع الخلقيدوني وحرم لاون البابا. فهذا دليل واضح على ان تلك الكتب لم تكن يعقوبية. ولا يحتج الخصم بان هيرونمس دنديني قد وجد كتب الموارنة خالية من كل ضلال. فان هذا دنديني لم يفحص كتبهم الاّ بعدما نقحها قصاد الكرسي الرسولي المذكورين باكثر من عشرين سنة وطهروها من الضلالات التي فيها واحرقوا كثيرًا منها. فلا عجب انه لم يجد ما وجده اولئك القصاد.

الفصل الثاني

في ان اليعاقبة لم يفسدوا كتب

الطائفة المارونية

ان الموارنة في مبادئ زعمهم بدوام ارثذكسية أجدادهم لما أمسكوا بغلطات كثيرة وضلالات شتى ترى في كتبهم القديمة ظنوا انهم يفلتون من قوة هذه البينة بقولهم ان كتبهم لم تكن في أصلها فاسدة بتلك الضلالات بل أفسدها اليعاقبة أعداؤهم . وأول من نراه ادعى هذه الدعوى على اليعاقبة أو أشار اليها تلميحاً هو ميخائيل بطرس الرزي بطريرك الموارنة في ما كتبه سنة ١٥٧٨ الى الكردنال كرافا . وتوضح هذا الزعم سنة ١٥٩٥ حيث انتقد الباتري دنديني على الموارنة غلطات كثيرة توجد في كتبهم وتشهد بها برآآت الاحبار الاعظمين . فأجاب الموارنة بقولهم ان تلك الكتب محرفة بمكر اليعاقبة . وثبت منذ ذلك الزمان هذا الزعم الى يومنا هذا عند جميع علمائهم الاَّ يوسف سمعان السمعاني . فاننا ما رأينا في موءلفاته اشارة الى هذا الزعم . ونحن نقول ان هذا الزعم لا أصل له ومخالف لكل حق ومهين للطائفة اليعقوبية التي ولو انها كانت منشقة من الكنيسة الكاثليكية . الاَّ انها كانت بالنظر الى الصفات الانسانية اسمى من ان تعزى اليها مثل هذه التهمة القادحة ظلما . نعم اننا لاننكر انه يحتمل ان نساخ الكتب لدى الموارنة القدماء لسبب الجهل أو التساهل مع باقي الملل كانوا اذا وجدوا كتاباً يعقوبياً يسرقون منه و ينقلون عنه فيختلط مع كتبهم المارونية و بذلك دخل في كتب الموارنة شيء كثير من أمور اليعاقبة . ولكن ننكر ان اليعاقبة قصدوا في أي وجه كان ان يحرفوا كتب الموارنة أو يغيروها على نسق كتبهم خداعاً ومكراً وهاك بيناتنا :

١ً ـ ان هذا الزعم ظهر أول مرة في أواسط القرن السادس عشر أي بعد تمام رجوع الموارنة وثباتهم بزمان . والذين زعموه لم يؤيدوه بشهادة أحد المعاصرين . فان البحث ليس هو عن الكتب التي كتبت في القرن السادس عشر وما بعده . بل عن الكتب التي كتبت قبل ذلك بكثير اذ كان الموارنة على قولنا خارجين عن طاعة الكنيسة الرومانية . وفي تلك القرون كلها لم يوجد أحد قط قال ان أحد اليعاقبة تجاسر على تحريف كتب الموارنة .

٢ً ـ انه لم يسمع قط على ممر الدهور والاحقاب ان أحداً قدر ان يفسد كتب أمة حية لها سياسية وضوابط ورؤساء وشيوخ وهي ترى ذلك وتصمت . فان كان الهراطقة احياناً قد عثوا في كتب الاولين الذين رحلوا من الدنيا فلم يجسر أحد قط ان يتعرض لكتب قوم أحياء لهم قوة و بأس .

٣ً ـ انه يترتب على خصمنا ان يبرزوا لنا كتباً سالمة من كل شائبة أقدم من الكتب التي يدعون ان اليعاقبة حرّفوها فننظر فيها . فان رأيناها سالمة حقاً كما يدعون سلمنا لهم واثبتنا قولهم . ولكن حيث انهم لا يقدرون ان يبينوا لنا كتباً قديمة سالمة وكلما توغلوا في القدم زاد فساد كتب أجدادهم فليسلموا ان قولهم زعم بلا سند ولا حجة . ومن يقبل ان يركن لقول نبي تنبأ في القرن السابع عشر عن حوادث القرن السابع والثامن والحادي عشر كما رأينا سابقاً وهو اسطفانس الاهدني الذي استشهده مرهج نيرون حيث قال : « يوجد بعض الكتب سالماً كاملاً من مكر التحريف » ان كان عنى بذلك كتباً أقدم من القرن الرابع عشر الاَّ اذا جعل المدعي شاهداً في دعواه .(*)

(*) مما يستحق الاعتبار ان جبرائيل القلاعي مع كلما استنبطه عن الموارنة لم يخطر بباله ارتكاب هذه التهمة التي نحن نكذبها وهي ان اليعاقبة أفسدوا كتب الملة المارونية .

٤ً ـ ونسأل خصومنا كيف تمكن اليعاقبة من افساد كتب أجدادهم أمن بعد ما كتبت هذه الكتب أم من قبل ذلك . أبا جبار الموارنة أم بالمكر . فان قالوا انهم أفسدوها بعد ان كتبت كتابهم جميع الكتب الواصلة الينا من أجدادهم فاننا لانرى فيها أدني تحريف أوحك أو تغيير الاَّ ما أدخله الموارنة المتأخرون لاصلاح الغلطات القديمة . فان جميع المصاحف التي نستشهدها من الخزانة الواتيكانية والبرجيانية هي على هذا الحال . وان قالوا ان اليعاقبة أفسدوا كتب أبأهم قبل ان تكتب قلنا ان ذلك غير ممكن . والاَّ فيقتضي ان نقول ان كل كاتب من كتاب الموارنة كان تحت يده رجل يعقوبي يلقنه ما يكتب وفي ذلك من الغرابة مالا يخفى .وان قالوا ان اليعاقبة أفسدوا كتبهم بالاجبار نجيب : كيف استطاع اليعاقبة افساد كتب الموارنة قسراً مع ضعف قوتهم ونزارة عددهم في جنب عدد الموارنة الذين اشتهروا ببسالتهم وشدة بأسهم في القتال . وان قالوا ان ذلك تأتي عن اليعاقبة بطريق المكر قلنا ألم يظهر في الطائفة المارونية اذاً قط بطريرك أو اسقف أو قسيس أو قارئ من العامة أحس بمكر أعداء الايمان . وكيف قدر اليعاقبة ان يدخلوا غرفة بطريرك الموارنة نفسه ويعثوا بكتبه حتى مما كان منها مختصاً بالبطريركية ككتب الرسامات الكهنوتية .

٥ً ـ ان أقدم الكتب التي تداولتها أيدي الموارنة و بطاركتهم كانت قد كتبت في جبل لبنان بل في مركز ملتهم أي في دير قنوبين كرسي البطريركية حيث لم يكن يعاقبة البتة كما بينا ذلك في مقدمة هـذا الكتاب فلم يكن اذاً لليعاقبة من سبيل لتحريف هذه الكتب .

٦ً ـ ثم نسأل خصمنا قائلين : كيف قدر اليعاقبة ان يلجوا جميع كنائس الموارنة وأديارهم ومنازلهم وخزائن كتبهم و يعبثوا بكتبهم الدينية والبيعية والشرعية والتاريخية . والموارنة ساكتون صابرون على كل ذلك حيث ان جميع كتب الموارنة القديمة التي وصلت الينا حتى الطقسية والبيعية والحبرية مشحونة بالضلالات ,

وهل كان كلما قدس قسيس ماروني وقف رجل يعقوبي بجانبه وعلمه ان يعترف بالمشيئة الواحدة في قداسه .

٧ً ـ وما هو اغرب من ذلك كله انه لو كان اليعاقبة قد أفسدوا كتب الموارنه لدسّوا فيها ضلالاتهم الخاصة بهم التي كانت تهمهم أكثر من كل شيء . وهذا أمر واضح لا يقدر الخصم ان ينكره . والضلالة الخاصة باليعاقبة التي تهمهم أكثر من كل شيء هي القول بطبيعة واحـدة في المسيح وتحريم المجمع الخلقيدوني ورفض لاون البابا حتى ان القول بالمشيئة الواحدة في المسيح مع كونه من فروع مذهب اليعاقبة لا نجده في كتب هـذه الشيعة الاَّ نادرًا جدًا . والحال ان كتب الموارنة بعكس ذلك مشحونة باثبات الطبيعتين وقبول المجمع الخلقيدوني ولاون البابا كما هو بين معلوم مع القول المتكاثر المكرر بالمشيئة الواحدة وليس في كتاب واحـد من كل كتبهم محل واحد فيه يحامى عن القول بالطبيعة الواحدة محضاً أو يحرم المجمع الخلقيدوني أو يرفض لاون البابا . فاذاً ليس اليعاقبة الذين أفسدوا كتب الموارنة .

هلم الان نردَّ على براهين الخصم التي جمعها صاحب روح الردود في وجه ١٧٥ وما بعده :

١ ـ قال ان اليعاقبة كانوا يحجوّن الى وادي الفراديس في لبنان ويقيمون هناك متظاهرين بشكل التقوى ويخطون الكتب فيفسدونها ـ نجيب : هذا قول بلا حجة ولا شاهد فنحن لا نقبله . ثم لو صح هذا القول صح فقط في المصاحف التي كتبت في وادي الفراديس . وماذا نقول في المصاحف الكثيرة التي خطت في سائر قرى لبنان وفي جزيرة قبرص . وياللعجب ان الموارنة لم يحسوا بخبث اليعاقبة في وقته حتى وقعوا في شركهم ولكن حس عليـه موارنة زماننا بعد مرور أكثر من خمس مائة سنة .

٢ ـ قال : ان حاكم قرية بشرّى أباح لليعاقبة الاقامة بين الموارنة فبذروا

هناك كتبهم ثم طردوهم فبقيت الكتب فاسدة ـ نجيب : نعم البرهان هذا . لو صح القول لنتج انه حيثما وجد اليعاقبة أفسدوا كتب ذلك المكان . والحال انه الى الان ماسمع قط ان أحداً اتهم اليعاقبة بهذا الصنيع مع كونهم منتشرين في بلاد الشرق كلها . ولماذا أهل بشرى لم يصلحوا الضرر الذي ادخله اليعاقبة في كتبهم ان كانوا هم كاثليكيين بل تركوا هذه الكتب ان تحفظ وتنتشر . وليذكر الخصم ان الكتب التى كانت موجودة عند الموارنة لم تكن يعقوبية ولا كان اليعاقبة يقبلونها لانه كان فيها تعاليم تخالف معتقدهم وهي محرمة عندهم . ولكن لما كانت هذه قصة يعاقبة بشري حكاية غير مستندة الى شاهد فنحن لانقبلها البتة .



الفصل الثالث

في ان توما الكفرطابي لم يحرّف

كتب الطائفة المارونية

ذكرنا في الفصل الحادي عشر من الباب الرابع ما ادّعاه الموارنة من ان توما الكفرطابي قد حرّف اكثر كتب ملتهم . ثم دحضنا هذا الزعم و بينا بطلانه ببراهين سديدة لا حاجة الى ايرادها هنا بالتكرار .

وقد ادَّعى خصومنا على الخصوص ان توما المذكور قد حرَّف كتاب معتقد الموارنة وكتاب شرعهم الذي هو كتاب الهدى مدخلاً فيهما ضلالة المشيئة الواحدة والحال ان سائر كتب الموارنة القدماء توجد فيها هذه الضلالة فاذاً يجب ان يقولوا اما ان توما لم يحرّف الكتابين المذكورين واما انه حرَّف جميع كتب الطائفة .

وكيف يصدق هذا الامر الثاني انسان ذو عقل . وكيف قدر توما ان يدخل مثلاً كنائسها وقلاَّية بطريركها ويأخذ كتب الصلوات الفرضية التي يستعملها الكهنة وكتب الرسامات المختصة بالبطريرك ويعثو فيها ويحرّفها . والموارنة يرون كل ذلك ويسكتون . ومن جهة الكتابين المذكورين نسأل الخصم كيف قدر الكفرطابي ان يجمع لديه جميع نسخ هذين الكتابين من كل بيعة ودير ويحرّفها على هواه ويرجع ينشرها بين الموارنة .

ولو كان توما قد حرَّف كتباً لا يمكنه ان يحرّف كتباً كتبت بعد موته . والحال ان جميع الكتب الواصلة الينا من الطائفة المارونية القديمة مكتوبة بعد موت توما الكفرطابي بنحو مائتي سنة على الاقل . فالضلالات الموجودة في هذه الكتب ليست من تحريف توما الكفرطابي . ولا يقولنَّ الخصم ان توما حرَّف الكتب التي كانت في زمانه ثم نقل النساخ عنه تلك الكتب المحرّفة . ولم يزالوا على ذلك الى حين ظهور جبرائيل القلاعي فنبههم على غلطهم . فاننا نسأل الخصوم قائلين : ان كان اجدادكم كانوا كاثليكيين كما تزعمون فلماذا نسخوا عنه تلك الكتب المحرفة . أكانت الطائفة باسرها مع بطاركتها واساقفتها وقسوسها وعلمائها نائمين مدة اربعمائة سنة او اكثر حتى انهم لم يحسوا بالفساد الذي ادخله في كتبهم الدينية وغيرها هذا الرجل الذي لو صحَّ فيه ما يدّعيه الخصم لكان قريع دهره لم يقم مثله في القرون السالفة كلها.

فهذا البرهان يزيد سداداً اذا اعتبرنا ان الكتب كلها التي يدّعي الموارنة ان توما حرَّفها لم تكن خفية في الخزائن بعيدة عن عيون الناس بل كانت متداولة في ايادي الخاصة منهم يطالعونها ويستعملونها في حاجاتهم كما تشهد الكتب نفسها في ما اوردناه منها في المقدمة اذ رأينا ان البطاركة نفسهم قد استعملوا تلك الكتب . ولك ان ترى من مقدمتنا التي فيها شرحنا حال بعضها ان الذين كانوا يستعملونها كانوا

يحررون اسماءهم فيها وهم ينعتونها بالمباركة اذ يكتب كلٌّ منهم « قد نظر في هذا الكتاب المبارك » . فلو كان اولئك يظنون هذه الكتب غير ارثذكسية لما سموها مباركة . فان الشيء المحسوب محرّماً لا يسمى مباركاً .

ثم ان قصة توما الكفرطابي الحقيقية كانت موجودة لدى الموارنة القدماء وفيها ذكر عن مناقب هذا الاسقف الغيور على دين ملته المارونية بكل تفصيل . ولا يذكر حرف عن تحريفه كتب تلك الملة . فلو كان هذا ايضاً من مناقبه لذكر في قصته او اشير اليه اشارة على القليل احرى من سائر ما ورد فيها من مجادلته مع الملكيين . اذ ان امر تنبيه امة على ضلالتها وتصليح كتبها امر عظيم يوجب مزيد الافتخار .



الفصل الرابع

في شهادة كتاب شرح ايمان

الموارنة الثاني

انا قد بحثنا في الفصل الخامس من الباب الثالث عن كتاب معتقد الموارنة الاول وعما يتضمنه من الشهادات الجلية على اعتقادهم بالمشيئة الواحدة . ونزيد على ذلك ان لملة الموارنة القديمة كتاباً ثانياً غير الكتاب المذكور فيه يشرح بتفصيل متطاول ايمان تلك الملة . وقد وقفنا على ثلاث نسخ لهذا الكتاب . علامتها (خ) و (د) و (ز) وهذه الثالثة هي ملك دير هرمز او هرمزدا (١) . فالنسخة (خ) كتبت

(١) اعلم ان في دير هرمزدا الالقوشي كتباً اخرى شتى تخص الموارنة غير هذا وسبب وجودها فيه هو ان مجدد رهبنة الكلدان وهو القس جبرائيل يمبو كان قد

في نواحي القرن الرابع عشر. والنسخة (د) خطت في سنة ١٦٢٨. والنسخة (ز) الهرمزدية كتبت في نحو اواخر القرن الثامن عشر. فترى ان هاتين النسختين كتبتا بعد جبرائيل القلاعي اي بعدما اجتهد هذا جبرائيل في تنقية كتب طائفته من الضلالات. اما النسخة (خ) والنسخة الهرمزدية فلا يذكر فيهما مؤلف هذا الكتاب. واما النسخة (د) التي كتبها في رومية احد تلاميذ مدرسة الموارنة فكتب في مطلعها: «نكتب اعتقاد امانة الملة المارونية مما سلم الينا من قول القديس والبطريرك النفيس مار مارون مما شرح على ذلك ... الاسقف المختار جبرائيل القلاعي». ولكن قد كتب في الكتاب تنبيه بامضاء اثنين من تلاميذ تلك المدرسة على ان ذلك العنوان لا صحة له وهو زائد على الاصل.

اما ان هذا الكتاب يحوي شرح معتقد الملة المارونية فلا شك فيه فانه في النسخه (خ) يقال: «اننا نوضح كيف كان حلول الكلمة ... حتى يعلم كل من يقف «على لفظنا هذا من سائر الاباء البطاركة والمطارنة والاساقفة وسائر الكهنة والشمامسة «وجميع الشعب المؤمنين المسيحيين اهل جبل لبنان الموارنة الذين تفسيرهم الربانيين «اعني الخاصين بربنا يسوع المسيح بان هذه الامانة حق.. نكتب نحن الموارنة «هذه الامانة المقدسة». وكذا ايضاً في النسخة (د) وفي النسخة (ز) الهرمزدية.

فاذا تقرّر ذلك فهاك ما ورد في هذا الكتاب من الاقوال التي تبين ان اصحاب

قصد جبل لبنان في مباديء القرن الحاضر وتهذب عند الموارنة وتدرب في السيرة الرهبانية وسياستها. فجلب عند رجوعه كتباً شتى من تلك البلاد وعند رهبان ذلك الدير أثر آخر من الموارنة. وذلك انه لما كانت صلوات الفرض الاقليرسية عند النساطرة لا يخصص فيها أقسام الساعات أي الثالثة والسادسة والتاسعة استعار اولئك الرهبان صلوات هذه الساعات من طقس الموارنة وهم معتادون الى الآن تلاوتها كل يوم.

هذ المعتقد كانوا منوثليتيين. ورد في وجه ١٤٠ من نسخة (خ): « اننا نوضح ذلك « ونبينه كيف كان حلول الكلمة كلمة الله الاب في العذرآء مريم وتاليده منها واتحاد « الكلمة الالهية بالجسد وتوفيق الطبائع والاقانيم في الجوهر اللاهوتي والناسوتي في « الارادة والخاصيات المختصة في الناسوت واللاهوت وتوحيد الطبائع والجواهر « والمشيئة في اقنوم واحد بالمسيح ». ترى كيف ذكر هنا مشيئةً واحدة في المسيح. غير ان كاتب النسخة (د) المخطوطة في رومية وكاتب النسخة الهرمزدية الحديثة اكثر من تلك غيرا هذا الموضع ووضعا المشيئتين بدل المشيئة. وكتبا: « توحيد الطبائع والجواهر والمشيئتين في اقنوم واحد ». والمعوّل هو على النسخة القديمة كما لا يخفى. واما عند ذكر الارادة مع الخاصيات قبل ذلك فناسخ النسخة (د) كتب « في لجوهر اللاهوتي والناسوتي في الارادات (بالجمع) والخاصيات ». ولكن كاتب النسخة الهرمزدية قد نسي ان يصلح هذه الغلطة فكتب: « في الارادة والخاصية المختصة في اللاهوت والناسوت ».

وفي متن الكتاب بعد ايراد شواهد كثيرة لبيان الطبيعتين في المسيح من الملافنة القدماء اورد المؤلف شهادة نسبها الى القديس فلجنتيوس معلم الكنيسة وقال فيها: « ايضاً قال (مار فلجنتيوس) ايُّ لم اعتقد في المسيح ارادة واحدة بل ارادتين ام « شكَّ ان لم كان به طبيعتين ام قال ان ليس له اقنوم واحد الخ فهو محروم ». كذا ورد في النسخة (د). واما في النسخة الهرمزدية فكذلك ايضاً وُضعت هذه الشهادة. الاّ انه بدل « فهو محروم » يوجد « صار معزول عن المؤمنين وتكرزه الكنيسة الجامعة محروم ». فانظر كم كانت البدعة المنوثليتية قد تعمقت وتأصلت في كتب الموارنة القدماء حتى ان كاتبي النسخة (د) والنسخة الهرمزدية اللذين اجتهدا ان ينقيا هذا الكتاب من الاضاليل التي فيه لم يحسا بهذه الضلالة المنسوبة زوراً وافكاً الى القديس فلجنتيوس كتباها بعينها من دون ادنى تغيير. وهكذا نسبا الى هذا الاب الفاضل

ضلالة المشيئة الواحدة كما كانت عادة جميع الهراطقة ان يفعلوا باقوال الاباء القديسين ولاسيما المنوثليتيين كما ونبهم المجمع السادس المسكوني . اما النسخة الاولى اي (خ) فقد سقط من قلم كاتبها كلمات في كتابة هذه الشهادة . فتشوّهت العبارة وصارت : « (اي) لم اعتقد ان في المسيح ام شكّ ان لم كان به طبيعتين ام قال ان ليس له اقنوم واحد الخ . فهو محروم » .

وقد قال موءلف هذا الكتاب في آخره ختاماً لمقالته عن بيان الطبيعين في المسيح في وجه ١٦١ من النسخة (خ) : « نعترف بهولاء (الامور) كلهم . الاكبر والاصغر بالمجد والاقتراء بالحيوة والموت. ولا نعترف باثنين ولا اقنومين ولا مشيئتين». انظر كيف هذا مفسر معتقد الموارنة قال صريحاً بانهم لم يكونوا يقبلون الاعتقاد بالمشيئتين في المسيح . واما كاتبا النسخة (د) والنسخة الهرمزدية فحذفا اللفظة الاخيرة « ولا مشيئتين » كما كان ينتظر منهما .



الفصل الخامس

في أصل كتاب شرح ايمان

الموارنة الثاني

قد قلنا في الفصل السابق ان النسخ التي تحوي كتاب شرح ايمان الموارنة لا يذكر فيها اسم موءلفه ولا زمانه سوى النسخة (د) المكتوبة في رومية في مدرسة الموارنة . فان كاتبها نسبها الى يوحنا مارون وجبرائيل القلاعي غلطاً . ولكن يوجد في الموسيوم البرجياني نسخة اخرى تحوي شيئاً من هذا الكتاب وهي التي علمناها

بحرف الذال المعجمة (ذ) منها نقدر ان نستدل على اصل هذه المقالة الحاوية شرح ايمان الموارنة .

فاعلم انه مما يوجد في هـذه النسخة (ذ) مقالة من كتاب مجامع سبالنسيس (اسبالنسيس) وهذه المقالة هي حشو ما في النسخ الاخرى الحاوية كتاب شرح الايمان أي شهادات العهد العتيق والجديد والاباء القديسين لبيان الطبيعتين في المسيح . اما قول الكاتب « كتاب مجامع سبالنسيس » فاشارة الى المجمع الهسباليّ الثاني الذي عقد في مدينة هسباليا (وهي شبيلية) من بلاد اسبانيا سنة ٦١٩ . وفي الجلسة الثالثة عشرة من هذا المجمع شرح معتقد الكنيسة الكاثليكية في أمر طبيعتي المسيح . وهذا الشرح هو عين الحشوة المذكورة في كتاب ايمان الموارنة الذي نحن في صدده قد حرفت هنا وهنا بضلالة المشيئة الواحدة .

ولعلك تسأل متعجباً : ومن أين للموارنة هـذا الشرح من المجمع الهسبالي . فاعلم انه في أخبار ذلك المجمع (طالع لباي مجمع ٦ صفحة ١٤٠٣) يذكر أن أباء المجمع قالوا في الجلسة الثالثة عشرة : « بينما كنا مجتمعين في المجمع وافانا مطران « سرياني من أهل الطبيعة الواحدة وكان متصلباً برأيه . فاقبلنا عليه وجعلنا نبين له « غلطه حتى أقنعناه وبنعمته تعالى ارعوى وتمسك بالايمان الكاثليكي وعاد الى بلاده . « ونحن نأمل انه بنعمته تعالى يثبت على الايمان الصحيح » . وهذا الخبر على ماترى يكشف لنا غوامض كثيرة من أحوال الموارنة القدماء . فنحن بناء على هـذا الخبر نعتقد ان الملة المارونية نشأت منذ رجوع هذا الاسقف السرياني الى بلاد سورية . وذلك ان الموارنة أو على القليل رهبان مارون ايمتهم كانوا قبلاً يعاقبة يرفضون المجمع الخلقيدوني . وهذا يفسر لنا سبب المشابهات الكثيرة الموجودة بين اليعاقبة والموارنة . فلما رجع الاسقف المذكور الذي كان قبلاً يعقوبياً من جنسهم ووصل الى بلاده وقد ترك اليعقوبية جلب معه المقالة المذكورة من الجلسة الثالثة عشرة من المجمع الهسباليّ

الثاني ونشرها بين أهل جبل لبنان فاستمالهم الى قبولها ورفض المنوفيسيتية فصاروا كاثليكيين . وكان في ذلك الزمان قد قدحت في تلك النواحي زناد الضلالة المنوثليتية بهمة هرقل ملك الروم . فأصيب بها أهل جبل لبنان المذكورون تبعاً لرهبان مارمارون . فسموا موارنة وتميزوا من سائر الامم النصرانية . وحفظ الموارنة مقالة المجمع الهسبالي المذكورة وزادوا عليها مقدمة وخاتمة وحرّفوها بادخال بدعة المشيئة الواحدة حتى صارت على الهيئة التي تراها في النسخة (خ) .

اما مايذكر في النسخة (ذ) من ان جبرائيل القلاعي قد ترجم تلك المقالة وغيرها « من الافرنجية الى العربية » ومن ان جبرائيل القلاعي جعل يقول هناك « انا عند الاخوة نقلته من اليوناني الى العربي » . فزيادة من الناسخ لاصحة لها في الاصل . وذلك أولاً لان المجمع الهسبالي مكتوب باللغة اللاتينية لا اليونانية . وثانياً لان النسخة (خ) الحاوية المقالة المذكورة مع مقدمتها وخاتمتها هي أقدم من زمان القلاعي وهو أواخر القرن الخامس عشر . وثالثاً لان المقالة مع كونها ارثذكسية في أمر الاقنوم الواحد والطبيعتين تحوي في مواضع شتى من النسخة (خ) وفي موضع واحد من النسختين الاخريتين ضلالة المشيئة الواحدة . وهذه الضلالة لا يمكن البتة ان يكون جبرائيل القلاعي قد أدخلها في المقالة المذكورة . وناهيك ان الشهادة التي أوردها المجمع الهسبالي من القديس فلجنتيوس انما هذه هي حرفيتها هناك :

« Si quis ergo in Domino nostro Jesu Christo aut duas naturas aut unam noluerit sive dubit averit praedicare personam...a fide catholica deprehenditur extranens »

« فمن شك أوابي ان يعتقد بأن في ربنا يسوع المسيح طبيعتين أو اقنوماً واحداً . . فهو يعرض نفسه للبعد من الايمان الكاثليكي » . ومن يصدق ان جبرائيل القلاعي أو غيره من الموارنة الذين بعده سولت له نفسه تغيير هذه الشهادة وجعلها بالصورة الموجودة في النسخ التي سبق الكلام عنها وهي : « من لم يعتقد ان في المسيح ارادة

« واحدة بل ارادتين أو شك قائلاً بأنه لم يكن له طبيعتان أو قال ان ليس له أقنوم
« واحد فهو محروم » .

فيجب اذاً ان نقول ان كاتب النسخة (ذ) زاد من عنده الكلمات التي فيها نسب هذه المقالة الى جبرائيل القلاعي كما زاد كاتب النسخة (د) الكلمات التي بها نسب تلك المقالة الى يوحنا مارون والى ترجمة القلاعي . ويبقى ثابتاً ان هذه المقالة كانت موجودة عند الموارنة قبل عهد جبرائيل القلاعي بأجيال (١) .



(١) اننا بعد الفراغ من تأليف هذا الفصل وفد الينا خبر من رومية بان البطريرك اسطفانس الاهدني قد ذكر هذا كتاب شرح ايمان الموارنة الثاني في كتاب الاحتجاج . وفي ورقة ٢٢ (من المصحف الواتيكاني السرياني ٣٩٦) أورد الشهادة الثالثة التي أوردناها من هذا الكتاب المعتقد في الفصل السابق بالصورة التي أوردناها نحن أي بوجود كلمة مشيئتين في آخرها . الا ان الاهدني جعل صاحب هذا الكتاب ابا الفرج ابن الطيب (الذي سيأتي الكلام عنه في الفصل الثامن من هذا الباب وقد ظنه مارونياً) وكل واحد يرى ان هذا الزعم مردود لاسباب كثيرة أخصها ان ابا الفرج المذكور مشهور بفصاحته وبلاغته في اللغة العربية . وأما انشاء هـذا كتاب الايمان فلا يمكن ان يؤتى بمثله البتة ركاكة وسماجة وبلبلة كما رأيت من النبذ التي اوردناها منه .

الفصل السادس

في شهادة كتاب شرع الموارنة

وهو المسمى كتاب الهدى

انه لا شيء تتبين منه عقيدة كل امة بعد كتاب شرح معتقدها اكثر من كتاب شرعها. ولما كان للموارنة كتاب مخصص يحوي الرسوم والاحكام والقوانين التي كانت هذه الملة تسلك بموجبها مدة انفصالها عن الطوائف النصرانية كما يوجد لدى كل ملة مثل ذلك. فعلينا ان نفحص كتاب شرع الموارنة لنطلع منه على حقيقة مذهب هذه الامة.

وهاك الشهادة الجلية الحاصلة من هذا كتاب الهدى. قال صاحب هذا الكتاب في ورقة ٢٢ من المصحف الواتيكاني السرياني عدد ١٣٣ حيث شرح معتقد الملة المارونية في امر التجسد: « في آخر الزمان .... هبط الابن من السماء من غير ان « يفارق ذات الاب ومن غير تغيير ولا فساد. تجسد من الروح القدس ومن الطاهرة « البتول مريم ابنة يوياقيم. واخذ منها جسماً مواز لنا في طبيعتنا ومواز لنا في جوهرنا « الانساني جسماً ونفساً عاقلة ناطقة عاملة وشبهنا في كل شيء سوى الخطية. ووُلد « منها ابن واحد ورب واحد يسوع المسيح اقنوم واحد وشخص واحد ذو جوهرين « معقولين هو الاه وانسان. واذ اعتقدنا فيه هذا الاعتقاد الذي ذكرناه فاننا ايضاً « لا نعتقد فيه انه اثنين ولا مسيحين ولا شخصين ولا مشيئتين ولا فعلين حاشاه « من ذلك ».

ولما اراد ان يبين الفرق الموجود بين الملل النصرانية المختلفة قال في ورقة ٣٠ :

« واما الملكية اختلفت هي والمارونية في المشيئة والمشيئتين . فقالت الملكية ان المسيح
« ذو مشيئتين للجوهرين مشيئة الاهية للجوهر الالهي ومشيئة انسانية للجوهر
« الانساني . وقالت المارونية بل هي مشيئة واحدة للجوهرين » .

لعمري ان الموارنة في مدة السنين والاحقاب التي فيها استعملوا في احكامهم وقضاياهم هذا الكتاب لو كانوا يرون شرح معتقد ملتهم فيه مخالفاً للحقيقة لما احتملوا ذلك البتة بل كذّبوه وابطلوه كما فعل جبرائيل القلاعي الكاثليكي في سنة ١٥٠٣ على قول موارنة زماننا حيث رأى نسخةً من هذا الكتاب وشاهد فيه تقرير الايمان مخالفاً لمعتقد طائفته في ذلك الزمان . فكتب عليه حاشية ليبين ان ذلك التقرير لم يكن موافقاً لحقيقة مذهب الموارنة على زعمه . فسكوت طائفته الموارنة على الدوام عن تبيان الضلال الذي في هذا الكتاب من جهة مذهبهم من يوم انشائه الى زمان جبرائيل القلاعي هو دليل على ان الموارنة الذين استعملوا ذلك الكتاب في تلك المدة كانوا مصادقين عليه ومصححين ما فيه من الشرح لحقيقة مذهبهم . كما ان تخطئته اول مرة بقلم جبرائيل القلاعي سنة ١٥٠٣ دليلٌ واضح على ان الموارنة في زمانه قد اقلعوا عن ضلالهم الاول وتمسكوا في ذلك الزمان بالايمان الارثذكسي .

حل اعتراضات الخصم على شهادة كتاب الهدى

قد جمع مؤلف كتاب روح الردود جميع الحجج التي اخترعتها قريحة الموارنة لتبطيل شهادة هذا الكتاب او تضعيفها على القليل . ونحن هاهنا نردّ على واحدة واحدة منها كما هي مبسوطة في وجه ١٠٣ وما بعد من الكتاب المذكور .

١ ــ قال : ان هذا الكتاب قد حرّفه توما الكفرطابي بشهادة جبرائيل القلاعي

نجيب : ان كان خصومنا يصدّقون ان جبرائيل القلاعي في القرن السادس عشر رأى بعينه توما الكفرطابي الذي عاش في القرن الحادي عشر جمع عنده نسخ كتاب الهدى وشرع يحرّفها واحدةً واحدة ليدرج فيها مذهب المشيئة الواحدة . فنحن لا نصدّق ذلك ولا حاجة الى اعادة جميع ما اوردناه من البراهين في الفصل الثالث لابطال هذا الزعم . ويكفينا الان ان نقول ان النسخة التي بيدنا من كتاب الهدى الحاوي شرح مذهب الموارنة في التجسد كتبت في سنة ١٤٠٣ اي بعد موت الكفرطابي بثلاثمائة سنة فاكثر. ولنا ان نعتبر ايضاً ان كتاب الهدى كان قد انتشر باللغة العربية بين الموارنة من قرب حيث كان قد ترجمه داود الاسقف سنة ١٠٥٩ اي قبل مجادلة توما الكفرطابي مع الملكيين عن المشيئة الواحدة بثلاثين سنة فقط . ولعلَّ مترجمه كان بعد حياً او كان قد مات عن قرب . فكيف كان يتجرأ توما الكفرطابي ان يفسد كتاباً شاع امره من جديد بين الخاصة والعامة ومؤلفه لم تكن بليت عظامه بعد والموارنة قاطبةً يرون ويسكتون .

٢ ـ قال : روى الاهدني ان توما الكفرطابي علق على كتاب الهدى حاشية من عنده فيها اشار الى كتابه المسمى المقالات العشر والى رسالته الى ارسانيوس الاسقف والى رسالته المسماة بدء العدد .

نجيب اننا ننكر رواية الاهدني انكارًا مطلقاً . لانها تخيلات محضة ليس الاَّ . ولا اثر لها في النسخة الواتيكانية التي استعملناها والتي هي اقدم كل نسخ هذا الكتاب على ما نظن . ولعل الخصوم يحاجونا بنسخة اخرى توجد عندهم قد كتبت في زمان الاهدني او قبله بقليل في مدرسة الموارنة برومية . فنقول باننا لا نقبل شهادة نسخة على هذه الصفة بل نحكم بانها مزوّرة ونواقف خصمنا الى النسخ القديمة فقط ولاسيما هذه الواتيكانية التي خطها احد اساقفة الموارنة (١) .

(١) ان الرسالة الى ارسانيوس هي من جملة مؤلفات مترجم كتاب الهدى وهو

٣ - قال : ان كتاب الهدى هو كتاب شرع لا كتاب لاهوت ولا كتاب تواريخ فلم يكن سبيل الى ان يذكر فيه اثبات المشيئة الواحـدة والطعن في القديس مكسيموس ورسالة توما الكفرطابي الى ارسانيوس والرسالة الاخرى .

نجيب ليس كتاب شرع الموارنة فقط يحوي شرح معتقد الملة التي من أجلها كتب الكتاب . بل كثير من كتب شرائع باقي الملل يحوي شرحاً كذلك . ألا ترى ان كتاب شرع الكنيسة الرومانية نفسها يحوي في مبداه فصلاً طويلاً عنوانه « في الثالوث المعظم وفي الايمان الكاثليكي » . أو ليس المجمع اللبناني المشهور هو كتاب شرع للموارنة الكاثليكيين . فلماذا لم يهمل أباء هذا المجمع ان يبسطوا في أوله في باب طويل عريض شرح المعتقد الكاثليكي مفصلاً . اما ان في كتاب الهدى طعناً في القـديس مكسيموس وذكر رسالة توما الكفرطابي فكذب محض . وها ان الكتاب موجود في الخزانة الواتيكانية فليطالعه من شاْ و يبين من منا هو الكاذب . ولو كان قول الخصم صدقاً أيضاً لم ينتج منه شيء . نعم ان كتاب الهدى يوجد في أوله رسالة من الاب يوسف الى المطران داود مترجم الكتاب فيـه يطلب منه ان يفسر الكتاب و ينقله من اللغة السريانية . ورسالة أخرى من داود الاسقف المذكور الى الاب يوسف يذكر فيها اجابته الى طلبته لاغير . فان كان الموارنة المتأخرون قد اخترعوا من عقلهم اسم ارسانيوس العاقوري وسردوه في نسخة جديدة لفقوها على كتاب الهدى مع غير ذلك من الزيادات فيترتب عليهم لاعلينا ان يوافقوا هذه الزيادات مع أحوال ذلك الكتاب .

داود الاسقف لا توما الكفرطابي . فان داود الاسقف قال في الموضع المار ذكره :
« ثم الملكية وهي المنسوبة الى الملك قسطنطين من هرقل الملك الخ . ثم المارونية وهي
« المنسوبة الى مارون يوحنا بطرك انطاكية العظمى وقد ذكرت خبر هاتين الفرقتين
« الملكية والمارونية وشرحت بيان حالهما شرحاً شافياً في الرسالة التي كتبتها الى الاب
« القديس ارسانيوس اسقف عين قرة » .

٤ ــ قال : روى مرهج نيرون النبذة الثانية المستشهد بها من كتاب الهدى بهذه الصورة وهي « الملكية يتفقون مع المارونية في نطق المشيئتين . وقالت المارونية مشيئتين للجوهر الالهي والانساني » .

نجيب (١) : هذا ايضاً من مآثر موارنة القرن السابع عشر في تحريف أقوال المؤلفين . (٢) لماذا توما الكفرطابي لم يغير هـذه النبذة كما غير النبذة الاولى على مايدعي الخصم . فأحد القولين اذاً كذب . أي اما كذب القلاعي حيث قال ان توما الكفرطابي حرَّف كتاب الهدى . واما كذب مرهج نيرون اذ زعم ان كتاب الهدى فيه شهادة تثبت اعتقاد الموارنة بالمشيئتين . ونرجع الى السيد يوسف الدبس ونقول له : قلت سابقاً ان هذا هو كتاب شرع فلا يمكن ان يحوي بحثاً عن المعتقد فمن أين فيه اذاً هذه الفقرة التي أوردتها عن مرهج . (٣) ان كان الملكية على قولكم كانوا متفقين مع الموارنة في القرن الحادي عشر في أمر المشيئتين بشهادة كتاب الهدى فقولوا لنا في أي شهادة من ذلك الكتاب كانوا اذاً يختلفون . ولا مفرّ هنا من الجواب . (٤) لما كانت هذه النسخة المشار اليها قد كتبت في رومية في المدرسة المارونية نفسها تلفيقاً من عقل بعض تلامذتها في القرن السابع عشر فنحن نرفض شهادتها رفضاً قاطعاً ونحاج الموارنة بالنسخ القديمة . أو ليس الاهدني قال كما أورد صاحب روح الردود وجه ١٠٦ : « كتاب الهدى وقع في يد توما الكفرطابي فأدخل في بدئه الاقرار بالمشيئة الواحـدة » . فكتاب الهدى بأقرار الاهدني كان يحوي الاقرار بالمشيئة الواحدة منذ القرن الحادي عشر . فمن أين قدر مرهج نيرون ان يجد في القرن السابع عشر نسخة من هذا الكتاب خالية من ضلال المشيئة الواحدة .

٥ ــ قال : ان التقرير الذي قرَّره المطران داود في كتاب الهدى عن المشيئة الواحدة في المسيح هو بالمعنى الكاثليكي .

نجيب الخصم قائلين : (١) اننا ننكر ذلك على الاطلاق فان صاحب كتاب الهدى

جعل الموارنة ضداً للملكية في القول بالمشيئة الواحدة . والحال ان الملكية كانوا متمسكين بايمان الكنيسة الكاثليكية في أمر المشيئتين . فاذاً معتقد الموارنة المناقض لمعتقد الملكية لم يكن بالمعنى الكاثليكي . (٢) على ان في مدافعة الخصوم من التناقض مالا يخفى بحيث أنهم في براهينهم التي سبق ذكرها ادعوا ان كتاب داود الاسقف لم يكن في الاصل يحوي ضلالة المشيئة الواحـدة . بل زاد هذه الضلالة عليه توما الكفرطابي وان هذا كتاب شرع لايمكن ان يحوي كلاماً في المعتقد . والان يقولون ان داود الاسقف نفسه أقرَّ في كتابه بالمشيئة الواحدة ولكن بالمعنى الكاثليكي . فايُّ القولين نصدق . فان كان على زعمهم الثاني قد أقرَّ داود الاسقف بالمشيئة الواحـدة في كتابه فما عسى ان يكون قد فعل توما الكفرطابي بهـذا الكتاب بموجب زعمهم الاول . وان كان مازعموا في الاول صدقاً وهو ان توما الكفرطابي قد زاد على ذلك الكتاب اقرار المشيئة الواحدة فان زعمهم الثاني وهو ان مؤلفه أو مترجمه أودع فيه هذا الاقرار لهو اذاً باطل . (٣) ليس مرادنا هنا ان نجادل الموارنة في علم اللاهوت ولذلك نعدل عن البيان انه لا يجوز ان يقال بالمعنى الكاثليكي ما قاله صاحب كتاب الهدى في اثبات المشيئة الواحدة وان كان خصومنا غير مقتنعين بذلك فنحن نعدهم بالتسليم لقولهم اذا هم سموا لنا احداً من الاباء القديسين او المؤلفين قاطبةً المقبولين في الكنيسة شرقاً وغرباً ممن عاشوا بعد المجمع السادس قد اثبت في كتابه القول بالمشيئة الواحدة . او كنيسة من الكنائس الكاثليكية الوافرة العدد التي نشأت شرقاً وغرباً الى يومنا هذا قد وُجد في كتبها الطقسية او التاريخية او الدينية الاقرار بالمشيئة الواحدة في المسيح . او فليُدخل الموارنة في زماننا هذا ثانيةً ان استطاعوا الاقرار بالمشيئة الواحدة في قدّاسهم وفي رساماتهم الكهنوتية . وفي شرح ايمانهم . وفي كتاب شرعهم كما كان آباؤهم يصنعون قبل صلحهم مع الكنيسة الرومانية . فاذا كان لابأس عندكم يا أيها الموارنة الكرام ان يقول الكاثليكي بالمشيئة الواحـدة

في المسيح فعلى مَ غضبكم على سعيد بن بطريق وعلى غليلم الصوري وعلى انو كنتيوس الثالث وعلى اوجانيوس الرابع وعلى سائر من قالوا قولهم بأن أجدادكم كانوا يعتقدون بالمشيئة الواحدة . وعلى مَ اختراعكم قصة توما الكفرطابي وادعاؤكم بأنه حرَّف كتاب معتقد أبائكم وكتاب شرعهم . وعلى مَ تهمكم لليعاقبة بأنهم عبثوا بكتب أجدادكم وادخلوا فيها ضلالة المشيئة الواحدة . فكأني بكم الان قد غادرتم طريقة جدالكم الاولى وشرعتم تقرّون بأن أجدادكم كانوا منوثليتيين ولكن تدّعون انهم كانوا منوثليتيين كاثليكيين . فان كان الامر كذلك فلست انا الذي أخاصمكم بل المجامع المقدسة وملافنة البيعة والاحبار الاعظمون والكنيسة الجامعة بأسرها .



الفصل السابع

في شهادة كتب طقس الموارنة

ان الموارنة الاقدمين قد بينوا ان حقيقة مذهبهم ليس في كتب شرح معتقدهم وكتاب شرعهم فقط بل ايضاً في كتب طقسهم . كما كان ينتظر منهم . فان كل ملة انما تبين جوهر عقيدتها بالعبادة التي تروم ان تؤديها لله . لانه كما قال القديس اوغسطينس : « ان اسلوب الاعتقاد يظهر في اسلوب الصلوة » .

فاذا تقرر ذلك فاعلم ان صروف الزمان لم تخلف لنا كتباً كثيرة قديمة تحوي طقس الموارنة القدماء . ولكن ما سلم منها ووصل الينا ولو كان قليلاً لا يخلو من ان يقضي اربنا . وذلك ان من جملة كتب الطقس كتاب الخيروطونيات وهو كتاب يحوي طقوس رسامات الدرجات الكهنوتية كالشماس والقسيس والاسقف . فنقول انه

قد وصل الينا من الموارنة القدماء كتاب الخيروطونيات سالماً حاوياً شهادة جليلة ساطعة في حقيقة مذهبهم . فانه فيه كان يرسم للاسقف ان يقول في رسامة القسيس هذه الكلمات للمرتسم (في ورقة ٦٣ من المصحف الواتيكاني السرياني عدد ٤٨) :

«ارتبط بالايمان الصحيح بيسوع المسيح الذي اهّلك الى هذه الخدمة في هذه المرتبة «التي هي امانة آبائنا الخاص القديسين الرسل والمجامع وقانون تعليمهم الصحيح بالامانة «بسيدنا وربنا يسوع المسيح باقنوم واحد وابن واحد ومسيح واحد ومشيئة واحدة ... « ولاجل هذا قال ما جئت لاعمل مشيئتي بل مشيئة من ارسلني ... ومعاذ الله بان «يكون له مشيئتين ويسمى الثالوث رابوعاً بعد الاتحاد » .

اعلم ان هذا المصحف الواتيكاني كتب في جبل لبنان سنة ١٥٠٧ للمسيح . ومثل هذه الكلمات يوجد في المصحف الاخر الواتيكاني السرياني الذي عدده ٤٩. ويوجد ايضاً في الخزانة الواتيكانية نسخة ثالثة من كتاب الخيروطونيات قديم جداً . كتب سنة ١٢٩٥ وهو كله بالسريانية . ولكنه قد لعبت فيه يد حديثة فمزّقت منه ورقة صحيحة في المحل المذكور الذي فيه الاسقف يعظ القسيس المرتسم . وذلك لسبب ما كانت تحويه تلك الورقة من ضلالة المشيئة الواحدة . وعلامات التمزيق باقية الى الان واضحة لمن يتأمل حال المصحف.

ولعلّ الخصوم يعترضون على شهادة المصحفين الواتيكانيين الاوّلين بقولهم ان ذينك الكتابين كتبا في القرن السادس عشر الذي فيه بلا شك كان الموارنة كاثليكيين فشهادتهما باطلة . —نجيب ان كاتبي ذينك المصحفين لم يخترعا من عقلهما ما سطراه في الكتابين اللذين كتباهما . بل كما وجدا في النسخة القديمة التي نقلا عنها كذلك كتبا اما لجهلهما واما محافظةً على الاصل . ألا ترى ان كثيراً من كتب الكلدان المكتوبة في مبادىء هذا القرن نفسه في مدينة القوش التي هي كاثليكية من

زمان يحوي ضلالات النساطرة . فهل تبطل لذلك شهادة هذه الكتب على حقيقة مذهب النساطرة القدماء .

ثم اننا لنا شهادة اخرى ساطعة من كتب طقس الموارنة القدماء يتبين منها بكل تأكيد انهم كانوا يعتقدون بالمشيئة الواحدة في المسيح . وهي من الحساية التي كان القسيس يقولها في مبادئ القداس وتوجد فيها هذه الكلمات التي نقلها اسطفانس الاهدني في كتاب الاحتجاج (ورقة ٢٤ من المصحف الواتيكاني السرياني ٣٩٦)وهي:

ܠܡܪܚܡܢܐ ܫܘܒܚܐ ܕܫܪܐ ܒܡܪܝܡ ܒܡܣܟܢܘܬܐ . ܘܐܝܟ ܒܪܢܫܐ ܕܢܚ ܡܢ ܟܪܣܗ .. ܢܦܩ ܠܒܪܝܬܐ ܒܬܗܪܐ ܒܫܠܡܐ ܚܕܐ ܕܐܝܬ ܟܝܢ̈ܐ ܫܪܝܪ̈ܬܐ . ܚܕ ܦܪܨܘܦܐ ܚܕ ܨܒܝܢܐ . ܡܠܐ ܕܝܠܝܬܐ ܕܥܘܝܦܐ ܕܐܝܬ ܟܝܢ̈ܐ ܠܐ ܦܠܝܓܐܝܬ .

« السبح للرحمن الذي حل في مريم بشكل فقير واشرق من بطنها كانسان ... « خرج الى البرية بعجب باتفاق واحد من الطبيعتين الحقيقيتين . وهو شخص واحد « ومشيئة واحدة . مالك خواص الطبيعتين المضاعفة بلا انقسام » . أكان يمكن للموارنة ان يبينوا تمسكهم بالمنوثليتية باكثر من هذا اي بان يرسموا على كهنتهم ان يجاهروا كل يوم في القداس امام الشعب و يعترفوا بمشيئة واحدة في المسيح . أهولاء هم الموارنة الذين على قول خصمنا من اجل تمسكهم بمعتقد المشيئتين انفصلوا عن البطريركية الانطاكية واقاموا لهم بطريركاً على حدة وسموا باسم جديد . واصابهم من اجل هذا الايمان بالمشيئتين اضطهاد واذى وقتل من اعداء الايمان . فمن الذي سحرهم هكذا وغشى على بصائرهم حتى صاروا كل يوم يرفضون جهراً هذا المعتقد ويعترفون بعكسه . الامر الذي ما فعلته اليعاقبة ولا النساطرة انفسهم . فانهم

مع مساواتهم للموارنة في القول بالمشيئة الواحدة لم يهمهم قط ان يقرّروه في عبادتهم. ولا غرو فانه مثلما كان يهم خاصةً اليعاقبة القول بالطبيعة الواحدة والنساطرة القول بالاقنومين وكلٌ من هاتين الملتين همها ان تبين معتقدها هذا الاصلي في كل محل. كذلك الموارنة همهم خاصةً القول بالمشيئة الواحدة وقرروه في كل محل ولاسيما في القداس الذي هو اشرف ما في الديانة المسيحية. واما التلويات والمغالطات التي بها حاول اسطفانس الاهدني ان يميل هذا القول وامثاله الواردة في كتب الموارنة القدماء الى معنى مستقيم فلا نعبأ بها اذ انه بهذه الصورة يمكن تحليل اشنع ما يكون من الاقوال الهرطوقية.



الفصل الثامن

في شهادة كتاب تفسير الانجيل الذي انتحله الموارنة القدماء من ابي الفرج ابن الطيب

اعلم انه اشتهر في العراق بين النساطرة في القرن الحادي عشر رجلٌ عالم مدحه اهل زمانه واكثروا من مدحه وهو ابو الفرج عبد الله ابن الطيب القسيس الذي كان كاتباً لايلياء بطريرك النساطرة. صنف هذا ابن الطيب كتباً شتى اشتهرت في الافاق. ومن جملتها شرح الانجيل وفاق وبرع حتى ان كتابه هذا وان كانت مبادئه نسطورية فقد انتحله اليعاقبة لنفسهم لئلاّ تفوتهم الفوائد الحاصلة منه كما شهد ابو البركات القبطي حيث قال: « القس ابو الفرج بن الطيب كاتب طيمثاوس « (الصحيح ايلياء) الجاثليق له مجموع شرح الاناجيل المقدسة. وقد نقحه بعض

« اليعاقبة وانتزعوا منه الالفاظ التي هي موافقة لراي النسطورية سياسةً . ونقلت منه « عدة نسخ بعد ذلك ابتغاءً لما فيه من الفضائل والمعاني التي تعب جامعه في « ايرادها » . ولا حاجة الى اعادة ما شرحه السمعاني في وجه ٥٤٤ من المجلد الثالث من المكتبة الشرقية عن ابن الطيب مبيناً انه كان نسطورياً لا كما زعم اسطفانس الاهدني مارونياً . ونضيف فقط الى ذلك افادة واحدة وهي ان كتب ابن الطيب كثيرة لا توجد الاَّ في العراق ومن جملتها نسختان لشرح الاناجيل موجودتان في خزانة البطريركية الامدية اي في مدينة دياربكر للكلدان حافظتان نص ابن الطيب على اصله . واحداهما وهي تحوي شرح اناجيل متى فقط مكتوب في مطلعها بماء الذهب : « برسم خزانة الصدر الاجلّ الاوحد الافضل الاكمل . . . « ابي البركات الفضل بن مواهب بن ابي البركات بن مواهب بن ابي منصور بن البحريّ » . فالظاهر ان هذه النسخة كان قد تداولها ابو البركات القبطي المذكور سابقاً . وفي الصفحة الاخرى توجد تعريفة بخط عبديشوع الجزري الذي صار بطريركاً على الكلدان بعد سولاقا بان القس عبد الله بن نصر الدين قد اوقف الكتاب لبيعة مار بثيون في آمد . وكانت هذه النسخة قد وقعت بيد احد اليعاقبة . فعلم على بعض الفصول في الهامش الايام التي فيها تقرأ تلك الفصول بحسب طقس اليعاقبة . لان المؤلف لم يضع شيئاً من ذلك في كتابه . واما النسخة الثانية فتنطوي على تفسير الاناجيل الاربعة كلها . وهي عتيقة جداً خطت بيد لوقا ابن شمعون المتطبب سنة ١٠٢٢ للميلاد كما هو مذكور في ذيل انجيل متى . ومما يستحق الذكر في هذا الكتاب النسطوري شهادته في رئاسة بطرس الرسول حيث قال في تفسير الفصل الثاني من متى : « تلقيبه لشمعون بالصفا لانه القاعدة التي بني عليها الامانة والبيعة » . وفي تفسير الفصل ٢١ من لوقا : « وقوله وانت ايضاً في وقت اعطف وثبت اخوتك « يريد في الايمان فكما استعظمت الضعف ورأيت ما فعلت بك بانهاضي اياك هكذا

« انت ايضاً يجب اذا رأيت اخوتك في وقت البشارة قد ضعفوا وخاروا ترجع
« وتثبتهم وتقوي متنهم . وهذه الوصية وصاه ليفعلها بعد نزول روح القدس . وانظر
« يا حبيبي الى هذه الاعجوبة في شمعون لم يكتف لمخلص الكل ان يعدّه بعد توبته
« في جملة الفضلاء حتى جعله معلماً ومثبتاً لباقي التلاميذ وجميع الناس » . (١)

فاذا تقرَّر ذلك فأعلم ان الموارنة في الازمان الخالية قد فعلوا بهذا كتاب ابن الطيب من قبيل المعتقد الماروني ماذكرنا سابقاً ان اليعاقبة فعلوا به من جهة مذهبهم . اعني ان أحد الموارنة المتقدمين قد نقح شرح الاناجيل لابن الطيب مما ظنه مخالفاً لمذهبه لافادة بني ملته . ويوجد في هذا تنقيح الموارنة نسخة جسيمة في الخزانة الواتيكانية موسومة بعدد ٤٠٥ بين المصاحف السريانية كانت أولاً ملك المدرسة المارونية برومية وهي التي من سببها توهم الاهدني ان مؤلف الكتاب ماروني في الاصل .

وكان المؤلف النسطوري قد قال في المقدمة : « قادتني الضرورة ولئن كنت
« لاأستحق ولا منزلة لي في العلم ان أجمع ما قاله الملافنة المحققون مار ثاودورس
« المفسر الجليل وماريوحنا فم الذهب وغيرهما ممن اتبعهما من تفاسير كتاب الحيوة
« باللغة العربية لاستيلائها على هذه البلاد أعني العراق وعدم الناس فهم اللغة السريانية » .
فوضع المنقح الماروني بدلها : « قادتني الضرورة الخ ان أجمع ماقالت الملافنة المحققون
« مار ثاودروس المفسر الجليل ويوحنا فم الذهب وانبا كيرلص (أي قورلس
« الاسكندري) وديونيسيوس وغيرهم ممن اتبعهم في تفسير كتاب الحيوة باللغة
« العربية لاستيلائها على هـذه البلاد أعني جبل لبنان وعـدم الناس فهم اللغة
« السريانية » .

---

(١) ان هذه الفوائد الثمينة وغيرها عن نسختي كتاب ابن الطيب الموجودتين في كنيسة آمد قد حصلت عليها في هذه الايام من فضل العلامة الجليل مار عبد يشوع خياط مطران العمادية ومدبر كنيسة ديار بكر الفائق الشرف والحرمة .

« انظر كيف هذا الرجل الماروني الذي ادخل كتاب ابن الطيب بين الموارنة يظهر نفسه سارقًا لامنقحًا . فانه بالكلمات التي أوردناها اراد ان يفهم القارئ كذبًا ان هذا شرح الانجيل ألف في الاصل في جبل لبنان وان مؤلفه هو ماروني وانه قد جمعه من تفاسير قورلس الاسكندي وديونيسيوس (لاندري أي ديونيسوس) ويمكن انه هو ابن الصليبي . ومن هذا يتضح جليًا ان صاحب هذا الكتاب اللبناني كان مارونيًا لانه ألفه في جبل لبنان ولم يكن يعقوبيًا لانه استشهد فيه ثاودورس الذي هو من أعظم الهراطقة مع نسطور وديودورس عند اليعاقبة ولانه حامي عن الطبيعتين في مواضع شتى من كتابه وربما قال بالاقنومين . ولا كان نسطوريًا لانه استشهد قورلس الاسكندري الذي يبغضه النساطرة أكثر من ابليس وحامى عن الاقنوم الواحد كثيرًا . اما قبولهم ثأودورس فمعلوم من اتخاذهم نشيده الذي بدءه [illegible] [illegible] وقد عابهم بذلك اليعاقبة واما قولهم بالطبيعة الواحدة فقد سبقهم فيه مشيد ملتهم يوحنا مارون كما رأينا في الفصل الخامس من الباب الثالث . واما قولهم بالاقنومين فقد استمال اليه صاحب كتاب شرح أمانة اليعاقبة .

ثم ان هذا السارق الماروني اجتهد ان ينقح الكتاب من كل ماظنه غير موافق لمذهبه في دين النساطرة . الاّ انه ربما غفل عن أقوال تنبئ بالاقنومين صريحًا فتركها على حالها . فمن ذلك قول ابن الطيب في تفسير فصل صلوة المسيح في البستان : « وانا اوثر ان اسأل المخالفين من الملكية واليعقوبية عن هذه الدنايا ومن « احتملها تعالت طبيعة خالقنا عنها . فضرورة تقودهم ان يقولوا بأن الذي احتملها « هو الانسان فيصير لنا محتمل وغير محتمل . فالمسيح اذًا جوهران وقنومان لاشك « فيها » . قال السارق الماروني (في وجه ١٧٠ من المصحف المذكور) : وانا اوثر « أن أسأل بعض المخالفين عن هذه الاشياء ومن احتملها تعالت طبيعة خالقنا عنها . « لان في خالقنا طبيعتين مختلفتين واتحادهما كيانًا واحدا قبل الاوجاع عنها

« باختياره في جسده وهو لايتوجع بلاهوته . . . لانه اتحد اللاهوت بالناسوت
« كاتحاد النار بالحديد طبيعتين مختلفتين . لا ان طبع النار استحال فصار حديداً
« ولا ان طبع الحديد استحال فصار ناراً » .

فترى انه بالزيادة التي زادها على قول ابن الطيب فسر الاقنومين بمعنى الطبيعتين . وحيث كان ابن الطيب قد قال في فصل عرق المسيح في البستان من متى : « وماذا « يقول المخالفون من اليعقوبية والملكية في هـذا الفصل . اترى العرق والفزع كان « لجوهر وقنوم الله (حاشا الله) تعالى عن ذلك . أم لجوهر وقنوم الانسان . فان « قالوا لجوهر وقنوم الله فقد الحدوا . وان قالوا لجوهر وقنوم الانسان فالمسيح جوهران « وقنومان . وهذه طريقته لابدّ لهم من سلوكها » . نقل السارق الماروني هذه الكلمات بعينها ولكنه زاد عليها قوله : « وحقيق ان بالمسيح جوهران واقنومان . ولكن لما « اتحد اللاهوت بالناسوت اعني الاقنوم بالاقنوم والجوهر بالجوهر والطبيعة بالطبيعة « كاتحاد النار بالحديد والنفس بالجسد . وبهذا الامر وبهذا الاتحاد لم زاد الثالوث « لا اقنوم ولا مشيئة ولا طبيعة حتى لا يكرم الخلائق الكفر . لكن اتحد الاقنوم « الالهي بالاقنوم البشري والمشيئة الالهية بالطبيعة البشرية وصار الله متجسداً » .

وبعكس ذلك ربما رأينا هذا المنقح الماروني القليل الفطنة يصرّح بكيان واحد اي طبيعة واحدة في المسيح . فمن ذلك قوله في فصل تكثير الخبز والسمك من لوقا (ورقة ٢٩٨) : « قالوا (اي الآباء معلموا البيعة) انه واحد من اثنين . طبع من « طبعين . وجوهر من جوهرين . الاه متجسد شخص واحد واقنوم واحد وفعل واحد وارادة واحدة » . وقال في ورقة ٣٩٢ : « نزل (من السماء) كياناً واحداً « صعد كيانين . اي نزل لاهوت صعد لاهوت وناسوت . نزل وهو لا يرى . صعد « وهو يرى طبيعتين متحدة . واتحادهما طبع واحد » . وكل ذلك لا يوجد في نص ابن الطيب بل زاده المنقح الماروني من قريحته .

فاذا اعتبرنا ما اوردناه الى الآن من المصحف الماروني يتأكد لدينا امران: الاول الفرق العظيم بين فصاحة نص ابن الطيب وبين ركاكة ما زاده السارق الماروني. والثاني هو ان الموارنة في البحث عن تجسد المسيح همهم اكثر من كل شي القول بالمشيئة الواحدة حتى انهم كان يأتون بذكره حيث لا ينبغي. وربما سخوا بالقول بالطبيعة الواحدة او بالاقنومين ولكن لم يكن لهم ميل الى القول بالمشيئتين.

وذلك اي ما يستحق ان يعتبر في هذا المصحف الماروني غاية ما يكون ويهمنا اكثر من كل شيء هو ما زاده كاتبه على مواضع شتى من نص ابن الطيب النسطوري في البحث البليغ عن المشيئة الواحدة والمدافعة عنها ومجادلة القائلين بالمشيئتين. وهاك شيئاً من ذلك على سبيل المثال. قال في ورقة ١٦٢ في كلامه عن صلوة المسيح في البستان: « ان كان يستطاع ليجزعني هذا الكاس. لا تكن ارادتي بل ارادتك « ويقال على اربعة شكوك .... الرابع ان ارادته وارادة الاب لم تكن واحدة. « وكثير ضلوا بهذا القول ... والشك الرابع الموجب الارادتين حله يجري على هذا « السبيل. فقول سيدنا لا تكن ارادتي لكن ارادتك تقديره لا يكن ارادة الطبيعة « البشرية (اي ارادة البشر) ... لكن ارادتك التي هي وارادتي واحدة. فان « المسيح في ذلك الوقت اقام نفسه مقام الخليقة باسرها لانه حمل خطاياها كلها « بنفسه. والدليل على ان ارادتهما واحدة قوله في موضع اني لم آت من ارادة « نفسي. وفي موضع اخر انني لا استطيع ان افعل شيئاً بارادتي ». الى هنا ما قاله ابن الطيب. وزاد عليه السارق الماروني قوله: « وتحقيق ذلك ارادةٌ واحـدة وفعل واحد ».

وقال في فصل تكثير الخبز من لوقا (ورقة ٢٩٨) « ان كنت متمسكاً بكلام « العتيقة الذي قاله الرب لم تشك في كلامه الذي قاله في الحديثة وتقسم الرب « يسوع المسيح كلمة الله الاب الازلي المولود من جوهره الذي تأنس من اجل

« خلاصنا الى مشيئتين (١) وفعلين وتضيف احدهما الى لاهوته والاخر الى ناسوته
« وليس هكذا قال الاباء معلموا البيعة . بل قالوا انه واحد من اثنين طبع من
« طبعين . . . فعل واحد وارادة واحدة » .

وقال في تفسير فصل ضرب المسيح وهزؤه من متى (ورقة ١٧٠) : « قال
« كيرلس الاسكندري كل من يقسم افعال الرب واعماله ويحسب بعضهم لمشيئة
« اللاهوت و بعضهم لمشيئة الناسوت من بعد الاتحاد فليكن محروماً ».(ياللاكذوبة
« الفظيعة على هذا الملفان العظيم) .وقال بعض الاباء من اجل اتحاد المسيح بناسوته
« قال اذا دعي الاه فليس احد يجحد ناسوته التي هي متحدة بلاهوته واذا دُعي
« انسان من اجل الجسد الذي اتحد به فليس احد يجحد ربوبيته ولا ينقسم
« اصلاً الى ارادتين » .

وقال في تفسير فصل تطهير الابرص من مرقس (ورقة ١٩٩) : « هاهنا نبكت
« افواه المخالفين الذين يقسمون اعمال سيدنا و يضيفون بعضها لمشيئة اللاهوت و بعضها
« لمشيئة الناسوت . . . فانظر كيف قال سيدنا قد شئت فاطهر فنعلم ان الفعل واحد
«والارادة واحدة » . وقال في تفسير فصل حية النحاس من يوحنا (ورقة ٣٩٢) :
« اتحد الاقنوم الالهي بالاقنوم البشري والمشيئة الالهية بالطبيعة البشرية » . وفي
مواضع شتى باشر الرد على« اهل المشيئتين المخالفين » . راجع ورقة ١٢٦ وورقة٣٦٩
مثلاً . وكل ذلك زائد على نص ابن الطيب لا اثر له في كتابه .

فها كتاب آخر من كتب الموارنة يشهد ان هـذه الملة كانت تعتقد بالمشيئة
الواحدة في المسيح . ومن الغرائب ان الموارنة المتأخرين الذين بحثوا عن هذا
كتاب تفسير الاناجيل لم ينكر احـد منهم ان تأليفه منسوب الى مذهب الموارنة

(١) في المصحف الواتيكاني «قسمين» وهذا خطأ من الناسخ بلا شك لان المصحف
مشحون بغلطات وقد صححنا في الشهادات التي أوردناها ما كان خطاؤه جلياً بيناً .

القدماء . وسبب ذلك على ما أرى هو انهم أحبوا ان يكسبوا لهم المجد الحاصل من هـذا الكتاب النفيس الذي قد أجمع على فضله كل من عرفه من العلماء . فان اسطفانس الاهـدني ادَّعى ان مؤلفه كان في الاصل مارونياً كما نقل السمعاني في وجـه ٥٤٤ من المجلد الثالث من المكتبة الشرقية وانه ذهب الى العراق ومن هناك بعث بهـذا الكتاب الى بني ملته . واما السمعاني فقد أنكر ذلك ولكنه صرَّح بأنه لما بلغ هذا المؤلف النسطوري انه يوجد طائفة من الموارنة تعتقد بالمشيئة الواحدة كالنساطرة ظن ان مذهبهم ومذهب النساطرة واحد في أمر التجسد فبعث لهم هذا الكتاب (كذا السمعاني في الموضع المذكور) . وكل ذلك ولو كان تخميناً وتقديراً خيالياً يتبين منه أمران عظيمان : أولهما انه باقرار اسطفانس الاهدني والسمعاني كان موارنة في أواخر القرن العاشر ومبادئ القرن الحادي عشر يعتقدون بالمشيئة الواحدة في المسيح . والثاني انه باقرار الاهدني والسمعاني لم يكن توما الكفرطابي أول من قال بين الموارنة بالمشيئة الواحدة كما زعم ابن القلاعي بل سبقه في ذلك طائفة من الموارنة قبله بأ كثر من خمسين سنة (١) .

هذا اخص ما امكننا جمعه من كتب الموارنة القديمة لبيان ان هذه الملة كانت منوثليتية تأئيداً لكل ما وصل الينا من شهادات المؤرخين والمؤلفين القدماء من سائر الامم الشرقية والغربية .

---

(١) *** ان حضرة الاب الفاضل الخوري ميخائيل عبد الله غبرئيل الشبابي الماروني في بحثه عن كتاب ابي الفرج ابن الطيب في الجزء الاول من تأليفه « تاريخ الكنيسة الانطاكية الخ » (وجه ١٤٤) خبط خبط عشوآء للاستقرآء عن المناقضات الموجودة في ذلك الكتاب ولم يتوصل الى معرفة سببها . فعليه الآن بمطالعة هـذا البحث الذي منه تتضح الحقيقة كالشمس في رابعة النهار .

الباب السابع

﴿ في بيان عدم كاثليكية الموارنة القدماء من الاحوال التي ظهروا فيها ﴾

وفيه خمسة عشر فصلا

الفصل الاول

في انفصال الموارنة عن الكنيسة الانطاكية وعصيانهم على رئيسهم الشرعي وهو بطريرك الملكيين

بعدما فرغنا من ذكر الشهود المختلفة الجنس والمذهب والزمان والمكان الذين اجمعوا على ان الموارنة القدماء كانوا ضالين ببدعة المشيئة الواحدة بقي علينا الان ان

ولعمري اننا استغربنا من حضرة الاب المذكور قوله عن ابن الطيب في صفحة ١٤٥ : « وقد كان مارونياً من أهل جبل لبنان الا انه مال الى القائلين بالمشيئة الواحدة « في ربنا بسبب مطالعته لكتاب سعيد بن البطريق وتغربه في بلاد العراق . » ولا يفهم جلياً الى من يسند هذا القول هل الى الدويهي أم الى السمعاني أم الى ابن حسن ابن عبدون الذين ذكرهم قبل ذلك . فيا ترى ما هذه القوة العظيمة التي كانت لشهادة ابن بطريق عن الموارنة حتى انها جعلت معلماً حاذقاً فاضلا نظير ابن الطيب ينخدع لها من مجرد قرآءتها ويتمسك ببدعة المشيئة الواحدة . مع ان سعيداً كان يحارب هذه البدعة ويعنت من يعتقدها . فكان الاحرى بابن الطيب ان يستسمجها من قراءة كتاب ابن البطريق ولا يميل الى القائلين بها .

نبحث عن الاحوال التي فيها ظهرت هذه الشيعة في المدة التي دعيناها الحقبة المارونية لنتخذ منها بينات قوية تؤيد جميع ما أثبتته أولئك الشهود على هذه الامة .

فنقول انه من المستحيل ان تعيش طائفةمن الناس كبيرة معروفة وتدوم احقاباً في الكنيسة الكاثليكية الجامعة دون ان تظهر علامات تدل على ارتباطها بالكنيسة عروسة المسيح سواء كان من تواريخها وعوائدها ومعاطياتها مع سائر الطوائف الكاثليكية والغير الكاثليكية او من غير ذلك . والحال ان الطائفة المارونية القديمة التي يدَّعي أبناؤها الان بأنها كانت من جملة طوائف الكنيسة الكاثليكية لم يقم فيها أقل شاهد يثبت كثلكتها في مدة هـذه الاحقاب الاَّ ماتبين كذبه جلياً كقصة يوحنا مارون وتوما الكفرطابي والمعاطيات الخيالية مع الباباوات في القرن الحادي عشر التي قد فندناها كلها . وهـذا البرهان ولو كان سلبياً نراه من أقوى البراهين لافحام خصمنا .

ومن غير هذا البرهان السلبي لنا بينات ايجابية كثيرة تؤيد كلما أتينا به في الفصول السابقة لبيان عدم كاثليكية الملة المارونية القديمة . وأول هذه البينات مبني على انفصال هذه الطائفة السريانية من البطريركية الانطاكية الكاثليكية وعصيانها عليها في مدة الحقبة المارونية كلها الى الزمان الذي فيه انشقت البطريركية الانطاكية من الكنيسة الكاثليكية الجامعة في الازمنة المتأخرة .

فنقول : لاينكر خصومنا ان أجدادهم منذ أول وجودهم انفصلوا عن البطريركية الانطاكية التي يسميها أعداؤها الملكية أو اليونانيةوعصوا عليها . فمثل الموارنة كمثل سائر الطوائف الشرقية المنشقة . فكما ان السريان الشرقيين أي سكان الجزيرة والعراق والفرس وما يجاورهن انشقوا من الكنيسة الانطاكية في أواسط القرن الخامس . وأقاموا لهم شيعة منفردة وسموا نسلطرة . والسريان المتوسطون انشقوا من تلك الكنيسة في مبادئ القرن السادس . وأقاموا لهم كنيسة على حدة سموها

اليعقوبية . فكذلك السريان الغربيون أي سكان جبل لبنان وما يجاوره انشقوا من الكنيسة الانطاكية في أواخر القرن السابع وتفرَّدوا بأنفسهم وسموا موارنة. فكما ان انشقاق النساطرة واليعاقبة قد فصل هاتين الطائفتين من شركة الكنيسة الكاثليكية وأسقط عنهما مزية الكثلكة . كذلك حدث الامر في الشيعة المارونية .

فان الكاثليكي ليس هو الذي يؤمن ايماناً حسناً فقط بل هو الذي يطيع روساه الشرعيين . والكثلكة ليس متوقفة على عدم هرطقة فقط بل على حفظ الاشتراك مع الكنيسة أيضاً وذلك بواسطة الطاعة للروساء . ولئلا نتيه مع خصمنا في النظريات المجردة نجمل البرهان فنقول : ان الكنيسة الانطاكية الكاثليكية الشرعية هي التي ساسها في القرن السابع وما بعده البطاركة ثاوفان والكسندر (أو توما) وجرجيوس الثاني وخلفاؤهم المتسلسلون بغير انقطاع الى عهد الشقاق القسطنطيني . والحال ان الموارنة انفصلوا عن هذه الكنيسة وعصوا هؤلاء البطاركة الذين كانوا وحدهم روساءهم الشرعيين و بواسطتهم فقط كانت لهم شركة مع الكنيسة الكاثليكية . فاذاً كان الموارنة أمة منشقة عن الكنيسة الكاثليكية . اما الصغرى فلا حاجة الى بيانها فان الخصوم لاينكرون ان أجدادهم في نواحي عهد المجمع السادس انفصلوا عن جميع طوائف البطريركية الانطاكية . واما الكبرى فبينة واضحة . فانه من الامور الشائعة (كما بينا في الفصل الثاني من الباب الخامس) ان هذه الكنيسة محسوبة على الدوام الكنيسة الكاثليكية الانطاكية . والى الان لم يجسر أحد على ان ينكر ذلك سوى السيد يوسف الدبس اما من عنده واما استناداً الى قول أحد الموارنة . على ان خصومنا بقصد ان يثبتوا ارثذكسية أجدادهم الذين كانوا أصغر أمة نصرانية على الارض يرمون جميع الكاثليكيين الذين كانوا في المشرق في الحقبة المارونية بالانفصال من جسم الكنيسة . فان كان من يجسر ان يعصي رئيسه الشرعي وينصب مذبحاً

على حدة دون ارادته بحسب جزم المجمع النيقاوي عاصياً على بيعة الله . فالموارنة اذ فعلوا ذلك لاشك في انهم كانوا شيعة عاصية على بيعة الله .

والان علينا ان نسمع احتجاجات الخصم ونرد عليها على حسب ورودها في كتاب روح الردود من وجه ٢١٤ فما بعد .

١ً ــ قال : ان الطائفة المارونية انفصلت عن طوائف البطريركية الانطاكية لاستمساكها هي وحدها بالايمان الارثدكسي وسقوط سائر الطوائف في البدعة المنوثليتية . نجيب (١) اننا ننكر مطلقاً ما يزعمه الخصم من ان سكان جبل لبنان دفعوا البدعة المنوثليتية وقاوموها منذ مبادئ ظهورها . فان ذلك مخترع من عقولهم ولا اثر له في التواريخ مطلقاً . فان البطريركية الانطاكية حينما التطخت بالبدعة المنوثليتية في ايام مقدونيوس وجرجيوس ومقاريوس التطخت كلها . ولم يذكر احد من المؤرخين ان سكان جبل لبنان حفظوا انفسهم منها . بل ذكرت التواريخ انه لما صدر امر هرقل الملك الى جميع الناس بوجوب الاعتقاد بالمشيئة الواحدة كان اول الطائعين لهذا الامر رهبان مار مارون وتباعهم . واما بعد ذلك فذكرت تواريخ الموارنة نفسها انه لما بلغ الامر من المجمع السادس المعقود في القسطنطينية الى الكنيسة الانطاكية حاتماً باعتقاد المشيئتين في المسيح عصته سكان جبل لبنان وما يجاوره ورفضوه دون سائر اهل البطريركية المذكورة . (٢) ان كان صحيحاً ان سكان جبل لبنان قد قاوموا المنوثليتية ورفضوها عند ظهورها فكيف حدث اذاً انه حينما تطهرت منها جميع الكنيسة الانطاكية من عهد المجمع السادس فصاعداً بقواهم وحدهم ضالين بهذه البدعة الى مبادئ القرن الثالث عشر لا بل الى القرن السادس عشر كما بينا الى الان .

والان نقيم البرهان على الخصم قائلين : هب ان اجدادكم انفصلوا في القرن السابع عن الكنيسة الانطاكية لحفظ انفسهم من المنوثليتية (وهو مما لا اصل له كما

بينا) فلماذا انفصلوا عنها بعد المجمع السادس حيث لم يبق احد منوثليتياً في البطريركية الثاوفانية (اي التي كان بطريركها ثاوفان المنصوب في المجمع السادس) . ولماذا انفصلوا عنها في القرن الثامن . والتاسع والعاشر والحادي عشر وهلم جرًّا . لسنا ندري باي جواب يستطيع خصومنا ان يدفعوا قوّة هذا البرهان الذي يفند كل اقوالهم . أما كان في سورية كنائس كاثليكية كثيرة في القرن الثامن والتاسع وما بعد . فلماذا لم تجسر احدى هذه الكنائس على ان تقيم لها بطريركاً على حدة كما فعل الموارنة .

٢ً — قال : ان المردة الذين كانوا اجداد الموارنة قاوموا ملوك الروم والبطاركة الانطاكيين . نجيب : ان في هذا البرهان غلطات على عدد كلماته . فقد بينا في الفصل الرابع من الباب الثاني ان المردة (١) لم يكونوا في الاصل من جبل لبنان و (٢) انهم لم يكونوا ملة دينية بل كانوا عسكرًا مقاتلاً و (٣) انهم خرجوا من جبل لبنان وانطلقوا الى بلاد الارمن و (٤) انهم كانوا انصارًا لملوك الروم طائعين لهم وعونًا لهم على الاسلام لا اعداءً لهم . فيتضح اذاً من هذا كله ان حكاية الخصم عن المردة ومقاومتهم للبدعة المنوثليتية هي رواية خيالية فاسدة تخالف صحة التواريخ . وناهيك ان المردة ظهروا في جبل لبنان في سنة ٦٧٥ اي بعد ظهور البدعة المنوثليتية بثلاث وخمسين سنة . وذلك في زمان قسطنطين الملك اللحياني الذي يعلم كل خبير انه كان ارثذكسياً . بل هو الذي بهمته التأم المجمع السادس وحرمت البدعة المنوثليتية . فان كان سكان جبل لبنان قد رفضوا البدعة المنوثليتية كما يدّعي الخصم فاين كانوا في مدة الثلاث وخمسين سنة . ولماذا لم يتحركوا في خلالها ولم يظهر منهم ادنى علامة في مقاومة المنوثليتية . ولماذا اخفوا ارثذكسيتهم في كل تلك السنين التي كان فيها الملوك وبطاركة انطاكية منوثليتيين ولم يظهروها الاَّ في وقت كان فيه ملك الروم ارثذكسياً وكانت الكنيسة مزمعة ان تسحق رأس تلك الهرطقة في المجمع السادس .

الفصل الثاني

في اتخاذهم اسم الموارنة

يدّعي خصمنا ان سكان جبل لبنان لتمسكهم بالايمان الارثذكسي انفصلوا عن سائر طوائف البطريركيـة الانطاكية وسموا انفسهم مارونيين وهكذا تميزوا عن سائر الطوائف النصرانية .

اما نحن من اتخاذهم هذا الاسم نقيم برهانًا قويًا مثبتين انهم لم يكونوا ارثذكسيين. ونقول : ان الكنيسة الكاثليكية منذ انشائها لم تقبل ان تسمى الاَّ باسم مؤسسها يسوع المسيح . ولذلك رفضت على الدوام شرقًا وغربًا ان تسمى باسم احد الناس مهما كان قديسًا جليلاً مغمرًا بالمواهب الالهية والكرامات السماوية . وكم قام في الكنيسة من رجال فاضلين وابطال اشدآء عضدوا الايمان القويم ودفعوا عنه سهام الاعدآء باخطار واذيات كثيرة كاثناسيوس وافرام ويوحنا فم الذهب والغريغوريوسيين وامبروسيوس واغسطينس ولاون وكثيرين غيرهم والكنيسة لم تسمَّ باسم واحد منهم ولا سمحت لقوم من اولادها ان يتسمى باسم احد ابدًا . حتى انه في زمان الرسل انفسهم كان بولس الرسول يوبخ من كان من المسيحيين يقول انا من حزب بولس واخر انا من حزب افلو . واخر من حزب كيفا . وقد صرَّح بذلك القديس افرام السرياني فخر الكنيسة السريانية اذ قال في احد مداريشه على وزن ܐܠܡܐ ܠܗܘ ܗܘܐ ܡܠܟܐ الذي تقراه اليعاقبة في القينة الخامسة من قينات القيامة هذا البيت وهو :

ܠܐ ܢܣܒ ܟܠ ܫܡ ܕܒܪܢܫܐ. ܥܕܬܐ ܕܡܫܝܚܐ ܠܡܫܝܚܝܘܬܐ. ܡܫܝܚܝܐ

ܠܡܟܪܙܢܐ ܠܬܠܡܝܕܘܗܝ ܗܘܐ ܘܠܐܢܫ ܒܫܡܗܘܢ ܠܐ ܫܡܗܘ. ܐܠܐ ܒܫܡܐ
ܕܐܠܦܘ ܐܢܘܢ. ܒܗ ܒܫܡܐ ܕܥܡܕܘ ܐܢܘܢ. ܠܗ ܠܡܣܓܕ ܐܠܦܘ
ܐܢܘܢ. ܒܗ ܒܫܡܗ ܫܡܗܘ ܐܢܘܢ ܀ ܐܘ ܠܡܗܝܡܢ̈ܐ ܚܛܝ̈ܐ. ܕܠܐ
ܐܬܢܟܠܘ ܥܠ ܚܬܢܐ. ܗܢܘܢ ܓܝܪ ܥܒ̈ܕܐ ܛܒ̈ܐ. ܟܕ ܚܙܘ ܕܡܪܥܝܬܐ ܐܡܪܐ
ܘܐܦܠܘ... ܕܚܠܘ ܘܠܐ ܣܡܘ ܫܡ̈ܗܝܗܘܢ ܥܠ ܡܪܥܝܬܐ

« ليس كل من ينذر يسمي تلاميذه باسمه . ان الرسل تلمذوا الامم ولم يسموا « احداً باسمهم . بل سموهم بالاسم الذي تلمذوهم وعمدوهم وله علموهم ان يسجدوا . « يا للخاطئين الامينين الذين لم يخونوا الختن فان هولاء العبيد الصالحين اذ راوا « الرعية تقول انا لكيفا او لبولس او لافلو ... خافوا ولم يضعوا اسماءهم على الرعية » .

واما اتخاذ الاسماء للتمييز بها فكان على الدوام من خواص الهراطقة والمنشقين كالاريوسيين والمقدونيين والنساطرة والسويرسيين والعديمي الرأس واليعاقبة وهلمَّ جرّاً الى بروتستنت الايام المتأخرة . فلما كان سكان جبل لبنان قد خالفوا عادة الكنيسة في القرن السابع وما بعده واخذوا لنفسهم اسم الموارنة وحذوا في ذلك حذو سائر الهراطقة والمنشقين حقَّ لنا ان نقرر ان ملتهم لم تكن كاثليكية وانهم باتخاذهم هذا الاسم خرجوا من شركة الكنيسة الكاثليكية .

هلمَّ الان نردّ على الاحتجاجات التي يمكن ان يدفع بها الخصم برهاننا هذا :

١ — لعلهم يقولون : أليس الكاثليكيون سموا ملكيين في القرن الخامس نسبةً الى ملوك الروم الذين كانوا يحامون عن الايمان القديم . فان الكنيسة الكاثليكية لا تانف من ان تسمى باسماء البشر . — نجيب : لا يخفى احداً الفرق العظيم الموجود بين تسمية الملكية وبين تسمية لموارنة . فان الملكية انما سماهم بهذا الاسم اعداؤهم وهم الهراطقة والمنشقون . والموارنة تسموا هم انفسهم بهذا الاسم . ثم ان اسم الملكية

لم تتخذه ابداً الكنيسة الشرقية اسمها الحقيقي (*) اذ انها لم تستعمله قط في المجامع ولا في البرآآت البطريركية ولا في الكتب الطقسية . واما الموارنة القدماء فقد التزموا اسمهم التزاماً ثابتاً في كل احوالهم وغير ذلك . ولا حاجة الى التنبيه ان كلامنا هذا في اسم الموارنة واسم الملكية ليس هو عن زماننا هذا حيث صار هذان الاسمان يدلان على طقسين مختلفين في الرئاسة من جملة طقوس الكنيسة الشرقية بل عن الازمان القديمة التي لم يكن فيها تقسيم البطريركية الانطاكية في الكنيسة الى فروع شتى يسمونها طقوساً او طوائف او مللاً .

٢ً ـ قال صاحب روح الردود في وجه ٢٤٢ وما بعده : انما لما اتخذ تباع الملوك المنوثليتيين اسم الملكية في القرن السابع التزم سكان جبل لبنان ان يتخذوا هم اسم الموارنة ليتميزوا منهم . فلا بأس في هذا الاسم بل هو فخر للموارنة . نجيب : (١) لسنا ندري أي قول من أقوال صاحب روح الردود هو المعول عليه . فانه في وجه ٢٦٠ قال ان اسم الموارنة كان منذ الجيل الخامس « لتلامذة رهبان القديس مارون منذ انقادوا للاذعان لرأيهم القويم خلافاً لا راطقة الجيل الخامس » . وهاهنا يقول ان اسم الموارنة دخل في الجيل السابع مع اسم الملكية . وفي وجه ٨٣ قال : ان اسمهم لم يكن في القرن الثامن نفسه. فيا للتناقض الغريب . (٢) انه من أعظم الاكاذيب كما سترى في الفصل الاتي قول بعض الموارنة بأن اسم الملكية دخل في القرن السابع . وان اسم الموارنة جعل لمقابلة اسم الملكية .

٣ً ـ قال في وجه ٤٣ : لو كان اسم الموارنة دليلاً على هرطقة أو شقاق لما سمي به جماعة كاثليكية في زماننا هذا . ـ نجيب لايخفى الخبير بأحوال الكنيسة

(*) ان تسمية الكاثليكين الانطاكين التابعين الطقس اليوناني في زماننا هذا باسم ملكيين ليست اسم الكنيسة بل اسم طقس لتميزهم من كاثليك سائر الطقوس.

الشرقية ان هذه الكنيسة لما بليت منذ القرن الخامس فصاعداً ببلايا الشقاقات والهرطقات وتقسم أكثر أولادها الى ملل وشيع شتى مختلفة بعضها من بعض. اضطرت كل من هذه الشيع ان تنصب لنفسها بطريركية جديدة يمكنها ان تعيش. فصار للنساطرة بطريرك في المدائن سمي بطريرك المشرق. وفي أديرة سورية من دون تقييد. ثم في آمد بطريرك لليعاقبة السريان سمي بطريرك انطاكية. وفي قيليقية واحد للارمن المنشقين سمي بطريرك قليقية أوسيس. وغيره في جبل لبنان للموارنة سمي بطريرك انطاكية هو أيضاً. وفي الاسكندرية غيره للاقباط اليعاقبة سمي بطريرك الاسكندرية. فلما أقبل هؤلاء الاقوام المنشقون من القرن الثاني عشر فصاعداً الى طاعة الكنيسة الرومانية لم تحب هذه الكنيسة الشريفة ان تبطل تلك البطريركيات الحاصلة من الهرطقة أو الشقاق بل أرادت ان تبقي لكل من أولئك الاقوام بطريركيته. وعند ذلك وجب ان تسمى كل من هذه الملل وكل من هذه البطريركيات بأسماء جديدة لم تسمع قط في الكنيسة الكاثليكية لتتميز بعضها من بعض. فقلب اسم النساطرة كلدانا و بطريركهم جعل اسمه بطريرك بابل. وقيل لليعاقبة سريان و بقى اسم بطريركهم. واما الاقباط والارمن فبقوا على اسمهم وكذلك بطريركية كل من هاتين الطائفتين. ومثلهم الموارنة بقوا على اسمهم و بطريركهم سمي أولاً بطريرك الموارنة مجرداً ثم لقب بعد ذلك بالانطاكي.



الفصل الثالث

في اقامة الموارنة بطريركا لنفسهم على حدة

من الامر المعلوم ان الشيعة المارونية لما انفصلت عن طوائف البطريركية الانطاكية صنعت كسائر الشيع المنشقة اي اقامت لنفسها روساء مستقلين نصبتهم خلاف الشرع والحق ليمكنها ان تعيش وتدوم في حال انشقاقها . وقبل ان نشرح البرهان المبني على هذا الحادث لبيان عدم كاثليكية تلك الشيعة نقول :

ان الصحف القديمة واخبار الاولين لم تخلف لنا من بطريركية الموارنة شيئاً سوى ان هذه الشيعة كان لها بطريرك يجلس تارةً في دير وتارة في دير آخر من اديرة جبل لبنان باسم انطاكية او الشام . وان اساقفتها كانوا كلهم ينتخبون من رهبان مار مارون . ولكن لا نجد فيها ادنى اثر لذكر الزمان الذي فيه ابتدأت هذه البطريركية واسم اول واحد تقلدها . ولكن قد شاع عند الموارنة ان اول بطاركتهم كان اسمه يوحنا مارون الذي سبق الكلام عنه في الباب الثالث ولو ان كتبهم القديمة التي تذكر هذا البطريرك لا تسميه ابداً اول بطريرك . ثم لا يظهر في الآثار القديمة في اي زمان عاش حتى ان الموارنة المتأخرين قد اختلفوا في ذلك كما رأيت في الباب المذكور (١) . واننا لنفرض ان يوحنا مارون كان اول بطاركة الشيعة المارونية وانه نصب كما قرّر المجمع اللبناني في سنة ٦٨٦ اي بعد ثاوفان البطريرك

(١) مما اختص به بطاركة الموارنة هو انهم كان كل واحد منهم يسمي باسم بطرس مع ان البطاركة الانطاكيين قل من سمي منهم بطرس . بل اليعاقبة لم يسم أحد من بطاركتهم بهذا الاسم في حال البطريركية . لا بل ان الاحبار الرومانيين نفسهم الذين جلسوا على كرسي بطرس لم يقبل احد منهم ان يتخذ اسم بطرس .

الانطاكي ولو اننا قد بينا انه لم يمكن ان يكون للموارنة بطريرك قبل اواسط القرن الثامن ونبني على ذلك برهاننا فنقول : ان ملة الموارنة ساستها في الحقبة المارونية بطريركية غير شرعية ومخالفة للعدل والحق فاذاً لم تكن هذه الملة كاثليكية وهاك البراهين الراهنة لبيان المقدمة :

١ ـ بحسب قوانين الرسل ورسوم المجامع لا يجوز ان يجلس على كرسي واحد اسقفان . فاذا ادَّعى اثنان بالاسقفية على كنيسة واحدة ينبغي ان يكون احدهما مبطلاً . والحال انه في كل المدة التي كان للموارنة بطاركة على كرسي انطاكية كانت سلسلة اخرى من البطاركة الملكيين على ذلك الكرسي . فاذاً احدى السلسلتين غير شرعية . بقي ان نرى اي السلسلتين هي الشرعية المارونية ام الملكية . ونحن نقول ان الملكية كانت البطريركية الشرعية على انطاكية وذلك (١) لان الكنيسة اختارت في المجمع السادس ثاوفان احد بطاركتها . وجلس بعده جيورجيوس (*) ثم الباقون بحسب قوانين الكنيسة . (٢) ان الكنيسة قد اعترفت بشرعية هذه البطريركية في كل وقت وخصوصاً في اوقات معلومة مثلاً في مبادئ القرن الثامن لما تعسر نصب بطريرك على ذلك الكرسي مدة اربعين سنة حسبت الكنيسة ذلك الكرسي فارغاً . ولو انه كان جالساً عليه بطريرك يعقوبي واخر ماروني على قول خصمنا . وكذلك في المجمع السابع اعترفت بشرعية تلك البطريركية اذ قبلت يوحنا الراهب نائباً عن بطريركها . وفي المجمع الثامن اتخذت توما اسقف صور نائباً عن نقولاوس بطريركها الذي كان في المنفى . وفي كل وقت تعاطت الكنيسة الرومانية مع هؤلاء البطاركة الى حين الانشقاق المشهور . وبالاجمال نقول انه الى الان لم ينكر احد شرعية هذه البطريركية الاَّ السيد يوسف الدبس . وانكار مثل هذا مهين للكنيسة الشرعية باسرها يردّ في الحال الى حيث جاء منه .

(*) قد رأينا في موضع آخر من هذا الكتاب ان أشهر المحققين وضعوا بين تاوفان وبين جيورجيوس اسقفاً آخر اسمه توما أو الكسندر.

٢ ـ ان البطريركية الغير المسماة على اسم احد الكراسي التي عينتها الكنيسة هي غير شرعية . والحال ان البطريركية المارونية لم تسمَّ على اسم انطاكية شرعاً الا بعد عهد صلحها مع الكنيسة الرومانية فان المؤرّخ روهر باخر الذي شهادته مقبولة لدى الموارنة قال في وجه ٣٥٠ من المجلد العاشر (طبعة باريس سنة ١٨٤٣) ان بطاركة الموارنة بدأوا ان يسموا على اسم انطاكية منذ زمان انوكنتيوس الثالث البابا . لا بل بعد ذلك الزمان اي بمنذ زمان البابا اكسندر الرابع الذي كما شهد البابا بندكتوس الرابع عشر قد انعم على بطريركهم بان يسمى انطاكيًا جزاءً لاتحاده مع الافرنج واغاثته اياهم . فاذاً لم يكن بطريرك الموارنة قبل ذلك انطاكيًا شرعيًا . وألا يكون الحبر الاعظم اكسندر الرابع قد استهزأ به حيث انعم عليه بشيءٍ كان حاصلاً عليه من زمان وكان حقه الشرعي على قول خصمنا . وناهيك انك اذا نقبت جميع العلماء والمؤرّخين الذين عدّوا سلسلة البطاركة الانطاكيين الى القرن الحادي عشر لا تجد احداً منهم عدَّ ولو واحداً من بطاركة الموارنة في هذه السلسلة .

٣ ـ قد ذهب اخص علماء الموارنة من الاهدني فصاعداً الى ان اول بطريرك أقيم على ملة اجدادهم نصب سنة ٦٨٦ بعد وفاة ثاوفان بطريرك انطاكية الملكي . والحال ان الذي خلف شرعاً في كرسي انطاكية بعد ثاوفان المذكور كان جيورجيوس (او هو اكسندر) بشهادة جميع المؤرّخين . فاذاً لم يكن غيره بطريرك شرعي على ذلك الكرسي . فاننا نرى ايمة المحققين مثل لكويان والبولنديين واصحاب صناعة تحقيق الايام جعلوا اكسندر او جيورجيوس (او هو توما) خليفة لثاوفان لا يوحنا مارون . والى الان لم يوجد احد في العالم كله قال ان يوحنا مارون هو خليفة ثاوفان البطريرك سوى الموارنة . هذا كله في الفرض الخيالي الذي فرضه الاهدني ان يوحنا مارون نصب بطريركاً سنة ٦٨٦ . وكيف يكون الامر كذلك اذا أُعتبر انه لا يعلم الاَّ الله في اي جيل وفي اي عصر وفي عهد اي بابا واي بطريرك من بطاركة

انطاكية صار يوحنا بطريركاً للموارنة . فان روايات الموارنة نفسهم تناقض بعضها بعضاً في احوال هذا البطريرك كما شرحنا ذلك في الباب الثالث .

٤ ــ ويزداد برهاننا هذا قوةً اذا اعتبرنا انه مثلما ليس عندنا شيء مؤكد من جهة أول بطريرك الموارنة كذلك لانقدر من الاثار القديمة ان نحصل شيئاً مؤكداً عن باقي بطاركتهم الى أواخر القرن الحادي عشر اذ قدم الافرنج الى بلاد سورية كما أقرَّ اسطفانس الاهدني نفسه (١) . فلما كان الامر على هذا الحال من يقدر ان يثبت شرعية بطريركية مثل هذه لاتعلم أحوالها منذ مبادئها الى مرور نحو خمسمائة سنة .

٥ ــ ونسأل خصمنا قائلين : لماذا أهل جبل لبنان أجدادكم نصبوا لهم بطريركية جديدة في سنة ٦٨٥ أو سنة ٦٨٦ . فان قالوا ليحفظوا أنفسهم من ضلال المنوثليتية اجناهم يا للغرابة . فلماذا اذاً لم يقيموا لهم بطريركية جديدة منذ ظهور المنوثليتية أي منذ سنة ٦٢٢ بل انتظروا ان تنشأ هذه البدعة وتنتشر مدة نحو ستين سنة حتى بادت في المجمع السادس . وبعد ذلك بست سنين أقاموا لهم بطريركا في زمان لم يبق فيه أثر هـذه البدعة في الكنيسة الانطاكية . وابتدأ البطاركة الانطاكيون ان يكونوا كلهم ارثذكسيين . ثم نقول للخصم : هل كانت المنوثليتية أول بدعة ظهرت في الكنيسة الانطاكية . فلماذا سكان جبل لبنان أو غيرهم من الارثذكسيين لم يتخذوا

---

(١) ان اسطفانس الاهدني مع كل الجهـد الذي بذله في كتاب سير بطاركة الموارنة لم يمكنه ان يعرف عنهم شيئاً بتأكيد الى عهد يوسف الجرجسي الذي جلس على قول جبرائيل القلاعي في أواخر القرن الحادي عشر . وأما عن الازمان السابقة اي القرون الاربعة الاولى ونيف من وجود الملة المارونية فذكر على سبيل التخمين أثنين وعشرين اسما من البطاركة لم يمكنه ان يحقق شيئاً منها ولا ان يروي شيئاً عن الذين سموا بها .

لهم بطريركا على حدة قبل المجمع السادس أي لما هرطق بولس الشميشاطي أو بطرس القصار. أو يوحنا الثاني أو بلاَّديوس أوسويرس. فاذا كان الموارنة لم يفتكروا ان يقيموا لهم بطريركا على حدة الاَّ حينما أخذ البطاركة الانطاكيون يرفضون البدعة المنوثليتية ويحرمونها. نتج من ذلك بالضرورة انهم أقاموا لهم هذه البطريركية الجديدة لتمسكهم بالبدعة المنوثليتية التي رأوا الكنيسة الانطاكية رفضتها.

٦ - وبناء على ذلك نرى ان الكنيسة الكاثليكية لم تقبل قط بطريركية الموارنة في الحقبة المارونية كلها. فانه (١ً) لم يوجد البتة عند غير الموارنة اسم أحد بطاركتهم كما كان ذكر سائر البطاركة الشرعيين عند كل من سائر الكنائس الكاثليكية. وقد أقرَّ بذلك السمعاني نفسه في وجه ٥٠٣ من المجلد ١ من المكتبة الشرقية. (٢ً) ولما فرغ الكرسي الانطاكي في القرن الثامن وكان للموارنة على قولهم بطريرك على حدة لم تحسب الكنيسة ذلك البطريرك شرعياً. بل اتخذت ذلك الكرسي فارغا. (٣ً) ولما اجتمعت الكنيسة في المجمع السابع المسكوني لم تترك بطريرك الموارنة ان يكون له حصة في ذلك المجمع وكان ذلك حقه لو كان شرعياً. ولا الكنيسة الرومانية التي على قول خصمنا كان الموارنة متمسكين بها أشد التمسك وكان من عادتها دائما ان تحامي عن حقوق المظلومين وبخت أباء ذلك المجمع كأنهم ظلموا حق بطريركية الموارنة. (٤ً) وكذلك فعلت لما اجتمعت في المجمع الثامن وفي سائر المجامع المسكونية الى الازمان الاخيرة حيث كان الموارنة قد دخلوا أول مرة في الدين الكاثليكي أي الى المجمع اللاتراني الرابع المعقود سنة ١٢١٥ فحضر فيه ارميا بطريركهم صدفة واتفاقاً. (٥ً) وكذلك لم تقبل الكنيسة بطريركية الموارنة ولا حسبتها شرعية في سنة ١٠٩٨ اذ فتح الافرنج مدينة انطاكية وكان فيها يوحنا اليوناني بطريركا. فاثبتوه على كرسيه ولم يقيموا أخر بدله كما أفاد غليلم الصوري في تواريخه لئلا يخالفوا شريعة الكنيسة الناهية عن جلوس اسقفين علي كرسي واحد الى ان انفصل يوحنا المذكور

عن البطريركية . وحينئذ نصبوا لهم بطريركا لاتينياً على رغم البطريرك الماروني الذي هو أيضاً كان يسمي نفسه انطاكيا وكان قريباً منهم . والكرسي الرسولي اذ رأى الافرنج فعلوا ذلك لم يؤنبهم ولا حامي عن حقوق الموارنة . وكان يهم الكرسي الرسولي ان يعضدهم وينصرهم مثلماهم على قول خصمنا تمسكوا باحترامه وطاعته مدة من الاجيال ومن سبب ذلك قاسوا اذيات كثيرة .

هلم الان نسمع احتجاجات الخصم كما جمعها صاحب روح الردود في وجه ٢٧٣ وما بعد :

١ — قال : ان البابا بندكتس الرابع عشر قال في احدى خطباته ان الموارنة في أخر القرن السابع لما راوا بدعة المنوثليتية أفسدت سكان البطريركية الانطاكية أقاموا لهم بطريركا مثبتاً من الكرسي الرسولي ليصونوا نفسهم من تلك البدعة (*). أجيب : ان بندكتس الرابع عشر قال ذلك نقلاً عن بعض الموارنة الذين كانوا في رومية وكان دأبهم ان يشوشوا حقيقة التواريخ ويفسدوها ليثبتوا زعمهم . وترى ان قول هذا الحبر الروماني يخالف أقوال كثير من الموارنة السابقين . فانه جعل أول بطريرك الموارنة قد نصب في أواخر القرن السابع . واما ابن القلاعي فجعله في زمان هنوريوس البابا الذي توفي سنة ٦٣٨ والحاقلاني ونمرون الباني جعلوه في القرن السادس ومبادئ السابع . لابل ان هذا القول الذي نقله البابا بندكتس الرابع عشر يخالف قول المجمع اللبناني الشهير نفسه . فان هذا المجمع لم يجعل اقامة البطريركية

(*) مما يستحق الاعتبار ان هذا الحبر الاعظم في كلامه عن أول بطاركة الموارنة لم يسمهِ مارون ولااسماً آخر . لا بل ان بندكتس الرابع عشر مع كثرة ما تكلم عنهم في مؤلفاته ورسائله قد حذر كل الحذر من ان يذكر اسم يوحنا مارون وان البابوات والمؤلفين الغربيين على وجه العموم لم يصف أحد منهم بطاركتهم بصفة انطاكيين في الحقبة المارونية البتة .

المارونية لسبب ديني بل لسبب مدني حيث ذكر في فصل طويل حروباً مدنية وهمية جرت بين الملكية والموارنة . وقال ان الموارنة بسبب هذه الحروب لا بسبب الدين انفصلوا عن الملكيه" وأقاموا لهم بطريركا على حدة (وجه ٢١٨ و٢١٩ من طبعة سنه" ١٨٢٠) .

٢ً - قال : كان جيورجيوس خليفه" ثاوفان بطريركا غير شرعي لانه هرطق ووافق مجمع مشاقين وهو مجمع القصر المشهور . فاذاً البطريرك الشرعي كان بطريرك الموارنه" . نجيب (١) لو صح ان جيورجيوس هرطق في مجمع القصر لم ينتج من ذلك شرعيه" بطريركيه" الموارنه" . أولاً لان مجمع القصر عقد سنه" ٦٩٢ و يوحنا مارون أقيم بطريركا على قولهم سنه" ٦٨٥ أي قبلما هرطق على قولهم جيورجيوس بسبع سنين . فلو سلمنا من باب المحال ان جيورجيوس بحضوره مجمع القصر فقد حقه على كرسي انطاكيه" لم ينتج ان البطاركة المارونين كانوا شرعيين . وثانياً لانه جلس قبل ذلك بطاركة كثيرون هراطقه" على كرسي انطاكيه" ولم يفتكر أهل جبل لبنان أو غيرهم من الكاثليكيين قط ان يقيموا لهم بطريركا على حدة . (٢) ان أول من تجاسر ان يقول ان جيورجيوس البطريرك الانطاكي كان هرطوقياً هو السيد يوسف الدبس خلافاً لجميع ماورد في التواريخ ومن دون ان يسند هذا الزعم الى حجه" راهنه" . اما قوله ان الهراطقة قد اختاروا جيورجيوس فأقبح من الاول . ومن هم هؤلاء الاساقفه" الهراطقه" ناشدتك الله . واما قوله ان يسطينيان الاخرم قد اختار جيورجيوس فمناقض لهذا القول الاخر وهو من قريحه" الخصم غير مسند الى شهادة . مع الغرض الوهمي الذي فندناه أكثر من مرة وهو ان يسطينيان الملك الاخرم كان منوثليتيا .

اننا لا ننكر ان جيورجيوس حضر مجمع قصر الملك . ونقر ان اباء هذا المجمع الذين كانوا اكثر من مائتي اسقف قد غلطوا وزاغوا في امور شتى . ولكن ننكر انهم

سقطوا من شركة الكنيسة . وحسبنا ان نذكر الخصم ان جيورجيوس بطريرك انطاكية الذي امضى مجمع القصر امضى من الجملة قانونه المحتوم فيه قبول المجمع السادس وتحريم الهراطقة المحرومين فيه . افلهذا السبب اذاً اغتاظ الموارنة على بطريركهم واقاموا لهم بطريركاً جديدا. واخصامنا يدّعون ان اجدادهم من سبب كرامة المجمع السادس نصبوا لهم بطريركاً . فيا للعجب ويا للدهشة .

ثم نقول ان اشنع ما اتى به اساقفة مجمع القصر هو قصدهم ان يرقوا كرسي القسطنطينية الى مرتبة اعلى مما كان يحق له . افليس اساقفة المجمع الخلقيدوني قد اتوا بشيء من ذلك . فلماذا الكاثليكيون الكثيرون الذين كانوا في سورية اذ سمعوا ان مكسيموس البطريرك الانطاكي امضى ذلك المرسوم المخالف لقوانين الكنيسة مع سائر اساقفة المجمع الخلقيدوني لم يفتكروا ان يقيموا بطريركاً جديداً لنفسهم . فهل يضطرنا الخصم ان نقول ان الاساقفة المائتين والاحد عشر الذين امضوا حدود مجمع قصر الملك قد فقدوا بذلك حقهم الشرعي على كراسيهم ومعهم جيورجيرس الانطاكي. فاضحت كنائس بلاد الشرق كلها تقريباً في اثر ذلك خالية من اساقفة شرعيين . واذا كان ذلك كذلك فاين كانت اذاً الاساقفة الشرعيون لهذه الكنائس . ولماذا الاحبار الرومانيون سرجيوس وخلفاؤه الذين ابوا ان يؤيدوا قوانين ذلك المجمع لم يصرحوا بكون هولآء الاساقفة سقطوا من شركة الكنيسة بل واحد منهم وهو قسطنطين البابا انطلق الى القسطنطينية وحظى بمنزلة كريمة شريفة لدى يسطينيان الملك الاخرم . وناوله القربان المقدس بيده . وارضى خاطره بتأييد ما كان من قوانين ذلك المجمع غير مستوجب الذم وذلك سنة ٧١٠ اي نحو عشرين سنة بعد ما عقد المجمع .

٣ً — قال : فرغ الكرسي الانطاكي بعد جيورجيوس مدة اربعين سنة . فكان بطريرك ذلك الكرسي في تلك المدة البطريرك الماروني . نجيب (١) هب ذلك من

باب المسامحة في المدة المذكورة. فاذاً قبل تلك المدة وبعدها لم يكن البطريرك الماروني بطريركاً شرعياً. (٢) ونقول ثانياً: ان جميع المؤرخين والمؤلفين والآباء القدماء الذين تكلموا عن كنيسة انطاكية قالوا انها بقيت بلا بطريرك طول تلك المدة. والسيد يوسف الدبس قال ان الكرسي الانطاكي لم يكن فارغاً تلك المدة بل كان جالساً عليه البطريرك الماروني. فاي القبيلين يستحق التصديق ايوسف الدبس مطران بيروت ام سائر المؤلفين والمؤرخين. ونختم بحثنا هذا بقولنا للخصم: ان كان الكرسي الانطاكي قد لبث فارغاً اربعين سنة فاذاً لم يكن احد جالساً عليه. حتى ان لكويان العلاّمة الشهير قال بكلمات صريحة في وجه ٧٤٣ من المجلد الثاني من الشرق المسيحي انه في ذلك الزمان لم يكن احد يسمى بطريركاً انطاكياً مدة اربعين سنة. ومن لا يفهم ان الكرسي الفارغ هو الخالي من كل جالس. ولافحام الخصم المعترض بهذه الاعتراضات فلنوردنّ شهادة واحد لا يقدر ان يردّها. قال السمعاني في وجه ٥٠٠ من المجلد الخامس من مكتبة الشرع:

Itaque ab anno circiter 690 Saraceni orthodoxum patriarcham Antiochiae eligi prohibuerunt ... Mortuo Georgio, cujus in subscriptione Synodi Trullanae anni 692, nomen legitur, quique Constantinopoli semper haeserat, usque ad Hasciami Chaliphae tempora per annos 40 nullus Antiochiae orthodoxorum Syrorum hoc est Graecorum patriarcha electus fuit.

« ولذلك من نحو سنة ٦٩٠ منع السراكسة ان ينصب بطريرك ارثدكسي
« لانطاكية.... ولما مات جيورجيوس الذي يقرأ اسمه في امضاء مجمع القصر سنة
« ٦٩٢ والذي كان ملازماً القسطنطينية دائماً الى زمان هشام الخليفة لم ينصب
« بطريرك على انطاكية للارثدكسيين السريان اي اليونانيين مدّة اربعين سنة ».

فباقرار السمعاني كان الكرسي الانطاكي فارغاً حقيقة في تلك المدة ولم يجلس عليه بطريرك ارثدكسي.

٤ً - قال في وجه ٢٨٠ لا ينتج شيء من كون بطريرك الموارنة لم يحضر

المجامع المسكونية. نجيب: لما كان الموارنة لا يتجاسرون ان يتشكوا من الكنيسه الجامعة كانها ظلمت حقوق بطاركتهم يرون اولى بهم ان يسقطوا حق بطريركهم وينزعوه عنه من ان يعترفوا بانه كان منفصلاً عن الكنيسة الكاثليكية ولئلاَّ نطيل الكلام في امر لم ينكره احد الى الان سوى السيد يوسف الدبس وهو ان البطاركة الاربعة المتقدمين لهم حق ان يحضروا المجامع المسكونية اما بشخصهم واما بنوابهم. وان يثبتوا حدودها ورسومها بامضائهم. هلمَّ بنا نذكر ما ورد في اخبار المجمع السابع المسكوني (لباي مجلد ٨ صفحة ٨٢٣) وهي رسالة عن لسان اساقفة لم يمكنهم حضور المجمع لسبب ضغط حكام البلاد الى تراسيوس بطريرك القسطنطينية وسائر اساقفة المجمع يقولون فيها:

Ne molesta vobis appareat trium apostolicarum sedium almarum Patriarcharum et santissimorum episcoporum qui sub ipsis degunt, absentia, non ex proprio eorum accident proposito, sed ex tenentium sen dominantium illis terribilibus minis et mortiferis pœnis.

« لا يصعب عليكم غياب بطاركة الكراسي الرسلية الثلاثة المغبوطين والاساقفة
« القديسين الذين يلوذون بهم. فان ذلك لم يكن من خاطرهم واختيارهم بل من
« جرى الاهوال والاذيات التي عاقهم بها الولاة او الحكام». وقالوا قبل قليل:

Ad haec deficientes nos, fratres nostros Joannem scilicet et Thomani. . duorum sanctorum et magnorum Patriarcharum Syncellos (misimus). . diximus ad eos ite cum viris istis, et pro eis apolegiam assumite. . cum autem opus Dei ad impleveritis et apostolicam traditionem quae tenetur in Ecclesiis per Aegyptem et Syriam Dominis nostris cognitam ficeritis etc.

« ولذلك اذ لم يمكن ان نحضر نحن بنفسنا قد ارسلنا اخوينا يوحنا وتوما...
« اللذين كل منهما ناطور القلاية عند واحد من البطريركين القديسين المعظمين...
« وقلنا لهما انطلقا مع هولاء الرجال واقيما الحجة عنهم... ومتى ما قضيتما عمل الله
وشرحتما لسادتنا التعليم الرسلي الذي تتمسك به كنائس مصر وسورية الخ...»

فترى مما ذكرناه ان الكنيسة اعتبرت حضور هولآء البطاركة الثلاثة في المجامع المسكونية واجباً ضرورياً كل الضرورة اما بنفسهم واما بنوّابهم حتى انه اذ لم يكن ممكنا ان يحضر في المجمع السابع هولاء البطاركة لان احدهم ثئودوريطس بطريرك انطاكية كان محبوساً في بغداد والاخران مع الاساقفة كانوا تحت هول اعدآء الايمان اقتضى ان يقيموا شخصين ينوبان في المجامع عن اولئك البطاركة ويمضيان حدوده باسمائهم .

وورد في اخبار المجمع الثامن (طالع لباي مجلد ١٠ صفحة ٤٩٤) قول ايليا نائب بطريرك اورشليم لاباء المجمع :

Sanctimus Thomas Metropolita Tyri . . primae sedis antiochiae qua privata patriarcha ipse locum tenet sedis illius usquem dum fiat patriarcha in eadem sede.

« ان القديس توما مطران صور اذ كان هو اسقف اول كرسي للبطريركية
« الانطاكية الخالية من بطريرك فهو النائب عن ذلك الكرسي الى ان يقام فيه
« بطريرك » .

وانسطاسيوس حافظ المكتبة الذي حضر هذا المجمع وكتب اخباره وقدَّمها الى ادريانس البابا اذ بسط في الفاتحة الاسباب التي جعلت هذا المجمع الثامن مسكونياً بلا شك (في المحل المذكور صفحة ٤٧٦) ذكر من جملة هذه الاسباب عدم نقصان احد البطاركة في امضاء حدوده حيث قال :

Cum christus in corpore suo quod est ecclesia tot patriarchales sedes quot in cujusque mortali corpore sensus locaverit, profecto nihil generalitati deest ecclesiae, si omnes illae sedes unius fuerint voluntatis.

« لما كان المسيح قد جعل في جسده وهو الكنيسة خمسة كراسي بطريركية
« (اي الروماني والاسكندري والانطاكي والقسطنطيني والارشليمي) على عدد
« الحواس التي في كل جسم من المائتين قد تكملت المسكونية في هذا المجمع حيث
« اتفقت تلك الكراسي الخمسة كلها برأي واحد » .

٥ً — قال في وجه ٢٧٨ ما معناه : ان بعضاً من البطاركة الانطاكيين اليونانيين اقاموا في مدينة القسطنطينية فبكل حق اقام الموارنة لنفسهم بطاركة على حدة . — نجيب لو صحَّ هذا البرهان لنتج منه ان البطاركة المسمين انطاكيين الذين اقاموا خارجاً عن انطاكية لم يكونوا بطاركة انطاكيين شرعيين. فاذاً بطاركة الموارنة قاطبةً لم يكونوا شرعيين . لانه لم يقم احد منهم في مدينة انطاكية قط (١) .

حاشية

اننا نرى المجمع اللبناني منصفاً في هذه القضية أكثر من سائر من تعرَّض لهذه المسألة من الموارنة اذ تكلم عنها في الفصل الرابع من الجزء الثالث عن انشا البطريركية المارونية فانه لم يجعل سبب انشائها لا البدعة المنوثليتية ولا مجمع القصر ولا فراغ كرسي انطاكية ولا غير ذلك مما تحجج به صاحب كتاب روح الردود . بل أقرَّ انه مثلما انفصل اولاً النساطرة ثم الارمن ثم اليعاقبة عن بطاركة انطاكية واقام كل ملة منهم بطريركية لنفسها كذلك فعل الموارنة في أواخر القرن السابع اذ فصلوا أنفسهم عن طاعة البطاركة الملكيين ونصبوا لهم يوحنا مارون بطريركا . وذلك لسبب عداوة مدنية كانت على قوله بين القبيلين خلافاً لسائر الطوائف المذكورة

(١) ولذلك فلا عجب من ان الموارنة القدماء نفسهم قلما سموا بطريركهم انطاكياً فاننا في جميع المصاحف المارونية الكثيرة التي امكننا الاطلاع عليها مارأينا قط بطريركهم يوصف بالانطاكي الا مرة واحدة حيث الكلام عن يوحنا مارون في كتاب شرح معتقد الموارنة وفي كتاب الهدى . حتى انه في المصحف الماروني (ف) في المواضع الكثيرة التي فيها يذكر اسم البطريرك لا يسمى انطاكياً أبداً .

التي أقرَّ بأنها افترقت لسبب ديني . فنقول انه لو كان هـذا الزعم صحيحاً لثبت برهاننا أيضاً على ان الموارنة بنصبهم لهم بطريركية صاروا قوماًمنشقين اذ عصوا على روسائهم الشرعيين.وماذا يحكم بطريرك الموارنةفي زماننا لو حدث بين أمته خصومات وفتن أهلية واتخذ بعض اساقفته فرصة من ذلك واقاموا لهم بطريركا لانفسهم . أفلا يحكم ان هؤلاء الاساقفة ومن يتبعهم هم قوم عصاة على بيعة الله ومفصولون عن شركتها الكاثليكية .



الفصل الرابع

في أصل اسم الملكية وزمان انشائه

وسبب معاداة الموارنة للملكيين

لما كان علماء الموارنة قد جعلوا الطائفة الملكية المشهورة في تواريخ الكنيسة الشرقية ملة ضالة هرطوقية اذ راؤا ان أجدادهم المنوثليتيين أبوا الاشتراك مع هذه الطائفة اقتضى ان نبحث عن أصل اسم الملكية وزمان انشائه وسببه . فنقول :

زعم نيرون الباني واسطفانس الاهدني ان اسم الملكية دخل بعد المجمع السادس في زمان يسطينيان الاخرم بقولهما انه في ذلك الوقت كل الذين وافقوا ذلك الملك في معتقده المنوثليتي سموا ملكيين والذين قاوموه سموا موارنة أو مردة . ولاحاجة الى كلام كثير لتفنيد هـذا الزعم فان المردة لم يكونوا موارنة ولو كانوا شيعة دينية . ثم ان يسطينيان الاخرم لم يكن منوثليتياً . والتواريخ لم تذكر قط هذا الخلاف في جبال لبنان ونواحيها في زمان ذلك الملك . واسم الملكية لم يظهر قط في أخبار المردة

وغير ذلك . ولكن السمعاني في وجه ٥٠٨ من المجلد الاول من المكتبة الشرقية زعم كالاهدني والباني ان اسم الملكية هو مقابل لاسم المردة . الاَّ انه قال ان الاسمين لم يقصد بهما أولاً شيعتان دينيتان بل قبيلان حربيان . فمن جاهد عن قسطنطين اللحياني ملك الروم سمي ملكياً . ومن حمل السلاح عليه سمي من المردة . وهذا القول أيضاً لا أصل له كما هو واضح . فاننا قد بينا في فصل طويل ان المردة لم يكونوا موارنة بل كانوا عسكرًا مقاتلاً للعرب عن ملوك الروم . ثم ان اسم الملكي لم يرد قط بمعنى حربي . ثم ان السمعاني نفسه قد فند قوله اذ قال في المحل المذكور ان اسم الملكية لم يرد في الآثار القديمة حتى القرن العاشر .

فيتضح من هذا كله : (١) ان اسم الملكية لا نسبة له مع اسم المردة . (٢) انه لم ينشأ في القرن السابع لسبب ظهور البدعة المنوثليتية كما يدعي الموارنة . كأن الذين تبعوا ملوك الروم المنوثليتيين سموا ملكيين . وأدلة ذلك كثيرة سوى ماقلناه سابقاً وهاك اخصها:

١ً ـ لم يرد قط في التواريخ عند موءلف كاثليكي او مشاق أو هرطوقي اسم ملكي بمعنى منوثليتي . فلما كان خصمنا أول من قال هـذا القول من دون سند ولا شاهد ظهر بطلان قوله جلياً واضحاً .

٢ً ـ على قول السمعاني (ويتبعه في ذلك الموارنة المتأخرون) لم يذكر أحـد اسم الملكية قبل القرن العاشر . والحال ان الملكية في القرن العاشر كانوا من القائلين بالمشيئتين بلاشك . فاذًا لم يكن اسم الملكية قط دالاً على منوثليتين .

٣ً ـ ان جميع الذين ذكروا الملكية كانوا من الروم او من اليعاقبـة او من النساطرة او من الافرنج او من غيرهم حتى الموارنة نسبوا اليهم القول بالمشيئتين للمسيح ذي طبيعتين والاقنوم الواحد . فلم يكن اذًا اسم الملكي دالاً على منوثليتي قط .

٤ً ـ لا شك ان اسم الملكية مشتق من اسم ملك والمراد بذلك ملوك الروم .

وقصد بذلك الاسم تميز التوم القائلين في الدين بقول ملوك الروم . فلا بد ان هذا الاسم اشتقه قوم كانوا رافضين مذهب ملوك الروم .

والحال انه لا يمكن ان يكون ذلك قد حدث في زمان هرقل وقسطنطين وقسطنط او قسطة المنوثليتيين . لان اسم الملكيين نشأ اول مرة في بلاد سورية بلا شك . والحال ان التواريخ لم تذكر انه في زمان اولئك الملوك كان في سورية قوم قالوا بالمشيئتين وقاوموا مذهب الملوك حتى كان يمكن ان يسموا اخصامهم المنوثلتيين ملكيين اي تباع الملوك . فان اهل سورية كانوا غالباً يعاقبة وهولاء كانوا منوثليتيين . وكان قليل منهم نساطرة وهولاء ايضاً كانوا منوثليتيين . والباقون التابعون مقدونيوس وجيورجيوس ومقاريوس بطاركة انطاكيـة المنوثليتيين كانوا هم ايضاً منوثليتيين ولاسيما اهل جبل لبنان . فلم يبقَ في زمان الملوك المنوثليتيين قوم معتبر معروف في بلاد سورية يقول بالمشيئتين ويرفض قول ملوك الروم . ولو وُجد جماعة منهم فبلا شك لم يكونوا في جبل لبنان . فاذاً لم يمكن البتة ان اسم الملكية نشأ في الحقبة المنوثليتية اي في زمان هرقل وخلفائه المنوثليتيين . ولا يجوز ان نقول ان المردة سموا تباع مذهب ملوك الروم الملكيين . فان المردة الذين يدّعي الموارنة انهم كانوا ضداً لملوك الروم خلافاً لصحة التواريخ لم يكونوا شيعة دينية وهم ظهروا اول مرة في زمان قسطنطين الملك اللحياني الذي كان ارثدكسياً . فلو كان هولاء قد سموا تباع مذهب الملك ملكيين لكان المرَدة غير ارثدكسيين وكان اسم الملكيين دالاً على ارثدكسيين كما ندَّعي نحن . وبيان ذلك خصوصاً من اسم الملكيين نراه لدى المولفين قاطبةً دالاً على القائلين بالمشيئتين . ولا نرى احداً البتة استعمل هذا الاسم بمعنى منوثليتي فكيف يمكن ان يكون هذا الاسم دالاً في الاصل على منوثليتيين ثم ينقلب بعد سنين قليلة الى عكس ذلك المعنى ويصير بمعنى قائلين بالمشيئتين .

واذا اتضح ان اسم الملكيين لم ينشأ في الحقبة المنوثليتية اي من سنة ٦٢٢ الى سنة ٦٨٠ يتضح ايضاً ببيان اكثر ان هذا الاسم لم ينشأ بعد تلك الحقبة . وذلك ان ملوك الروم من قسطنطين اللحياني الذي تخلف بعد قسطنطة وبهمته حرمت المنوثليتية في المجمع السادس كانوا باجمعهم ارثذكسيين (١) حتى يسطينيان الاخرم الذي اذى المسيحيين . والكنيسة الانطاكية منذ ذلك الحين تطهرت من ضلال المنوثليتية تماماً . فقد غلط اذا موارنة زماننا ايّ غلط اذ زعموا ان اسم الملكية نشأ اول مرة في زمان يسطينيان الملك الاخرم الذين كانوا يتبعونه في المنوثليتية سماهم به اضداد هذه البدعة وهم المرَدة على قولهم .

ومن هذا كله يتبين صحة القول العام الشائع وهو ان اسم الملكية نشأ في زمان مرقيان ملك الروم في القرن الخامس دلالةً على الكاثليكيين التابعين تحديد المجمع الخلقيدوني بالطبيعتين في المسيح . اخترعه عليهم المنوثليتيون بغضةً ومغيرةً كما ذكر جميع المؤلفين الذين كتبوا عن اصل اسم الملكية من شرقيين وغربيين . وقد اخطأ السمعاني اذ قال ان اسم الملكية لا يرد في الكتب قبل القرن العاشر . فان طيمثاوس الاول بطريرك النساطرة المار ذكره وهو عاش في القرن الثامن قد ذكر الملكية اكثر من مرة في رسائله . من ذلك قوله في احدى رسائله :

ܟܕ ܡܦܩܝܢ ܗܘܝܢ ܟܬܒܐ ܕܛܘܦܝܩܘܢ ܠܥܪܒܝܐ ܡܢ
ܣܘܪܝܝܐ ܐܝܬ ܗܘܐ ܥܡܢ ܐܢܫܝܢ ܝܘܢܝܐ . ܘܚܕ ܡܢܗܘܢ ܦܛܪܝܪܟܐ
ܕܡܠܟܝܐ

« عند ما استخرجنا كتاب تبيكون من السريانية الى العربية كان معنا قوم يونانيون ومنهم بطريرك الملكيين » . وكذلك ذكر الملكية كثير في المصحف السعردي

(١) لا نعبأ بواحد ملك زمناً قليلا وهو فيلبقس .

(س) الذي ألف في اواسط القرن التاسع . فلقد توهم بعض الموارنة القدماء حيث قالوا بعكس ما قاله اولادهم المتأخرون اي ظنوا ان اسم الملكية انما وُضع في الاصل للدلالة على القائلين بالمشيئتين. قال صاحب كتاب الهدى وهو شرع الموارنة (في ورقة ٢٥ من المصحف الواتيكاني عدد ١٢٣) : « الفرقة الملكية هي المنسوبة الى الملك قسطنطين بن قسطنطين (والصحيح قسطة بن هرقل » . وهو الذي بهمته التأم المجمع السادس . وقال توما الكفرطابي في كتاب المقالات العشر (في المصحف الواتيكاني السرياني ١٤٦ ورقة ١٥٠) مخاطباً الملكيين : « نحن سمينا موارنة على « اسم الدير دير ماران .... وانشقيتم انتم وحدكم وسميتم ملكيين على اسم الملكين « عابدين مشيئتين وارادتين وفعلين وعرضين ومذبحين (١) وتصلوا باصبعين » .

فبكل صدق اذاً اشتق ديونيسيوس بن الصليبي اسم الملكية من اسم الملك مرقيان (٢) حيث قال في الفصل الاول من شرح القداس :

ܡܠܟ̈ܝܐ ܡܬܩܪܝܢ ܡܛܠ ܕܫܡܫܘ ܠܡܘܕܝܬܐ ܕܐܚܘܬܐ ܘܢܩܦܘ
ܠܗܝܡܢܘܬܐ ܕܡܪܩܝܢܐ ܡܠܟܐ

---

(١) البائن ان توما الكفرطابي بهذه كلمة مذبحين أشار الى العادة الجديدة التي دخلت عند الملة اليونانية في الاجيال المتأخرة وهي ان يقدس في الاعياد الكبيرة اكثر من قداس واحد في الكنيسة الواحدة وذلك على مذابح مختلفة وهذه العادة لم تدخل عند سائر الملل ولا سيما السريان . فان النساطرة منهم لا يصير عندهم الا قداس واحد واليعاقبة في الغالب كذلك لا يصير عندهم الا قداس واحد يقدسه قسيس واحد . وفي بعض الاماكن فقط يقدس اكثر من قسيس واحد في وقت واحد على مذابح مختلفة الا ان واحداً منهم فقط يرفع صوته وهو وحده يحسب القداس . وكانت هذه العادة عند الموارنة ايضاً كما يتبين من هذه كلمات الكفرطابي .

(٢) قبل ابن الصليبي بنحو مائة سنة كان سويرس ابن المقفع المار ذكره قد قال هذا القول في القسم الثاني من كتاب الاشراق.

« انما سموا ملكيين لأنهم تركوا (على قوله الكفري) دين الاباء وتبعوا رأى « مرقيان الملك » . وقد أفحم الحق الموارنة نفسهم كلما تكلموا عن غير مسألة أجدادهم ان يقروا بأن اسم الملكية دليل على قوم ارثدكسيين . قال السمعاني في وجه ٥٠٩ من المجلد الاول من المكتبة الشرقية : « ان اسم الملكية كان أولاً دالاً على ارثدكسيين . والان يراد به المشاقون من سريان ومصريين التابعون طقس اليونان » . وقال في وجه ٤٧٤ من المجلد المذكور : « ويضاف الى ذلك (كلامه عن يعقوب الرهاوي) شهادة السريان الملكيين الذين كانوا في كل وقت أعداء للمنوفيسيتين وللمنوثليتيين » . وقال في وجه ٤١٠ من المجلد الثاني متكلما عن زمان برصوم النصيبيني الذي نشر النسطورية في بلاد الشرق وعاش في مبادئ القرن السادس : « ان « الكاثليكيين الذين كانوا يسمون خلقيدونيين وملكيين قل عددهم شيئاً فشيئاً . وبقي « قليل في الشرق يتبعون ايمان اليونان أو الروم وطقسهم » . أرأيت كيف السمعاني اعترف ان الملكيين كانوا في القرن السادس نفسه وانهم كانوا ارثدكسيين . والمجمع اللبناني الشهير حيث تكلم باسباب عن انفصال الموارنة عن الملكية لم يسم الملكية بأدني ضلالة . بل جعل سبب هذا الانفصال والعداوة مدنياً لادينياً (وجه ١٢٨ و ٢١٦ من طبعة ١٨٢٠) . وقد أقرَّ اسطفانس الاهدني في كتاب تراجم بطاركة الموارنة في ترجمة جبرائيل البطريرك الاول ان الملكيين بعد موت يسطينيان الاخرم شرعوا يعتقدون بالمشيئتين والفعلين أي من سنة ٧١٧ فصاعداً . وهذا الاعتراف كاف لمقصودنا ولا كان مخالفاً لصحة التواريخ وللحق الواضح . وقال يوسف لويس السمعاني كما أورد صاحب الدر المنظوم في وجه ٧٥ « ان اسم كنيسة السريان الانطاكية يعمّ جميع السريان الموارنة او الارثدكسيين واليعاقبة . وباقي الاراتقة والملكية القدماء » . فعلى قول هذا العالم الماروني لم يكن الملكية القدماء هراطقة . واسطفانس برجيا المقبولة شهادته عند الموارنة في وجه ١٣٦ من كتاب الصليب الواتيكاني في الحاشية قال ان

اسم الملكية كان دالاً زمانًا على الكاثليكيين . الاَّ انه بعد ظهور شقاق اليونان صار يدل على الذين تبعوا هذا الشقاق . ثم ان السيد يوسف الدبس في وجه ٢٠٤ من كتاب روح الردود سلم تبعًا لما قاله يوسف سمعان السمعاني في وجه ٥٠٠ من المجلد ٥ من مكتبة الشرع ان الملكية كانوا ارثدكسيين في القرن الثامن . فمن هذا البحث كله نستنتج (١) ان اسم الملكية لم ينشأ في الاصل لمقابلة اسم المرَدة او اسم الموارنة . (٢) ان هذا الاسم لم يكن في الاصل الاَّ دليلاً على قوم ارثدكسيين تابعين المجمع الخلقيدوني . (٣) ان هذا الاسم لم يكن قط دليلاً على منوثليتيين الاَّ عرضيًا وذلك في مدة الحقبة المنوثليتية فقط اي في زمان بطريركيـة مقدونيوس وجرجيوس ومقاريوس على انطاكية . (٤) ان الملكية منذ المجمع السادس اي منذ ٦٨٠ الى يومنا هذا كانوا على الدوام قائلين باقنوم واحد وطبيعتين ومشيئتين في المسيح .

فاذا تقرر ذلك فهاك برهاننا : لا ينكـر خصمنا ان اجدادهم كانوا يتحاشون الاشتراك مع الملكية على الدوام و يعوذون من مذهبهم ويتخذونهم ضالين هراطقة . والحال ان الملكية منذ المجمع السادس فصاعدًا كانوا ارثدكسيين. فاذًا لم يكن الموارنة ارثدكسيين من عهد المجمع السادس فصاعدًا .

وقبل ان نختم هذا الفصل فلنعتبر ان الموارنة القدماء مع ما اظهروه من التساهل والامتزاج مع سائر الملل النصرانية المختلفة عنهم في المذهب لم يستنكفوا الاَّ من مخالطة الملكيين ولم يزالوا يعادونهم اشد عداوة دينية . وسبب ذلك هو ان الموارنة لما انشقوا من الكنيسة انما خرجوا من الملكيين ولو كانوا في الاصل يعاقبة او على القليل رهبان مارون ايمتهم . وان الملكيين اخذوا دون سائر الملل الشرقية يتبعون المجمع السادس الذي من سببه خرج الموارنة من حظيرة الكنيسة .

ولنا ان نتخذ برهانًا قويًا على الموارنة من امر انفصالهم عن الملكيين فنقول : ان الموارنة يدعون من عهد المجمع اللبناني فصاعدًا ان اجدادهم انما انفصلوا عن الملكيين

في اواخر القرن السابع لسبب حربي لا لسبب ديني وانهم كانوا ارثذكسيين . فينتج ان الملكيين ايضاً كانوا ارثذكسيين . والحال ان خصومنا لا ينكرون انه بعد ذلك العصر كانت العداوة بين الطائفتين دينية . فاذاً لا بد من ان احدى الطائفتين حادت عن الارثذكسية . والحال ان الملكيين تشهد لهم التواريخ انهم من اواخر القرن السابع بقوا ارثذكسيين الى عهد شقاقهم مع الكنيسة القسطنطينية من الكنيسة الرومانية . ولم يظهر فيهم احد من المبتدعين او الهراطقة . فاذاً الموارنة هم الذين زاغوا عن الارثذكسية وعلى الفرض انهم كانوا ارثذكسيين حين انفصالهم الاَّ انهم لم يثبتوا على تلك الارثذكسية زماناً .



الفصل الخامس

في ان الموارنة لم يراجعوا الكنيسة الرومانية ولا عرفوها

نظراً ولا عملا

ان الاهدني ومن جاء بعده من الموارنة يدعون ان اجدادهم في الحقبة المارونية تميزوا عن سائر طوائف الشرق بتمسكهم بايمان الكنيسة الرومانية وطاعتهم لها . وانهم من اجل ذلك قاسوا ضروب الاهانات والاذيات من الهراطقة والمشاقين . ونحن بعكس ذلك ندّعي ان سكان جبل لبنان في الحقبة المارونية كلها لم يعرفوا الكنيسة المارونية كما هو مفروض على كل كنيسة كاثليكية ولا راجعوها في الاوقات اللازمة . ولا اعترفوا برئاستها على كل الكنائس . وهاك البينات الراهنة .

١ — ان الموارنة المتأخرين مع كل ما بذلوه من الهمة والنصب لم يقدروا ان

يجدوا في كتب اباأهم خبرًا او شهادة او غير ذلك مما يبين انهم كانوا يعترفون برئاسة الاحبار الرومانيين على كل المسيحيين الاّ ما اخترعوه هم ولفقوه في القرن الخامس عشر وما بعده . ومن يصدّق ان ملة كالموارنة بقيت على قول خصمنا مدة نحو خمسمائة سنة مملوّة غيرة على تعظيم كرامة الكنيسة الرومانية من دون ان يبقى من ذلك ادنى اثر في كتبها الصحيحة التاريخية او العلميـة او البيعيـة او الشرعية او غير ذلك .

٢ ـ انه لا يوجد في اخبار الكنيسة الرومانية على كثرتها من اثر لتعاطي الموارنة في الحقبة المارونية مع الكرسي الرسولي في قضية من القضايا الدينية كما اعتاد سائر الاقوام الكاثليكيين منذ الازمان القديمة . او ان الكرسي الرسولي تعاطى معهم في امر من الامور البيعية كما كان جاري عادته مع سائر الكنائس الكاثليكية . افليس هذا دليلاً قاطعاً على ان الملة المارونية لم تكن في تلك الحقبة مشتركة في طاعة كرسي بطرس زعيم الرسل .

٣ ـ لا شك ان الكنائس الكاثليكية قاطبةً شرقًا وغربًا ذكرت على الدوام في صلواتها وخدماتها الدينية اسم الحبر الروماني الجالس على كرسي مار بطرس دليلاً على الاشتراك في طاعته من حيث هو رأس الكنيسة الجامعة باسرها . وقال يوسف لويس السمعاني في الكوديك الليترجي (مج ١ وجه ٨٢) « ان الكنائس الشرقية قبل انشقاقها من الكنيسة الكاثليكية كانت تذكر كل يوم في الدبتيخا اسم الحبر الروماني . فلما انفصلت عن الكنيسة الكاثليكية اسقطت هذا الاسم من الدبتيخا دليلاً على عصيانها » . والحال ان الموارنة في الحقبة المارونية لم يكونوا يذكرون في الدبتيخا اسم الحبر الروماني كما يظهر من كتبهم القديمة حيث انه لا يوجد فيها هذا الاسم البتة مع اسم البطريرك واسقف المكان لاسيما وانه يجب ان يذكر بحسب رسم الكنيسة السريانية في شملاية خصوصية من كتب القداس اسم الحبر الروماني كما

يستعمل الموارنة المتأخرون وكما تحوي كتبهم في هذا الزمان. ولئلاّ يظن ظانّ اننا نفتري بهذا القول على الموارنة القدماء الذين يدّعي اولادهم اليوم انهم كانوا يتميزون دائماً من سائر الطوائف بتمسكهم الشديد بالكنيسة الرومانية نكتفي بايراد شهادة واحدة وهي في طقس سجدة الصليب الذي كان الموارنة القدماء يستعملونه في جمعة الحاش. وقد اشهره بالطبع برومية اسطفانس برجيا بالسريانية واللاتينية في كتاب الصليب الواتكاني حيث يقال في وجه ١٧: « نصلي من اجل ابائنا وروساء « ابائنا البطاركة والمطارنة والاساقفة... ونذكر معهم مار فلان بطريركنا ومار فلان الاسقف ». أكان يمكن ان يكون الموارنة محبين للحبر الروماني ذلك الحب الذي يدعيه خصمنا وينسوا ذكره في جمعة الحاش العظيمة حيث يذكرون البطريرك والاسقف.

٤ — قد شهد الاحبار الرومانيون أنفسهم انه قبل عهد البابا انوكنتيوس الثالث لم يكن وصال بينهم وبين الكرسي الروماني. قال اقليميس السابع كما رأينا سابقاً موجهاً الخطاب الى بطريرك الموارنة: « ننصحك... ان تحفظ نفسك وأقوامك في « طهارة الايمان الكاثليكي وفي الوصال الذي عقدتموه مع الكنيسة الرومانية منذ أيام « انوكنتيوس الثالث وأوجانيوس الرابع سالفنا ». ومن يعرف أحسن من أحبار الكنيسة الرومانية الاقوام الذين يطيعونها.

٥ — اننا في كتاب شرح معتقد يوحنا مارون لا نجد أدنى كلمة دالة على ان هذا الرجل أو قومه كانوا متمسكين تمسكاً خصوصياً بالكرسي الرسولي الروماني أو انهم كانوا يعرفون رئاسة أحبار هذا الكرسي. ونقول بالاجمال ان كتب الموارنة قاطبة خالية من كل شيء يدل على رئاسة الكنيسة الرومانية على سائر الكنائس حتى ان ابراهيم الحاقلاني ونيرون الباني اذ أوردا شهادات شتى من كتب الملل الشرقية

لاثبات هذه الرئاسة ما امكنهما ان يوردا شيئاً من كتب الموارنة سوى كلمات وجيزة أوردها الحاقلاني من كتاب يوحنا مارون وهي :

ܩܕܝܫܐ ܣܝܠܒܣܛܪܘܣ ܐܦܣܩܘܦܐ ܕܪܗܘܡܝ ܗܘ ܕܥܒܕ ܪܫܐ
ܕܣܘܢܗܕܘܣ ܕܢܝܩܝܐ

« القديس سلبسترا اسقف رومية الذي جعل راس مجمع نيقية » . ومن ذلك يتأكد لدينا ان الابيات الموجودة الآن في طقس عيد مار بطرس و بولس لدى الموارنة المقررة رئاسة الكنيسة الرومانية بالفاظ مستجدة لم تكن موجودة في الطقس في عهد ذينك المؤلفين .

٦ — وما هو أعظم من ذلك اننا في كتاب شرع الموارنة القدماء وهو كتاب الهدى الذي يقتضي ان يذكر فيه ما للحبر الروماني من السلطان على كل الكنائس الكاثليكية لا نجد ادنى ذكر للحبر الروماني او الكنيسة الرومانية حتى في الباب الذي يبحث عن الرئاسة ونظامها حيث قال صاحب هذا الكتاب (في المصحف الواتيكاني عدد ١٣٣ ورقة ١٤٥) : « حكم الرئيس الذي يكون على كرسي البطريركية جائز « على جميع اهل كراسيه من الاساقفة والرهبان والقسوس والشمامسة والعلمانيين « وحكمه جائز في عالمه . وليس يجوز حكم بطريرك ولا حرمه على بطريرك مثله ولا « يجوز له حكم في شيء من كراسي غيره » . وهو قد قال في ورقة ١٦٤ : « ما في « درجات الكنيسة اعلى من درجة البطريرك » . فترى كيف زعم مؤلف هذا الكتاب ان الحبر الروماني الذي هو بطريرك الكنيسة الغربية وبحسب المعتقد الكاثليكي هو رأس كل البطاركة لا حق له على بطريرك اخر . وفي المصحف الماروني (ف) ورد في باب استقبال البطريرك بيت يقال فيه :

ܬܐ ܢܬܒܪܟ ܡܢ ܐܒܘܢ. ܗܘ ܪܝܫܐ ܕܪܝܫܢܘܬܐ. ܕܥܡܪ ܒܕܝܪܐ
ܕܩܢܘܒܝܢ ܕܨܠܘܬܗ ܫܘܪܐ ܬܗܘܐ ܠܢ

« هلمَّ نأخذ البركة من ابينا الذي هو رئيس الرئاسات الساكن في دير قنوبين. « صلاته تكون لنا سورًا » . فالموارنة كان بطريركهم لديهم رئيس الرؤساء ولم يكن اعظم منه عندهم . وتوجد في هذا المصحف الدبتيخا في مواضع كثيرة . وفي كلها يذكر اسم البطريرك واسم الاسقف ولا ذكر البتة للبابا الروماني . فكيف يدّعي الموارنةان اجدادهم تفردوا من دونسائر الطوائف الشرقية بتمسكهم بالكنيسة الرومانية.

وانظر عظم الفرق الموجود بين كلام الموارنة القدماء في هذا الشأن وكلام الملل الشرقية التي يفاخرها موارنة زماننا بخضوع اجدادهم للكرسي الرسولي على ما يزعمون. فان في كتاب شرع اليعاقبة وهو كتاب الهداية تأليف ابن العبري في الجزء الاول من الفصل الخامس ما نصه :

ܐܪܒܥܐ ܢܗܘܘܢ ܦܛܪܝܪܟܐ. ܒܡܢܝܢ ܐܪܒܥ ܦܢܝܬܗ ܕܥܠܡܐ.
ܘܪܝܫܐ ܪܒܐ ܕܟܠܗܘܢ ܗܘ ܕܪܗܘܡܝ

« لتكن البطاركة اربعة على عدد جهات العالم . والرأس الاعظم لكلهم هو « بطريرك رومية » .واما شرع النساطرة فيحوي كلامًا اقوى من ذلك في كل من المجموعات الشرعية التي عندهم. اي المجموعة الكبيرة التي سبق الكلام عنها في الفصل الرابع من الباب الرابع ومجموعات ابن الطيب وايليا الدمشقي وعبديشوع الصوباوي وغيرها . فانه في جميعها يقال :

ܐܪܒܥܐ ܦܛܪܝܪܟܐ ܢܗܘܘܢ ܒܟܠܗ ܥܠܡܐ.. ܘܢܗܘܐ ܪܝܫܐ ܗܘ
ܕܪܗܘܡܝ ܐܝܟ ܦܘܩܕܢܐ ܕܫܠܝ̈ܚܐ ܐܬܦܣܩ ܒܩܢܘ̈ܢܝܗܘܢ

« ليكن اربعة بطاركة في العالم كله .....: وليكن الرأس بطريرك رومية بحسب

« الجزم الذي حتم به الرسل في قوانينهم » . واما ايليا الدمشقي فقال في كتابه :
« ان يكون البطاركة في جميع الدنيا اربعة لا غير مثل كتبة الانجيل الاربعة واركانها
« الاربعة وان يكون الرئيس صاحب رومية على ما امر به الحواريون » . وقال ابن
الطيب في كتابه : « قانون البيعة يأمر بان يطيع الادون الاعلى وتنتهي الطاعة من
« الكل الى فطرك رومية فهو القائم مقام شمعون الصفا » . وورد في كتاب القوانين
للنساطرة :

ܐܝܟܢܐ ܕܫܠܝܛ ܦܛܪܝܪܟܐ ܠܡܥܒܕ ܟܠ ܕܦܐܐ ܒܗܠܝܢ ܕܬܚܝܬ
ܫܘܠܛܢܗ ܐܝܟܢܘ ܗܟܢܐ ܢܗܘܐ ܫܘܠܛܢܐ ܠܪܘܡ
ܕܪܘܡܝ ܥܠ ܦܛܪܝܪܟܐ ܟܠܗܘܢ ܐܝܟ ܛܘܒܢܐ ܦܛܪܘܣ ܥܠ
ܟܠܗ ܥܡܐ

« كما ان البطريرك مسلط ان يصنع كل ما هو لائق باولئك الذين هم تحت
« ولايته كذلك فليكن لصاحب رومية سلطان على كل البطاركة كما كان بطرس
الرسول علي الجمهور كله » .

فليحكم الان القارئ المنصف اي ملة تستحق ان تفتخر على رفيقاتها باحترامها
الكرسي الرسولي الروماني أملة اليعاقبة وملة النساطرة اللتان وردت في شريعتهما هذه
التعاظيم والتفاخيم للاحبار الرومانيين . ام الملة المارونية التي يوجد في كتاب شرعها
ما رأيت . وفيه ايضاً هذه الكلمات الاخرى (في ورقة ١٤٥) : ليس للاسقف ان
« ينادي (والصحيح يعادي) البطريرك ولا (ان) يقاومه ولا يخالفه ولا يحرمه .
« ومن تعدّى من الاساقفة قدره وقاوم بطريرك فليقطع . الاَّ ان يكون جماعة من
« الاساقفة معه فينكروا عليه اعني الرئيس شيئاً لا يوافق الحق . فيجتمع حينئذٍ عليه
« اساقفة الكراسي ورؤساء الديارات وينكروا عليه ما انكروه من فعل الرئيس
« ويرجعوا الى كتب الكنيسة . فان وافق الحق ما انكروه واحتجوا به كان تحت

« حكم الكنيسة » . انظر كيف ينفي هذا الشارح الماروني كل حق للحبر الروماني في التداخل في امور البطاركة والاساقفة حتى حق اقتبال دعوى الاستغاثة .

٧ — ولنسمعنَّ باي معنى كان الموارنة القدماء يفسرون الايات الانجيلية التي بها اعطى المسيح الرياسة لبطرس الرسول . قال المنقح الماروني لتفاسير الاناجيل لابن الطيب في تفسير فصل انجيل متى الذي فيه قلد بطرس سلطان الربط والحل (ورقة ٤٠٥ من المصحف الواتيكاني السرياني عدد ٤٠٥) : « كل شيء تعقده من اوامر « الشريعَة يكون معقوداً في السماء وما تحله في الارض من عقال الخطايا ومن درج البيعة « يكون محلولاً في السماء وجعل هذه المزية جزآءً له على اعترافه بالاهيته . فلم يمنح « هذا بطرس وحده لكن ولكل من يؤمن بربوبيته ويحفظ وصاياه » . فاذا رأيت كيف يشرك هذا المؤلف الماروني جميع المؤمنين مع بطرس في المزية فاسمع الان كيف يعتبر النساطرة مثلاً الرئاسة الخصوصية المفردة التي حظى بها بطرس الرسول من المسيح . قال ابن الطيب في تفسير سؤال الرسل من هو يا ترى العظيم فينا : « لما شاهد التلاميذ اكرام سيدنا لشمعون تارةً بقوله طوباك يا شمعون بن يونا . « وتارةً بقوله خذ واعط عني وعنك اعترضهم الفكر الانساني وحياؤهم من التصريح « بذلك ركبوا مسألة وسألوه ما يقتضي ذلك عن الكبير في ملكوت السماء . وهذا « كله فعلوه لانهم بعد لم يكونوا كملوا بالحكمة . والاَّ فبعد نزول الروح القدس صاروا « كنفس واحدة واعترفوا لبطرس بالرئاسة » .

اننا لسنا نريد بهذا التنديد بالموارنة ان نقول ان اجدادهم لم يكونوا قد تسلموا من ابائهم الاولين التعليم الطاهر المختص برئاسة الحبر الروماني خليفة بطرس الرسول على الكنيسة كلها . حاشانا من ذلك . فاننا نقر ان الطائفة المارونية حين انفصالها عن الكنيسة الكاثليكية قد حوت عندها كسائر الطوائف الشرقية جميع ابواب الايمان الارثذكسي سوى الباب الذي من سببه انشقت من جسم الكنيسة . الاَّ اننا نقول

انها في تمادي الزمان قد تراخت قليلاً قليلاً في ابواب اخرى ايضاً . واحدثت فيها شيئاً من التغيير ولاسيما هذا الباب المتعلق برئاسة الحبر الروماني الذي اما جهلاً واما لسبب عدم معاطاتها مع الكرسي الرسولي مدةً من الاحقاب قد نسيته تماماً نظرًا كما نسيته عملاً خلافاً لليعاقبة والنساطرة الذين نسوه عملاً فقط لا نظرًا .



الفصل السادس

في تكريم الموارنة لأئمة

الهراطقة والمشاقين

انه من الامر المعلوم الذي لا ينكره موارنة زماننا ان اجدادهم كانوا يكرّمون أئمة الهراطقة والمشاقين ولاسيما اليعاقبة حتى انك ترى كتبهم مشحونة باسمائهم . ولكثرة وجود هذه الاسماء في كتبهم البيعية اي الطقسية لم تخل منها طقوسهم نفسها المطبوعة في مدينة رومية العظمى تحت نظر الكرسي الرسولي بعينه . ولئلاّ نطيل الكلام في امر شائع اقرّ به خصمنا نكتفي بذكر اخص ما وقفنا عليه في كتب الموارنة من اسماء الهراطقة او المشاقين على سبيل المثال :

فنقول انه في كتاب قدّاس الموارنة المطبوع في رومية سنة ١٥٩٤ توجد اسماء أئمة اليعاقبة يوحنا بن شوشان البطريرك وماروثا مفريان تكريت وبرصوم بين القديسين النساك (وجه ١٩٨ ووجه ٢٤٥) . وفي نافورة ماروثا وجه ١٦٢ يذكر بين ملافنة الكنيسة الذين يذكرهم الكاهن في القداس ثلاثة اسماء قد حكت في النسخة التي وقفنا عليها لدى حضرة السيد ديونيسيوس شلحة رئيس اساقفة حلب على

السريان الجزيل الشرف والحرمة ويظهر منها الى الان اسم فيلكسينس و بطرس اي القصار . والثالث لا بد من انه كان يعقوب اي البرادعي بموجب النسخة المخطوطة باليد التي استعملها طابعو ذلك الكتاب (١) . وقد انتبه الموارنة بعد ذلك الى غلطهم فحذفوا هذه الاسماء كلها من طبعة سنة ١٧١٦ .

هذا ما وجدناه في الكتب المطبوعة . واما ما يوجد في الكتب المخطوطة باليد فيصعب استقصاؤه .

فمن ذلك ما ورد في كلندار لهم كتب قبل مبادى القرن السادس عشر (وهو في المصحف الواتيكاني السرياني ٣١٣) : اسم يعقوب الرهاوي في ٢٧ كانون الثاني. وبرصوم الناسك في ٣ شباط . وفي كتاب نافور لهم خطَّ في قبرص سنة ١٥٣٥ (في المصحف الواتيكاني السرياني ٢٩) يوجد فيلكسينوس المنبجي واليعازر بن سبتا وتوما الجرمانيقي وابن الصليبي اليعاقبة الشهيرين وكلهم بصفة قديسين . وفي

---

(١) قد عثرنا هنا في الموصل على نسخة من هذا النافور هي موجودة الآن عندنا رفي الحال أقبلنا على نافورة ماروثا . فاخذنا العجب مما رأيناه فيها اذ ان الموارنة قد انتبهوا الى الغلط الجسيم الذي وقعوا فيه قبل ان يخرج الكتاب من المطبعة وأرادوا تصحيحه . فطبعوا ورقة جديدة أشد بياضاً من ورق سائر الكتاب ولزقوها مكان الورقة الاولى. وفي هذه الورقة الجديدة بدل فيلكينس و بطرس و يعقوب وضعوا انطونيوس ويعقوب وافرام ومن غرائب ما رأيناه في هذا الكتاب ان الكاهن يتداول من الجسد فقط (وجه ٨٠) . ثم بعد ما يكمل القداس ويطلق الجماعة يتناول حينئذ من الكأس (وجه ٦٥) وانه في وجه ٦٦ يذكر اسم الملعقة ولا يذكر ابداً في الكتاب لاي شيء تستعمل ورأينا ان النافورة الاخيرة من هذا الكتاب وهي المنسوبة الى بطرس الرسول قد جعلت في طبعة سنة ١٧١٦ نافوراً لاسم الكأس بعدما بدلوا فيها ثلاث قطع اصلها من النافور المستعمل عند المساطرة . أولهن ܩܘܕܫܐ ܠܐܒ ܩܕܝܫ ووضعوا بدل هذه القطع ثلاث قطع جديدة .

كتاب شرح معتقد الموارنة ليوحنا مارون جعل سويرس بطريرك انطاكية المنوفيسيتي الشهير قديساً . وفي كتاب المقالات العشر لتوما الكفرطابي سمي هرقل ملك الروم المعين للهراطقة قديساً (١) (في المصحف الواتيكاني السرياني ١٤٦ ورقة ١٤٨) . الى غير ذلك .

اما خصومنا فيقرون ان الاشخاص المذكورين هم غير ارثذكسيين سوى ثلاثة منهم وهم ماروثا وبرصوم و يعقوب الرهاوي . فيترتب علينا اذاً ان نبين ان هؤلاء الاشخاص الثلاثة لم يكونوا ارثذكسيين . ولنبدأ من ماروثا التكريتي ونقول ان ماروثا التكريتي المنسوبة اليه النافورة التي بدءها ܫܘܐ ܠܗܠ ܒܥܕܢܐ كان يعقوبياً . ولبيان ذلك فلنعتبرنَّ ان تواريخ السريان وآثارها القديمة يذكر فيها شخصان باسم ماروثا . احدهما عاش في اواخر القرن الرابع وكان اسقفاً كاثليكياً لمدينة ميافارقين في الجزيرة وهي مدينة قريبة من امد محسوبة من ارض ديار بكر . ويسميها اليونان مدينة الشهداء . وهذا ماروثا الاول كتب السمعاني ترجمته في وجه ١٧٤ وما بعد من المجلد الاول من المكتبة الشرقية . والاخر عاش في القرن السابع وكان اسقفاً يعقوبياً بل اول مفريان على اليعاقبة لمدينة تكريت في طرف الجزيرة . وهي بعيدة عن ميافارقين المذكورة مراحل كثيرة . وكتب السمعاني ترجمته في وجه ٤١٨ وما بعد من المجلد الثاني . اما الاول فيسمى في كتب السريان على الدوام ܡܪܘܬܐ ܕܡܝܦܪܩܝܛ اي ماروثا الميافارقي . وهو مشهور في كتب النساطرة . وله ذكر في كلندار اليعاقبة في اليوم السابع عشر من شباط . واما الثاني فاسمه عند اليعاقبة ܡܪܘܬܐ ܕܬܓܪܝܬ اي ماروثا التكريتي ولا ذكر له عند النساطرة . لانه كان يعقوبياً و يعيد له اليعاقبة في اول يوم من ايار . فقد توهم السمعاني في المجلد

(١) *** راجع ماسنكتبه في الملحق عن بركة الاكليل عندهم وذكرهم هرقل بصفة قديس .

الاول من مكتبته الشرقية اذ خلط هذين الشخصين وجعلهما واحداً . ونسب الى مارونا الميافارقي من المؤلفات ما كان لمارونا الاخر التكريتي . واول ذلك النافورة المذكورة سابقاً . فانها لا تذكر الاَّ عند اليعاقبة وفي كل المصاحف الكثيرة الموجودة فيها هذه النافورة تنسب الى مارونا التكريتي اليعقوبي لا الى مارونا الاخر الميافارقي .

الثاني هو برصوم الناسك . قد اقرَّ السمعاني في وجه ٩ من المجلد الثاني من المكتبة الشرقية ان هذا برصوم المحروم في المجمع الخلقيدوني كان له دير في جبل لبنان في قرية بشرّى . وانه كان له طقس صلاة لدى الموارنة وانه في سنة ١٤٦٠ اوقف انجيلاً فاخراً لذلك الدير كتب في ذيله كاتبه : « اوقفوه للقديس الطاهر الفاضل مار برصوما المعمور لقرية بشرّى » : قال اسطفانس الاهدني كما ذكر السمعاني ان دخول برصوم هذا بين الموارنة كان في سنة ١٤٨٧ على يد ابن ضو اسقف اورشليم اليعقوبي . وان هذا الاسقف جذب اهل قرية بشرّى الى ضلاله وجعلهم يشيدون الدير على اسم ذلك الهرطوقي.

اما نحن فنقدر ان نصدّق ان دير برصوم ما شيد قبل سنة ١٤٨٧ ولكن لا يمكننا ان نصدّق البتة انه كان يقدر احد ان يقنع اهل بشرّى ببناء دير على اسم رجل كان اجدادهم على قول خصمنا يتعوّذون من اسمه وبادخال عيده وصلاته في كنائسهم لو كان اجدادهم ارثذكسيين كما يزعمون . أكان بطريركهم واساقفتهم نائمين حتى انهم لم ينتبهوا الى هذا الخطب العظيم من اقامة دير بين ملتهم على اسم رجل مبدع شهير محروم في احد المجامع . والسمعاني نفسه قد اثبت ان دير برصوم كان مبنياً قبل سنة ١٤٦٠ بل انما يحسم كل نزاع هو ان بين الكتب التي خلفتها لنا الملة المارونية القديمة مصحفاً في الخزانة الواتيكانية عدده ٢٦٩ بين السريانيات يحوي كتاب الاناجيل للموارنة يتقادم عهده الى القرن الثاني عشر . وهو مكتوب بالحروف السريانية القديمة المربعة. وفي ورقة ١٣ فصل [illegible] أي لمار برصوم .

فيتضح من ذلك أن برصوم المذكور في كلندارهم وفي كتب قداسهم المخطوطة باليد والمطبوعة هو برصوم الهرطوقي لاغير . ثم انه لايوجد البتة في الكنيسة الكاثليكية قديس اسمه برصوم . والى الآن لم يذكر أحد من المؤلفين لا الكاثليكيين ولا غير الكاثليكيين انه اشتهر واحد ارثذكسي اسمه برصوم . فيكون هذا اذاً قديساً جديداً اخترعه الموارنة المتأخرون كيوحنا مارون . وان كان الامر هكذا فلماذا حذفوا اسمه من الكلندار ومن القدّاس .

والعجب من السمعاني كيف انه قال في وجه ٦ من المجلد المذكور ان المراد بهذا برصوم هو برسَميا أسقف الرها الشهيد . أما كان يعلم هذا العالم العظيم ان الكتب القديمة قد ذكرت برسميا أسقف الرها باسمه مصرّحاً . وان هذا الاسقف له ذكر واضح في كلندار اليعاقبة في اليوم الثامن من شهر تشرين الاول . وهل تقدر ياصاح في أدني زاوية من أربعة مجلدات المكتبة الشرقية باجمعها ان تجد ذكر قديس اسمه برصوم مع ماتحوي تلك المجلدات من الوف الاسماء الخاملة المجهولة . فقد تقرر اذاً انه لما كان لايوجد في التواريخ ذكر قديس اسمه برصوم وكان لبرصوم الناسك الهرطوقي دير وطقس صلاة لدى الموارنة كان هؤلاء يكرمون برصوم الهرطوقي لا غيره .

الثالث هو يعقوب الرهاوي اي اسقف مدينة الرها الذي توفي سنة ٧١٠ ويا ليتنا نقدر ان نحظى بهذا الفاضل بين الملافنة الارثذكسيين مع غيره من الجهابذة اليعاقبة كسويرس بطريرك انطاكية وموسى بركيفا وابن الصليبي وابن العبري وغيرهم . ولكن ما كل يتمنى المرء يدركه . فانه مع كل ما اجتهد السمعاني الفاضل في المجلد الاول من مكتبته الشرقية ان يبرّي يعقوب الرهاوي من الاشتراك مع شيعة

اليعاقبة لم يفز بالمرام . فاننا لا نشك في ان هذا الاسقف كان يعقوبيًا كما كان يوحنا اسقف دارا وموسى بن كيفا وديونيسيوس التلمحري . وهاك بيناتنا .

١ ــ ان يعقوب الرهاوي عاش في القرن السابع اي في زمان كان فيه واجبًا على كل نصراني ولاسيما الاساقفة ان يبينوا حالهم لاية ملة من الملل الموجودة حينئذٍ هم تابعون . اي ملة الارثذكسيين المسماة ملة الخلقيدونيين والملكية . او ملة اليعاقبة القائلين بالطبيعة الواحدة . ام ملة النساطرة القائلين بالاقنومين او ملة الموارنة في جبل لبنان القائلين بالمشيئة الواحدة . فكان كل واحد متمسكًا باحدى هذه الملل دون غيرها ومحسوبًا من اهلها . فكان اهل سائر الملل يحسبونه خارجا من ملتهم وهرطوقيًا بحسب مذهبهم . فيعقوب الرهاوي لا بد من انه تبع احدى هذه الملل وتمسك بها وعرف بها اذ كان اسقفًا معروفًا قائمًا برأس جماعة عظيمة . فلو كان يعقوب ارثذكسيًا اي تابعًا لمذهب الملكيين لحسب هرطوقيًا عند اهل سائر الملل ولاسيما اليعاقبة . فكان اليعاقبة يرفضونه مثلما رفضوا سائر من تبع المجمع الخلقيدوني . والحال ان اليعاقبة قد فعلوا عكس ذلك . فانهم قد جعلوه قديسًا ولا يزالون في كتبهم يسمونه ملفان الكنيسة و يستعملون نافورته . وله ذكر في كلندارهم في ٥ حزيران .

٢ ــ ان يعقوب الرهاوي لم تعرَف كتبه ولا ذكر اسمه الاَّ عند اليعاقبة . اما استشهاد السمعاني بكتاب شرح معتقد اليعاقبة يبين ان الملكيين كانوا يستعملون في العماد الطقس الذي رتبه يعقوب الرهاوي فلا فائدة فيه . لان شهادة صاحب هذا الكتاب الذي عاش في القرن الخامس عشر وكان قليل التحقيق والتفتيش لا يمكن ان تبطل ما نعلمه بكل اليقين وهو ان الملكيين في سورية ومصر كانوا قبل القرن الخامس عشر باجيال يتبعون الطقس اليوناني او القسطنطيني في كل شيء . فان كان صاحب كتاب معتقد اليعاقبة قد عنى ملكية زمانه فقد كذب . لانه في زمانه لم يكن الملكية يستعملون سوى طقس اليونان البتة . وان كان قد عنى ملكية الازمان السالفة فلسنا

تقبل في امور الازمان السالفة شهادة من بالكدّ تقبل شهادته في عصره . فما اورده السمعاني من هذا الكتاب وهو قوله : « مار يعقوب الرهاوي صاحب كتاب عماذ الموارنة والملكية » يبين زيفه خاصةً من انه لم يذكر اليعاقبة . فان اليعاقبة هم اخص من يستعمل في العماذ طقس يعقوب الرهاوي .

٣ — ان يعقوب الرهاوي سامه اسقفاً على الرها اثناسيوس بطريرك اليعاقبة . ولما تنازع مع بطريرك اليعاقبة يليانس وتنازل من اسقفية الرها ارجعه اليها البطريرك المذكور . ثم ان يعقوب حضر مجمع اليعاقبة مع بطريركهم واساقفتهم في سنة ٧٠٦ بل كان من مقدّمي ذلك المجمع . وقال ابن العبري في تواريخه نقلاً عن ديونيسيوس التلمحري . انه « دفن في دير تلعدا (الذي لليعاقبة) وها ان الكرامات الالهية تجري على قبره ».

٤ — ثم ان يعقوب الرهاوي ترجم من اليونانية الى السريانية خطب سويرس البطريرك الانطاكي عدو المجمع الخلقيدوني الشهير ونقح اغانيه الشهيرة المسماة المعانيت المستعملة في طقس اليعاقبة وأكثر من تسميته قديساً في كتبه . اما الارثدكسيون فقراءة لم يجز لهم ان يقرأوا كتب هذا عدوّ الكنيسة وأمثاله فضلاً عن ترجمتها من لغة الى لغة . حتى ان أصلها اليوناني قد فقد لتعوذ اليونان الارثدكسيين منها . اما احتجاج السمعاني بأن كثيرًا من الارثدكسيين قد ترجموا مؤلفات نسطور وغيره من المراطقة فباطل . فان هؤلاء لم يترجموا تلك المؤلفات بمنزلة كتب ملافنة وقديسين وضموها الى كتب العهد القديم والجديد وكتب الملافنة كما فعل يعقوب الرهاوي . بل بمنزلة آثار مما خلفه السالفون ومثل ذلك احتجاج السمعاني بأن يعقوب الرهاوي لم يفنده أحد المؤلفين المعاصرين له من كاثليكيين كالقديس يوحنا الدمشقي وغيره . فلو صح هذا البرهان لصح أيضاً ان يعقوب الرهاوي كان نسطوريا لانه لم يفنده أحد من النساطرة المعاصرين . والصحيح هو انه لما كان يعقوب في

مؤلفاته التي نشرها بين الناس لم يتشبث بالجدالات الدينية لم يكن من سبيل للكاثليك ان يفندوه . هذا ومن جملة مؤلفات يعقوب الرهاوي قانون شملايات للقداس فيها من الجملة ذكر سويرس الذي سبق الكلام عنه مع الملافنة القديسين. فهذه الاسباب وغيرها جعلت السمعاني نفسه يرجع في المجلد الثاني من المكتبة الشرقية وجه ٣٣٧ عما كان قد قاله في المجلد الاول عن مذهب هذا يعقوب الرهاوي وأقرّ انه كان منوفيسيتياً كما أفاد أيضاً اسطفان برجيا في كتاب الصليب الواتيكاني وجه ١٣٢ .

فترى مما ذكرناه ان وجود اسم يعقوب الرهاوي في كتب الموارنة يشجبهم كوجود أسماء غيره من اليعاقبة عندهم فضلاً عن انه لايتبين من ذلك انهم كانوا ارثدكسيين أو ان يعقوب الرهاوي كان ارثدكسياً كما أدعى السمعاني . وقال أيضاً هذا العلامة . في وجه ٢١١ من المجلد الثاني من المكتبة الشرقية . « قد اعتاد الهراطقة الشرقيون ولاسيما اليعاقبة والنساطرة ان يحبوا الناس المشهوزين في كل العالم بعلمهم وصلاحهم ولو لم يكونوا من ملتهم وان يعظموهم » . فهذا القول نرده على الموارنة القدماء الذين لم يكونوا يحبون و يعظمون ايمة لليعاقبة فقط . بل كانوا أيضاً يكرّمونهم ويتخذونهم قديسين ويذكرونهم في القداس و يعيدون لهم . وقد شهد بذلك توما الكفرطابي الماروني، حيث قال مخاطباً الملكيين في ورقة ١٤٩ من كتاب المقالات العشر : « وأنتم ياتلاميذ مكسيماس اتخذتم لكم لعنة تلعنون بها جميع المسيحيين . . . .
« في كل عيد وفي كل مجمع تلعنون النساطرة والافرنج (١) والحبش والقبط والارمن
« والموارنة واليعاقبة . . . ونحن لا نلعن أحـداً قط ولا عندنا أحد أفضل من أحد

---

(١) بقوله والافرنج أشار الى البابا هنوريوس الذي كان اليونانيون معتادين ان يعيدوا كل سنة الحرم الذي أصابه في المجمع السادس لسبب عدم اجتهاده في منع البدعة المنوثليتية .

«الاّ بالاعمال الجيدة» . وهذا لم يفعله اليعاقبة قط ولا النساطرة أيضاً بل كانوا تبعاً لما قد حفظوه من الكنيسة الكاثليكية حين انشقاقهم منها يتعوذون من الاشتراك في الدين مع من خالف مذهبهم صريحاً فضلاً عن ان يقدسوه ويعبدوه . اما سمعان العمودي الذي استشهد به السمعاني ليبين من قبول اليعاقبة لهذا القديس الشريف انهم لا يتعوذون من الذين لم يكونوا على دينهم فلا يقاس عليه . فان سمعان العمودي كان رجلاً ناسكا قضى حياته بعيداً عن مخالطة الناس . فكان بسبب شدة تنسكه وتقشفه محسوباً ولياً من أولياء الله عند كل الطوائف النصرانية . ويمكن ان اليعاقبة لم يعلموا انه قد وافق المجمع الخلقيدوني . لابل ان ابن العبري في تواريخه السريانية قال صريحاً ان سمعان العمودي رفض المجمع الخلقيدوني وان تباع نسطور اغتاظوا من ذلك اذ كانوا يحسبونه على مذهبهم . فهذا الخبر ولو كان كاذباً يتبين منه ان اليعاقبة شاع عندهم ان القديس سمعان العمودي كان موافقاً لمذهبهم ولهذا قبلوه بين قديسيهم .

وبعد ذلك نجمل البرهان ونقول للموارنة : ان أجدادكم كانوا يكرّمون ايمة الهراطقة والمشاقين ويقدسونهم . والحال ان هذا يتعوذ منه الكاثليكيون حقيقة فاذاً لم تكن أجدادكم كاثليكيين . ولنسمعن الان ما يمكن الخصم ان يردّ به على برهاننا هذا .

١ً - لعله يقول : كيف يوافق برهانك هذا مع اقرارك بأن أجدادنا كانوا يقبلون المجمع الخلقيدوني ويعتقدون بالطبيعتين - أجيب : ليس علينا موافقة ذلك بل عليكم يا أيها الموارنة الكرام . فانكم لا تنكرون ان أجدادكم كانوا يقدسون ايمة اليعاقبة ونحن لا ننكر انهم كانوا يقبلون المجمع الخلقيدوني . فكيف توافقون ذلك مع زعمكم بأنهم كانوا ارثذكسيين . اما نحن فعندنا طريقة سهلة جداً لموافقة ذلك . وهي ان نقول ان أجدادكم لسبب انهم لم يكونوا ارثذكسيين لم يعوذوا من تكريم

الهراطقة. ولا عجب ان الغير الارثدكسيين يأتون بالغرائب والمناقضات. فان الانشقاق عن الكنيسة الكاثليكية لسبب ضلال واحد هو داع قوي للسقوط في ضلالات أخرى كما علمتنا التجربة وكما شهد غليلم الصوري عن الموارنة خاصة.

٢ً - قال صاحب روح الردود في وجه ٨٠: هل تعاب الكنيسة اللاتينية بادخالها في كتب الطقس أقوال أوريجنس وترتوليانس الهرطوقيين. وزاد السمعاني قائلا: أليس الروم الكاثليكيون يستعملون في طقوسهم ماصنفه المشاقون من صلوات وغير ذلك. أجيب ان هذه العادة الغريبة لم توجد الا عند الموارنة القدماء ولم توافق الاَّ دينهم. وهي استعمال شيء أصله غير ارثدكسي في الصلاة والعبادة وما أشبه. فان بقية الملل الغير الكاثليكية قد تعوذت على الدوام من ان تتخذ في طقسها شيئاً استعمله قوم محسوب عندها غير ارثذكسي. فانك لا ترى قط اليعاقبة قبلوا ان يتخذوا في عبادتهم شيئاً من مؤلفات الذين هم عندهم غير ارثذكسيين ولا النساطرة كذلك وأما الملكيون فبلغوا في ذلك الى حد التصنع الزايد. فانهم لما اتخذوا الطقس القسطنطيني وترجموا كتبه من اللغة اليونانية الى السريانية لم يرضوا ان يستعملوا للعهد الجديد ترجمة توما اليعقوبي الحرقلي الموافقة للاصل اليوناني بل اكتفوا باستعمال الترجمة البسيطة مع ابتعادها عن الحرفية اليونانية اذ لم يسهل عليهم اصطناع ترجمة جديدة. وهل يمكن ان تتخذ الكنيسة الرومانية شيئاً من شيعة الانكليكان مثلا. أو اللوثاريين أو الكلوينيين وتدرجه في طقسها ولو كان في نفسه صالحاً فائقاً. فهذا الامر الذي ما روي عن ملة من ملل النصارى شرقاً وغرباً روي فقط عند الموارنة القدماء طبقاً لدينهم الذي كان يبيح لهم الاشتراك في الروحانيات مع أهل غير مذهبهم (١).

---

(١) يجب علينا ان نعترف ان ملة اليعاقبة شابهت قليلا الموارنة في هذه الحلة. حيث انها اتخذت في القرن الثامن من قوانين يوحنا الدمشقي وقزما الاورشليمي

ونقول ثانياً ان كان قد وجد يوماً في كتب الكنيسة اللاتينية قريانات اخذت من مصنفات اوريجنس . فالكنيسة اللاتينية لم تذكر قط في القداس اسم اوريجنس ولا اسم أحد من الهراطقة والمشاقين ولا وضعت ذكراً لاحد منهم في كلندارها ولا قدسته في كتبها (١) . فشتان ما بين فعال الموارنة القدماء أو ما بين ما ذكره السيد يوسف الدبس نقلاً عن السمعاني في أمر أوريجانس وترتوليانس . وقس على ذلك الحجة المبنية على استعمال الكاثليكيين من روم وكلدان وسريان واقباط في طقوسهم مصنفات المشاقين بعد تنقيحها وتصحيحها فان الكاثليكيين انما استعملوا هذه الاشياء لانهم حينما انفصلوا من المشاقين أمروا ان يحفظوا الطقوس التي كانوا يستعملونها في حال الشقاق من دون تغيير سوي ما يقتضيه حجة المعتقد الكاثليكي . فان كان في هذه الطقوس ما هو مأخوذ في الاصل عن المشاقين فان الكاثليكيين لايتخذونه الاجزءاً من الطقس القديم من حيث ان المشاقين في ما أحدثوه في الطقس بنوا على الطقس القديم . ومثل ذلك حال الموارنة الكاثليكيين . فانه يسمح لهم ان

واندراوس الاقريطي وميامر اسحاق الملفان وغيرهم الذين كانوا غير ارثذكسيين عندها ولكن من غير ان تضع أسماءهم في كلندارها . وادرجت في كتبها الشرعية قوانين المجمع الخلقيدوني التهذيبية مع كون هذا المجمع مرفوضاً عندها . واتخذت أعياداً كثيرة من اليونانيين وغير ذلك . ومما يستحق الاعتبار ان كتب اليعاقبة لا تحوي اسماء هؤلاء القديسين الغير الارثذكسيين في مذهب اليعاقبة لا في الكلندار ولا في القداس . أي يوحنا الدمشقي واندراوس الاقريطي وقزما الاورشليمي وامثالهم .

(١) ان من جملة ما ادخل في طقس الكنيسة اللاتينية من كتب السريان الصلوة الوجيزة لسيدتنا العذراء التى بدءها Sub tuum praesidium تحت ذيل حمايتك وهي موجودة بين المعانيث السريانية ودرجت في طقس اليعاقبة .

يستعملوا جميع ما جلبوه معهم من الكتب يوم دخولهم حظيرة الكنيسة بعد تنقيحه وتصحيحه من أثر الضلال ولو ان كثيرًا منه أصله من اليعاقبة . ولكن لو فرضنا ان المشاقين اليعاقبة مثلاً في هذه الايام يحدثون شيئًا جديدًا في الطقس هل يجوز للكاثليك السريان أو الموارنة ان يأخذوا منهم ذلك الشيء الجديد ولو كان صالحًا في ذاته . كلاّ ثم كلاّ .



الفصل السابع

في رفضهم الملافنة

الارثذكسيين

لاتظن ان تساهل الموارنة القدماء في قبول ايمة غير ملتهم قد بلغ بهم الى حدان يقبلوا الملافنة الارثذكسيين الذين قاوموا البدعة المنوثليتية . فان هؤلاء القوم الذين كما رأيت في الفصول السابقة لم يستنكفوا من تكريم ايمة البدعة المنوفيستية والضلالة النسطورية حتى ان احد علمائهم قال ان أصحابه لايرفضون أحدًا من أي ملة كان . قد استثنوا من هذا اللطف ملافنة كنيستنا الكاثليكية الذين اشتهروا خاصة في محاربة مذهبهم . فمن ذلك رفضهم القديس مكسيموس المعترف والقديس يوحنا الدمشقي خاصة . وهاك البينات الجلية .

١ً — اذا ابتدأنا من مكسيموس نقول ان علماء الموارنة لم يقدروا الى الان ان يوردوا شاهدًا أو بينة على ان أجدادهم كانوا يكرمون هذا القديس المستشهد لاجل صدق معتقد المشيئتين سوى قولهم ان اسمه يوجد في كلندارهم من دون ان

يبنوا كلندارًا سابقًا لعهد صلحهم مع الكنيسة الرومانية . فان الكلندارات المصنوعة بعد ذلك العهد لاتنفع شيئًا . فانها بلاشك قد أصلحت من كل ضلالة على قدر معرفة أصحابها . فلما كان لايوجد في جميع آثار الملة المارونية القديمة وكتبها أدنى دليل على ان تلك الملة كانت تكرم القـديس مكسيموس يسوغ لنا ان تستنتج انها كانت ترفضه .

٢ً – ويتأيد هذا البرهان السلبي بشهادات كثيرة ايجابية تشهد بها كتبهم القديمة . فمن ذلك ما أوردناه وشرحناه في الفصل الخامس من الباب الثالث من ان يوحنا مارون امام ايمة الموارنة كتب ردًا على تلاميذ مكسيماس أي مكسيموس المعترف الذين يعتقدون بالمشيئتين في المسيح . وفي كتاب المقالات العشر لتوما الكفرطابي أقوال كثيرة تبين بغض هذه الملة لهذا القديس الجليل نذكر شيئًا منها على سبيل المثال . قال صاحب الفاتحة لكتاب المقالات العشر في ورقة ١٣٤ من المصحف الواتيكاني السرياني ١٤٦ : « ثم ان انبا توما وقف بين يدي ربنا متضرعًا « لرحمته ان يفتح عيني عقله لكي يجدد لهم تلك الرسالة قوة لايمانهم كي يصدوا بها « كل مكثر كلام باطل وكذب وبغضة ومحسدة من ملة أهل مكسيماس الراهب « الذي قطع هرقل ملك قسطنطينية يده ولسانه لاجل انه افترى وجعل تلك « الرواهب رموا جسد المسيح في كفهم » . وقال توما الكفرطابي في ورقة ١٣٨ من المصحف المذكور : « ولا أحد من القديسين ذكر مشيئتين قط . . . والمجامع لم تذكر « مشيئتين قط . لان هذه اللفظة الزائدة قالها مكسيماس » . وقال في ورقة ١٤٦ مخاطبًا الملكيين : « نحن وأنتم دمنا ثابتين على ذلك (أي ايمان نيقية وخلقيدوني) « الى زمان مكسيماس خاصتكم . فيقال عنه في كتاب سعيد بن بطريق انه وُلد في « مدينة طبرية . وكانت أمه جارية عجمية . فزنى بها رجل يهودي اسمه صادوق

« من ملة السامرية فولد منها ولد زناء ثم نشأ وتدرب بكل مكر وبكل صنعة ردية » .
وقال في ورقة ١٤٧ « ثم ان رهبان دير مارمارون ردوا جواب كتب الملكين قائلين « لهم هكذا : أنتم تعلمون ان بأيدينا الامانة المقدسة التي رتبها لنا الثلاثمائة والثمانية « عشر بمدينة نيقية بروح القدس ... وتأمرونا ان ننكرها ونقيم مذهب مكسيماس « بيد غالبة وسيف . ومذهب الحق لايكون بحرب وقوة . وهذا الانشقاق اخترعه « مكسيماس من تلقين ابليس » .

ومن الشهادات المبينة ان الموارنة كانوا يبغضون القديس مكسيماس المذكور والقديس يوحنا الدمشقي ما قاله صاحب كتاب الطب الروحاني في المصحف البرجياني الذي عدده (ج) في وجه ١٧٤ : « نحن معشر المؤمنين المستقيمي المجد يجب علينا « ان نكون كنيسة واحدة وأمانة واحدة .... ولا نماثل المخالفين الجهال (اراد بذلك « الملكيين) الذين كل واحد ينتسب الى واحد بدعته . ويأكلوا جمعة نينوى « مضادد سرجيس الارمني والفوا عليها حكايات . ويأكلوا جمعة الجبن مضادد « الملك هرقل (محامي البدعة المنوثليتية) ومقتوه ورذلوه على انه كان ماروني وألفوا « عليه حكايات . ويأكلوا في عيد البشارة سمك . ويقدسوا على أي خبز اتفق من « يومين وثلاثة موافقين لرأي مكسيموس ويوحنا الدمشقي (١) » .

ولكن يحتج الخصم علينا بقولهم ان الموارنة كانوا يذكرون في كلندارهم القديس مكسيموس وغيره من المحامين عن معتقد المشيئتين . فاذاً كانوا يتخذونهم ارثذكسيين

---

(١) من غرائب ما نراه في الشيمة المارونية القديمة انها مع كونها اتخـذت في طقسها جميع ما عند اليعاقبة تقريباً استثنت من ذلك شيئاً واحداً فقط وهو قوانين التسابيح اليونانية التي مؤلفها مار يوحنا الدمشقي وغيره من الملافنة الذين في القرن السابع والثامن حاموا عن معتقد المشيئتين . فان هذه التسابيح لا يوجد لها أثر عند الموارنة مع ان اليعاقبة قد ادخلوها في كل طقوسهم .

وقديسين ــ نجيب : لا ننكر ان الموارنة المتأخرين الصائرين كاثليكيين كانوا يذكرون هؤلاء القديسين ليدفعوا عنهم شبهة المنوثليتية . ولكن ننكر انكاراً قاطعاً ان كلندارهم قبل القرن الثالث عشر كان يحوي اسم هؤلاء القديسين . فان الكلندارات التي يستشهد بها خصومنا لايتقادم عهدها الى القرن الخامس عشر . ومن أقدم ما يمكن ايراده من كلندارات الموارنة كلندار موجود في المصحف الواتيكاني عدد ٢١٧ كتب في جزيرة قبرص سنة ١٥٠٨ . وفيه نعم يذكر القديس مكسيموس المعترف والمجمع السادس ولكن يذكر أيضاً في ٦ شباط سويرس البطريرك الشهير وفي ٣ شباط يذكر برصوم ويسمى ܪܫܐ ܕܐܒ̈ܝܠܐ رئيس النساك . وكذلك في كلندار أخر لهم موجود في المصحف الواتيكاني السرياني عدد ٣١٣ الذي كتب في أواخر القرن الخامس عشر واستعمله بطريركهم . نعم يذكر مكسيموس المعترف . الأَّ انه مع ذلك يذكر أيضاً برصوم كما سبق وفيلكسينس المنبجي اليعقوبي الشهير . فكما ان وجود أسماء مبغضي المجمع الخلقيدوني في هذين الكلندارين لايدل على ان الموارنة كانوا من المبغضين للمجمع الخلقيدوني . كذلك وجود اسم مكسيموس وغيره من الارثذكسيين لايدل على انهم سابقاً كانوا ارثذكسيين . ولاسيما ان كلا هذين الكلندارين ألفا بعد عهد أول صلحهم مع الكنيسة الرومانية بنحو ثلاثمائة سنة .

قال صاحب روح الردود : ان يوحنا الدمشقي ترجمت تأليفه الدينية والعلمية الى العربية وتتداولها أيدينا . ــ أجيب : نعم تتداولها أيديكم بعد عهد انضمامكم الى الكنيسة الرومانية . ولكن عليكم ان تبينوا ان أيدي أجدادكم كانت أيضاً تتداولها قبل ذلك العهد . وهذا من المحال .

الفصل الثامن

في رفض الموارنة المجمع

السادس المسكوني

مثلما اشتهر النساطرة برفض المجمع الثالث وهو الافسسي واليعاقبة برفض المجمع الرابع وهو الخلقيدوني. كذلك اشتهر الموارنة برفض المجمع السادس الذي فيه حرمت البدعة المنوثليتية. وبذلك عرفوا وتميزوا من سائر ملل النصارى. وبيان ذلك سهل جداً.

١ً ــ فلنبتدئين من يوحنا مارون أول ائمة الموارنة. فنقول ان يوحنا مارون لم يكن يقبل المجمع السادس. ويتضح ذلك من كتاب شرح المعتقد الذي استودعه لاهل لبنان. فانه فيه ذكر المجامع التي قبلها ولم يذكر المجمع السادس كما رأينا في موضع آخر. قال يوحنا مارون في ورقة ٣ من المصحف الواتيكاني السرياني ١٤٦

ܡܗܝܡܢܝܢ ܘܡܘܕܝܢ ܚܢܢ ܒܬ̈ܠܬ ܟܢܘܫܝܐ ܩܕܝܫܐ ܕܐܬܟܢܫܘ
ܐܟܣܐ ܕܒܗ ܡܢ ܢܟܠܐ ܩܕ̈ܝܫܐ ܘܐܠܗܟܐ ܠܐܒ̈ܗܬܐ ܕܡܫܬܥܐ
ܩܕܝܫܐ ܐܡܝܢ ܕܒܟܠܗܘܢ ܐܬܟܢܫܘ ܗܘܘ ܒܩܘܣܛܢܛܝܢܘܦܘܠܝܣ ܘܐܦܣܘܣ
ܕܐܬܐܘܕܘܣܝܘܣ ܘܒܐܪ̈ܟܢܐ ܩܕ̈ܝܫܐ ܩܕ̈ܝܫܐ ܕܐܬܟܢܫܘ ܒܐܬܪܐ
ܩܕܝܫܐ ܚܕܐ ܒܗܘܢ ܕܐܬܬܚܙܝ ܒܗ. ܐܚܪܢܐ ܕܝܢ ܡܢ
ܩܕܝܫܘ ܕܡܫܝܚܐ ܕܐܬܚܙܝ ܒܗ ܘܐܬܡܣܪ ܡܢ ܟܠܗ ܐܬܪ̈ܘܬܐ ܐܘܪܗܝ
ܩܕܝܫܐ ܕܫܪܝܪ ܒܗ ܘܗܝܐ ܩܕܝܫܐ ܘܡܠܟܐ ܕܐܬܟܢܫܘ ܒܫܢܬ ܘܠܐܦܝ
ܡܢ ܕܡܬܬܪܝܨ ܕܬܫܒܘܚܬܐ ܕܐܠܗܐ ܩܕܝܫܐ ܠܐܒܘܗܝ ܠܗܘܢ
ܢܛܘܪܝܢܐ. ܘܒܢ̈ܝ ܡܫܡܫܢܐ ܕܝܠܗ ܡܠܐ ܘܐܬܠܝܗ ܘܐܬܬܐ

ܕܒܟܢܘܫܝܐ ܕܐܬܟܢܫܘ ܡܛܠ ܬܪܝܨܘܬܐ. ܘܚܢܢ ܡܘܕܝܢܢ
ܒܬܘܕܝܬܐ ܬܪܝܨܬܐ ܕܫܪܪܗ ܠܗܝ ܐܪܒܥܐ ܟܢܘܫܝܢ ܩܕܝܫܝܢ
ܕܐܡܪܢ ܡܢ ܠܥܠ

« نؤمن ونعترف نحن ابناء البيعة المقدسة القاثليقية كما تعلمنا من الانبياء والرسل
« ومن الزمرة الثالثة وهي الملافنة القديسون الذين في كل زمان اشتهروا بالايمان
« المستقيم الحق وجاهدوا جهاداً حسناً في المجامع الاربعة المقدسة . وحاربوا الذين
« ذكرناهم . اعني مجمع نيقية الثلاثمائة والثمانية عشر الذين اجتمعوا على اريوس
« المنافق . ومجمع المائة والخمسين الذين اجتمعوا في القسطنطينية على مقدونيوس
« المنافق الذي جدَّف على روح القدس وقال انه مخلوق . ومجمع المائتين الذي في
« النظام الاول (١) اجتمعوا في افسس على نسطور الجسور . والمجمع المشهور مجمع
« الستمائة والستة والثلاثين الذين اجتمعوا في خلقيدوني على أوطاخي . فنحن نؤمن
« بالايمان المستقيم الذي أثبته لنا الاباء في هذه المجامع التي ذكرناها . »

هل كان يقدر يوحنا مارون ان يتكلم كلاماً أوضح من هذا ليبين انه لا يقبل المجمع السادس . ولاسيما انه لو كان يقبله لكان احق من غيره ان يذكره اذ كان هو آخر مجمع مسكوني في زمانه وكان فيه قد تفسرت وتوضحت ابواب الايمان الارثدكسي اكثر من سائر المجامع . ولا يقولنَّ قائل ان يوحنا مارون انما اهمل ذكر المجمع السادس لانه لم يكن قد عقد حين كتب كتابه هذا . فان اسطفانس الاهدني اثبت انه كتبه بعد ما صار بطريركاً اي في سنة ٦٨٨ . وكان المجمع السادس قد عقد قبل ذلك بثمان سنين . فعدم ذكره في زمانه هو لانه لم يكن يقبله . واذا صح

(١) ذلك ليميز هنا المجمع الحقيقي من المجمع الكاذب الذي عقده تباع الطبيعة الواحدة في مدينة افسس .

قول المجمع اللبناني بان يوحنا مارون سيم بطريركاً في سنة ٦٨٥ فيكون قد عقد المجمع السادس قبلما كتب يوحنا مارون كتابه باكثر من خمس سنين . وفي كلا المذهبين لو كان يوحنا مارون يقبل المجمع السادس لوجب وجود ذكره في كتابه .

٢ — وفي كتاب الهدى الذي هو كتاب شرع الموارنة لا يذكر الاَّ خمسة مجامع . فانه في ورقة ١٥٠ من المصحف الواتيكاني السرياني وجه ١٣٣ ورد : « قانون سوندوس مجمع الاطهار في القسطنطينية ثاني دفعة الذي وضعوه في معنى البيعة السليحية » وهو المجمع الخامس . وقد ورد كثيرًا في هذا الكتاب ذكر الاربعة المجامع الاولى . ولكن لا يذكر ابدًا المجمع السادس ولا السابع .

٣ — وتوما الكفرطابي في مواضع شتى من جداله مع الملكيين الارثذكسيين يبين ان ملته لا تقبل الاَّ خمسة مجامع. قال مثلاً في ورقة ١٣٧ من المصحف السرياني ١٤٦ : « واعلم يا ابي الروحاني اننا نحن وانتم متفقين من مجمع نيقية الى المجمع الخامس نعتقد طبيعتين » . الخ .

٤ — وقد كان اسقاط المجمع السادس شائعاً عند الموارنة القدماء ومثبت في كتبهم الى حدٍّ بليغ حتى ان كتبهم نفسها المطبوعة في رومية لم تخلُ من ذلك فانه في كتاب قداسهم المطبوع في رومية سنة ١٥٩٤ تذكر في نافورة ايونيس الحاراني الذي ظنوه يوحنا فم الذهب اربعة مجامع فقط اذ يقال في وجه ٧٤ :

« ثبتنا (يا رب) على صخرة الايمان المستقيم الذي للاربعة المجامع المقدسة »(١). وفي وجه ٢٢٤ صلوة يذكر فيها الكاهن اربعة مجامع فقط عند ذكره الاباء والملافنة. وكذا يوجد ايضاً في طبعة سنة ١٦٢٢ . وذلك انه لما كان طباعو هذا الكتاب هموا ان يطبعوه على حاله الاصلي الذي فيه كانوا يستعملونه رأوا ان يتركوا الموضعين

(١) اعلم ان هذه النافورة قد حذفت من الطبعة الثانية التي ظهرت برومية سنة ١٧٦٢ .

المذكورين على حالها . ولم يلتفتوا الى البرهان القوي الذي يقام على اجدادهم منها . وذلك انه لا يوحنا فم الذهب ولا بطرس الرسول في الفرض الباطل ان تينك النافورتين هما تاليفهما كان يمكن ان يذكرا اربعة مجامع . واليعاقبة الذين الفوا نافورة ايونيس الحاراني ذكروا فيها ثلاثة مجامع طبقاً لمذهبهم . لانهم لم يكونوا يقبلون الاَّ ثلاثة مجامع . فالموارنة القدماء اذاً وضعوا من عندهم ذكر المجامع الاربعة في هذه النافورة . وبذلك اظهروا واضحاً انهم لا يقبلون الاَّ اربعة مجامع كما ان اليعاقبة بذكرهم ثلاثة مجامع فيها اثبتوا انهم لا يقبلون سواها .

وما الحاجة الى تكثير البراهين لنبين ان الموارنة لم يكونوا يعرفون الاَّ اربعة مجامع ونحن عندنا شهادة في ذلك من اقرار بطريركهم نفسه وهو مخائيل الرزّي حيث قال في شرح ارسله الى الكرسي الرسولي سنة ١٥٧٨ في العدد السابع : « اما « المجامع المقدسة فلا نعرف نحن منها سوى اربعة مسكونية . ولذلك لا علم لنا البتة « ما الذي بقية المجامع المقدسة حللته او حرَّمته من العوائد » . (راجع الفصل ٥ من الباب ٥ من كتاب توما دي يسوع في خلاص الامم) . فهذه المجامع الاربعة انما كان موارنة ذلك الزمان يعرفونها لان آباءهم لم يعرفوا غيرها ولم يسلموهم الاَّ معرفتها .

ولا يحتج الخصم بقوله ان ذكر المجامع الاربعة لا ينتج منه شيء لانه من المعلوم ان الموارنة كانوا يقبلون المجمع الخامس ايضاً . فاننا نجيب ان المجمع الخامس لم يحدّد شيئاً من جهة الايمان . ولذلك لم يذكروه في الصلوة التي بها كانوا يطلبون من الله ان يثبتهم على الايمان . ولا ذكره يوحنا مارون في ذكره المجامع التي وضعت اساسات الايمان . واما المجمع السادس فليس كذلك امره فانه فيه قد شرحت ابواب الايمان الارثذكسي بتفصيل فائق على سائر المجامع السابقة . فكان واجباً اذاً على يوحنا مارون وعلى تلاميذه ان يذكروا المجمع السادس خاصةً لو كانوا يقبلونه .

٥ ــ وكيف كان يمكن للموارنة ان يثبتوا في كتبهم ذكر المجمع السادس وهم

من سببه انفصلوا عن الكنيسة الكاثليكية وبرفضه أقاموا شيعة منشقة كما شهد توما الكفرطابي أحد علماء تلك الامة في مقالته الثالثة (ورقة ١٤٩ من المصحف الواتيكاني السرياني ١٤٦) حيث قال : « ولما توفي هؤلاء الملوك الثلاثة (المنوثليتيون هرقل « وقسطنطين وقسطة) تقدم تلاميذ مكسيماس الى أهل المراتب (أي الى قسطنطين « الملك اللحياني) وقدموا لهم البراطيل والرشوات الجزيلة وردوا المقالة المنشقة كما « كانت من مكسيماس (اي بالمجمع القسطنطيني الذي هو السادس) وانشقوا أولئك « الى تلك المقالة وثبتنا نحن على مقالة الحق التي رتبها الخمسة مجامع .... وأنتم « ياتلاميذ مكسيماس أخذتم لكم لعنة تلعنون بها جميع المسيحيين » . يشير الى الحرومات التي بها ضرب المجمع السادس جميع القائلين بالمشيئة الواحدة والناصرين لهم .

وهاهنا يحاجنا الخصم من مرهج نيرون فصاعداً الى كلندار الموارنة القدماء زاعمين ان هذا الكلندار كان يحوي ذكر المجمع السادس . ونحن قد أنكرنا ذلك على الموارنة في كتابنا اللاتيني ورغبنا اليهم ان يبينوا لنا نسخة واحدة قديمة من هذا الكلندار تحوي ذكر المجمع السادس . فأجاب صاحب كتاب روح الردود في وجه ٢٠٩ يحاجنا الى كلندار أرسله البابا غريغوريوس الثالث عشر الى الموارنة سنة ١٥٨٠ وكلندار آخر كتب على قول اسطفانس الاهدني سنة ١٤٨٢ .

هذا أقدم ما أمكن الخصوم ان يوردوه ليبينوا ان أجدادهم كانوا يقبلون المجمع السادس . ونحن نجيب ان كل ذلك لا ينفعهم فان الكلندار الذي أرسله اليهم الحبر الاعظم لابد من انه كان كاثليكياً . فلا عجب من انه كان يحوي ذكر المجمع السادس لتأييد الموارنة في قبوله . واما الكلندار المكتوب سنة ١٤٧٢ على قول الاهدني فاما انه كان موافقاً لكلندار الموارنة المطبوع في رومية سنة ١٦٢٣ . واما انه كان مخالفاً له . فان كان مخالفاً فذا دليل واضح على انه كان يحوي ضلالات أو أشياء غير مستقيمة . ولذلك اقتضى ان يغيروه في طبعة سنة ١٦٢٣ . وان كان الاثنان شيئاً

واحداً فلا يثبت منه شيٌ (١ً) لانه كتب في القرن الخامس عشر أي في زمان كان فيه الموارنة قد تصالحوا مع الكنيسة الكاثليكية منذ نحو ثلاثمائة سنة. ونحن بحثنا عن موارنة القرن السابع الى الثالث عشر . و (٢ً) لان هـذا الكلندار يحوي من الجملة في ٣ شباط ذكر برصوم الهرطوقي الشهير. فلو كان ذكر المجمع السادس فيه دالا على ان الموارنة كانوا يقبلون هذا المجمع لدل ذكر برصوم على انهم كانوا يرفضون المجمع الخلقيدوني و (٣ً) كان واجباً على الخصوم ان يدلونا على مكان الكلندار لنمكن مطالعته لا ان يذكروه فقـط . فانه بلا شك اذا ظهر هذا الكلندار ووقع تحت الفحص يتضح جلياً بطلان مدَّعى الموارنة . ونحن نحسب ان هذا الكلندار هو عين الكلندار الذي ذكرناه في الفصل السابق وهو الموجود في المصحف الواتيكاني السرياني عدد ٢١٢ . وأقدم كلندار أمكن تحصيله . فهذا الكلندار المصنوع في عصر كان فيه الموارنة كاثليكيين من زمان نعم يذكر فيه بعض القديسين المحامين عن المشيئتين أي اندراوس صاحب القوانين في ٤ تموز (١) ومكسيموس (ويسمى في المصحف مكسيمينوس) المعترف في ١٣ اب . ولكن لا ذكر لمرتنيوس البابا . ولا لصفرونيوس الاورشليمي . اما ذكر المجمع السادس فيه فلا يمكن تحقيقه . لان الكلندار يصل الى ٢٥ اب وباقيه ناقص ومعه شهر ايلول الذي في ١٥ منه يذكر الموارنة المتأخرون المجمع السادس . ولكن مع هـذا كله يذكر في هذا الكلندار برصوم الشهير في ٣ شباط . وفيلكسينوس اليعقوبي في ١٠ كانون الاول . ويعقوب البرادعي في ٢١ ادار . وثاودوسيوس الاسكندري الاوطاخي في ١١ كانون الاول . وفي الاجمال نقول ان هذا الكلندار مأخوذ في الاصل من كلندار اليعاقبة قد زاد

(١) ان هذا اندراوس صاحب القوانين وهو اسقف اقريطش يذكر ايضاً في كتب اليعاقبة حيث ترد قوانينه وهي تسابيح تترنم بها الكنيسة في صلواتها .

عليه الموارنة الصائرون كاثليكا أسماء القديسين الذين حاربوا ،عن المشيئتين لدفع شبهة الضلالة عنهم اتخذوها من كلندار الملكيين (١) .

ومن هذا البحث كله نستنتج ان هذا الكلندار الواتيكاني فضلاً عن الكلندارات المطبوعة لا يحوي كلندار الموارنة القديم . وان الموارنة القدماء لم يكن لهم الاَّ كلندار مختصر يحوي في كل شهر ذكرين او ثلاثة كما هو حال اكثر كنائس السريان والكلدان منذ كانوا نساطرة ويعاقبة . وناهيك انه لو كان عندهم كلندار شائع في الاستعمال لكان يعرفه علماؤهم خاصةً . والحال ان جبرائيل الصهيوني الذي عاش في مبادئ القرن السابع عشر لما سأله ينهوس العلاَّمة عن كلندار الموارنة اجابه في رسالةٍ في اللاتينية طبعت سنة ١٦٤٤ قال له فيها : « هاك كلندار الموارنة في هذا اللوح » . وذلك اللوح لا يحوي الاَّ الاعياد المارانية اي اعياد الرب واعياد سيدتنا العذراء ونحو عشرة اعياد للقديسين . ومثل ذلك هو الكلندار المستعمل لدى اليعاقبة والنساطرة والكلدان والسريان في اثور وكردستان والعراق الى يومنا هذا .

فكان للموارنة القدماء كلندار مختصر كهذا . ولكن لما صاروا كاثليكيين في القرن الخامس عشر وما بعده ارادوا ان يوسعوا كلندارهم ويوافقوه مع حال الكثلكة التي دخلوا فيها . فاقبلوا على كلندار اليعاقبة المتسع ولخصوه تلخيصات شتى . وزادوا عليه في الاول اسماء القديسين المحامين عن المشيئتين لا غير اتخذوها من كلندار الروم . اما في الاول فتركوا في الكلندار اسماء كثيرة من ايمة اليعاقبة . فان كلندارات القرن السادس عشر تحوي اسماء يعقوب الرهاوي وبرصوم وفيلكسينوس ويعقوب البرادعي وغيرهم . ولم يخلُ الكلندار الاول المطبوع من شيء من ذلك .

---

(١) أليس مما يستحق العجب ان الموارنة وضعوا ذكر المجمع السادس في ١٥ ايلول الذي فيه كانت الملكية تذكر مجمع القصر الشهير لظنهم ان ذلك المجمع هو المجمع السادس الذي أمرهم الكرسي الروماني بقبوله .

ثم انهم في سنة ١٧١٦ ظنوا انهم نقحوا هذا الكلندار من كل اثر ضلالة يعقوبية . الا انهم قد فاتهم اشياء فمن ذلك جعلهم في ١١ كانون الثاني اسم ثاودوسيوس الاسكندري اليعقوبي المعلوم . ومن ذلك جعلهم اولاداً ليوسف خطيب مريم العذراء سيدتنا في ٢٧ ايار وفي ١٨ ايلول . ثم انهم زادوا على الكلندار اسماء كثيرة من كلندار الكنيسة اللاتينية . ولكن لا نظن ان هذه الكلندارات هي متفقة في كل شيء . فان فيها اختلافات شتى . وهذا دليل واضح على انه كما قلنا لم يكن في الاول للموارنة الا كلندار مختصر . فلما ارادوا توسيعه ذهب كل واحد مذهباً وعمل كل واحد على شاكلته .

واذا فحصنا الكلندارات الثلاثة المارونية التي بين يدينا اي الواتكاني عدد ٣١٣ والكلندار المطبوع سنة ١٦٢٢ . والاخر المطبوع سنة ١٧١٦ . وقابلنا بعضها مع بعض اطلعنا منها على اربعة امور مهمة . الاول اننا لا نجد فيها اثراً للاون البابا العظيم الذي اجداد الموارنة طالما تفاخروا به . ولا للمجمع الخلقيدوني الذي سماه يوحنا مارون المجمع المشهور . ولا لسائر المجامع المسكونية الى الخامس . وهذا دليل واضح على ان هذه الكلندارات مأخوذة من كلندار اليعاقبة . والثاني اننا لا نجد في هذه الكلندارات ذكر صفرونيوس الاورشليمي في ١٣ اذار ولا مرتينوس البابا في ٣ نيسان كما قال السمعاني ولا في ١٣ نيسان كما زعم المطران يوسف الدبس . ثم اننا في كل هذه الكلندارات لا نجد ذكر يوحنا مارون في ٥ ك ٢ (١) كما زعم ايضاً السيد

---

(١) *** لا بل في حساب الاعياد المشهورة الموجود في كتاب الشبيبة (بالكرشوني) المطبوع في رومية سنة ١٧٨٢ بهمة سمعان ودوي الماروني معلم اللغات الشرقية في المدرسة الغريغورانية وعليه تصديق الكرادلة لم نر ذكراً ليوحنا مارون . انما يذكر عيد مار مارون في ٩ من شباط « وعيد رهبان دير مار مارون الثلاثمائة وخمسين الشهداء » في ٣١ من تموز .

المشار اليه . والثالث هو انه في هذه الكلندارات يوجد اسماء لا يمكن قرآءتها او مبهمة . وذلك ان الذين استعملوا كلندار اليعاقبة في الاول لم يحسنوا قرآءته حتى بقي في الكلندار المطبوع سنة ١٧١٦ نفسه شيء كثير من الكلمات المحرفة او الاسماء الغير المفهومة او التعريفات الناقصة . فمن ذلك في ١٢ تشرين الاول ذكر افريوس وطروخوروس اللذين لا وجود لهما بدل اندرونيقوس وطارخوس وبروبوس المشهورين الموجودة اسماؤهم في كلندار اليعاقبة . وفي ٣١ تشرين الاول ذكر نقولاوس الاسقف الغير المعروف بدل دمفيلاس الشهير . وفي ١٩ تشرين الثاني باسيوس بدل اغابيوس. وفي ٤ كانون الاول يوحنا الاسقف بدل يوحنا الصغير الانبياء المشهور . وفي ١٣ منه تودرس المعجم بدل دروسيس الشهيدة المشهورة وفي ١٧ شباط اوفروسمى بدل اوفروسوني الشهيرة المعلومة . وفي ١٥ اذار بولس القديس بدل الشهيد . وفي ٢٧ اذار اليريون القديس و ٢٨ باسيلوس الكاهن الشهيد بدل الوثاريوس و بيلاطس الشهيدين وغير ذلك كثيراً جداً .

والرابع انه يوجد في هذه الكلندارات الثلاثة المارونية اختلافات كثيرة بعضها بين بعض وهاك شيئاً من ذلك على سبيل المثال (اعلم ان عدد ١ اشارة الى الكلندار الواتيكاني و ٢ الى كلندار سنة ١٦٢٢ و ٣ الى كلندار سنة ١٧١٦) . ٢٩ تشرين الاول: ١ و ٢ سابا الشهيد و ٣ فرقيوس الشهيد . ١ تشرين ثاني : ١ و ٢ قزما وداميانوس و ٣ جميع القديسين . ٨ كانون الاول : ١ متكركان الاسقف و ٢ لا شيء و ٣ حبل حنة بسيدتنا العذرآء . ٨ كانون الثاني : ١ كسيفطون ورفاقه و ٢ لا شيء و ٣ تاودوروس الراهب . ٢٢ كانون الثاني : ١ و ٢ لا شيء و ٣ انسطاسيوس الراهب . ٢٣ كانون الثاني : اكسيوس القديسة و ٢ لا شيء و ٣ يوحنا المصدّق . ٩ شباط : ١ مارون و ٢ مارون البطريرك . و ٣ مارون الناسك ويوحنا الملقب مارون بطريرك انطاكية .

وقبل ان نختم هذا البحث عن كلندار الموارنة نسأل الخصوم سؤالين : الاول : تزعمون ان اجدادكم كانوا حقاً يذكرون المجمع السادس في ١٥ ايلول وصفرونيوس في ١١ ادار ومرتينس في ١٣ نيسان فلماذا اذاً كلندار يوحنا باطشتا جعل المجمع السادس في الاحد الثاني بعد عيد الصليب . وكلندارات السمعاني جعلت صفرونيوس في ٣ ادار ومرتينس في ٣ نيسان . الثاني : واذا كان اجدادهم كاثليكيين فلمَ لا يوجد في كلندارهم الأ ذكر المجمع السادس ولم يذكروا مجمعاً آخر من المجامع التي قبله ولا من التي بعده .

اما احتجاج صاحب روح الردود في وجه ٢١١ تبعاً لعواد السمعاني بان كلندارهم أُلف بعد المجمع السادس وقبل السابع . فان كان ذلك يقنع الموارنة فنحن لا يقنعنا البتة . واي جاهلٍ يصدّق ان كلنداراً يذكر فيه برونون الناسك الذي عاش في القرن الحادي عشر قد صنف قبل المجمع السابع المعقود سنة ٧٨٨ . وان كان الموارنة المتأخرون قد حلَّ لهم او أُمروا ان يزيدوا على الكلندار ذكر القديسين برونون ويوسف وامبرسيوس وكاترينة وعيد جميع القديسين فلماذا لم يحل لهم ايضاً ان يزيدوا ذكر المجمع السابع والثامن وسائر المجامع. فليعترف اذاً خصومنا ان ذكر المجمع السادس في كلندارهم الان ليس هو لسبب انهُ كان موجوداً في كلندار اجدادهم . بل ليدفعوا عنهم شبهة المنوثليتية التي كانت خاصة بهم .

فائدة

اعلم اننا بعد ما فرغنا من هذا الفصل وقع لنا صدفة كلندار آخر للموارنة طبع في رومية مع اشحيمهم سنة ١٧١٧ وبعد ان تصفحناه رأينا فيه ما يؤيد قولنا

عن كلندار الموارنة فقد حذف منه أسماء كثيرة جداً من أسماء الكلندارات الاولى . ثم زيد عليه أسماء جديدة لا أثر لها في تلك الكلندارات . فقد حذف في هذا كلندار سنة ١٧١٧ مما هو في كلندار سنة ١٧١٦ من الاسماء ١٥ اسما من شهر تشرين الاول و ٩ إسماء من تشرين الثاني و ١٥ اسما من كانون الاول وقس على ذلك سائر الشهور . ومما زيد على الكلندارات السابقة الاسماء الاتية : يعقوب النصيبني في ١٣ كانون الثاني وطيمثاوس في ٢٢ منه واقليميس واغا ثنجلوس في ٢٤ منه وافرام ويعقوب الرهاوي اليعقوبي في ٢٨ منه ولاون البابا في ١٧ شباط وأوسطاتيوس في ٢١ منه وأستنارة بولس في ٢٥ منه وتلالاوس وكورة ومارانية في ٢٧ منه وغير ذلك كثيراً . فمن لايرى في هذه التغييرات المتنوعة والزيادات والتنقيصات الكثيرة التي في مدة هكذا وجيزة من السنين أدخلت في كلندار الموارنة صحة ماقلناه سابقاً وهو انه لم يكن لهم في الاصل الاَّ كلندار صغير يحوي ذكر أشهر القديسين فقط كما ان الامر جار الى الان في كنائس أثور وكردستان والجزيرة والعراق وفارس .



الفصل التاسع

في استعمال الموارنة الزيادة

على التريساجيون

ان التريساجيون هي التقديسة المستعملة كل يوم في كل الكنائس الشرقية واحياناً أيضاً في الكنيسة الغربية وهي : قدوس الله قدوس القوى قدوس الذي لايموت ارحمنا. قيل ان التريساجيون أستنبط أول مرة في كنيسة القسطنطينية في عهد

بروقلوس بطريركها الذي جلس سنة ٤٣٤ . وبعد ذلك دخل الكنائس الشرقية كلها رويداً رويداً . ونحن نتبع رأى الذين يقولون ان التريساجيون أقدم من ذلك العهد . فان النساطرة أيضاً يستعملونه وهم كانوا قد انفصلوا عن حظيرة الكنيسة الكاثليكيه في زمان بروقلوس المذكور .

وكيف كان الامر فان هذه التقديسة الموجهة الى ثلاثة أقانيم الثالوث الالهي أراد المبدعون ان يعبثوا بها ليجعلوها آلة لاثبات ضلالتهم . وذلك انه اذ كان بطرس القصار جالساً على كرسي انطاكية في نحو سنة ٤٧٠ وكان من الرافضين للمجمع الخلقيدوني ومن القائلين بالطبيعة الواحدة ادخل على قدوس الله المذكورة زيادة قصد بها اثبات غوايته . فقال قدوس الله قدوس القوي قدوس الذي صلب لاجلنا ارحمنا . كأنه بهذه الزيادة كما ذكر المؤرخون أراد ان يقرّر ان الثالوث الالهي صلب لاجلنا . نعوذ بالله من هذا التجديف . وجعل من ذلك اليوم جميع الرافضين المجمع الخلقيدوني يستعملون هذه زيادة الذي صلب لاجلنا في التريساجيون . أي المنوفيسيتيون كلهم من سريان واقباط وارمن وحبش .

واما الكاثليك فمنذ الاول استسمجوا هذه الزياة وردوها بكل قواهم ولو ان أصحابها كانوا يقررون انهم يعنون بها الاقنوم الثاني وحده لا الثالوث كله . لان التقديسة التي كلامنا عنها عنت الكنيسة دائماً ان توجهها الى الثالوث تبعاً للملائكة . قيل انه في سنة ٤٧٨ عقد الحبر الروماني سمبليقيوس مجمعاً في رومية وأقام البطريرك القسطنطيني مجمعاً أخر . وفي كليهما حرم بطرس القصار بسبب الزيادة المذكورة . وحدث من جرى هذه الزيادة قلق وسجس كثير في مدينة انطاكية . حتى طرد بطرس من ذلك الكرسي ونصب مكانه كلنديون سنة ٤٨٢ . وهذا لما كان كاثليكياً محضاً اراد ابطال تلك الزيادة واذ لم يمكنه اجراء ذلك لسبب تمسك الشعب بها اخترع حيلة لعله يقدر ان يوافق القبيلين . وذلك انه أمر ان يقال قدوس الله الخ

أيها المسيح الملك الذي صلب لاجلنا ارحمنا . ولكن بعد برهة خطف بطرس القصار كرسي انطاكية من جديد فارجع زيادته الاولى على حالها . ولذلك استحق ان ينهض عليه فيلكس البابا الروماني ويحرمه . وكتب أيضاً كثير من اساقفة المشرق رسائل بها ابطلوا زيادة بطرس القصار كما يرى في المجلد الخامس من مجموع المجامع للباي .

ولما اشتهر سويرس بعداوته للمجمع الخلقيدوني سعى بواسطة أحد أصحابه وكان اسمه مارين الحموي لدى انسطاس ملك الروم لينزل مقدونيوس بطريرك القسطنطينية لانه لم يكن يقبل زيادة التريساجيون وينصب مكانه طيمثاوس . فحاول هذا البطريرك ان يدخل زيادة التريساجيون في كنيسة القسطنطينية فلم يمكنه ذلك لسبب شغب الناس الاَّ انه نال ان ينصب سويرس على كرسي انطاكية . فاثبت هذا زيادة التريساجيون في كنيسته .

قال فوتيوس ان افرام الذي جلس ثالثاً في كرسي انطاكية بعد سويرس وكان مشهوراً بارثذكسيته غض الطرف عن استعمال زيادة التريساجيون التي كانت موجودة في كنيسته من زمان سويرس لخوفه من السجس وذلك حيث كان يعلم انه يراد بها الابن وحده . ونحن تبعاً للعلماء نشك في صحة هذه الرواية . لانه لم يروها أحد من المؤرخين القدماء . ولا سيما انه لا يصدَّق ان هذه الزيادة التي كان الارثذكسيون قد حاربوها بكل تلك القوة ورفضوها كل ذلك الرفض الذي اشرنا اليه قبلت الكنيسة الكاثليكية ان يستعمل في مستنبطها نفسه . وكيفما كان الامر فانه لا شك ان الكنيسة الانطاكية الارثذكسية ابطلت هذه الزيادة قطعاً من سنة ٤٤٥ الى يومنا هذا . واما باقي الكنائس الارثذكسية فلم تستعملها ابداً كما شرحنا سابقاً .

ولم تزل الكنيسة الكاثليكية تتعوَّذ من هذه الزيادة ولو عني بها الابن وحده وقاومتها حيناً بعد حين بلسان ملافنتها الذين اشهرهم القديس يوحنا الدمشقي الذي

في مؤلفات متطاولة بين انه بحسب مذهب الكنيسة الكاثليكيـة لا يجوز توجيه التريساجيون الى الابن وحده فلا يجوز ضمّ الزيادة التي بحثنا عنها اليه . ورفضت الكنيسة خصوصاً هذه الزيادة في المجمع الخامس المسكوني حيث حرمت بطرس القصار باسمه مع زيادته . وكذلك في المجمع السابع المسكوني حيث قرئت الرسالة السنهدوسية التي ارسلها تاودوروس بطريرك اورشليم الى قزما بطريرك الاسكندرية . وفيها حرمت الهراطقة قاطبةً . ومن جملتهم بطرس القصار باسمه مع الزيادة التي ضمها الى التريساجيون ومعه جميع من يتبع رايه . وفي سنة ١٠٨٠ اذ بلغ القديس غريغوريوس السابع البابا الروماني ان الارمن كانوا يستعملون زيادة بطرش القصار وكان بطريركهم قد كتب اليه يطلب الاتحاد مع الكرسي الرسولي . كتب الى تلك الطائفة رسالته ينكر فيها عليهم استعمال زيادة يا من صلب لاجلنا في التريساجيون ويأمرهم بابطالها .

قال البابا بندكتس الرابع عشر عن هذه الزيادة في برآءته المعطاة سنة ١٧٥٥ التي بدءُها وردت Allatae في فصل ٢٩ : « لما كان بعض الكنائس ولا سيما « السريان والارمن ..... قد ادخلوا هذه الزيادة . لم يهمل الاحبار الرومانيون ... « ان يدفعوا الشر في اول ظهوره ويحرموا الزيادة على التريساجيون . اذ انهم قد « استقبحوا التفسير الذي به اصحاب تلك الزيادة كانوا يفتخرون بانهم يهربون من « كل مظنة ضلالة بتوجيه التريساجيون الى اقنوم الابن فقط لا الى الاقانيم الثلاثة « الالهية وذلك لسبب الخطر الموجود دائماً خطر السقوط في الهرطقة المحرّمـة . « ولسبب ان عقل البشر لا يحلّ له ان يوجه الى المسيح وحده ذلك النشيد الذي « تترنم به الملائكة لاكرام الثالوث المقدس » . واضاف الى ذلك قوله انه لما فحص مجمع بروبغندا سنة ١٦٣٥ ليترجية الارمن وسئل « هل يجوز ان يحتمل تلك الزيادة

اذا كان يظن انه يسوغ توجيهها الى اقنوم الابن وحده» . اجاب المجمع : « لا يسمح بذلك والزيادة يجب اسقاطها » .

فهذه الزيادة التي بحثنا عنها كان الموارنة القدماء من جملة الاقوام الذين استعملوها . وساووا بذلك الملة اليعقوبية التي استبدّت بهذه الزيادة وكانت الكنيسة الانطاكية منذ الاول قد نهتهم عنها وبذلت جهدها لكي تجعلهم ان يتركوها . فلم ينتهوا وبقوا عليها ايضاً بعد كثلكتهم الى ان حسّ عليهم البابا غريغوريوس الثالث عشر . فبعث برسالةٍ اليهم في سنة ١٥٧٧ بها ينهاهم قطعاً عن استعمالها حيث قال :

Ac praeterea de nonnullis quae minus consulte a vobis admissa comperimus, exemplum praedecessorum nostrorum secuti, commane factos etiam atque etiam volumus, ut quae ab Ecclesiae Romanae traditionibus aliena esse cognoveritis, ipsi quoque rejiciatis ac prorsus evitetis. Hoc in numero illud est praecipuum quod accepimus in missae sacrificio dum Trisagium profertur, adjici quaedam verba a veritate et sententia quam Ecclesia catholica amplectitur, penitus diversa, quae sunt: qui natus es pro nobis, qui crucifixus es pro nobis, etc. quae ad totam trinitatem impie necessario referuntur, etc.

« ثم اننا اذ قد علمنا ان بعضاً من الامور قد دخلت عندكم دون الصواب نريد « ان نحذّركم غاية التحذير اقتفاءً بمثل اسلافنا لكي ترفضوا كل ما تعلمون انه بعيد « عن تقليدات الكنيسة الرومانية وتتجنبوا منه قطعاً . ومن جملة ذلك خاصةً ما قد « بلغنا وهو انكم في ذبيحة القداس تزيدون على التريساجيون كلمات بعيدة عن « الحق وعن الرأي الذي تتبعه الكنيسة الكاثليكية . وهي يا من وُلد من اجلنا . « اويا من صلب لاجلنا . اويا من قام وصعد الى السماء من اجلنا ارحمنا . فان هذه « الكلمات تقتضي الضرورة ان تتوجه الى الثالوث كله . معاذ الله من ذلك . فلما « كانت هذه الزيادات تحاكي هرطقة بطرس القصار الانطاكي التي حرمت في المجمع « الخامس القسطنطيني ولم يكن الثالوث قد صلب ولا الاب ولا روح القدس . بل « كان ابن الله الوحيد يسوع المسيح قد اتخذ وحده جسداً بشرياً وصار انساناً

« وصلب وذبح لاجل خطايا الشعب كله . نجزم عليكم ان تسقطوا تلك الكلمات
« من طقوسكم ومن صلواتكم فان التريساجيون المقدس الذي لاتنفك الملائكة
« السرافيون يسبحون به الثالوث بالرعبة يجب ان يوجه الى الثالوث كله بحيث يقال
« قدوس الله قدوس القوي قدوس الذي لا يموت ارحمنا . ولا يزاد على ذلك شي
« كما اعتادت الكنيسة الجامعة ان تعمل بمقتضى المجامع المسكونية المقدسة » . وعلى
ذلك قد ابطل الموارنة هذه الزيادة منذ ذلك اليوم .

فاذا تقرَّر هذا كله فهاك برهاننا : لا يمكن ان تسمى ارثدكسية الملة التي اتخذت عادة اخترعها أحد الهراطقة المشهورين وحرمتها الكنيسة المقدسة بلسان ملافنتها وأحبارها الاعظمين ومجامعها المسكونية وتعوذ الارثدكسيون دائماً منها . ولم يستعملها الاَّ الهراطقة أو المشاقون . ونهت الكنيسة الرومانية عنها كل الذين أرادوا ان ينضموا الى وحدة ايمانها ولو كانت تلك العادة غير مذمومة في نفسها . والحال ان زيادة التريساجيون هي بهذه الصفات كلها فاذاً ملة الموارنة التي كانت تستعمل هذه الزيادة لم تكن ارثدكسية .

ولكن يعترض الخصم بقوله ١ً : ان الموارنة استعملوا زيادة التريساجيون بمعنى مستقيم . نجيب : لو كان جائزاً استعمال هذه الزيادة لما نهتهم الكنيسة عنها . أو ليس تقديم ذبيحة القداس مثلاً بغير الثياب القدسية المعهودة أو بعد تناول الطعام أو على غير مذبح قدَّسه الاسقف ليس في ذاته امراً مستنكراً . ولكن مع ذلك من يجسر ان يقرر ان الذي يستعمل احدى هذه الخلال هو ارثدكسي . ونقول : قال الحبر الاعظم غريغوريوس الثالث عشر . ان الكنيسة الجامعة لم تستعمل قط هذه الزيادة المحرّمة في المجامع المسكونية . والحال ان الموارنة طالما استعملوها فاذا لم يكونوا من الكنيسة الجامعة . وان استطاع الخصوم تفنيد هذا البرهان فليفعلوا .

٢ً ـ قال صاحب روح الردود في وجه ٨٤ : ان افرام الانطاكي واولوجيوس

الاسكندري اباحا استعمال هذه الزيادة بالمعنى المستقيم — نجيب : لو صحت هذه شهادة افرام الانطاكي (فانها كما رأينا لا تخلو من محل الشك) لم تبطل حكم المجامع المسكونية والاحبار الرومانيين الذين حرموا هذه الزيادة ونهوا عن استعمالها قطعاً . فان فوتيوس نفسه الذي اورد شهادة افرام لم يستحسن قوله . ومثل ذلك نقوله في ما رواه الاهدني عن اولوجيوس الاسكندري ان صحت هذه الرواية .

٣ً — قال : ان مار اسحق الكبير ويعقوب السروجي قد اجازا استعمال هذه الزيادة كما في وجه ٢٢٣ من المجلد ١ من المكتبة الشرقية — نجيب : ان السمعاني لم يذكر في المحل المذكور شهادة هذين الملفانين عن زيادة التريساجيون بل عن جواز القول ان كلمة الله قد صلب بالجسد وهذا لا نسبة له مع مسألتنا . فلم يكن سبيل الى الاستشهاد به . ولو كان النقل صحيحاً ايضاً لاجبنا كما اجبنا على الاعتراض السابق .

٤ً — قال : ان يوحنا الدمشقي نفسه اجاز توجيه التريساجيون الى الابن . فاجاز اذاً الزيادة يا من صلب لاجلنا — نجيب : لو صحت المقدمة لم تصحّ النتيجة البتة . لان القديس يوحنا الدمشقي اثبت صريحاً في مواضع شتى من مصنفاته انه لا يجوز زيادة شيء على التريساجيون الاَّ اننا ننكر ان الدمشقي اجاز توجيه التريساجيون الى الابن . فانه في رسالته في التريساجيون في الفصل الاول حيث ذكر ان انسطاسيوس رئيس الرهبان ادّعى ان بعضاً من الاباء القديسين اجازوا توجيه التريساجيون الى الابن وحده انكر ذلك قائلاً :

Quo quitem concesso, nihil erit quod prohibeat quin lues illa quam Cuaphoens maligne invexit omnes penitus inficiat.

« ان سلمنا ذلك لم يبقَ مانع من ان يعدي كل احد ذلك الطاعون الذي « استنبطه بطرس القصار بخباثة » . وقال في الفصل ٨ :

Quanam itaque ratione Trisagium hymnum de una persona canere possemus? Sic etenim nos ipsos mendaces constitueremus.

« وباي وجه يمكننا ان نوجه تقديسة التريساجيون الى اقنوم واحد من اقانيم

« الثالوث الاّ بان نجعل انفسنا كاذبين » . ففي رأي الدمشقي كل من يوجه التريساجيون الى الابن وحده هو كاذب .

٥ً ـ قال : ان الكنيسة الرومانية نفسها توجه التريساجيون الى الابن لانها ترتله في جمعة الالام امام صليب المسيح ـ نجيب : ليس أحد يعلم باي معنى ترتل الكنيسة الرومانية التريساجيون في ذلك اليوم أحسن من أحبارها الاعظمين . والحال ان الاحبار الرومانيين ومن جملتهم غريغوريوس الثالث عشر وبندكتوس الرابع عشر حكموا انه لايجوز توجيه التريساجيون الى الابن وحده . ونهوا عن ذلك من كان يفعله . وأي ذي عقل يصدق ان الاحبار الاعظمين ينهون الكنائس الاخر عن عادة تستعملها كنيستهم الرومانية نفسها أمّ الكنائس ومعلمتهن . ومن يصدق ان الكنيسة الرومانية التي أحد أحبارها حكم انه « لايحلّ للعقل البشري ان يوجه الى المسيح وحده ذلك النشيد الذي تترنم به الملائكة لاكرام الثالوث المقدس » توجه هذا النشيد الى المسيح وحده في المرة الواحدة التي فيها تستعمله في السنة وهو يوم جمعة الالام . اما احتجاج الخصم بكون حال ذكر المسيح مصلوباً ومائتاً في تلك الساعة يقنعنا ان الكنيسة الرومانية توجه التريساجيون الى المصلوب المسيح فاحتجاج باطل . فان الكنيسة الرومانية لاتستعمل التريساجيون الا في ذلك اليوم . افاذاً تكون هذه الكنيسة الشريفة قد اتخذت هذا النشيد خاصة لتخالف فيه القوانين . أو ليس الكنيسة الانطاكية السريانية عندما تزيح في القداس جسد ودم المسيح كل يوم تظهر تخشعها واندهالها من عظمة المسيح بصياحها نحو الثالوث المقدس « واحد هو الاب القدوس. واحد هو الابن القدوس . واحد هو الروح القدوس » . فأي عجب في ان الكنيسة الرومانية تظهر تخشعها من جلالة صلب المسيح وموته بتلحينها نحو الثالوث المقدس نشيد الملائكة .

الفصل العاشر

في انه لم يتعاط مع الموارنة أحد من الاحبار الرومانيين قط قبل البابا انوكنتيوس الثالث

اننا ندّعي انه قبل انوكنتيوس الثالث الحبر الاعظم الذي كتب رسالته المشهورة الى ارميا العمشيتي بطريرك الموارنة سنة ١٢١٦ كما رأينا في الفصل السادس عشر من الباب الرابع لم يتعاط مع الملة المارونية أحد من الاحبار الرومانيين . وأدلة ذلك كثيرة : (١) انه لم يقدر الى الان أحـد الموارنة ان يبرز أثر رسالة أو اشارة الى ذلك من الاخبار القديمة والكتب الصحيحة . (٢) لايوجد في سجل الكنيسة الرومانية ولا في تواريخها أثر ذلك البتة . (٣) وما هو أعظم من كل ذلك هو ان الاحبار الاعظمين أنفسهم شهدوا ان انوكنتيوس الثالث هو أول من كاتبهم أو تعاطى معهم . قال بولس الثاني في رسالة بعث بها الى بطريرك الموارنة في شهر اب من سنة ١٤٦٩ :

Ea propter S. recordationis Innocentii III et Eugenii IV Rome Pontificum vestigiis inhaerentes electionem de persona tua Ecclesiae antiochenae Maronitarum... (coufirmamus).

« اننا نثبت انتخاب شخصك على كنيسة الموارنة الانطاكية مقتفين أثار الحبرين الرومانيين انوكنتيوس الثالث وأوجانيوس الرابع المقدسي الذكر » .

وقال بيوس الرابع في رسالة أرسلها الى بطرس بطريرك الموارنة سنة ١٥٦٢ :

Omnia et singula privilegia indulgentias quae a fel, recor Innocentio III, Clementi VII, et aliis praedecessoribus nostris Ecclesiae tuae concessa tenore præsentium confirmamus

« اننا بقوة مرسومنا هـذا نؤيد جميع الانعامات والغفرانات قاطبة التي جادبها على كنيستك انوكنتيوس الثالث واقليميس السابع وغيرهما من اسلافنا السعيدي

«الذكر» .وقبله كان اقليميس السابع قد قال لبطريركهم كما رأينا في الفصل السادس عشر من الباب الرابع «ننصحك نصاحة قلبية وحبية في الرب ان تحفظ نفسك «وأقوامك في طهارة الايمان الكاثليكي وفي الوصال الذي عقدتموه مع الكنيسة «الرومانية منذ أيام انوكنتيوس الثالث وأوجانيوس الرابع سالفينا» . وقال غريغوريوس الثالث عشر كما رأينا في الفصل المذكور: «قد أحببنا ان نحرّضكم بتنبيهاتنا الابوية لكي تجتهدوا على ان تحفظوا بلاخلل ماسلمه اليكم اسلافنا المغبوطون ولاسيما انوكنتيوس الثالث وأوجانيوس الرابع ولاون العاشر» . (٤) حتى ان المجمع اللبناني اذ أورد أقوالاً كثيرة قالها الاحبار الرومانيون لطائفة الموارنة أو عنهم أو ذكر مافعلوه معهم . لم يمكنه ان يورد شيئاً أقدم من رسالة البابا انوكنتيوس الثالث المشهورة التي فيها قبل بطريركهم ارميا في شركة الكنيسة (راجع مثلاً عدد ٧ من فصل سرّ الاوخارستيا (*) .(٥) ان جبرائيل القلاعي في رسالته الى شمعون الحدثي حيث أراد ان يحث فيها هذا البطريرك المنتخب جديداً الى طلب التثبيت من الكرسي الرسولي وأخذ يبرهن في ضرورة طلب هذا التثبيت على مثال البطاركة الذين قبله . قال (بموجب تعريف كتاب الدر المنظوم) «لن يمكن أحد ان يخاصمني بزعمه ان «الذي قلته لك هو أمر محدث ابدعته من قبلي (أي أمر طلب التثبيت من البابا) . «لانه يشهد لي به خمسة عشر كتابا باباوياً بختومها ورصاصها جمعتها من أمصار عديدة . «وهاهي الان عندك داخل ديرك . وتشتمل على ايمان الذين كانوا قبلك من نحو «مائتين وثمانين سنة وما قبلها» .ان القلاعي كتب رسالته هذه في سنة ١٤٩٤ . فاذا أخرجنا من هذا الرقم عدد . ٢٨ يبقى ١٢١٤ وهو عدد السنة التي فيها ارميا العمشيتي ذهب الى رومية ليؤدي الطاعة بين يدي البابا انوكنتيوس الثالث . فها ان جبرائيل

(*) وترى ان المجمع لم يذكر هذه رسالة انوكنتيوس في أهم ما فيها وهو تهنئة الموارنة بتركهم ضلالهم .

القلاعي نفسه لم يقدر ان يستشهد على تعاطي الموارنة مع الكرسي الروماني بغير زمان البابا انوكنتيوس الثالث . ويحتمل أيضاً انه لو كلف أحد نفسه وعدّ جميع الرسائل التي أرسلت اليهم من الكرسي الروماني من سنة ١٢١٦ الى سنة ١٤٩٤ أي في مدة نحو ثلاثمائة سنة يرى ان عددها لا يبلغ أكثر من خمس عشرة كما قال ابن القلاعي . اما قول ابن القلاعي ان تلك الرسائل كانت تحوي أيضاً ايمان الذين كانوا قبل المائتين والثمانين سنة فصدق محض . لانه قبل مجيء ارميا العمشيتي الى رومية كان الموارنة قد أظهروا ايمانهم وطاعتهم للكرسي الرسولي منذ سنة ١١٨٢ التي فيها دخل طائفة منهم حظيرة الكنيسة على يد ايمريك البطريرك الانطاكي كما رأينا سابقاً .

اما ما اورد مؤلف كتاب روح الردود في وجه ٢٦٨ بعد تلك الكلمات وهو قول ابن القلاعي « ويمينكم وخطوط ايديكم على يد الاب غريفون والاب اسكندر والاب سيمون ما برحت في رومية . وقبل هذه المرسلة على يد الاب يوحنا وكيل بطريرككم يوحنا الجاجي في مجمع فلورنسا . . . . ومن قبله على يد الراهب اوماريكوس . ومن قبله على يد الكردنال غليلموس ... وكان بطريرككم غريغوريوس الحالاتي . . . . ومن قبله استنقذ الملك غفراد اورشليم ومع سفرآئه وصلت وفود البطريرك يوسف الجرجسي الى رومية » .

فنحن ننكر على الاطلاق كل هذه الروايات القلاعية التي لا اثر لها في التواريخ والآثار القديمة ولا في سجل الكنيسة الرومانية الحاوية اثاراً اقدم من تلك الازمان باجيال واحقاب .

وبكل حق نقول ان ما زعمه صاحب روح الردود نقلا عن الاهدني في وجه ١٢٦ و ١٦٣ من ان يوسف الجرجسي بطريرك الموارنة نال التثبيت من الحبر الاعظم بسكاليس الثاني سنة ١١٠٠ هو اختراع من قريحته او من قريحة من نقل عنه من المتأخرين . فان ابن القلاعي الذي ذكر اسم هذا البطريرك في رسالته لم يقل انه نال

التثبيت ولا انه طلبه ولا ذكر اسم البابا الذي كان في زمانه . ويكفي لتكذيبه ان نذكره بان البابا بولس الثاني اذ اراد ان يبين من هو اول الاحبار الاعظمين الذين اعطوا التثبيت لبطاركة الموارنة المنتخبين لم يذكر بسكاليس الثاني . بل انوكنتيوس الثالث .

ولافحام الخصوم واقناعهم نورد شهادة احد بطاركتهم وهو مخائيل الرزي من قوانين رسمها في نحو سنة ١٥٧٨ (كما روى لكويان في وجه ٦٧ من المجلد الثالث من الشرق المسيحي) وقال فيها « متى ما انتخب عندنا بطريرك جديد يجب ان يرسل « في الحال الى قداسته وفد في طلب تثبيته كما فعل اسلافنا من زمان البطريرك ارميا « المحترم » . فها ان بطريرك الموارنة يقر ان الموارنة لم يطلبوا التثبيت من الكرسي الروماني قبل عهد انوكنتيوس الثالث الذي منه طلب ارميا العمشيتي تثبيته .

فقد صدق اذاً توما البياتي الكرملي الذي استشهده صاحب كتاب روح الردود في وجه ١٦١ حيث قال : انه عند بطريرك الموارنة قد حفظ بكل حرص براآت الكرسي الروماني البابوية التي أعطيت منذ البابا انوكنتيوس الثالث (وغيره من بعده) من الاحبار الاعظمين » . فان كان القلاعي قد عنى بهذه البراآت الخمسة عشر كتاباً باباوياً التي ذكرها فقد صدق ولكن ان كان قد عنى غيرها من التي تقادم عهدها كذّبته فيئة الشهود العدول الذين ذكرناهم الى الان .

فاذا ثبت ذلك كله هاك المزيد : لو كان الموارنة قد وجدوا في طاعة الكنيسة الرومانية قبل عهد البابا انوكنتيوس الثالث لتعاطى معهم الاحبار الرومانيون كما تعاطوا مع سائر الامم الكاثليكية وكما تعاطى معهم انوكنتيوس الثالث ومن بعده . والحال انه قبل انوكنتيوس الثالث لم يتعاطَ احد من الاحبار الرومانيين مع الموارنة . فاذاً لم يكونوا تحت طاعة الكنيسة الرومانية قبل البابا انوكنتيوس الثالث .

الفصل الحادي عشر

في صوم الموارنة على نية هرقل

الملك المنوثليتي

روى المؤرّخون الاقدمون عن هرقل ملك الروم الذي على يده وبهمته ظهرت البدعة المنوثليتية في العالم في مبادئ القرن السابع انه لما كان في بلاد القدس سلم اليهود امرهم اليه فامنهم بيمين مغلظة . ثم طلب منه بعض نصارى تلك البلاد ان ينتقم من اليهود لما انزلوا بالمسيحيين من الاضرار الجسيمة . فامتنع بسبب اليمين التي بها كان قد امنهم . فانثنى عليه اولئك النصارى بتبرئة ذمته من اليمين بكفارة وذلك بان يصوموا كل سنة في الاسبوع السابق لصوم الخمسين . فاجابهم الى التماسهم وشرع اولئك النصارى منذ ذلك الحين يصومون ذلك الاسبوع على النية المذكورة . ومن جملة هؤلاء الاقوام الصائمين على نية هرقل المنوثليتي كان الموارنة كما تشهد آثارهم القديمة .

قال صاحب الكتاب الماروني الذي عنوانه « كتاب بيان ما هو الصوم وكيف ينبغي ان نصومه » عن هذا الصوم وهو في المصحف البرجياني عدد (ت) :
« كثيرون فيهم (اي في الروساء الجهال) . . . ضاع منهم الاربعين يوم الصوم . . .
« بحكم الجمعة الاولى التي هي جمعة الكفارة عن هرقل . . . . فاما الذين يظنون ان
« يوم السبت ليس هو من الصوم الكبير الاربعين فهذا يظنوه لان الحساب ضاع
« منهم بسبب الجمعة الاولى وبسبب جمعة . . . الفصح المضافتين الى الصوم .
« وذلك ان الجمعة الاولى ليست من الاربعين يوم الصوم . بل نحن نصومها كفارة
« من اجل هرقل الملك » .

وقال ايضاً في محلٍ آخر: « الروم (اي الافرنج) والسريان اليعاقبة والنساطرة
« وكذلك الارمن جميعهم يصومون من اول الجمعة الثانية الذي هو بدء الصوم
« الاربعين. وجمعة كفارة هرقل لا يصومونها فيكون بدء الاربعين هو بدء صومهم
« جميعهم ومنتهاها باكر سبت العازر. ويتلوه صوم الالام. كذلك يكون اول يوم
« الاربعين الصوم في الجمعة الثانية من صوم القبط والملكية. وآخره باكر يوم سبت
« العازر. ومن باكره نبتدي بصوم الالام الى عشية يوم سبت النور. هكذا صوم
« القبط والملكية ».

ان هذا المؤلف الماروني قد توهم اذ ظن ان الملكية يصومون كالاقباط في الاسبوع السابق للصوم وهم ينقطعون فيه عن اللحم فقط كما سترى بعد قليل.

وقال صاحب كتاب الطب الروحاني في وجه ١٦٧ من المصحف البرجياني
(ج): « وهم (أي الروم) يتباهون ويقولون انها (أي سبة البياض والجبن التي
« يصومها اليونانيون قبل صوم الخمسين) مثبوتة من الثلاثمائة والثمانية عشر بحضرة
« القديسة هيلانه لتتلقّ بها الصوم المقدس نظيفين نأكل فيها البيض. وهم هنا
« أيضاً كاذبون. لان هـذا الرسم ماجرى الاّ عند خراب القدس وقت خربه
« الفرس وقتلوا المؤمنين على يد اليهود الملاعين. لان عند قدوم الملك هرقل المؤمن
« بالمسيح الى الشام تلقته (اليهود) الى طبرية وقالوا نحن عبيدك في هـذه البلاد.
« وقدّموا له الدواشين. فاعطاهم الملك الامان وحلف لهم ان مايؤذيهم. ولما وصل
« الملك المدينة المقدسة وتسامع به المؤمنون حضروا اليه من كل مكان. وكان في
« المدينة كهنة ورؤساء كهنة... فقالوا له هذي اليهود بنا فقال لهم قد أعطيتهم أماني
« وما يمكنني ان اغدر بهم. فقالوا له نقتلهم ونحن نصوم عنك هذه الجمعة كفارة عن
« خطيئتك. فعمل مرادهم.. وانتشر صوم هذه الجمعة الى ان بلغ القسطنطينية (١). ثم

(١) في المصحف قسطنطين وهو خطأ مبين.

« الروم جمعوا مجمع ويسموه السابع (لعله مجمع القصر) فاحرموا كل من يصوم هذه
« الجمعة . وغيروا هذا التسلم من الاباء القدماء . وقالوا مايجب ان يصام لانسان مات
« مارونياً مخالفاً . الويل لهم لما نال المؤمنين من أجل هـذا الشعب الباغي . لانهم
« يقولون بأنهم افخر الطوائف وهم أرذل طوائف الله . وبالحق ان هذا الامر جرى .
« واما هذه الجمعة وأكل الجبن فيها وقطع اللحم منها هي عادة من عوائد الروم
« متخذة . واما اخصامهم في هذه الجمعة (فهم السريان) » .

وختم كلامه في وجه ١٧٤ قائلاً : « لا نماثل المخالفين الجهال (يعني الروم)
« الذين . . . يأكلوا جمعة نينوى (أي الباعوثة) مضاضد سرجيس الارمني وألفوا
« عليها حكايات . . . ويأكلوا جمعة الجبن مضاد الملك هرقل . ومقتوه ورذلوه على
« انه كان ماروني وألفوا عليه حكايات » .

فالموارنة بلا شك كانوا يصومون صوماً كاملاً في السبة السابقة لصوم الخمسين على نية هرقل الملك المتوثليتي . واما اليونانيون فكانوا في تلك السبة ينقطعون فقط عن أكل اللحم دون ان يصوموا صوماً طبيعياً .

وقد روى مثل ذلك بأكثر تفصيل سعيد بن بطريق الاسكندري المؤرخ . فانه من جملة ما قال في كلامه عن الملك هرقل (١) : « ان الرهبان وأهل بيت
« المقدس قالوا لهرقل . . . نجعل لك جمعة البيض والجبن التي قبل الصوم الكبير
« صوماً نقياً في جملة الصوم الكبير . . . لان الملكية كانوا يمتنعون في هذه الجمعة عن
« أكل اللحم ويأكلون فيها البيض والجبن والسمك على ما بينه تيبيكن القديس
« مار سابا . . . . فأجابهم هرقل الى ذلك . . . . فصيروا أول جمعة من الصوم . . .
« صوماً نقياً . . . وأهل مصر القبط الى الان يصومونها . الاَّ (أهل) الشام والروم
« الملكية فانهم بعد موت هرقل رجعوا يأكلون في هـذه الجمعة بيضاً وجبناً وسمكا
« ويصومون أيضاً فيها الاربعا والجمعة الى التاسعة ثم يأكلون بيضاً وجبناً وسمكا

(١) الجزء ٢ وجه ٢٤٢ وما بعد من طبعة اوكسونيا

« حسب القانون الموضوع من القديس نيكيفور بطريرك القسطنطينية الشهيد المعترف
« على مابرهن ذلك تبيكن الكنيسة .... وهذا القانون يخصم الذين يصومون لهرقل
« الملك الماروني أعاذنا الله من فعلهم الردي . لانه لايجوز الصوم لانسان مخلوق
« وبالافضل لان هذا الملك لما فارق حياة الدنيا مات مارونياً . » .

فيتحصل من كل ذلك (١ً) ان الروم أي التابعين لطقس القسطنطينية كانوا قبل عهد هرقل الملك ينقطعون عن اللحم في الاسبوع السابق للصوم الكبير . فان دورثاوس الانبا الذي عاش في أواخر القرن السادس قد ذكر ذلك في التعليم ١٥ و(٢ً) ان النصارى في القرن السابع اعتمدوا ان يجعلوا ذلك الاسبوع صوماً كاملاً كفارةً ليمين هرقل . وصحة ذلك بينة من آثار هذا الصوم . فان الموارنة كانوا يصومونه في زمان صاحب كتاب الطب الروحاني المذكور . والاقباط اليعاقبة الى الان يصومونه . واما انهم لم يكونوا يصومونه قبل زمان هرقل فواضح من ان أول من ذكره من البطاركة الاسكندريين في مناشيرهم العيدية التي كانوا معتادين ان يكتبوها استعداداً للصوم الكبير هو بنيامين الذي جلس في عهد هرقل الملك كما أورد القديس يوحنا الدمشقي في آخر رسالته عن الاصوام . واما ما أورده القديس المذكور من قول سويرس بطريرك انطاكية بأن أسابيع الصوم ثمانية فيقتضي تحقيقه لانه لم يسمع قط ان يعاقبة انطاكية صاموا ثمانية أسابيع (١) . ويتحصل من ذلك (٣ً) ان الروم الملكية ولو انهم صاموا أولا على نية هرقل لكنهم رجعوا بعد ذلك الى عادتهم الاولى أي صاروا ينقطعون عن اللحم فقط في ذلك الاسبوع الذي كلامنا عنه . ولاشك ان ذلك جرى بعد المجمع السادس الذي به تطهرت الروم من كل أثر منوثليتية . وهكذا كانت العادة في زمان القديس يوحنا الدمشقي أي في

(١) ان اليعاقبة في جبل الطور او طور عيدين ينقطعون عن اللحم في اسبوع الفصح او اسبوع البيض كله .

القرن الثامن كما يتضح من قوله في عدد ٥ من رسالته المذكورة في الاصوام « اننا نعلم من تقليد الكنيسة الغير المكتوب هذه العادة . وهي ان نحفظ الاسبوع السابق « للاصوام بالانقطاع عن اللحم فقط و بالصوم الى الماء من دون قضاء خدمة الساعة « الثالثة أو السادسة أو التاسعة أو السابق تقديسه . »

لا يهمنا في المسألة التي نبحث فيها ان نفتش عن سبب صوم الاقباط الى الان في الاسبوع الذي كلامنا عنه . ولا ان نعلم بالتأكيد هل دخل هذا الصوم في الاول من اجل هرقل . ولكن يكفينا ما بيناه من كتب الموارنة القدماء من انهم كانوا يصومون هذا الصوم على نية هرقل دون الروم اي الملكيين . وماذا نقول الان لعوّاد السمعاني الذي قال مصرّحاً في وجه ٤١١ من المجلد الثاني من اخبار الشهدآء « ان الملكيين في كل سنة يصنعون ذكر هرقل باحتفال في صلوة الاحد الذي قبل الصوم ». أيمكن ان يكذب احد في حق حيّ . ها ان الملكية احياء وكتبهم منتشرة يقدر كل انسان ان يطالعها ان في اليونانية وان في العربية . فيرى ان الملكية لا يصنعون ذكر هرقل الملك المنوثليتي بل يحرمونه كل سنة في الاحد الاول من الصوم مع سرجيوس وقورش وسائر انصار البدعة المنوثليتية . هل كان في قصد عواد السمعاني ان يبرهن على ان الملكية يعيدون لهرقل في الاسبوع الذي يسمونه اسبوع الجبن من انهم في ذلك الاسبوع ينقطعون عن اللحم . والحال ان الملكية يقرّون جلياً انهم ينقطعون عن اللحم ذلك الاسبوع لهذا السبب . ومنهم نيقون حيث قال في ورقة ٣٤٠ من المصحف الواتيكاني العربي في البحث عن سبة الجبن « اصحابنا (اي الروم) ما يصومونها على هذه الصفة سيما وهرقل مات مارونياً » . اما تكفي خصمنا مؤونة الردّ شهادة يوحنا الدمشقي التي اوردناها من ان انقطاع ذلك الاسبوع هو مبني على تقليد الكنيسة الغير المكتوب .

اننا لا ننكر ان العادة المشروحة في هذا الفصل لم تكن موجودة في العمل عند

الموارنة عندما اخذ الاجانب يختلطون معهم ويتعارفون بهم . فكأنهم منذ يوم اختلطوا مع اللاتين وتبعوهم في الدين تركوا هذه العادة مع غيرها رويداً رويداً من غير ان يشعر بهم احد . (١)



الفصل الثاني عشر

في انه من الزام الكرسي الرسولي للموارنة بتغيير طقسهم يتبين انهم لم يكونوا كاثليكيين قبلا

من اعظم البراهين واقواها على ان ملة الموارنة لم تكن كاثليكية قبل عهد صلحها مع الكرسي الرسولي الروماني هو معاملة هذا الكرسي لهم منذ ذلك العهد . فان شأن القوم الراجعين حديثاً من الضلال او الشقاق الى وحدة الكنيسة الحقيقية ليس كشأن قوم يكونون من اجيال واحقاب ثابتين على صخرة الايمان المستقيم او متمسكين بعرى الطاعة الواجبة لخلفاء بطرس الرسول . ومن اوضح البراهين لذلك هو ما صنعه الكرسي الرسولي مع الموارنة منذ اول صلحهم معه بالزامهم ان يغيروا شيئاً كثيراً من طقسهم ويتمسكوا بطقس الكنيسة الرومانية او بترغيبهم فيه . ولبيان ذلك نقول :

---

(١) لا نترك مشكلا آخر يعترض في هذا الباب . وهو ان كتاب شرع الموارنة لا ذكر فيه لصوم هرقل ونترك للحكماء ان يحكموا لاي سبب أهمل ذكره في ذلك الكتاب أبسبب ان الموارنة لم يكونوا يصومونه في زمان مؤلف ذلك الكتاب . أم بسبب النسيان . أم لان النسخة ناقصة . فان كاتب النسخة الواتيكانية ذكر انه لم يمكنه الحصول على نسخة كاملة من هذا الكتاب .

يعلم كل خبير بتواريخ الازمنة المتأخرة اخبار انحياز الملة النسطورية التي كانت في بلاد الهند المليبارية الى طاعة الكنيسة الرومانية في حدود سنة ١٥٠٠ فانهم غيروا اشياء كثيرة من عوائد اجدادهم السريان الشرقيين (اي الكلدان) واستبدلوا بها رسوم الكنيسة الرومانية تبعاً لما فرضه عليهم الكاثليك اللاتينيون الذين تلمذوهم . وذلك انهم اتخذوا عوائد الكنيسة اللاتينية الطقسية والقانونية كلها سوى القداس . فانهم حفظوا نافورهم الاول الاَّ انهم ادخلوا فيه تغييراً كثيراً . وهولاء النصارى هم على هذه الحال حتى الآن .

فمثل ملة الموارنة هو مثل كلدان مليبار . وذلك ان الكنيسة الرومانية كانت في الازمان الخالية تحب اتحاد العوائد والطقوس البيعية والرسوم الليترجية والقانونية كما كانت سائر الكنائس الشرقية تحب ذلك . فاننا نعلم ان الكنيسة القسطنطينية الزمت جميع الامم الذين لم يتبعوا الهرطقات والشقاقات في بلاد الشرق باتباع طقوسها ورسومها حتى صارت جميع الكنائس الارثدكسية الاسكندرية والاورشليمية والانطاكية والبقية تابعة لطقس الكنيسة القسطنطينية في قليل من الزمان . وكذلك الشيعة النسطورية ادخلت طقسها في كل البلاد الكثيرة التي فيها ادخلت دينها حتى انه لم يوجد قط قوم نسطوري في العالم كله الاَّ وطقسه طقس بطريرك المدائن (وهي مركز ملة النساطرة) . وقس على ذلك شيعة اليعاقبة في البطريركية القبطية والسريانية. فان الرغبة في اتحاد الطوائف بالطقس ومساواتها في الرسوم البيعية حملت الكنيسة الرومانية على ان تتعاطى مع سائر الامم . الاَّ انها سلكت في عملها هذا مع تلك الامم طريق المجاملة خلافاً للكنيسة القسطنطينية والشيعة النسطورية واليعقوبية . فانه لما شرع الاقوام الضالون بالهرطقة او الشقاق في بلاد الشرق يطلبون منذ القرن الثالث عشر وما بعد الانضمام الى ايمان الكنيسة الرومانية كانت هذه الكنيسة الشريفة في اول الامر تشرط عليهم ان يوافقوها في الرسوم البيعية والقانونية تاركة لهم فقط ان يبقوا

على لغتهم وترتيباتهم التي بها كانوا يقضون عبادة الله ويوزّعون الاسرار وما اشبه ذلك خلافاً للكنيسة القسطنطينية والشيع النسطورية واليعقوبية اللواتي تفرض على من يتدين بدينها ان يتبعها في كل شيء دون استثناء .

وعلى هذا فلما اقبل الموارنة في القرن الثالث عشر الى حضن الكنيسة الكاثليكية كان اول شيء فرضه عليهم الكرسي الرسولي الروماني ان يتركوا غالب عوائد اسلافهم البيعية ويستبدلوها بعوائد الكنيسة الرومانية . ومثل ذلك فعلت الكنيسة الرومانية في القرن السادس عشر مع نساطرة ملبار كما سبقت الاشارة . ولكن بعد ذلك العهد اخذت الكنيسة الرومانية تتساهل شيئاً فشيئاً مع الاقوام الراجعين حديثاً الى طاعتها حتى انه في الازمان المتأخرة لم تطلب منهم الاَّ الاقرار بالايمان المستقيم . وتركت لهم عوائدهم التي لم تكن مخالفة للايمان او للآداب او لقوانين المجامع المسكونية .

فاذا اعتبرنا حال الطائفة المارونية في هذا الزمان نرى ان هذه الطائفة (التي هي في الاصل سريانية وكانت متمسكة قبلاً بطقس الكنيسة الانطاكية الذي حفظت اصوله عند انفصالها كما فعل اليعاقبة والنساطرة) طفقت تتخذ منذ القرن الثالث عشر فصاعداً اشياء كثيرة من عوائد الكنيسة الرومانية تبعاً للتحريضات المكرَّرة التي (على ما قاله السمعاني في المجلد الخامس من مكتبة الشرع . واثبته المجمع اللبناني المشهور في عدد ١٥ من باب المعمودية) كان الاحبار الرومانيون يستعينون بها لحمل الموارنة على اتخاذ اغلب تلك العوائد . وقد اضطرّوا ان يتخذوا بعضها امتثالاً للامر .

لا غرو ان اول بابا حتم على الموارنة بتغيير طقسهم كان انوكنتيوس الثالث . وذلك انه فرض عليهم في اول رسالة وجهها اليهم ان لا يثبت القسيس المعمذين بالميرون بل الاسقف . وان لا يركب دهن الميرون الاَّ من زيت وبلسم . وان تكون

الملابس الكهنوتية على نسق عادة الكنيسة اللاتينية . وفي العموم ان يتبعوا عوائد الكنيسة الرومانية . وقد صرَّح ذلك المجمع اللبناني حيث قال في عدد ٧ من الباب في الاوخارستيا : « ان البابا انوكنتيوس الثالث في البلة التي ارسلها الى بطريركنا ارميا « سنة ١٢١٥ ... امر بني طائفتنا ان يتبعوا طقس الكنيسة الرومانية من جهة الملابس « القدسية في القداس وغير ذلك من الخدم الالهية » . وهاك اخص ما اتخذه الموارنة من طقس الكنيسة الرومانية من عهد صلحهم معها مما هو مغاير لطقس الكنيسة الانطاكية : (١) استعمالهم في صورة العماذ انا اعمذك يا فلان بدل يعمذ فلان المستعمل في كل الطقوس الشرقية . (٢) تعميذهم الكبار بالصب على الرأس فقط لا بالتغطيس . (٣) منعهم القسيس المعمذ من تثبيت المعمذ بالميرون . (٤) قصرهم مادة دهن الميرون على الزيت والبلسم . (٥) دهنهم بالميرون للتثبيت الجبهة فقط . (٦) اتخاذهم موانع الزيجة على نسق شرع الكنيسة الرومانية . (٧) استعمالهم المناداة ثلاث مرات قبل الزواج . (٨) خضوعهم لشريعة المجمع التريدنتيني بتعليق صحة الزواج على حضور قسيس المزوَّجين الشرعي في عقده . (٩) استعمالهم في القداس خبز الفطير . (١٠) استعمالهم فيه ملابس اللاتين . (١١) تغييرهم كلمات دعوة روح القدس في القداس . (١٢) عملهم في جمعة الالام رتبة رسم الكاس اي قداس السابق تقديسه مع ان كتاب الحاش يقال فيه مصرّحًا انه لا يجوز يوم خميس الفصح ابقاء شيء من القربان الى الغد . (١٣) ادراجهم في الكلندار اسماء قديسين جدد . (١٤) اتخاذهم نافورة الكنيسة اللاتينية بعينها حيث رتبوا اجزاءها على ترتيب النوافير المستعملة عندهم . (١٥) اتخاذهم من الكنيسة المذكورة طقس العماذ وطقوسًا اخرى . هذا ما عدا اشياء اخرى تقرب الى جوهر الدين تمسك بها جميع الطوائف الشرقية المنضمة الى الكنيسة الرومانية منذ صلحهم معها .

فاذا تقرَّر ذلك فهاك برهاننا : لو كان الموارنة قد وجدوا قبل القرن الثالث

عشر في طاعة الكنيسة الرومانية لجلبتهم الى اتباع طقسها قبل القرن الثالث عشر. والحال ان الكنيسة الرومانية لم تجلب الى طقسها طائفة الموارنة الاَّ في مبادي القرن الثالث عشر. اما الصغرى فقد اتضحت مما شرحناه الى الان. واما الكبرى فلا تحتاج الى بينة. فاننا نعلم كم كان للاحبار الرومانيين قبلاً من الرغبة في توحيد العوائد الدينية والرسوم البيعية بين الامم المسيحية كلها. وقد أظهرت الكنيسة الرومانية رغبتها هذه مع الاقوام الذين اقبلوا الى طاعتها في الاجيال الاولى الى القرن السابع عشر حيث شرعت تتساهل نوعاً مع الراجعين الى طاعتها.

ثم لنعتبرن انه لو كانت الطائفة المارونية قد ثبتت طول الاجيال في طاعة الكنيسة الرومانية كما يدّعي خصمنا لما كان من سبب لدعوتها في مبادئ القرن الثالث عشر الى تغيير طقسها. لا بل لو كان الامر كذلك لكان الكرسي الرسولي قد ناقض نفسه بنفسه حيث يكون قد ترك أولاً الموارنة على عوائدهم مدة خمسمائة سنة. ثم وبلا داع حملهم على هجر عوائدهم والتمسك بعوائد جديدة.

ولكن لعل خصمنا يحتجون كما يظهر من كتبهم بقولهم ان البابا انوكنتيوس الثالث ومن بعده من الباباوات انما أرادوا من الموارنة ان يستبدلوا عوائدهم بعوائد الكنيسة الرومانية خوفاً من أن يسري اليهم شقاق الروم الملكيين — فنجيب: (١ً) لو كان الامر هكذا لكان الباباوات يأمرون الموارنة بهذا الاستبدال منذ ظهر شقاق الروم أي منذ القرن الحادي عشر لا في القرن الثالث عشر. (٢ً) ولو كان الامر هكذا لكان الباباوات يوجبون على الروم نفسهم من باب أولى ان يغيروا عوائدهم. والحال اننا لم نسمع قط ان الروم أمروا ان يستبدلوا عوائدهم بعوائد اللاتين حتى ان البابا انوكنتيوس الثالث نفسه الذي في زمانه رجع الموارنة والروم لم يأمر الروم بهذا الاستبدال بل الموارنة فقط. (٣ً) وأي خطر يوجد في عوائد الموارنة القديمة فضلاً عن عوائد اللاتين من السقوط في الشقاق. أو اختلاف الملابس

الكهنوتية مثلاً واقتصار مادة الميرون ومنع القسيس من التثبيت أمر يمنع من الشقاق دون سائر العوائد الاخرى الكثيرة القديمة التي مازال الموارنة يستعملونها الى اليوم .



الفصل الثالث عشر

في انه من معاملة الكرسي الرسولي للموارنة ومعاملتها له يتبين ان هذه الطائفة كانت راجعة حديثاً الى الكنيسة

ان المعاملة التي بها عامل الكرسي الرسولي الموارنة منذ انضمامهم الى الكنيسة الكاثليكية لاتترك سبيلاً للريب بأن هذه الطائفة كانت قد رجعت من جديد من الضلالة الى طاعة الكنيسة الرومانية . ولئلا نتيه في النظريات سبيلنا ان نتتبع اخص ماورد في الاخبار الصحيحة عن تعاطي الكرسي الرسولي مع تلك الطائفة منذ عرفها الى ان ثبتت في شركة الكنيسة الكاثليكية .

١ً — في نحو سنة ١٢١٠ أُرسل من قبل البابا انوكنتيوس الثالث كردنال القديس مرقلس قاصداً الى الموارنة . ولما فحصهم وجد فيهم نقائص شتى فامرهم ان يصلحوها وعلمهم شروط ذلك . اما هم فاقتبلوا ذلك منه بكل خاطرهم كالاولاد الطائعين الوديعين . وهذا ما ذكره انوكنتيوس الثالث في رسالته الشهيرة الى ارميا بطريركهم .

٢ً — وفي سنة ١٢٨٣ وقع لوقا بطريرك الموارنة في هرطقة اجداده المنوثليتية فاجتمع الاساقفة بامر ايمريك القاصد الرسولي وانزلوه من الكرسي . كذا روى بلاسيوس تِرزي في كتاب سورية المقدسة كما نقل لكويان في الشرق المسيحي مجلد ٣

وجه ٦١ . والى هذا اشار جبرائيل القلاعي (ولو انه غلط في تعيين الزمان كعادته) حيث روى ان جماعة من الموارنة الذين كانوا بعد مصرّين على المنوثليتية قاموا على بطريركهم وعصوه لانه كان ارثدكسياً لا بل قتلوه ونصبوا بدله بطريركاً آخر منوثليتياً من حجولة . وهذه حجولة لسبب ذلك ولسبب بطاركة أخر غير ارثدكسيين خرجوا منها صارت عند الموارنة الكاثليكيين كنايةً عن الهرطقة كما يتضح من ابيات اظمها لجبرائيل القلاعي موجودة في آخر المصحف الماروني (ف) فيها من الجملة : « حجولة محرومة اليوم وانعابت . وانصاب الحرم فيها كالصخر النابت . جميع الامم احرمتها اليوم » . ثم بعد ذلك :

« ذلّ الاسد والذئب قد صار سبع   وانحط جاه الاسد وانقام جاه الطبع
« يا اهل الذكا انكرتم ام لحقكم زمع   حتى في حجولا صار لكم رأس جمع »

٣ً ــ وفي نحو سنة ١٢٦٨ اذ اشفق شمعون بطريرك الموارنة على اللاتين الذين هربوا من هول السلطان بيبرس الذي فتح مدينة انطاكية جازاه البابا الكسندر الرابع باعطائه اسم الانطاكي الذي لم يكن له قبلاً .

٤ً ــ وفي سنة ١٤٦٩ ارسل البابا بولس الثاني رسالة الى بطريركهم بطرس الثاني يشرح فيها معتقد الكنيسة الكاثليكية بالمشيئتين ويقول انه لا شك في انه مستعد لقبول هذه الوصية وسائر وصايا الكرسي الرسولي . كذا لدى كوارسم في كتاب الكشف عن الارض المقدسة .

٥ً ــ وفي سنة ١٤٩٤ اذ نصب شمعون الحدثي بطريركاً على الموارنة وكان متوقفاً عن طلب التثبيت من الحبر الروماني اقتضى ان يكتب اليه جبرائيل القلاعي رسالةً طويلة فيها اجتهد ان يبين له ضرورة طلب هذا التثبيت محرضاً اياه على ان يقتفي في ذلك اثر البطاركة الذين سبقوه .

٦ً ــ وفي سنة ١٥١٤ ارسل لاون العاشر البابا الى شمعون بطريركهم رهباناً

بمكاتيب رسلية ليعلموه الحقائق الكاثليكية واستعلامه عن كيفية سيامة البطريرك عندهم وغير ذلك عن الاسرار. فقبل البطريرك بفرح مكاتيب البابا وارسل يعتذر اليه. فكتب البابا رسالة اخرى فيها ارشد البطريرك عن الاسرار وعن ابواب الايمان كالمطهر وانبثاق روح القدس وتناول القربان ورئاسة الكنيسة الرومانية. كذا روى رينلد المؤرخ.

٧ً — وفي سنة ١٥١٦ قرئت في المجمع اللاتراني الخامس رسالة بعثها البطريرك شمعون المذكور مع رسله فيها يشكر هذا البطريرك الحبر الاعظم على انه ارسل اليه والى طائفته الرهبان المذكورين ليرشدهم في امور الايمان ورسوم الكنيسة.

٨ً — لا بأس ان نذكر ايضاً انه لما طلب موسى بطريرك الموارنة سنة ١٥٦٢ من الحبر الاعظم ان يجعل له حصة في المجمع التريدنتيني بواسطة وكيله الذي كان قد ارسله الى رومية وكان اسقف دمشق. أبى البابا ان يلبي طلبته بحجة ان وكيله لم يكن خبيراً باللغة اللاتينية. وهكذا لم ينعم على البطريرك الماروني بحضور هذا المجمع المسكوني لا بنفسه ولا بواسطة وكيله.

٩ً — وفي حوالي سنة ١٥٧٤ ارسل البابا غريغوريوس الثالث عشر يوحنا باطشتا الباني يفحص ايمان الموارنة. فلما قدم الى بلادهم فحص كتبهم فحصاً بليغاً وخابر نفراً من مقدمي تلك الطائفة. ومن هذا التفتيش اطلع على ضلالات كثير كانت الطائفة المارونية متمسكة بها وجمعها في كراسةٍ. كذا اخبر السمعاني في مقالته في السريان المنوفيسيتيين في وجه ٢٤. طالع الفصل الثالث من الباب السادس من كتاب توما البياني المذكور.

١٠ً وفي سنة ١٥٧٧ أرسل البابا غريغوريوس الثالث عشر الى بطريرك الموارنة مسائل شتى وطلب جوابها منه ليطلع على أحوال تلك الطائفة في أمور الدين. فكتب ميخائيل الرزي البطريرك الى الحبر الاعظم جريدة فيها رد الجواب على كل مسئلة

من المسائل التي طرحها عليه البابا وهذه المسائل منها أربع في العماذ . وواحدة في الميرون . وست في الاوخرستيا . وثلاث في الاعتراف . وثماني في الذبيحة . وأربع في درجة الكهنوت . وواحدة في المجامع . فمن جملة ما قال البطريرك في جريدته انه لم يكن للموارنة عادة ان يحفظوا القربان المقدس خوفاً من غير المؤمنين ولا ان يوقدوا قنديلاً . وأقرَّ انه لا يعلم ماهو السلطان الممنوح له من الكرسي الرسولي في حلة الاعتراف . وقال في باب الزواج ان بني طائفته لا يمكن تفهيمهم انه لا يحل طلاق الزوجة ولو لسبب الزناء . وانهم يظنون ان النساء المطلقات هكذا يجوز ان يتزوجن من جديد . ووعد انه من ذلك اليوم فصاعداً سيرسم الاقليريسيين بموجب طقس الكنيسة الرومانيـة المستخرج الى العربية والذي جلبه اليه قصاد البابا . وأقرّ انهم لا يسيمون شماساً ولا قسيساً الاَّ بعد ما يزوجونه بعذراء . وبسط بعد ذلك صورة قوانين تعرض على المجمع العتيد عقده . وفي السادس منها يرسم على أباء المجمع ان يدفعوا كل كتبهم الى قصاد الكرسي الروماني ليختاروا ما صلح منها ويحرقوا ما ساء كما كان القصاد قد صنعوا في دير قنوبين (دار البطريركية) ويؤمرون ان لا يخفوا عنهم شيئاً من الكتب لسبب انها على قولهم حوت ضلالات كثيرة لاختلاطها مع كتب المشاقين . وفي السابع يقضى على البطريرك الجديد ان يطلب التثبيت من البابا في الحال مثلما جرى الامر منذ عهد ارميا العمشيتي . وفي الحادي عشر يرسم ان لا تصنع برشانة القداس من ذلك اليوم فصاعداً الاَّ من طحين وماء كعادة الكنيسة الرومانية . راجع هـذه الاشيا وغيرها في كتاب البياتي في خلاص جميع الامم (باب ٥ فصل ٥) . لعمري كم من الاعتبارات في هذه الفوائد الوجيزة .

١١ً وفي نواحي ذلك الزمان التأم مجمع من الموارنة في زمان ميخائيل الرزي وكان أهل هذا المجمع قد توهموا في أمور الدين حتى ان البطريرك الذي جلس بعده التزم ان يقرر في مجمع سنة ١٥٩٦ المعقود بأمر الكرسي الرسولي عدم قبوله

بذلك المجمع . هذا ماروواه في هذا الشأن السمعاني في ملحق المجمع اللبناني . الاَّ ان ماحكاه في ذلك هيرونيمس دنديني الشاهد العياني لهذه الامور والذي كان فيها بصفة قاصد للكرسي الرسولي يولي عجباً واندهاشاً لامزيد عليه . قال هيرونيمس دنديني في الفصل ١٦ من قصة قصادته ان بطريرك الموارنة سركيس الآتي ذكره أخا ميخائيل الرزي شكا اليه انه قبل سنين قليلة قدم قوم من رومية وجمعوا مجمعاً من الموارنة (وقرَّر انه لا أخوه ولا هو جمع ذلك المجمع أو اثبته) . وعرضوا ورقة بيضاء على أباء المجمع وطلبوا اليهم ان يمضوها بعلة انه سيكتب فيها ما يأول الى خير الطائفة المارونية كلها وكرامتها فامضوها كلهم . فأخذ أولئك القوم تلك الورقة وذهبوا بها الى مدينة طرابلس وكتبوا فيها بلا علم المجمع ضلالات شتى يظن ان أباء المجمع قد قبلوا تلك الضلالات وامضوها بختومهم وقدموها الى الحبر الاعظم والكردنالات . وانه لسبب ذلك أرسل هيرونيمس دنديني قاصداً الى الموارنة . فلا نعلم أي الحكايتين اظرف وأدعى للطرب . أهذه أم حكاية افساد عقول الموارنة وكتبهم على يد توما الكفرطابي .

١٢ً — وفي سنة ١٥٩٦ أرسل البابا اقليميس الثامن الباتري هيرونيمس دنديني قاصداً الى الموارنة ليفحص أسامهم ويفتش كتبهم ليرى اذا كانت تحوي الضلالات التي كان بعض الناس ينسبونها اليهم . وهذا القاصد جمع مجمعاً مؤلفاً من بطريركهم سركيس واساقفتهم فيه أمكن هؤلاء ان يقنعوا رسول البابا بأن كتبهم لم تكن تحوي أدنى ضلال . الاَّ انه عرض عليهم الضلالات التي كانوا يتهمون بها وألزمهم ان يرفضوها واحدة واحدة وكانت ثلاثة عشر باباً . ويقروا بما يضادها من الحقائق الدينة

هذا ما أمكننا التقاطه من الكتب التي وقعت في بلدنا هذا الشاسع وأكثره مما جمعه لكويان في المجلد الثالث من كتاب الشرق المسيحي من مؤلفات الموارنة .

وناهيك ان الكرسي الرسولي لايميز الى الان في شيء طائفة الموارنة من سائر طوائف الشرق الراجعة الى طاعته بل اخضعها والطائفة المارونية معها لشريعة واحدة وقياس واحد .



الفصل الرابع عشر

في بيان غلط الموارنة المتأخرين في زعمهم ان أجدادهم كانوا يقدسون بالفطير

ان الموارنة بعدما انضموا الى الكنيسة الرومانية قد صنعوا (مثلما قلناه مرة اخرى) كما صنع النساطرة الذين كانوا في بلاد ملبار . اي تركوا الخمير الذي كان يستعمله اباوهم للاوخارستيا واستعملوا بدله الخبز الفطير . غير ان كلدان ملبار لا ينكرون ان استعمال الفطير عندهم حديث وذلك منذ صاروا كاثليكيين . واما الموارنة فانهم يدّعون ان اجدادهم كانوا يقدسون على الفطير منذ القديم وذلك ليثبتوا ما يدعون من ان طائفتهم كانت قبلاً متمسكة بطاعة الكنيسة الرومانية . دون سائر الطوائف الشرقية . وهذه الدعوى فارغة وتخالف الحقيقة المؤكدة التي لا يشوبها ادنى ريب.فان الموارنة القدماء كانوا يقدسون على الخمير كسائر الشرقيين عدا الارمن . وهاك البينات الجلية .

ان الموارنة الى الان مع كل ما بذلوه من الجهد لم يقدروا ان يجدوا ادنى دليل على استعمال اجدادهم للفطير قديماً . و بعد رجوعهم ايضاً الى حضن الكنيسة

الكاثليكية لم يدّعوا هذه الدعوى غير ان اوّل من ادّعى بذلك كان بطريركهم سركيس مع اساقفته في المجمع الذي عقدوه سنة ١٥٩٥ حيث اعترض عليهم قاصد البابا بانهم كانوا يقدسون بالخمير. فاجابوا بانهم كانوا في كل الازمان يقدّسون بالفطير. ومن يقدر ان يثق بعلم اشخاص ردّوا اعتراض من حاكمهم على انهم امضوا مجلة تحوي ضلالات كثيرة وادّعوا انهم امضو ورقة بيضاء كتب بعد ذلك فيها ما لم يعرفوه. وكان جملة ما تحوي تلك المجلة وجوب التقديس بالخمير. فهذا هو اصل هذا الزعم. ومن هولاء الاشخاص نشأ وثبت بين الموارنة الى اليوم هذا المدّعى. اي من اشخاص كانوا قبل سنين قليلة قد اوجبوا التقديس بالخمير. وعندما سئلوا عن ذلك استحيوا من ان يقرّوا بان ذلك مما تعلمه كتبهم الحقيقية كما يتبين مما ياتي قدامك.

هلمَّ اذًا بنا نفتح كتب الموارنة القدماء ونبصر ماذا تشهد لنا عن خبز القداس المستعمل عندهم ونسألنّ قبل كل شيء كتاب شرعهم. فانه بلا مرآء هذا اخص كتاب تخصم به هذه المسألة. فعلينا بكتاب الهدى الذي هو كتاب شرع الموارنة والذي قال عنه اسطفانس الاهدني بانه «قديم ومقبول» وقبله ابراهيم الحاقلاني في وجه ٤٩٢ من كتاب الاحتجاج عن سعيد بن بطريق سماه كتاب رسوم كنيسة الموارنة. لا بل مرهج نيرون في وجه ١٣٦ من كتاب سلاح الايمان سماه قوانين السريان الشرقيين واعتبره قديمًا جدًّا.

قال صاحب هذا الكتاب في قانون تقديس القرابين في ورقة ٤٤ من المصحف الواتيكاني السرياني ١٣٣ : «يجب ان يكون القربان من خبز الحنطة النقي من «افضل واجلّ ما يقع التمكن منه مختوم بالصليب ..... ولا يجوز ان يرفع على المذبح «من القربان لا مشقوقة ولا مكسورة ولا منهوشة. ولا يكون فطير بل مختمر بخمير «متحد بالقربان». هل كان يمكن ان يرسم خبز الخمير باوضح من هذا الكلام.

وقال في ورقة ٩٤ : « من ذلك الوقت (اي من وقت رسم سر الاخرستيا) ان « الوصية العتيقة كلها قد انقضت بفطيرها وكثاقتها » . ويؤيد ذلك بشهادة كتاب الطب الروحاني الذي هو شبه كتاب اللاهوت لملة الموارنة . قال صاحب هذا الكتاب في وجه ٩٣ من المصحف البرجياني (ج) وهو الفصل الرابع من الباب السادس والعشرين . « اما الخمير المتغير في طعمه الى الكلية فلا سبيل الى تقدمته البتة « وان كان قد يجب تقدمة القربان اذا انشق من قوة النار او من الخمير او عدم « التثقيف لم يخرج عن اسم الخبز ولا طعمه ولا منفعته » . فترى اذاً انهم كانوا يخمرون خبز القربان بالخمير حتى انه ربما كان الخمير سبباً لينشقّ وتتغير هيئته .

ولنا شهادة اخرى في كتاب الجدال بين المعلم الماروني وتلميذه باسم غريغوريوس وباسيليوس وهو موجود في المصحف البرجياني (خ) المخطوط في جبل لبنان في قرية حد الحادث في زمان مار بطر .... الموارنة سنة ١٣٨٤ . قال صاحب هذا الجدال : « قال غريغوريوس اخبرني عن الخبز الذي اخذ سيدنا من المائدة هو « الذي جعله جسده او في جسده وحده او في شأن هذا . لان التلاميذ اخذوه ولم « يشكوا في انفسهم . اجابه باسيليوس بحق انه اخذ الخبز فطيراً فجعله على جسده « الذي هو خمير الحيوة واخمره واتحد بجسده واخذ منه وبارك وقسم واعطى « التلاميذ منه بالامانة » . انظر كيف ان هذا المولف الماروني اراد ان يوفق بين عادة ملته في استعمال الخمير في القداس وبين ما ورد في الانجيل الطاهر من ان ربنا رسم سرّ الاوخرستيا يوم عيد الفطير .

وبناء على ذلك نرى ان طائفة الموارنة في اواخر القرن السادس عشر نفسه لم تثق وثوقاً كاملاً بعادة التقديس بالفطير التي اتخذتها من الكنيسة الرومانية . فان بطريركها ميخائيل الرزي (كما اورد توما دي يسوع في الفصل ٥ من الباب ٥ من كتاب خلاص الامم) في شرح الشكوك الذي ارسله الى الحبر الاعظم غريغوريوس

الثالث عشر في العدد الثالث من جملة المسائل التي طلب جوابها من البابا قال : « نحن نقدس بالفطير وحده » . وكان الجواب من الكرسي الرسولي على هذا السوال « هكذا ان كانوا يريدون ان يقدسوا بالفطير فلا نرى وجوباً لمنعهم » . ان هذا السوال وهذا الجواب لا يحتاجان الى شرحٍ . وفي القانون الحادي عشر رسم البطريرك المذكور ان لا يصنع من ذلك اليوم فصاعداً خبز القداس الاَّ من طحين وماء كعادة الكنيسة الرومانية . فهذا دليل واضح على ان الموارنة قبل ذلك كانوا يصنعون شيئاً آخر في خبز القدس عدا الطحين والماء .

فبكل حق و بكل صدق قد شهد لعادة الخمير عن الموارنة احد تلامذة المدرسة المارونية . وهو القس نصر الله ابن شلاق العاقوري في الكتاب العاشر من مؤلفاته حيث قال (كما اورد اسطفانس الاهدني نفسه في ورقة ١٣٣ من المصحف الواتيكاني السرياني ٣٩٦) : « من هذا العلم يبان لي ان طائفة الموارنة لا تقدر تقدّس في « الخبز الفطير . (لانه في زمان ذلك القسيس كان الموارنة قد اتخذوا الفطير من « اللاتين) . لان ما سمح لهم بذلك لا بابا ولا مجمع . وملافنتهم الذين يعرفون « الحق ولا يتبعونه يخطئون خطية جهنمية لانهم يضادون المجامع والبابية (اي « الباباوات) » . اننا ما اوردنا هذه الشهادة الجليلة الاَّ لغرض واحد وهو تبيان ان الموارنة القدماء كانوا يقدسون بالخمير . وبالحقيقـة لو لم يكن امر استعمال اجداده للخمير في القداس جلياً موءكداً لدى هذا المؤلف الماروني المربى في رومية نفسها لما اقدم على هذا القول القطعي . والاَّ ففي لومه للموارنة على تركهم الخمير واتخاذهم الفطير نظر . فان من المؤكد ان هذه الطائفة لم تخطئ في هذا الاستبدال اذ لم تصنع ذلك جهلاً او ضداً للقانون البيعي . بل صنعته تبعاً لارادة الاحبار الرومانيين الذين سمحوا لها ان تتخذ هذه العادة مع سائر عوائد الكنيسة الرومانية كما جرى الامر ايضاً مع نصارى ملبار . فالقس نصر الله المذكور اذ لم يقرأ امراً مصرّحاً من احد الباباوات

والمجامع للموارنة باستبدال الفطير بالخمير ظن انهم صنعوا ذلك طوعاً دون امر يقضي عليهم بذلك .

هذا اخص ما تشهد لنا به كتب الطائفة المارونية القديمة في هذه القضية . واذا نظرنا الان الى الطوائف الاخر التي كانت حولها نرى انه لو كان الموارنة القدماء يستعملون الفطير لكانت باقي الطوائف اطلعت على ذلك بلا شك وتركت لنا على ذلك شهادة اذ كانت في حاجة الى ان تتكلم عن اختلاف عادة الملة المارونية عن العادة الجارية عندها باستعمال الخمير . فان الطوائف التي كانت حول الموارنة كانت اليعاقبة السريان والاقباط والملكية . وهولاء كلهم كانوا يقدسون بالخمير . وكانوا من القرن الحادي عشر فصاعداً يذمون الذين يستعملون الفطير . فقد ذمَّ كثيرٌ من اليعاقبة واليونانيين طائفتي الارمن واللاتين لاستعمالهما الفطير ولم يذكروا الطائفة المارونية مع هاتين الطائفتين . ولنا شهادة صريحة من احد مؤلفي الطوائف الاخر على ان الموارنة لم يكونوا يقدسون بالفطير وهي من كتاب البرهان في القوانين المكملة والفرائض المهملة تأليف ابي شاكر بن الراهب القبطي الموجود في المصحف الواتيكاني العربي ١٠٤ . قال صاحب هذا الكتاب في ورقة ٧٥ : « المقالة السادسة تصنيف « يوانيس الطبيب المعروف بالمختار بن الحسن بن عبدون بن بطلان البغدادي في « القربان المقدس صنفها بالقسطنطينية للاب البطريرك الانباء ميخائيل (القسطنطيني) « نقلت من نسخة بيد الشيخ الاسعد ابي الفرج بن العسال ». قال يوانيس في سنة ١٣٦٥ يونانية : « انفذ البابا الى ميخائيل بطريرك القسطنطينية بان يسقطوا الخمير من « قرابينهم الخ » ثم اخذ يبين عدم اصابة ذلك فقال : « اذا استقرينا البلاد التي « دعا فيها القديس (بطرس) قبل رومية لم يعد بشيء من هذا . فانه لما خرج من « القدس دعا بالشام مدة سنتين . واقام بانطاكية سنتين وقطن برومية عشرين سنة « متاخماً للروم . فلو قرَّب الفطير لما خفيت هذه الفريضة وتسابق الناس الى فعلها »

وقال في ورقة ٧٩ : « شهادة الجماعة اصدق من شهادة الواحد .... والبطاركة « خمسة . اربعة منهم يقدسون بالخمير وواحد بالفطير . الواحد هو الروماني والاربعة « هم الاسكندري والانطاكي والاورشليمي والقسطنطيني » . وفي الهامش يقرأ « بخط الاسعد (ابن العسال) الصحيح ان اثنين يقرّبون بالفطير وهما الارمن « والافرنج » . فترى ان الموارنة لم يكونوا في جملة الطوائف التي تقدس بالفطير .

بقي علينا ان نرى الحجج التي احتج بها صاحب كتاب روح الردود في وجه ١٢٠ وما بعد لاثبات زعم اصحابه بأن أجداده كانوا يقدسون بالخمير ونردّ عليها .

١ً – قال الاهدني ان الكلام المورد من كتاب داود الاسقف محرَّف . فقد ورد في هذا الكتاب نفسه في الباب العاشر ما يبين عادة الفطير في القداس . – نجيب : اذا فرضنا من باب المجاراة ان هذا الموضع محرَّف ينتج منه ما لا يريده الخصم . وهو ان الموارنة في القرن الخامس عشر الذي فيه كتب هذه النسخة من كتاب الهدى كانوا يقدسون بالخمير لان كاتب الكتاب كان اسقفاً ما رونياً كتب في جبل لبنان . فلو كان قد حرف الكتاب فلا بد من انه حرَّفه بموجب عادة موارنة زمانه . وهل يصدق ان هـذا الاسقف الماروني بلغت به الحماقة الى حدّ انه استبدل في كتاب الهدى عبارة الامر بالفطير بعبارة الامر بالخمير مع سائر الموارنة مع انه كان يقدس بالفطير كما يزعمون .

ثم نقول : لو كان السيد يوسف الدبس يكلف نفسه مطالعة كتاب الهدى لما وقع في خداع الاهدني . فان صاحب كتاب الهدى لم يقل في الموضع المشار اليه انه ينبغي ان يكون خبز القداس فطيراً . ولبيان ذلك ما لنا الاَّ ان نطالع ما قاله هـذا المؤلف بحروفه في قانون الصوم (في ورقة ٩٣ من المصحف الواتيكاني السرياني ١٣٣) . فانه بعد ما ذكر ان الصائم يجب عليه ان يفطر على القربان المقدس تطرف الى الكلام عن فصح اليهود فقال: « ولا يكسر من عظم ويؤكل بالفطير ولا يؤكل

في تلك السبعة أيام خمير . فاذا انقضت أيام الفصح فكلوا خمرًا جديدًا » . ثم ذكر ان المسيح أكل الفصح قبل موته فقال : « ثم ابتدأ (المسيح) بذكر الوصية الجديدة « وأخذ حينئذ من ذلك الخبز الذي كان على تلك المائدة الفطير وحمله على يديه « وباركه وفصله وقال لهم هذا هو جسدي ... ثم مزج الكاس من خمر وماء وقال « لهم . هذا هو دمي » . وبهذه الصورة أورد هذه الكلمات ابراهيم الحاقلاني في الموضع الذي أشار اليه الخصم لا كما أورد هو عن الاهدني : « وأخذ حينئذ من ذلك الخبز الفطير الذي كان على تلك المائدة » . فداود الاسقف قال ان المائدة التي اخذ منها يسوع الخبز كانت مائدة الفطير ولكن لم يقل ان الخبز الذي أخذه كان فطيرًا . وكيفما كان الامر فان داود الاسقف ان كان قد قال ان المسيح استعمل الفطير في العشاء السري فقد عنى انه استعمله لكي يقضي شريعة موسى فقط لا لكي يجعل ذلك رسمًا دائمًا . فقد قال بعد تلك الكلمات (ورقة ٩٤) : « أما الخبز الجديد « (مراده الخمير الجديد كما ذكر فوق) الذي يباح اكله بعد انقضاء ايام الفصح فهذا « هو الجسد الذي اكلتموه ... من ذلك الوقت (اي من وقت رسم الاوخرستيا) « ان الوصية العتيقة كلها قد انقضت بفطيرها وكثافتها » (١) . فنرى ان صاحب كتاب

---

(١) قد سها صاحب كتاب روح الردود اذ قال « ان ابراهيم الحاقلانى استشهد بقول كتاب الناموس اثباتاً لتقديس كهنة الموارنة الخبز فطيراً » . فان ابراهيم الحاقلاني لم يورد تلك الكلمات الا ليبين ان جسد المسيح هو عينه الذي أخذه من مريم العذراء ولم يتعرض لمسألة الخمير والفطير . اما زيادة الاهدني على الكلمات التي أوردناها من كتاب داود الاسقف هذه الكلمات الاخرى وهي « أما الفطير الذي أمر ان يؤكل به فهو اشارة الى الناموس العتيق » فلم نجد لها اثراً في كتاب الهدى . وهي ان كانت صحيحة لا ينتج منها سوى تثبيت ما بيناه في المتن وهو ان داود الاسقف أراد ان يقول ان المسيح انما استعمل الفطير في العشاء الاخير تكميلا للشريعة القديمة التي كان هو مزمعاً في ذلك الحين ان يبطلها بموته .

الهدى فضلاً عن انه لم ينقض في باب الصوم ما كان قد قاله في باب القراين عن الخمير فقد اثبته وأيده . ويكفينا ردًا على الاهدني اعتبارنا انه لو كان في كتاب داود الاسقف شهادة على عادة الفطير لدى الموارنة القدماء لما أهمل السمعاني ايراد هذه الشهادة حيث اخذ يحامي عن هذا زعم الموارنة في وجه ٤١٠ من المجلد ١ من المكتبة الشرقية في الحاشية

٢ً ـ قال : ان يعقوب الرهاوي في تفسير سفر الاحبار قال : قد أمر ان لا نعيد بخمير الرداءة والمرارة بل بفطير النقاوة والقداسة . اي ان لا نقرّب ذبيحة الرب ... اي ذبيحة جسد المسيح ودمه .... ونحن مفعمون بخمير الخطية العتيق » ـ نجيب ان صحَّ هذا برهان الخصم نتج منه ان خبز الخمير الذي تستعمله الكنائس الشرقية في القداس هو « خمير الرداءة والمرارة وخمير الخطيئة » والا لم يمكن اتخاذ ادنى برهان من كلمات يعقوب الرهاوي . وعن ذلك فلست أنا الذي اجادل الخصم بل المجمع الفلورنتيني . والصحيح ان كلام الرهاوي ليس هو عن خمير وفطير حقيقيين اي مادتين بل استعاريين روحانيين كما هو ظاهر .

٣ً ـ قال : ان السريان قاطبةً كانوا يقدسون بالفطير في القرن الثامن والشاهد القديس يوحنا الدمشقي كما افاد فبريقيوس في البيلوغرافيا ـ نجيب : (١) لو صح ان السَريان كانوا يقدسون بالفطير في القرن الثامن لم ينتج من ذلك ان الموارنة لم يتركوا الفطير واستعملوا الخمير بعد ذلك كما يكون قد فعل اليعاقبة والنساطرة في هذا الفرض . (٢) اننا لم يمكنا في هذا البلد ان نطالع كتاب فبريقيوس الذي استشهده الخصم نقلاً عن السمعاني . وان كان صحيحاً ما أورد عنه فيكون فبريقيوس قد رجع عن قوله بعد ذلك . فانه في شرحه لمؤلفات يوحنا الدمشقي قال في أحد كتبه مصرحاً عن النبذتين في الفطير المنسوبتين الى هذا القديس «ان مؤلفهما ليس هو يوحنا الدمشقي». وكذا حكم لكويان الذي جمع مؤلفات يوحنا الدمشقي في وجه ٦٤٧ من المجلد

الاول . وناهيك ان صاحب النبذة الثانية قال ان الارمن واليعاقبة يقدسون بالفطير . ومن يصدّق ان العبارة خالية من تحريف النساخ . وكل خبير يعلم انه لما ظهر الفطير عند الارمن نازعهم اليعاقبة من سبب ذلك ولاموهم عليه اشد ما يكون . فكأن صحيح عبارة ذلك المؤلف اليوناني هو : ان الارمن اليعاقبة يقدسون بالفطير » بالبدل لا بالعطف . (٣) نخاطب الخصوم قائلين : انكم لو اثبتم ايضاً ان اليعاقبة كانوا في القرن الثامن يقدسون بالفطير اي فائدة لكم من ذلك وانتم تدّعون ان اجدادكم كانوا يتحاشون الاختلاط مع اليعاقبة .

٤ ـ قال : مما اورده مرهج ابن نمرون فقرة من فرض صلوة الليل يوم الخميس من سبة الالام (قائلاً هذه الصلوات قديمة منذ الجيل الثالث والرابع) شهادة بان المسيح ابطل الخمير العتيق وان الفطير يؤكل لتجديدنا ـ نجيب : ان الشهادة المشار اليها هي تضمين ما قاله القديس مار افرام الملفان في بيت على وزن ܐܬܦܓܕ ܗܘܐ ܡܛܪܐ . ܐܪ . ܕܒܢܝܢ ܕܗ ܡܥܡܕ يقال في مداريش العدّ ان الاول من الليل المذكور عند اليعاقبة وعند الموارنة لان لكلتا الطائفتين كتاباً واحداً تقريباً وهاك هذا البيت بحرفه :

ܐܡܪܐ ܦܩܕ ܥܠ ܐܪܙܗ ܕܢܐܟܠܘܢܝܗܝ ܥܡ ܦܛܝܪܐ . ܠܚܡܐ ܚܕܬܐ
ܘܐܡܪܐ ܚܕܬܐ ܕܢܦܘܩ ܠܥܠܡܐ ܕܢܚܕܬܝܘܗܝ . ܕܦܛܝܪ ܗܘܐ ܐܡܪܐ ܕܢܚܘܐ
ܗܘ ܠܥܡܡܐ ܕܐܟܠܗ ܟܠ . ܫܘܐ ܠܗ ܟܠ . ܕܟܝ ܠܗ ܟܠ .
ܥܡ ܦܛܝܪܐ ܕܚܕܬܐ ܟܠ ܕܒܗ ܟܠ ܠܗ ܡܫܝܚܐ ܡܚܕܬ ܟܠ .
ܕܒܪܝܗ ܗܘ ܠܥܠܡܐ ܕܚܕܬܐ ܟܠ ❖

« ان الخروف (الالهي) امر من جهة (خروف الفصح الذي هو) سرّه او « رمز اليه ان يأكلوه مع الفطير . فكان ذلك (الفطير) خبزاً جديداً و (الخروف)

« لحماً جديداً يشير الى سرّ تجدده (الذي به جدّد العالم) خمير حوآء ذلك العتيق « الذي عتق كل شئ كان قد سرى في كل شئ فشاخ كل شئ وبلي . ولكن « بالفطير الذي جدّد كل الاشياء بطل الخمير الذي عتق كل الاشياء تبارك الخبز « الذي جدد كل الاشياء » (١) . فترى ان مار افرام نعم سمى جسد المسيح فطيراً ولكن بالمعنى الاستعاري لا الحقيقي اي بالمقابلة مع خمير حوآء وهو الخطيئة التي ارتكبتها باكل الثمرة المحرّمة . فكما ان خمير حوآء كان استعارياً كذلك جسد المسيح المقابل به كان فطيراً استعارياً. وقد اوضح ذلك مار افرام في مواضع اخرى من مؤلفاته . فمن ذلك قوله في مدراش على وزن ܕܢܒܠ ܠܗ ܡܘܫܐ موجود في صلوة الساعة التاسعة من خميس الفصح :

ܐܟܠ ܗܘܐ ܦܛܝܪܐ ܓܘ ܦܛܝܪܐ. ܘܦܛܝܪܐ ܕܩܘܫܬܐ ܗܘܐ ܠܢ ܦܓܪܗ ܀

« اكل الفطير داخل الفطير (اي في عيد الفطير) وصار لنا جسده فطير الحق »

وذلك لمقابلة خمير الأثم الذي عناه اذ قال في المدراش المذكور :

ܛܥܢ ܗܘܐ ܚܡܝܪܐ ܕܚܘܒܐ ܡܢ ܕܝܠܢ ܗܘܐ ܡܫܝܚܐ ܕܫܘܚܠܦܐ. ܒܗ ܦܛܝܪܐ ܀

---

(١) لا يصدق البتة ان الكنيسة السريانية التي نشأت في وسط اليهود استعملت خبز الفطير في القداس في الاجيال الاولى التي كانت فيها تتعوذ من كل ما يختص باليهودية . ولو فرضنا من باب التساهل ان تلك الكنيسة اعتقدت ان المسيح قدس بالفطير . فانها كانت تفهم ان المسيح في هذا الفرض انما استعمل الفطير لعدم وجود غيره قدامه وانه لم يمكن ان يجعله سنة في كنيسته حيث لا معنى له البتة ان كان شرع اليهود نفسه لولا حاجة ذكر خروج بني اسرائيل من مصر قبل ان يختمر خبزهم لما فرض عليهم اكل الفطير في عيد الفصح . فكان الفطير في شريعة اليهود نفسها تاريخياً مذكراً لامر قد جرى وأي شيء من ذلك في شريعة المسيح .

« ان الشعب (الاسرائيلي) كان في خروجه (من مصر) حاملاً خمير الوثنية مع الفطير ». وقال ايضاً :

ܦܛܝܪܐ ܐܪܙܐ ܗܘ ܕܠܚܡ ܚܝ̈ܐ ܕܐܟܠܘ ܗܘܘ. ܥܬܝ̈ܩܐ ܐܪܙܐ ܚܕܬܐ ܀

« ان فطير (اليهود) كان رمزاً الى خبز الحيوة . لان اولئك الذين كانوا قد عتقوا اكلوا سرًّا جديدًا » .

وقال ايضاً في ميمر له على وزن ܗ' ܦܛܠܐ ܗܘ وهو موجود في العدّان الاول من ليل خميس الفصح :

ܛܘܒܝܗܘܢ ܕܒܗܘܢ ܗܘܐ ܫܘܠܡܗ ܕܐܪܙܐ. ܘܗܘܐ ܠܗ ܫܘܪܝܐ ܕܫܪܪܐ ܐܟܠ ܡܪܢ ܦܨܚܐ ܥܡ ܬܠܡܝܕ̈ܘܗܝ. ܒܗܘ ܠܚܡܐ ܕܩܨܐ ܒܛܠ ܦܛܝܪܐ ܀

« طوبى للتلاميذ لانه بهم صار نهاية الرمز وصار ابتداء الحقيقة . ان ربنا اكل الفصح مع تلاميذه وبذلك الخبز الذي كسره بطل الفطير » . في تعليم الكنيسة السريانية قد بطل فطير اليهود بسر جسد ودم المسيح .

٥ ــ قال : نقل ديونيسيوس بطريرك اليعاقبة في القرن الثامن عن يوحنا اسقف اسيا في القرن السادس « ان جسد المسيح كان يؤكل عندهم بالفطير » . اجيب : ان الخصم قد شوّه قول هذا المؤرخ تشويهاً ضعف قوّة اعتراضه علينا . وهاك نبذة من الموضع المستشهد من التواريخ المذكورة بحروفها :

ܒܗܢܐ ܕܝܢ ܙܒܢܐ ܐܦ ܦܛܝܪܐ ܠܩܘܪܒܢܐ ܒܐܬܪܐ ܕܦܪܘܓ ܘܐܬܥܒܕ ܕܠܐ ܐܟܠܝܢ ܠܦܛܝܪܐ ܘܠܐ ܡܩܒܠܝܢ ܡܫܝ̈ܚܐ . . . ܡܫܡܠܝܐ ܕܐܘܪܬܘܕܘܟܣܝܐ ܡܢ ܡܘ̈ܬܐ ܦܠܓ ܗܘܐ. ܘܡܬܚܫܒܐ ܐܦ ܦܝܠܐ ܐܢܫܐ ܕܒܗܘܢ ܒܟܢܫܝܢ ܠܗ ܒܩܘܪܒܢܐ ܗܘܘ ܡܩܪܒܝܢ ܠܗ. ܘܒܫܒܠ ܠܚܡܐ ܡܬܩܪܒܝܢ ܠܗ

ܐܝܟ ܕܬܗܘܐ ܠܗܘܢ ܠܡܐܟܘܠܬܐ ܘܠܐ ܠܐܪܙܐ ܦܓܪܗ ܕܡܫܝܚܐ ܗܘ ܕܒܦܛܝܪܐ ܡܬܐܟܠ ܘܒܟܠܠ ܟܠ ܐܡܬܝ ܕܡܬܐܠܨܝܢ ܠܡܐܟܠ ܠܚܡܐ ܡܩܪܒܝܢ ܗܘܘ ܥܠ ܐܝܕܝ̈ ܚܕ̈ܕܐ ܘܐܟܠܝܢ ܠܗ ܀

« في هذا الزمان انبط الشيطان ضلالة في بلاد فارين . وذلك ان قوماً (من الرهبان) كانوا لا يأكلون خبزًا ولا يشربون ماءً . . . . وكان اكثر قوتهم من الاقداس ولهذا فالبرشانة التي كانوا يصنعونها كانوا يتركونها تختمر زمانًا و يملحونها باجتهاد وتعب لكي تكون لهم طعاماً لا سرّ جسد المسيح الذي يؤكل بالفطير وبالاجمال كانوا كلما احتاجوا يقرّبون خبزًا اعتيادياً على ايدي بعضهم بعض » .

اقول ان هذا المؤرّخ على ما يتبين من كلامه كان مراده بهذه الكلمات خاصةً ان يذم اولئك الرهبان الضالين لأنهم يأكلون جسد المسيح بدل القوت الجسدي ولأنهم يخمرونه تخميرًا مفرطًا ليشبعهم . وهذا التخمير المفرط محرّم عند السريان . فاننا قرأنا في مصحف صغير عنوانه « كلام قليل على الامانة وعلى ترتيب البيعة » ملك بيت القس بهنام شاشا من بيوت يعاقبة الموصل هذه الكلمات وهي : « واذا انخبز البرشانة فلتكن البرشانة صحيحة وغير معوّجة ولا معجنة ولا محروقة ولا من قصوص . ولا يخبزها فطير وما تتم الخمير ولا خمير وقد حمض » .

اما قول ذلك المؤرّخ ان جسد المسيح « يؤكل بالفطير » فلا يمكن ان يؤخذ حرفياً . لان جسد المسيح لا يؤكل بالحقيقة بالفطير ولا بالخمير . بل يصنع من الفطير او من الخمير . فمراد ذلك المؤرخ ان يقول اذًا ان جسد المسيح هو السر الطاهر الذي يشير اليه خروف الفصح الذي يؤكل بالفطير او مع الفطير . ولذلك لا يجوز ان يخمر تخميرًا زائدًا ولا ان يملح تمليحاً مفرطاً كعادة الخبز الاعتيادي . والاّ فكيف يصدّق ان احد المؤرخين في القرن الثامن قال ان جسد المسيح يصنع من الفطير

وعندنا من ذلك الجيل شهود شتى تشهد على انه كان يصنع من الخمير (١) ولو كان اولئك الرهبان بتخميرهم خبز القربان مجرّداً قد خالفوا سنةً جارية في ذلك الزمان لكان بولا الرهاوي الذي من رسالته أخذت هذه النبذة يتكلم عن ذلك واضحاً ويبين انه مخالف للسنة الجارية. مع انه في رسالته الطويلة لم يتكلم الاَّ عن الاستعداد الواجب لتناول القربان. ولم يذكر تخمير خبز القربان وتمليحه الاَّ ليبين ان اولئك الرهبان كانوا يذهبون فيه مذهباً سيئاً لنيل مقصدهم الذميم وهو ان يكون لهم القربان طعاماً جسدياً.



الفصل الخامس عشر

في ان بطريركية الموارنة لم تسم انطاكية الا

بانعام الكرسي الرسولي

ينتج من كل ما برهناه الى الان انه لما كانت الطائفة المارونية قد عادت حديثاً الى الايمان لم تبقَ لها بطريركيتها التي كانت حاصلة عليها الاَّ بانعام الكرسي

(١) قد اورد ابن العبري في تواريخه السريانية الرسالة الطويلة الموجودة فيها تلك الكلمات التي اعترض بها الخصم وهي من بولا اسقف الرها الى جملينا اسقف قارين. ومراد بولا في هذه الرسالة ان يبين فظاعة اثم اولئك الرهبان باكلهم جسد المسيح وشربهم دمه لحاجة قوت الجسد. وأما الكلمات التي بني عليها الخصم اعتراضه وهي « الذي يؤكل بالفطير » فلا توجد في الرسالة. فالبائن ان صاحب الكتاب التاريخي الذي استعمله السمعاني استنبط هذه الكلمات من عنده ايضاحاً للنص.

الرسولي . وانها في ذلك قد تساوت مع الطوائف الاخر الشرقية اعني النسطورية والارمنية واليعقوبية اللواتي بعد رجوعهنَّ انعم عليهنَّ الكرسي الرسولي ببقاء البطريركية التي كانت كل واحدة منهنّ قد استنبطتها لها في زمان انشقاقها .

قال السيد بولس مسعد في وجه ١٨٦ من كتاب الدرّ المنظوم : « ان بطريرك الطائفة المارونية هو بطريرك انطاكية الحقيقي دون غيره » . وقال السيد يوسف الدبس وجه ٢٨١ من كتاب روح الردود : « بطاركة الموارنة انما هم البطاركة الانطاكيون الشرعيون المتخلفون لثاوفان الكاثليكي البطريرك الانطاكي الشرعي المتخلف لاسلافه البطاركة الانطاكيين الى القديس بطرس زعيم الرسل الذي اسس هذه البطريركية في انطاكية » . ونحن ننكر هذا القول المهين للكنيسة الشرقية والغربية ونقول : ان البطريركية الحاصل عليها الموارنة الكاثليكيون فضلاً عن تسميتها انطاكية هي انعام من الكرسي الرسولي لا غير وهاك البرهان على ذلك :

١ً — قد بينا في الفصل الثالث من هذا الباب ان بطريركية الموارنة القدماء لم تكن شرعية فاذاً ولم تصبح بطريركيتهم شرعية الاَّ بانعام الكرسي الرسولي وذلك بعد عودتهم الى حضن الكنيسة واذا كان الاحبار الاعظمون قد سموها انطاكية فليس ذلك الاَّ من باب الفضل كما صنعوا مع اليعاقبة .

٢ً — قد قرّر العلماء المحققون حتى الموافقون للموارنة في زعمهم ان الموارنة المتأخرين نالوا البطريركية الانطاكية من فضل الاحبار الرومانيين المتأخرين . قال باجيوس كما نقل صاحب كتاب روح الردود في وجه ٣١ « ان بطريرك الموارنة منذ زمان انوكنتيوس الثالث يدعوه الاحبار الاعظمون في البرآات الرسلية بطريرك الموارنة الانطاكي » . وقال لكويان في المجلد الثالث من الشرق المسيحي وجه ٥٠

Non computandus (Patriarcha Maronitarum) inter proprios sedis Antiochiae praesules, quia nimirum nomen patriarchae Antiocheni patriarchis Maronitarum a pluribus seculis inditum, titulus est solummodo honoris causa.

« ان بطريرك الموارنة لا يحسب بين بطاركة الكرسي الانطاكي الحقيقيين .
« وذلك لان اسم البطريرك الانطاكي الذي يوصف به منذ اجيال كثيرة بطاركة
« الموارنة انما هو اسم شرف فقط » . وقال روهر باخر في وجه ٣٥٠ من المجلد
العاشر من تواريخه طبعة ١٨٤٣ بباريس :

Depuis Innocent III ces Prelats ont joint a leur titre celui de patriarche d'Antioche pour les Maronites et ils sont ainsi nommes dans les bulles des Papes.

« ان هولاء البطاركة منذ زمان انوكنتيوس الثالث قد اضافوا الى اسمهم اسم
« البطريرك الانطاكي على الموارنة . وهكذا يسمون في برآات الباباوات » .

وقد رأيت ان هولاء العلماء الثلاثة هم من الذين يفتخر الموارنة بانهم يوافقون رايهم خاصةً .

٣ً ـ ومما يغنينا عن استشهاد المؤرخين الحديثين ما لدينا من البرهان الساطع القاطع كل نزاع بحيث لا يمكن الخصوم ان يعترضوا عليه بشي البتة وهو ان البابا انوكنتيوس الثالث في اثباته بطريرك الموارنة ارميا العمشيتي اخضعه لرئاسة البطريرك الانطاكي اللاتيني مثلما ان غريغوريوس التاسع بعد ذلك بنحو عشرين سنة اخضع بطريرك الارمن الصائر كاثليكياً للبطريرك الانطاكي اللاتيني . فان البابا انوكنتيوس المذكور في الرسالة التي وجهها الى بطريرك الموارنة وقد استشهدناها مراراً اوجب عليه ان يلبس البليون اي درع كمال الحبرية من يد البطريرك اللاتيني المذكور قائلا :

Usum quoque Palii plenitudinis scilicet pontificalis officii solito more suscepti, quod tibi Antiochenus patriarcha sine difficultate libenter debet conferre. solitis nisi consuetudinibus approbatis, quastuetiam et praedecessores tui haectenus in Antiochena ecclesia dignos cimus habuisse, tibi tuisque successoribus auctoritate apostolica indulgemus.

« ثم اننا ايضاً بالسلطان الرسلي نسمح لك ولخلفائك استعمال البليون (اي
« الدرع) الذي هو كمال الوظيفة الحبرية المتخذة لجاري العادة والذي لا بد من ان

« يقلدك اياه بسرور وبلا ء عوبة البطريرك الانطاكي (اللاتيني) ونؤكد لك ايضاً
« العوائد الجارية التي يعلم انك انت واسلافك كنتم تتمتعون بها في الكنيسة
« الانطاكية » .

ان صاحب كتاب روح الردود في ايراده هذه الكلمات في وجه ٢٨١ قد توهم اي توهم حيث حشاها بشرح من عنده مخالف للحق وهو قوله : « وكان البابا قد بعث الباليون اليه معه » اي مع البطريرك اللاتيني الى بطريرك الموارنة كأن البليون الذي تكلم عنه البابا كان بليونًا باباويًا مع انه لم يكن الاَّ بطريركيًا . اي ان البابا امر بطريرك الموارنة ان يأخذ البليون من بطريرك انطاكية اللاتيني كما كان يحق لهذا البطريرك ان يقلد جميع المطارين الذين تحت بطريركيته (*) . اما ان البابا لم يقصد ان يقلد بطريرك الموارنة بليونًا باباويًا فواضح (١ً) من نص الرسالة نفسه الذي لا يحتاج الى تفسير . و (٢ً) من ان بطريرك الموارنة قد حضر بشخصه بين يدي البابا. فلو كان مراد البابا ان يقلده البليون الباباوي لالبسه اياه في رومية ولم يكن حاجة ان يرسله اليه . لان هذا هو الاصل في تقليد البليون الباباوي . واما اعطاؤه لمن لا يحضر

(*) ان البابا انوكنتيوس لم يخضع طائفة الموارنة لسلطة بطريرك انطاكية اللاتيني لكونه لاتينياً بل لانه اتخذه هو وحده بطريركا حقيقياً كما كان بالحقيقة اذ كانت خلافته لبطاركة انطاكية القدماء شرعية كما هو واضح . والا فقد كان من الممتنع ان يرى انوكنتيوس اسقفين كاثليكين في وقت واحد على انطاكية . ولذلك فلا نشك ان الكسندر الرابع انعم على بطريرك الموارنة في القرن الثالث عشر بان يسمي انطاكياً قصد ان يجعله بطريركا حقيقياً على ذلك الكرسي وخليفة للبطاركة الانطاكيين الذين كانت قد انقطعت سلفتهم بفتح انطاكية على يد الاسلام . غير ان خلفاء اسكندر الرابع لم يقتفوا فكره . فانهم أقاموا بطاركة لاتينين بالاسم والشرف على انطاكية وقل منهم من سمى بطريرك الموارنة انطاكياً الى عهد البابا بندكتس الرابع عشر .

بشخصه في رومية فكان مخالفاً للقياس ونادر الوقوع . كما بين البابا بندكتس الرابع عشر في كتابه المسمى مجمع الابرشية في الباب الثالث عشر فصل ١٥ عدد ١٨ . (٣) ولاسيما ان بطرس الثاني بطريرك انطاكية المشار اليه في رسالة البابا انوكنتيوس لم يكن في رومية في ذلك الزمان ولم يمكنه لشيخوخته ان يحضر المجمع اللاتراني (الذي حضره ارميا العمشيتي) بل كان قد ارسل نائباً مكانه . (٤) ما هو اوضح من كل ما ذكر ان البابا بندكتس الرابع عشر في المحل المذكور من كتابه المشار اليه آنفاً عدد ١٩ قال صريحاً ان اول الباباوات الذين اعطوا البليون لبطاركة الموارنة كان لاون العاشر سنة ١٥١٥ . فالبابا انوكنتيوس لم ينعم على بطريرك الموارنة بالبليون الباباوي . بل اعلمه ان يأخذ البليون البطريركي من بطريرك انطاكية اللاتيني دليلاً على خضوعه له . لان هذا كان من اخص ما انعم به الكرسي الرسولي على البطاركة الانطاكيين وهو ان يقلدوا البليون للمطارنة والاساقفة الذين تحت حوزتهم كما ترى في كتاب الشرق المسيحي مجلد ٣ وجه ٧٩١ . (*) ومن ذلك نفهم امرين . احدهما

(*) ان انوكنتيوس الثالث البابا قد فضل جاثليق الارمن على بطريرك الموارنة فانه أمر بطريرك الموارنة ان يأخذ البليون من بطريرك انطاكية واما جاثليقها الارمن فاكرمه بارساله اليه بليوناً من عنده على يد بطرس الكردنال . كما شهد البابا بندكتس الرابع عشر في خطبته التي خطبها في مجمع الكردنالات في ٢٣ ايلول سنة ١٧٥٠ حيث عد امثال البليونات الباباوية التي أنعم بها الاحبار الرومانيون على رؤساء الكهنة الشرقيين ثم قال « اذا اتينا الي الازمنة القريبة الينا نرى ان انوكنتيوس الثالث الحبر الاعظم دفع الى الكردنال الذي أرسله قاصداً الى بلاد الارمن بليوناً ليتوشح به يوحنا بطريرك الارمن الجاثليق » . فامامنا اذاً ان الموارنة يقتنعون الآن بشهادة البابا بندكتس الرابع عشر ويسلمون معنا بعدم نيل بطريركهم البليون من البابا انوكنتيوس الثالث .

ان البابا انوكنتيوس الثالث في تسميته ارميا العمشيتي بطريركاً عنى بطريركية اسمية بمعنى الجاثليق فانه في عنوان رسالته قال :

Venerabilibus fratribus Hieremiae patriarchae sive primati.

« الى الاخوة المحترمين ارميا البطريرك او البريمات » اي الجاثليق . وكل خبير يعلم ان البريمات انزل من البطريرك مرتبةً . واوضح البابا ذلك ايضاحاً كاملاً في ذيل الرسالة حيث انه لما عدَّ المطرنيات والاسقفيات الخاضعة لبطريرك الموارنة قرَّر ان تكون خاضعة له « بحق البريماتية اي الجثلقية Jure primatiae » ولم يقل بحق البطريركية . الثاني ان البابا انوكنتيوس لما قال انه يؤيد لبطريرك الموارنة العوائد التي كان متمتعاً بها في الكنيسة الانطاكية عنى بالكنيسة الانطاكية البطريركية اللاتينية . لا كما فهم السيد يوسف الدبس البطريركية المارونية . فكما ان انوكنتيوس في رسالته عند تسميته البطريرك الانطاكي عنى بذلك البطريرك اللاتيني . كذلك حين ذكره الكنيسة الانطاكية عنى الكنيسة اللاتينية (١) . فقد توهم اذاً السيد المذكور ومن اتبعه من المؤلفين اذ زعموا ان البابا انوكنتيوس الثالث سمى البطريرك الماروني انطاكياً . مع انه قد اخضعه لسلطة البطريرك اللاتيني صريحاً وجعل بطريركيته او جثلقته مع توابعها من المطرنيات والاسقفيات لاحقةً بالبطريركية الانطاكية اللاتينية.

ولما كان الامر هكذا فلا عجب من ان الكرسي الرسولي في القرن السادس عشر جعل بطريركية الموارنة خاضعة لسلطة بطريرك اورشليم اللاتيني كما يتضح ذلك من الجواب الذي ارسله غريغوريوس الثالث عشر الى بطريرك الموارنة سنة ١٥٧٧ حيث قيل في باب الميرون عن الذين اخذوا سرّ التثبيت من قسوس الموارنة « انه

(١) من أراد ان يؤكد ان البابا انوكنتيوس الثالث بتسميته الكنيسة الانطاكية عنى البطريركية اللاتينية فليتكلف قرأة رسائل هذا البابا الكثيرة ورسائل سائر البابوات الذين في عهده دامت هذه البطريركية .

ولو كان القسيس يقدر ان يثبت باذن البابا كما منح القديس غريغوريوس ذلك لكنيسة كلارت ولكن من حيث ان الكنيسة الاورشليمية لم تمنح هذا الاذن فلذا ان احبَّ المثبتون بيد القسيس ان يثبتهم الاسقف من جديد فلا باس » (١)

وشرح ذلك توما دي يسوع في الفصل ٧ من الباب الخامس من المقالة ٣ من كتاب خلاص الامم قائلاً : « ان غريغوريوس الثالث عشر الحبر الاعظم في « المجمع الذي عقد في زمانه عند الموارنة امر مقدَّم المجمع في شان الذين يكونون في « تلك البلاد مثبتين بيد القسيس المجرّد ان يباح لهم ان يثبتوا من جديد بيد « القسيس .... واورد الحبر الاعظم سبب ذلك وهو انه ولو كان المجمع الفلورنتيني « في اتحاد الارمن قد علم انه يصح ان يثبت القسيس باذن البابا .... الاَّ اننا لم « نسمع ان هذا الاذن قد منح للكنيسة الاورشليمية التي الموارنة هم خاضعون لها ». واثبت ذلك ايضاً البابا بندكتس الرابع عشر نفسه في كتابه المسمى مجمع الابرشية حيث قال في الباب السابع الفصل ٩ عدد ٥ ان الموارنة كانوا خاضعين للكنيسة الاورشليمية .

٤ً — وبناءً على ذلك نرى الاحبار الرومانيين من الكسندر فصاعداً لم يسلكوا مسلكاً واحداً مع بطاركة الموارنة . فان منهم من سمى بطريركهم انطاكياً في رسائله

(١) انما جعل الموارنة في القرن السادس عشر خاضعين لكنيسة اورشليم مع ان انوكنتيوس الثالث اخضعهم لكنيسة انطاكية لسبب ان بلاد فونيقي التي يسكنها الموارنة كانت منذ أواسط القرن الثاني عشر قد جعلت تابعة لبطريرك اورشليم خلافاً للعادة القديمة الا ثلاث مدن منها . واما انوكنتيوس الثالث فامر بطريركهم ان يأخذ البليون من بطريرك انطاكية لسببين : الاول انه كان يعلم ان صلحهم مع الكنيسة الرومانية كان قد صار على يد بطريرك انطاكية . والثاني ان بطريركهم ارميا قرر الطاعة بين يدي القاصد الباباوي في مدينة طرابلس التي كانت تابعة للبطريركية الانطاكية .

مثل ادريانس السادس سنة ١٥٢٢ وبولس الخامس سنة ١٦١٠ وسنة ١٦١٢ وغريغوريوس الخامس عشر سنة ١٦٢٣ وغيرهم . ومنهم من سماه بطريرك الموارنة مجرّداً كاوجانيوس الرابع ونقولاوس الخامس وبولس الثاني ولاون العاشر واقليميس الثامن وغيرهم . لا بل روى رينلد المؤرخ في تاريخ سنة ١٥١٦ ان البابا لاون العاشر لم يكن يعجبه ان يسمي رسل الموارنة لدى الكرسي الرسولي بطريركهم انطاكياً . الاَّ اننا منذ جلوس البابا بندكتوس الرابع عشر فصاعداً نرى الاحبار الرومانيين يسمون بطريرك الموارنة انطاكيًا دون انقطاع .



الباب الثامن

﴿ في حل حجج الموارنة وتفنيدها ﴾

وفيه اربعة فصول

الفصل الاول

في الرد على برهان الموارنة المتخذ من شهادة

الاحبار الرومانيين

بعد ما فرغنا من ايراد أخص الشهادات والبراهين لابطال مدّعى الموارنة فسبيلنا الآنَ ان نشرع في تفنيد حجج الخصوم . فنقول ان الموارنة منذ نشأت مسألة دين أجدادهم لم يألواجهدا في التفتيش والبحث ليكثروا البراهين والحجج لعلهم

بكثرتها يتمكنون من اقناع خصومهم بصحة مدّعاهم . ومما تمسكوا به على الخصوص وجعلوه أساس مجادلاتهم هو استشهادهم بأقوال الاحبار الرومانيين ظنّاً منهم ان هؤلاء الاحبار قد أيدوا رأيهم في دوام أجدادهم في الايمان القويم . فهلم بنا في هذا الفصل نحل برهانهم المتخذ من شهادة هؤلاء الاحبار الاعظمين فنقول :

١ً ــ ان الاحبار الرومانيين الذين يستشهدونهم من لاون العاشر وما بعده لايمكن ان يكونوا شهوداً حقيقيين في هذه المسألة . فان البحث هو عن موارنة القرن السابع الى أواخر القرن الثاني عشر . فان كان الموارنة يريدون بالحقيقة ان يكون الاحبار الرومانيون شهوداً لهم فيجب ان يكون هؤلاء ممن عاشوا في الحقبة المارونية . والاَّ فان لاون العاشر ومن بعده من الباباوات لم يشهدوا الاَّ عن موارنة زمانهم الذين بلا شك كانوا كاثليكيين صادقين ثابتين في طاعة الكرسي الروماني . وناهيك ان السيد يوسف الدبس مع كل اجتهاده لم يجد من الباباوات من قرَّظ الموارنة على صدق ايمانهم أقدم من لاون العاشر الذي جلس أكثر من ثلاثمائة سنة بعد رجوعهم الاول الى حضن الكنيسة . وفضلاً عن انه لم يقدر ان يلتمس مقرظاً للموارنة من باباوات الحقبة المارونية لم ينل ذلك من باباوات الثلاثة القرون الاولى التي فيها دخلوا حظيرة الكنيسة الكاثليكية .

٢ً ــ ان الاحبار الرومانيين لايمكن ان يكونوا ناقلي شهادة لزعم خصومنا . وذلك لأنهم في تقريظهم طائفة الموارنة لابدَّ من انهم طالعوا تواريخ الكنيسة الرومانية وسجلاتها . وبنوا أقوالهم على ماوجدوا فيها من الآثار القديمة . والحال ان تواريخ الكنيسة الرومانية لاتذكر شيئاً عن الموارنة في مدة الحقبة المارونية كلها . وأول شيء يذكر في سجلات تلك الكنيسة عن الموارنة بعد الحقبة المارونية هو خبر اقلاعهم عن الضلال في عهد البابا انوكنتيوس الثالث . ثم تأييد ذلك في زمان البابا انوكنتيوس الرابع . ثم تحريضهم على الثبات في ذلك الاقلاع في زمان خلفائه . ثم تجديده ثانيةً

في زمان اوجانيوس الرابع وغريغوريوس الثالث عشر وغير ذلك . فالاحبار الرومانيون المتأخرون في تقريظهم الموارنة لم يعنوا الموارنة القدماء لان سجلاّت الكنيسة الرومانية تشهد ان أولئك لم يكونوا كاثليكيين . ولا يمكن ان يكونوا ناقلي شهادة وصادقين معاً الا بتقريرهم ان الموارنة لم تعرفهم الكنيسة الرومانية قبل القرن الثالث عشر وانهم ارعووا أولاً في عهد سالفهم انوكنتيوس الثالث . والاَّ يكونوا قد نطقوا بخلاف ما تشهد آثار الكنيسة الرومانية . وهذا أمر مستحيل لا يقبله ذو عقل سليم . والحاصل ان الانسان لا يكون شاهداً حقيقياً الاَّ عن أمر حدث في زمانه أو قريباً من زمانه اطلع عليه اما بالرؤية واما بالسماع من أهل الرؤية . وكل ذلك لا يصح في الاحبار الرومانيين المتأخرين المقرظين لطائفة الموارنة على ما أدعاه الخصوم . فان قرَّر الانسان شيئاً عن أمور غير زمانه لم يسم شاهداً بل هو ناقل . والناقل صدقه صدق المنقول عنه . فلما كان لا يوجد في التواريخ ولا في آثار الكنيسة الرومانية شهادة تثبت ارثدكسية الموارنة القدماء فينتج اذاً ان الاحبار الرومانيين المتأخرين لا يمكن ان يسموا ايضاً ناقلي الشهادة عن ارثدكسية الموارنة القدماء .

٣ً — وما قاله الاحبار الرومانيون في حق الموارنة لا يصح البتة في موارنة الحقبة المارونية . فانه من جملة ما مدحوا به هذه الطائفة تشبيههم اياها بالورد بين الشوك . كذا لاون العاشر وبيوس الخامس . والحال ان هذا التشبيه لا يقع على موارنة الحقبة المارونية البتة . فان اولئك لم يكونوا ورداً بين الشوك بل كانوا شوكاً بين الورد . وكيف يسمى موارنة القرن السابع ورداً بين الشوك وهم نبتوا على قول اولادهم من جذع يوحنا مارون الذي كان عدوًّا للمجمع السادس المسكوني ومؤلفاته مشحونة بالضلالات . وكانوا بين الورود الفاخرة التي زينت الكنيسة الانطاكية والاورشليمية. ام كيف يستحق موارنة القرن الثامن والتاسع والعاشر الى الثالث عشر ان يسموا ورداً بين الشوك وهم لم يشتهروا بشيء في تلك الحقبة كلها لا علماً ولا ديناً. ولم يظهر

عندهم قديسون ولا ملافنة ولا شهداء ولا مؤلفو كتب ولا عرف لهم مدارس او تواريخ او ما اشبه ذلك حتى لا تعرف بالتحقيق اسماء بطاركتهم نفسها في تلك الحقبة . ومن جهة اخرى هم كانوا بين زهور العلوم والاداب والقداسة والكرامات التي بها ازهرت في تلك الحقبة سائر الامم الشرقية التي كانت حولهم من سريان واقباط ويونانيين . ويكفي ان نذكر الكاثليكيين منهم فقط كجرمانوس القسطنطيني ويوحنا الدمشقي وقزما الاورشليمي وانسطاسيوس الانبا وجيورجيوس الراهب وثيوفنيس المؤرّخ ومشوديوس القسطنطيني وانسطاسيوس حافظ المكتبة ونقيفور القسطنطيني وثيوذور الاستودي وغيرهم كثيرًا جدًّا . وناهيك ان لاون العاشر في تشبيهه الموارنة بالورد بين الشوك خصهم بكونهم يحفظون طقس الكنيسة الرومانية الجامعة المقدسة وعوائدها » . والحال انهم لم يكونوا «يحفظون طقس هذه الكنيسة في الحقبة المارونية . فاذاً لم يعنِ الحبر الاعظم بمدحه موارنة تلك الحقبة .

واما في الاحقاب المتأخرة فكانت الطائفة المارونية بالحقيقة كالورد بين الشوك واياها عنى الاحبار الرومانيون . فانه بينما كانت سائر الطوائف الشرقية خابطة في ظلمة دامسة من الجهل والشقاق والهرطقة كانوا هم بعكس ذلك يلمعون بوميض الاشعة المنبعثة اليهم من شمس الكرسي الرسولي الروماني الذي كان يفيض عليهم بايمانه وحكمته ومجده وثروته حتى يكون الفضل الاول في ذلك للباباوات والثاني لطائفة الموارنة .

٤ً ـ واما قول بيوس الرابع بانهم هم اولئك الالوف الذين لم يحنوا ركبهم لباعال . فان ذلك لا يصح في موارنة الحقبة المارونية التي فيها كان الله قد حفظ لنفسه ربوات في بلاد الشرق من ملكية الكنيسة الانطاكية والاورشليمية والمصرية واليونان قاطبةً . والموارنة بالنسبة الى هولاء كانوا عددًا نزرًا جدًّا .

٥ً ـ وان كان بعض الاحبار قالوا ان الموارنة قاموا على طاعة الكنيسة الرومانية

او على الايمان المستقيم اجيالاً كثيرة او على الدوام او في كل زمان فلا يراد به الازل كأن الموارنة منذ صاروا امة لم يزيغوا قط عن الحق. لان ذلك امر غامض لا يعرفه الاَّ الله عزَّ وجل. وفي الحقبة المارونية نفسها لا يعلم بشرٌ بتحقيق اسماء بطاركة هذه الامة واساقفتها وتواريخها ولم يتصل بنا من اثار تلك الحقبة كلها سوى ادلة واضحة على انها لم تكن مشتركة مع سائر الامم الكاثليكية في طاعة الكنيسة الرومانية.

فلكي نفهم صوابياً معنى هذه الاقوال الباباوية وامثالها يجب ان نعتبر ان الكنيسة لا تشرّف امة من الامم بالاسم الذي نالته في حظيرتها الاَّ منذ يوم دخول تلك الامة هذه الحظيرة. فامة الكلدان مثلاً لا تسمى الكنيسة الكلدانية الاَّ منذ يوم انحيازها الى طاعة الكنيسة الرومانية. وكذلك لا تحسب طائفة السريان من الكنيسة الكاثليكية الاَّ منذ انضمامها الى وحدة الكنيسة الكاثليكية. فمتى تكلمت الكنيسة عن الكلدان مثلاً لا تقصد ان تتكلم الاَّ عن الكلدان الصائرين كاثليكيين. وكذلك متى ذكرت الارمن لا تعني الاَّ الارمن الكاثليكيين.

وعلى هذا نفهم ان الكنيسة لا شان لها والموارنة قبل دخولهم حظيرتها. فاذا ذكرتهم لا تعني الاَّ الكاثليكيين. لان الموارنة الذين لم يكونوا كاثليكيين لم يكونوا من اولاد الكنيسة والكنيسة لا تبالي بهم. فكل ما قالته اذًا الاحبار الرومانيون عن الموارنة انما قالوا عن الموارنة الصائرين كاثليكيين. فاذا مدحوهم على ثباتهم في الايمان على الدوام عنوا بذلك الموارنة الصائرين كاثليكيين. وهذا لا ينكره احدٌ ويوافق التواريخ الصحيحة. وكيف يمكن ان الباوات يمدحون الموارنة غير الكاثليك على ثباتهم في الايمان.

فكما ان البابا بندكتس الرابع عشر عند قوله في رسالته التي بدءها:

Eo quamvis tempore المعطاة في ايار سنة ١٧٤٥ « ان ما نتمنى ان يمتد الى كل من الذين يعرفون الله بالايمان الحق من الهمة والعناية الباباوية تستحقه بالوجه

« الخصوصي امة الاقباط التي قد اعطت غير مرة دلائل جليلة وجديرة بالمدح المؤبد « على خضوعها الخاص واحترامها البنوي الذي تؤديه للكنيسة الرومانية امّ سائر « الكنائس ومعلمتهنّ » — لم يعنِ هذا الحبر الاعظم بهذه الكلمات الاَّ الاقباط الصائرين كاثليكيين . كذلك لما قال الاحبار الرومانيون ان الموارنة ثبتوا على الدوام في الايمان انما عنوا الموارنة الصائرين كاثليكيين . فالبرهان الذي يحق لخصومنا ان يتخذوه من شهادة الباباوات هو هذا : ان الاحبار الرومانيين شهدوا ان الموارنة صاروا كاثليكيين في مفتتح القرن الثالث عشر وفي اواسط القرن الخامس عشر . والحال ان الموارنة ثبتوا على الدوام في الايمان القويم بشهادة الاحبار الرومانيين . فاذاً بشهادة الاحبار الرومانيين ثبتوا في الايمان القويم منذ مفتتح القرن الثالث عشر او منذ اواسط القرن الخامس عشر . هذا ما كان محصل رسائل الاحبار الرومانيين في شأن ايمانهم .

وبهذا المعنى يتخذ قول بندكتس الرابع عشر بان الطائفة المارونية منذ اصلها استمسكت على الدوام بايمان الكنيسة الرومانية . فان كلام الحبر الاعظم هو عن الموارنة الكاثليكيين بلا شك لا عن الغير الكاثليكيين .

وما يرفع كل ريب عن معنى كلام هذا الحبر الجليل هو قوله في رسالته (التي بها في سنة ١٧٤١ ثبت المجمع اللبناني) ان الامة المارونية « التي قال عنها انها منذ اصلها لم تبرح ثابتة على ايمان الكنيسة الرومانية » لم تنفكّ تعقد مجالس ومجامع . والحال ان الامة المارونية لا يذكر عنها انها عقدت مجامع قبل عهد صلحها مع الكنيسة الرومانية حيث لا تعرف بالتأكيد اسماء بطاركتها نفسهم فضلاً عن اخبارهم وسيرهم وما اشبه . بل انما بدأت مجامعها منذ ذلك الصلح . فاذاً من كلام هذا البابا نفسه يتضح ان المراد باصل الامة المارونية هو اصل انضمامها الى الكنيسة الرومانية لا اصل وجودها في العالم .

وناهيك ان بندكتس تكلم في رسالته المذكورة عن الامة المارونية المكتنفة بها من كل جانب الاقوام الكافرون والهراطقة والمنشقون . والحال ان الموارنة لم يكونوا على هذا الحال الآَّ من عهد صلحهم مع الكنيسة الرومانية . واما في الاجيال السابقة في القرن الثامن والتاسع مثلاً فكان حولهم تلمع نجوم الكنيسة الانطاكية والاورشليمية والقسطنطينية . وكان الهراطقة والمنشقون اي النساطرة واليعاقبة اذ ذاك يسكنون بعيداً عنها . فيسوغ اذًا لنا ان نقول بكل امانة ان البابا بندكتس الرابع عشر لم يقل قط مصرّحًا ان الموارنة كانوا منذ القرن السابع الى زمانه مستقيمي الايمان .

اما ان بندكتس في رسالته الى لركري رجح رأي الموارنة على رأي خصومهم فلا يضرّ رأينا شيئًا . لان الترجيح ليس هو قولاً قطعيًا وقوله قول علم مفضل على كل رأي لا قول شاهد او ناقل شهادة ولا قول قاضٍ يفصل بين المتخاصمين .

ومهما كان من المعنى الذي به قرَّظ بعض الباباوات الطائفة المارونية فانه لايؤخذ بالمعنى المطلق الذي يريده خصومنا وهو رأيهم في الطائفة المارونية انها كانت منذ الازل في استقامة الايمان . وهاك بعض البينات في هذا الشأن :

(١ً) ان انوكنتيوس الثالث (وهو أول من ذكر اسم الموارنة في رسائله من الباباوات) اعتبرهم قومًا راجعين حديثًا الى الايمان المستقيم وقال انهم كانوا يومًا كالخراف التي لا راع لها لايعرفون جيدًا راعي أنفسهم الحقيقي . هل يمكن من يقول هذا القول الظن ان الموارنة لم يسقطوا قط في ضلالة .

(٢ً) وأوجانيوس الرابع أمر ان لايعود أحد يسمى موارنة قبرص هراطقة . هل كان يمكن هذا البابا الذي قال هذا القول ان يصدق ان الموارنة لم يكونوا قط هراطقة .

(٣ً) ومن يصدّق ان بولس الثاني الذي في سنة ١٤٦٩ ارسل يرشدهم في باب معتقد المشيئتين في المسيح كان رأيه بأنهم منذ الدهر اعتقدوا بالمشيئتين .

(٤ً) ومن يصدق ان لاون العاشر الذي في سنة ١٥١٥ أتاه رسائل من بطريركهم فيها يشكره على ارساله اليهم رهباناً يرشدونهم في أبواب الايمان اتخذهم منذ الازل ارثذكسيين .

(٥ً) واقليميس السابع نصح الموارنة ان يثبتوا على الوصال الذي عقدوه مع الكنيسة الرومانية منذ أيام انوكنتيوس الثالث . لعمري ان هذا البابا لو كان يزعم زعم الموارنة لقال لهم ان يثبتوا على الوصال الذي عقدوه منذ القرن السابع أو قبله أيضاً .

(٦ً) ولو كان غريغوريوس الثالث عشر يزعم زعم خصومنا لما كان يحرّض الموارنة على حفظ أوامر انوكنتيوس الثالث ومن بعده بل لذكرهم أوامر الباباوات الاقدمين . ولا كان في كلامه عن ثباتهم في الايمان يذكر اجيالاً كثيرة بل لكان يذكر كل الاجيال السالفة . ولما بنى قوله على ما بلغه من الاخبار بل على اليقين والتأكيد . ولما قال عنهم انهم راجعون حديثاً الى الكنيسة الرومانية . ولكي يتأكد لدينا ان البابا غريغوريوس الثالث عشر لم يكن رأيه كرأي خصمنا فلنعتبر ما كتبه سنة ١٥٨٤ في براءته التي بدءها « الكنيسة الرومانية » عن طائفة الارمن . وهو قوله « ان طائفة الارمن التي هي وافرة جداً في العدد ولا نهاية لها تقريباً وشهيرة في « القدم والاسم تستحق المدح الجزيل لحبها للديانة وثباتها فيها فوق جميع الامم « الشرقية . فانها في مبادئ انشاء الكنيسة تعلمت الايمان من برثلماوس وثدي . . . « وحفظته باحترام وورع وفي كل وقت خضعت للحبر الروماني تابعة تعليمه وتهذيبه « (أي رسومه الطقسية) » . أقول ان اتخذت هذه الكلمات بمعناها الحرفي نتج منها ان الطائفة الارمنية لا المارونية هي التي ثبتت على الدوام في الايمان القويم وفي طاعة الكنيسة الرومانية والتمسك بايمانها وطقوسها دون سائر الطوائف الشرقية . فليوافق خصومنا ان أمكنهم بين هذه الكلمات ومدعاهم من ان الاحبار الرومانيين

قالوا ان الطائفة المارونية . دون سائر الطوائف الشرقية ثبتت في كل جيل في طاعة الكنيسة الرومانية .

(٧) ولو كان رأي اقليميس السابع كرأي خصومنا الموارنة لما ذكرهم انهم أخذوا الايمان سالماً عن الكنيسة الرومانية بل لكان يقول انهم أخذوه عن الرسل . فكان رأيه ان الموارنة خرجوا من ضلال الشقاق أو الهراطقة على يد الكنيسة الرومانية في الاجيال المتأخرة ولما قال أيضاً انهم يطيعون الكنيسة الرومانية منذ اجيال كثيرة . بل لكان يقول انهم طاعوها منذ الازل أو من أوّل وجودهم أو ما أشبه ذلك .

فهذه الاعتبارات وغيرها تؤكد لنا انه ولو وجد بعض من الباباوات مدحوا الموارنة مدحاً وافياً على ثباتهم الدائم في الايمان وجد مع ذلك باباوات كثيرون لم يكن من رأيهم ان الموارنة لم يزيغوا قط عن الحق . وهذا كان لتفسير معنى أقوال الباباوات الذين مدحوا الموارنة بالمعنى الذي نحن ندّعي به .

وناهيك انه من جملة ما مدح به الباوات الموارنة قول البابا اقليميس الثاني عشر (كما أورد صاحب كتاب روح الردود في وجه ١٥) « ان الطائفة الموارنة . قد حافظت على تعاليم الايمان الكاثليكي المقدسة التي قبلتها مرة من بطرس المغبوط زعيم الرسل وما انفكت البتة من المحافظة عليها سالمة كاملة دون انثلام » . فنقول انه اذا اتخذت هذه الكلمات بالمعنى الذي يقصده خصومنا كانت مخالفة للحقيقة الجلية التي لا ريب فيها . فانهم يتخذونها بمعنى ان الموارنة تعلموا الايمان من بطرس الرسول ولم يزالوا محافظين عليه سالماً كاملاً دون انثلام . والحال ان ذلك مخالف للواقع . فانه ان عني بهؤلاء المتعلمين من بطرس الرسول سكان جبل لبنان فان سكان جبل لبنان لم يذكر احد من المؤرخين ان بطرس الرسول انذرهم ولا يعلم احد هل انذرهم رسول او غيره . لا بل ان السمعاني نفسه في وجه ٣٤٦ من المجلد ١ من المكتبة الشرقية يبين

من قصة سيرة مار سمعان العمودي ومن اخبار استشهاد مار قورلس ورفقائه . ومن رسائل يوحنا فم الذهب ان سكان جبل لبنان كانوا وثنيين في القرن الخامس . ولا يذكر في التواريخ شيء عن كنائس جبل لبنان او اساقفتها قبل القرن السابع . وان عنى بهم اهل الكنيسة الانطاكية كما يفهم من ظاهر العبارة فهو حق ان بطرس الرسول علمهم . ولكن ليس هو حقاً انهم ثبتوا على هذا التعليم على الدوام. فان الكنيسة الانطاكية حادت عن تعليم بطرس الرسول على يد بولس الشميشاطي في القرن الثالث. وعلى يد بطرس القصار في القرن الخامس وعلى يد سويرس في القرن السادس . وعلى يد مقدونيوس وجيورجيوس ومكاريوس في القرن السابع . فلا يجوز القول ان الكنيسة الانطاكية حافظت في هذه القرون على ايمان بطرس الرسول دون انثلام . فتلك المحافظة على ايمان بطرس التي ذكرها اقليميس الثاني عشر لا يمكن البتة ان تتخذ على الاطلاق . بل يجب ان يكون معناها ان الموارنة في القرون المتأخرة قد ثبتوا بدون انثلام على الايمان الحق الذي كان اباؤهم قد تعلموه من بطرس الرسول . وكيف يتفق مثلاً الاَّ بهذا المعنى هذا القول مع قول اقليميس السابع بان الموارنة تعلموا الايمان من الكنيسة الرومانية وهو من المعلوم ان الكنيسة الرومانية ما بدأت ان تعلمهم الاَّ في اواخر القرن الثاني عشر .



الفصل الثاني

في الرد على برهان الخصم المتخذ من عدم وجود اسم مارون أو الموارنة كهراطقة في القديم

واذا أجملنا الكلام في شهادات الباباوات عن الموارنة نقول انه لما كان الاحبار الاعظمون لم يعرفوا الآ الموارنة الكاثليكيين . ولم يمكن ان يمدحوا الآ اياهم . ولما كانت التواريخ وبرآات الاحبار الاعظمين نفسها تشهد انه قبل الموارنة الكاثليكيين كان موارنة غير كاثليكين نتج من الضرورة ان أقوال الباباوات التي بها مدحوهم لاتوجب ان الموارنة كانوا منذ الازل كاثليكيين .

قد اسهب صاحب روح الردود في وجه ٣٩ وما بعد في بسط هذا البرهان ظناً منه انه بذلك يفحم نا كري ارثدكسية الموارنة القدماء . ولكن هيهات . وجل ماقاله الخصم انه لم يذكر اسم مارون كهرطوقي أو موارنة كهراطقة في مجمع من المجامع التي عقدت في القرن السابع والثامن ولا في أخبار الباباوات الذين جلسوا في أيام مارون ولافي موءلفات العلماء والملافنة الذين ظهروا في ذلك العصر . فاذاً لم يكن مارون هرطوقياً ولا الموارنة هراطقة .

ونحن نعكس البرهان ونقول : ان المجامع والباباوات والموءرخين الذين ذكروا سقوط الكنيسة الانطاكية في البدعة المنوثليتية في القرن السابع لم يستثنوا من ذلك سكان جبل لبنان . فاذاً لم يكن سكان جبل لبنان سالمين من هذه البدعة . ثم نقول من جهة مارون أي يوحنا مارون ان الاثار القديمة لاتذكره لا بمنزلة هرطوقي ولا بمنزلة ارثدكسي . فمثلما عدم ذكره بين الكاثليكيين لاينتج في نفسه منه انه كان هرطوقياً كذلك عدم ذكره بين الهراطقة لاينتج منه انه كان كاثليكياً . والصحيح

ان يوحنا مارون لاذكر له الاَّ عند أصحابه مثلما ان كثيراً من ايمة اليعاقبة والنساطرة والارمن لاذكر لهم الاَّ عند أصحابهم . الاَّ ان كتب الموارنة الصحيحة لايتبين منها في أي جيل عاش يوحنا مارون سوى ان مؤلفاته تفضح كونه منوثليتياً محضاً رافضاً المجمع السادس المسكوني .

وتذكر الخصم ان السريان النساطرة أيضاً كانوا يحتجون بهذه الحجة أي بأنه لم يعقد مجمع لحرمهم أو حرم برصوم النصيبيني ناشر هرطقتهم . فاسمع كيف فندهم السمعاني في وجه ٣٠٢ من المجلد الثالث من المكتبة الشرقية « ان الكلدان تباع « النساطرة قد حرموا في المجامع المسكونية .... ولم يكن حاجة ان يعود يبقى ذكرهم « في الكنيسة اللاتينية واليونانية اذ كانوا قد انشقوا من الكاثليكيين تماماً وانقطعوا « في احدى زوايا بلاد المشرق . بل لما كانت قد حرمت الهرطقة التي كانوا يقولون « بها نتج انهم أيضاً حرموا . » فنحن نطبق هـذه الكلمات على أجداد الموارنة ونقول تبعاً للسمعاني « ان الموارنة تباع المنوثليتيين حرموا في المجامع المسكونية . ولم « يكن حاجة ان يعود يبقى ذكرهم في الكنيسة اللاتينية واليونانية اذ كانوا قد انشقوا من الكاثليكيين تماماً وانقطعوا في مغاور لبنان . بل لما كانت هرطقتهم قد حرمت نتج انهم هم أيضاً حرموا .

وقد خالف الحق الخصم حيث قال ان الموارنة لا ذكر لهم بمنزلة هراطقة في الآثار القديمة فقد رأيت ذكرهم لدى القديس يوحنا الدمشقي وطيمثاوس البطريرك النسطوري وديونيسيوس التلمحري ويحيى التكريتي . وكتبهم نفسها تشهد انهم افترقوا في أواخر القرن السابع من الكنيسة الكاثليكية لسبب اعتقادهم بالمشيئة الواحدة في المسيح .

وقبل ان نختم هذا الفصل لنا ان نراجع ما رواه ابو الفرج ابن العبري في كتاب

تاريخ الدول العربي عن ثيوفيل الرهاوي الماروني الذي اشتهر بعلمه وحكمته في القرن الثامن (١) :

قال ابن العبري : كان في ايام المهدي (خليفة العرب في القرن الثامن) ثيوفيل بن توما النصراني المنجم رئيس منجمي المهدي . وكان على مذهب الموارنة الذين في جبل لبنان من مذاهب النصارى . وله كتاب تاريخ حسن ونقل كتابي اوميروس الشاعر من اليونانية الى السريانية بغاية ما يكون من الفصاحة » وقد ذكر ابن العبري هذا ثيوفيل في تواريخه السريانية ايضاً . ولا شك ان ابن العبري لم يخترع قصة ثيوفيل هذا الماروني . بل اخذها عن اثار مدينة الرها . وعن تواريخ ديونيسيوس التلمحري المؤرخ المعاصر او عن كتاب ثيوفيل نفسه . فان القدماء قد وصفوا ثيوفيل هذا مؤرخاً ماهراً ايضاً . ولذلك فالسمعاني لم يشك في هذه الرواية بل صدّقها وقبلها كاوضح الحقائق . فاذا كان ذلك كذلك ينتج بكل تأكيد ان المارونية كانت في القرن الثامن كما قال ابن العبري مذهباً من مذاهب النصرانية مميزاً من النسطورية القائلة بالاقنومين ومن اليعقوبية القائلة بالطبيعة الواحدة ومن الملكية القائلة على قرار الخصم في ذلك العصر بالمشيئتين . فاذاً الموارنة في القرن الثامن لم يكونوا يعتقدون بالمشيئتين في المسيح . بل كانوا يقولون بالمشيئة الواحدة . فها شهادة لا يردّها الموارنة يتبين منها ان الملة المارونية كانت هرطوقية في القرن الثامن .

---

(١) *** توفي تاوفيل الرهاوي في بعض اشهر سنة ٨٧٥ . (راجع مقالة المشرق عنه في السنة الثانية صفحة ٤٥١ وما بعد)

الفصل الثالث

في حل البرهان المبني على تسمية الموارنة

حال كثلكتهم

ان زبدة برهان خصمنا في هـذا الصدد قوله ان الموارنة لو كانوا في الاصل هراطقة او مشاقين لكانت الكنيسة ابدلت اسمهم باسم اخر بعد رجوعهم كما سمت النساطرة كلداناً واليعاقبة سريانا .

ونحن نقول ان هذا البرهان لا ينفع الخصم شيئاً وذلك (١) ان كثيراً من الاقوام الراجعين الى حظيرة الكنيسة الكاثليكيـة بقوا على اسمهم الاول ولم تغير الكنيسة اسمهم . كذا يسمون الكاثليكيون الاقباط اقباطاً والارمن ارمناً ونصارى مار توما نصارى مار توما . مع ان هذه الاسماء كانت يوماً اسماء اقوام غير كاثليكيين والى الان ايضاً كذلك . (٢) انما غيرت الكنيسة اسم النساطرة .لان النسبة فيه الى نسطور الهرطوقي ظاهرة . وهذا ممـا تكرهه اذان المومنين . وكذلك الامر في اسم اليعاقبة . واما الموارنة فامرهم كالارمن والاقباط والباقين . فان اسمهم لا ينبه الفكر الى ذكر شيء تنفر منه اذان المومنين . بل ان اسمهم مشتق من رهبان مار مارون الذين كانوا يوماً ارثذكسيين . فلم تمس الحاجة الى تغييره عندما صار هذا القـوم كاثليكياً. ولاسيما انه في ذلك الزمان كان اسم الموارنة محسوباً مشتقاً من اسم مارون الناسك القديس . وعند ذلك فلم يكن موجب لاسقاطه . (٣) أو ليس صاحب الدرّ المنظوم نفسه ذكر في وجه ١٠٠ ان الاقباط الذين تصالحوا مع الكنيسة الرومانية في ابان المجمع الفلورنتيني سنة ١٤٣٩ سموا يعاقبة بعد صلحهم كما يتضح من البرآءة التي

ابرزها في هذا الشأن اوجانيوس الرابع التي بدءها Cantate Domino « سبحوا الرب» حيث قال الحبر الاعظم بعد ما شرح ابواب المعتقد الكاثليكي : « ولما شرحت « هذه الامور كلها حضر اندراوس الانباء وباسم البطريرك المذكور (يوحنا بطريرك « اليعاقبة اي الاقباط) وباسمه وباسم سائر اليعاقبة اقبل بكل خضوع وكل « احترام هذا المرسوم الخ » . وفي النهاية اورد تقرير وكيل البطريرك وفيه قال : « انا اندراوس الحقير راهب القديس انطونيوس سفير الاب المحترم السيد يوحنا « بطريرك اليعاقبة الخ » . وبهذا اسم اليعاقبة سمي الاقباط في التاريخ الذي نقش على صحائف نحاسية فوق باب كنيسة مار بطرس القديمة حيث عدّوا مع اليونان والارمن والحبش من الذين تمسكوا بايمان الكنيسة الرومانية . (طالع كتاب روح الردود وجه ١٧٠) . فلو كان اولئك الاقباط قد ثبتوا الى اليوم على توبتهم هذه ولم يتقلبوا تقلبات شتى كسائر الطوائف الشرقية لوُجد في زماننا هذا طائفة كاثليكية تسمى يعقوبية . وهل يستنتج خصمنا من ذلك ان اسم اليعاقبة في ذاته ليس هو دالاً على قوم غير كاثليكيين .

اما ان اسم الموارنة كان قبل رجوعهم دالاً على قوم غير كاثليكي فواضح من استعماله في رسائل البابا انوكنتيوس الثالث واوجانيوس الرابع وبندكتس الرابع عشر وغيرهم حيث ذكروا رجوع الموارنة الى حظيرة الكنيسة . فانهم قالوا على الاطلاق ان الموارنة تابوا وانضموا الى ابناء الكنيسة الرومانية دون تقييدهم بصفة اخرى . مثلما يقال عن الارمن والكلدان واليونان وسائر الطوائف . ولنا شهادة واضحة على ذلك من اوجانيوس الرابع نفسه حيث قال في براءته التي بدءها « تبارك الله » وفيها انبأ بقبول النساطرة والموارنة في حضن الكنيسة : « لا يجسرنَّ احدٌ ان يسمي من الان فصاعداً مطران الكلدان واسقف الموارنة واقليروسهما وشعبهما هراطقة » . فنتج من ذلك القول بان الموارنة واقليروسه وشعبه كانوا هراطقة قبل

ذلك مثلما كان مطران النساطرة واقليروسه وشعبه هراطقة . كذلك من قول انوكنتيوس الثالث للموارنة : كنتم كالخراف التي لا راعٍ لها والان قد رجعتم الى راعيكم . واوجانيوس الرابع : ان اسقف الموارنة في قبرص رفض بدعة مقاريوس . نفهم ان اسم الموارنة كان يوماً اسم قومٍ غير كاثليكي . فلو كان قد بقي الى الان من الموارنة القدماء بقية لم تنضم الى حضن الكنيسة الكاثليكية لسميت موارنتنا الموارنة الكاثليكين لتميزهم من تلك البقية . مثلما يميز الان الارمن الكاثليك والاقباط الكاثليك من الارمن والاقباط الغير الكاثليكين .



الفصل الرابع

في فحص مجمع سركيس بطريرك الموارنة

المعقود سنة ١٥٩٦

ان الغرائب التي شاهدناها في هـذا المجمع الماروني الملحق بالمجمع اللبناني المشهور قد ادهشتنا جدًا . ولذا رأينا ان نعين له فصلاً فيه نبحث عنه بالخصوص . فنقول :

انه في سنة ١٥٩٦ ارسل الحبر الاعظم اقليميس الثامن قاصدًا الى طائفة الموارنة هيرونمس دنديني ليفحص أمور دينهم ويحقق استقامة ايمانهم . وكان اسم بطريركهم سركيس بطرس . فأمر دنديني المذكور باجتماع مجمع منهم . وعرض على آباء المجمع ثلاثة عشر بابا من الضلالات كانت طائفتهم تتهم بها . فرفض الاباء هذه الضلالات كلها . وأقرّوا بعقائد الايمان الكاثوليكي . وختموا كلامهم بقولهم ان كتبهم الاصلية

الخاصة بهم تشهد بجميع تحديدات الايمان . وشهد أيضاً دنديني القاصد انه لم يشاهد خلاف ذلك في كتبهم .

فنحن نتعجب هاهنا من ان هؤلاء الاباء كانوا قليلي الخبرة بكتب طائفتهم حتى قالوا عنها انه لم يكن فيها شيء من الاضاليل المنسوبة اليهم مع ان التحاديد التي جمعوها كانوا قد استخرجوها من كتب الموارنة نفسهم . فان أبواب تلك الضلالات كانت هذه . وهي (١) ان في المسيح طبيعة واحدة ومشيئة واحدة وفعلاً واحداً . (٢) ان روح القدس ينبثق من الاب فقط . (٣) زيادة التريساجيون بالتوجيه الى الثالوث . (٤) انكار المطهر . (٥) انكار الخطية الاصلية . (٦) انتظار أنفس الابرار يوم القيامة لدخول السماوات . (٧) جواز اخفاء الايمان في القلب وجحوده بالفم (١) . (٨) عدم الفرق بين سر التثبيت وسرّ العماد . (٩) خلط أجزاء أجنبية مع الزيت والبلسم في تركيب الميرون . (١٠) استعمال الخمير في القداس . (١١) مشح المدنفين بدهن يباركه القسيس لا الاسقف . (١٢) كون صور الاسرار غير كاملة . (١٣) جواز حلّ عقد الزواج لسبب الزناء وغير ذلك .

ونتعجب من ان آباء هذا المجمع عدوا مع الضلالات أشياء طقسية لا تمس جوهر الدين كالباب التاسع والعاشر . فان كان هؤلاء الاباء قد عنوا كتبهم التي في زمانهم كانوا قد غيروها وصححوها عما كانت سابقاً فنحن نسلم لهم ان هذه الكتب لم تكن تحوي شيئاً من هذه الضلالات . ولكن ان كانوا قد عنوا الكتب القديمة الاصلية كما سموها فقد توهموا أي توهم . فان الباب الاول من جهة المشيئة والفعل موجود في كل كتب الموارنة القدماء كما رأيت . ومن جهة الطبيعة أيضاً

---

(١) هذا القول ولو بان غريباً له أثر في كتب الموارنة القديمة حيث (كما رأينا) يفتخرون بأنهم لا يهرطقون احدا من الناس ولا يتحاشون الاشتراك في الروحانيات مع اية ملة من ملل النصارى .

يوجد في نفس كتاب يوحنا مارون . وكذلك الباب الثالث في الفرض ان التريساجيون قد وضع في الاصل لتقديس الثالوث . وكذلك الباب التاسع والعاشر والحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر موجودة في كتبهم بلا شك كما تقدم . واما الباب الثاني والخامس والرابع والسادس والثامن . فلم يشك بها الموارنة فقط . بل شكيت بها سائر الطوائف الشرقية كالنساطرة واليعاقبة والارمن . ولما كانت كتب الموارنة في هذه القضايا لاتختلف عن كتب سائر الطوائف الشرقية لم يكن حق للموارنة ان يتميزوا فيها من سائر الطوائف . وقد رأينا ان بطريركهم في مبادئ القرن السادس عشر أرسل يتشكر البابالاون العاشر لانه بعث اليهم رهباناً يرشدونهم في أمر المطهر والخطيئة الاصلية وانبثاق روح القدس . فهذه أبواب الايمان التي رآءها سركيس البطريرك في كتب طائفته في زمان اقليميس البابا ورآءها فيها هيرونمس دنديني قاصد الحبر الاعظم لم يرها البطريرك سمعان بطرس الذي عاش قبله بثمانين سنة في زمان البابا لاون العاشر . ولا رآءها يوحنا ألياني القاصد الرسولي الذي أرسله غريغوريوس الثالثعشر قبل دنديني بنحو عشرين سنة ليفحص ايمان الموارنة ويتحقق طاعتهم للكرسي الروماني . بل وجد في كتبهم وفي افواه مقدميهم ضلالات شتى .

ثم ان اباء هذا المجمع بعدما قرّروا قوانين الايمان اتوا الى رسم قوانين تهذيبية لاصلاح بعض عوائد غير ممدوحة كانت على قولهم قد جرت في بعض الاماكن اما من جهل القسوس واما من مجاورة غير المؤمنين والهراطقة والمنشقين . ونحن نستغرب هذه دعوى المجمع حيث اننا نرى كثيراً من العوائد التي استهجنوها لم تدخل من جهل القسوس ولا من مجاورة الامم الاجنبية بل ان كتبهم تأمر بانتظار يوم الاربعين . والقانون الثاني الآمر الاساقفة ان يعطوا سرّ التثبيت مرّةً في السنة مع ان كتبهم تبيح ذلك للكهنة كلما عمذوا . والسادس المخصص خطايا محفوظة للاساقفة

مع ان ذلك لا اثر له في كتبهم القديمة . والسابع الناهي عن اعطاء القربان للاطفال المعمذين مع ان ذلك موافق لطقس جميع الشرقيين .

فان كانت ارثذكسية الموارنة التي يدّعي بها خصمنا هي قديمة بهذا المعنى الذي قصده اباء هذا المجمع فقد خصمت اذًا مسألة مذهب الموارنة من زمان .



الخاتمة

وفيها ثلاثة فصول

الفصل الاول

في ان الموارنة لا حق لهم ان يتهموا

خصومهم بالحسد

ان من جملة الاسلحة التي بها يدافع علماء الموارنة عن زعمهم بثبات اجدادهم في الايمان القويم مدّعاهم على من يزعم غير زعمهم بانهم انما دعاهم الى هذا الرأي حسدهم للطائفة المارونية . قال صاحب كتاب الدرّ المنظوم في وجه ١٣٢ مع الشاعر :

اني لارحم حاسديّ لحرّ ما ضمت صدورهم من الاوغارِ
نظروا صنيع الله بي فعيونهم في جنةٍ وقلوبهم في نارِ

وقال صاحب كتاب روح الردود في وجه ٣ :

يغيظهم فضلي عليهم ونقصهم كاني قاسمت الحظوظ فاخطأت

فهذه الاقوال وامثالها ولو كانت اذن السامع المسيحي لا بل اذن كل انسان ذي عقل سليم تستنكف منها يقتضي ان نردّها قبل ان نختم بحثنا مع الموارنة لنرى هل صدق هذان العلامتان المارونيان الفاضلان في قولهما بان خصوم ارثدكسية اجدادهما يحسدون طائفتهم .

فنقول ان الموارنة خلاف الحق ينسبون الحسد الى خصومهم . وليت شعري اي شيءٍ رأى القديس يوحنا الدمشقي في الموارنة حتى يحسدهم اذ قال بانه يقبل الموت ولا يقبل المشاركة مع الموارنة.واي حسد حرَّك طيمثاوس بطريرك النساطرة ان يجعلهم منوثليتيين وهو كان منوثليتياً وقد مدحهم ولاطفهم ورغب في اتفاقهم مع كنيسته واي شيءٍ حمل ديونيسيوس التلمحري على ان يحسدهم حيث عدّهم يعاقبة قبل اتباعهم مذهب هرقل و بين ما اصابهم من الاذى من بطاركة انطاكية لسبب تمسكهم بالبدعة المنوثليتية . واما سعيد بن بطريق الاسكندري الذي قال عنه صاحب روح الردود في وجه ٤٢ « انه كان بغيضاً علانيةً للموارنة المساكين المنفردين في الجبال حيث لا يؤذون احداً ولا احدٌ يؤذيهم » وهو كان في مدينة الاسكندرية بطريركاً لا يودّهم ولا يخافهم . وهو لم ينسب اليهم شيئاً من الخرافات الكثيرة المذكورة في كتبهم . ولم يشكهم الاَّ بشيءٍ واحد وهو المنوثليتية المشحونة بها كتبهم والتي من سببها قاسوا الاذيات منذ اول امرهم ومن سببها وقع جدال شهير بعد زمان سعيد بنحو مائة سنة بين بطريرك الملكية وبين اسقف الموارنة . فترى ما هي المحاسن التي وجدها سعيد في الموارنة حتى اجتهد ان يسلبها منهم ويزين بها طائفته الملكية. أعدم معرفة تواريخهم واسماء بطاركتهم واساقفتهم مدة اكثر من اربعمائة سنة . ام جهل اسم اول بطاركتهم . ام عدم ظهور علماء ومؤرخين وقديسين فيهم الاَّ اثنين او ثلاثة من المؤلفين . ام انتحالهم كتب اليعاقبة وتكريمهم قديسيهم واقامتهم اديرة على اسم هراطقة مشهورين . واي فضل رأى ديونوسيوس ابن الصليبي في الموارنة حتى

اخذ يحسدهم وينسب اليهم المنوثليتية التي كانت من ابواب اعتقاده .

واي محمدة رأى غليلم مطران صور في الموارنة ليحسدهم عليها وهو قد مدحهم في تواريخه على بأسهم وشهرتهم في حمل السلاح وكان يرجو مساعدتهم لاصحابه على اعدآئهم واقرَّ بانهم نفعوهم . واي فضل رأى البابا انوكنتيوس الثالث في ملة الموارنة وما الذي حمل خلفاءَه على ان يؤيدوا برآئهم الرسلية بما قاله في الموارنة . وما بعث مفريان اليعاقبة ابي الفرج ابن العبري على ان يبغضهم وهو قد برأهم من المنوفيسيتية ونسب اليهم امرًا واحدًا من ابواب عقيدته نفسها تشهد به جميع كتبهم . وهو قد روى قصة ثيوفيل الماروني واثنى عليه . فهذا اوجانيوس الرابع البابا قد قبل مطرانهم مع جماعته في شركة الكنيسة الرومانية . وامر ان لا يعود احد من ذلك الحين يسميهم هراطقة وهذا البابا غريغوريوس الثالث عشر في رسالته قد صرّح جليًا برجوع الموارنة الى الكنيسة الرومانية وخضوعهم لها فاي حسد كان يمكن ان يحرّكهما على ذلك . وكذا قل عن علماء اوربا لاسيما الفرنساوين والايطاليين فانه لا شئ حملهم على الكلام في مسألة الموارنة الاَّ الحق الصريح .

اما الشرقيين الذين ذهبوا خلاف مذهب الموارنة فلست ارى البتة لاي سبب يستحقون ان يهجوا ذلك الهجو الذي به هجاهم صاحب كتاب الدرّ المنظوم كما اوردنا سابقًا فان الملكيين ليس لهم ان يحسدوا الموارنة وهم قد حفظوا وحدهم وديعة الايمان المستقيم في الشرق منذ اواخر القرن السابع الى الان ونوّروا الكنيسة في الحقبة المارونية بانوار العلوم والحكمة والقداسة وان كان اجدادهم قد انشقوا في القرن الحادي عشر او بعده من شركة الكنيسة الكاثليكية فهم لا ينكرون ذلك . بل يقرّون به شاكرين الله على انه هداهم من جديد الى الصراط المستقيم وشاكرين همة الكرسي الرسولي الذي مهد لهم الطريق .

واما السريان والكلدان فيقرّون بانهم اولاد اولئك النساطرة واليعاقبة الذين

وان كانوا منشقين من جسم الكنيسة الكاثليكية فقد طالما ازهروا في كل فن من العلوم ونو روا المشرق بمصنفاتهم العجيبة التي خلفت لنا كنوز العلوم القديمة ويذكرون الموارنة انهم قد اولوا اجدادهم قبلما اقلعوا عن المنوثليتية فضلاً جزيلاً بما امدّوهم به من الكتب الكثيرة التي سدّوا بها عوزهم . واذ رأوا الموارنة اليوم عائدين كلهم الى مركز الحق من دون ان يبقى فيهم شارد ومحفوفين بسناء الكرسي الرسولي فهم يغبطونهم ويهنئونهم على ذلك من صميم قلوبهم . ويلتمسون من فضله تعالى ان يمنّ على طوائفهم كما منّ على اخوتهم الموارنة بان يكونوا اقرب ما يكون باجمعهم داخلين قاطبةً حظيرة المسيح الحقيقية من غير ان يبقى منهم شارد تائه في بيداء الشقاق والطغيان .

فلا حق لعلماء الموارنة ان يتشكوا ممن لا يذهب مذهبهم في مسألة دين اجدادهم ولا ان ينسبوا ذلك منهم الى البغضة والحسد .



الفصل الثاني

في ان الموارنة لا حق لهم ان يفتخروا باجدادهم

ولو صح زعمهم

ان تفاخر علماء الموارنة باجدادهم امرٌ معهود شائع . قال صاحب كتاب الدرّ المنظوم في وجه ١٢٢ « يحق لهذه الطائفة مهما قال الحساد عنها ان تفتخر بايمانها « القويم وتمسكها المستديم بالكرسي الرسولي الروماني » . وقال صاحب روح الردود

« في وجه ١٧٨ « لا يخالنَّ الخصم الطائفة المارونية تساوي فخراً بفخر ثباتها ممرّ الدهور على الايمان الكاثليكي وتعلقها الغير المنفصم بالكنيسة الرومانية المقدّسة » .
ونحن نقول ان الموارنة ما لهم حق ان يفتخروا بدين اجدادهم ولو كان من باب المحال زعمهم فيهم صحيحاً بدوام ارثذكسيتهم . وهاك اسباب ذلك :

١ً ـ لاينكر الموارنة ان كاثليكية أجدادهم التي يتوهمونها كانت لجسم بلا روح . فاننا نراهم في مدَّة أكثر من خمسمائة سنة لم يثمروا أدنى ثمر مما اعتادت الكنائس الكاثليكية ان تزهر به في كل عصر . اذ لم يظهر فيها ملافنة ولا شهداء ولا معترفون ولم يقم فيها علماء ولا مؤرخون الاَّ اثنان أو ثلاثة من الذين وصلت الينا أسماؤهم . ولا اشتهر لديها بطاركة أو اساقفة أو قسوس أو رهبان . ولا تعرف بالتحقيق أسماء أكثر اساقفتها و بطاركتها في تلك الحقبة كلها . افكاثليكية كهذه جديرة بأن يفاخر بها .

٢ً ـ لاينكر الموارنة ان أجدادهم كانوا مختلطين مع اليعاقبة حتى دس اليعاقبة على قولهم بين أجدادهم كتبهم واضاليلهم وأسماء قديسيهم . أفتستحق كاثليكية كهذه المدح والثناء .

٣ً ـ لاينكر الموارنة ان أباءهم كانوا كل يوم في القداس يذكرون اسم برصوم الذي حرم في المجمع الخلقيدوني وأقاموا له ديراً في قرية بشرى . أفكاثليكية كهذه تستوجب الفخر .

٤ً ـ لاينكر الموارنة ان كتب أجـدادهم كانت مشحونة بأسماء أئمة اليعاقبة حتى ان التي طبعت في رومية نفسها لم تخل من شيء من ذلك . أفهذا مما يولي فخراً .

٥ً ـ لاينكر الموارنة انه لما ظهر بين الناس وانتشر في كل ناحية كتاب سعيد ابن بطريق الذي فيه جعل الموارنة منوثليتيين لم ينهض أجدادهم عليـه ولم يكذبوه ولا اظهروا أدنى علامة استغراب منه . بل رضوا بما قال سلباً وايجاباً . مع ان المنشقين

من أقباط ونساطرة قاموا عليه وفندوا ما رواه عن أخبار كل ملة منهم توهما مثلما توهم في أمر مارون . فهل يستحق كاثليك كهؤلاء ان يفتخر بهم .

٦ً ـ لايقدر الموارنة ان ينكروا انه لما تجادل في القرن الحادي عشر يوحنا بطريرك الملكيين وتوما الكفرطابي اسقفهم في شأن اعتقادهم بالمشيئة الواحدة لم ينكر عليهما ذلك أحد مطارنة ذلك الزمان . بل طلبوا من توما ان يحرّر لهم كتاب جداله ويودعه عندهم . فهل يستوجب كاثليك كهؤلاء ان يفتخر بهم أولادهم .

٧ً ـ يدّعي قدماء الموارنة (منهم جبرائل القلاعي ومرهج نيرون) ان توما الكفرطابي تمكن من ان يقنع طائفةمن الموارنةبأن دينهم انما هو متوقف على الايمان بالمشيئة الواحدة في المسيح . وان هذا هو الذي يميزهم من سائر النصارى . وان بعض بطاركتهم تمسكوا بهذا المذهب . أفهؤلاء هم الكاثليك الذين يفتخر بهم موارنتنا .

٨ً ـ يدّعي الموارنة ان توما الكفرطابي توصل الى ان يفسد اخص كتب أجدادهم ككتاب شرعهم وكتاب شرح عقيدتهم . وان هذه النسخ المفسدة تداولها أجدادهم الى الازمان المتأخرة . أفدين مثل هذا يستحق الافتخار به .

٩ً ـ لاينكر الموارنةان أجدادهم دعوا الى تغيير طقسهمبارادة الكرسي الرسولي أول ماتصالحوا معه حذرًا من ان يزيغوا من جديد . وهم رضوا بذلك مسرورين مع انه كان واجبًا عليهم ان يعترضوا قائلين للكرسي الرسولي لماذا هذه خمسمائة سنة وأ كثر تركتنا على طقسنا . والان تدعونا الى تغييره وهملم يفعلوا ذلك. أ كاثليكية مثل هذه جديرة بالاعتبار .

١٠ً ـ وهكذا لما قبل البابا أوجانيوس الرابع أجدادهم في شركة الكنيسة وأمر أن لايعود أحد يسميهم هراطقة من ذلك اليوم لم يعترضوا عليه قائلين : اذا كنا قبلاً هراطقة فهل في ذلك فخر .

١١ً - وليس أحد من الموارنة من ينكر ان القدماء منهم كانوا يزيدون على التريساجيون الزيادة التي استقبحتها الكنيسة الكاثليكية على الدوام وحرمتها مع من يستعملها بوجوه شتى وماثلوا في ذلك الاقوام الهراطقة . أفهذه هي الكاثليكية التي يفتخر بها .

اننا لواردنا استقصاء جميع الشوائب الظاهرة في ارثذكسية الموارنة القدماء التي يدّعي بها أولادهم المتأخرون لطال بنا المجال . وآل الامر بنا الى اضجار القاري . فحسبه هذا ما شرحناه الى الان ليتأكد عنده ان لاحق للموارنة في ان ينهضوا على خصومهم بالطعن والقدح وكل ما يستنكف منه .



الفصل الثالث

في اجمال ما مضى الى الآن من البحث

عن هذه المسألة المارونية

ولننته الان من هذه المعركة الطويلة التي نزلنا اليها مع خصومنا ونتأمل قليلاً في ما اجتهدنا به لاقامة البرهان على ابطال دعاويهم . فاذا التفتنا الى ما وراء نقول اننا قد اتينا الى الان ببينات شتى متنوّعة لاثبات قضيتنا . ولا نشك ان كلاً من هذه البينات وهذه البراهين اذا أعتبر وحده كان كافياً لاثبات رأينا وتوطيده بكل يقين . فكيف اذا اجتمعت بيناتنا كلها واعتبرت براهيننا بجملتها يعضد بعضها بعضاً . اننا لا نشك في ان كل قارئ سليم العقل وخالي الغرض يسلم انه بعد كل ما اتينا به في كتابنا هذا من الحجج الراهنة لم يبقَ عنده ادنى ريب في صحة قولنا .

ولا عجب من ان بعض العلماء الاوروبيين لقلة خبرتهم بالامور الشرقية ولعدم اطلاعهم على حقيقة احوال الطائفة المارونية القديمة قد انخدعوا من حجج الموارنة المتأخرين وصدّقوا ان زعمهم فيها مصيب. ولكن ما يولي اشد العجب هو ان موارنة زماننا مع كمال معرفتهم بحال اجدادهم واطلاعهم على حقيقة ما كانوا عليه ادّعوا بانهم كانوا ارثدكسيين كاثليكيين بل انهم كانوا وحدهم متمسكين بطاعة الكنيسة الرومانية دون سائر الطوائف الشرقية.

وكيف يجوز يا ايها الموارنة الكرام ان يسمى كاثليكياً قومٌ كل من كتب عنهم من المعاصرين جعلهم منوثليتيين او اين كانت كاثليكية اجدادكم مدة خمس مائة سنة واكثر حتى انه ما قدر احد ان يراها وينتبه اليها من جميع الذين عرفوهم وتعاطوا معهم وكتبوا عنهم من سريان بني جنسهم واقباط ويونان وارمن ولاتين وعرب مع اختلاف اديانهم ومذاهبهم.

انكم تعلمون حق العلم ان أجدادكم كانوا يقولون بالمشيئة الواحدة وان هذا المعتقد المخالف لتحديد الكنيسة قرّروه في كتب شرعهم وفي كتب ايمانهم وكتب دينهم بل كانوا كل يوم يعترفون به في القداس وكان المرسومون فيهم كهنة يلزمون أنفسهم بهذا المعتقد يوم رسامتهم وكانوا يرفضون الاباء القديسين الذين حرموا هذه الضلالة والمجامع المسكونية الكاثليكية التي قرّرت الايمان الارثدكسي. ومع هذا كله تقولون انهم كانوا كاثليكيين ارثدكسيين. فياللكاثليكية الجديدة ويا للارثدكسية الغريبة. افاذاً أنتم تريدون ان تصوغوا كاثليكية جديدة لم يسمع بها أحد الى الآن. فعلي اسلوبكم هنا يحق للنساطرة ان يسموا ارثدكسيين ولليعاقبة ان يدرجوا بين الكاثليكيين بناء على انه كما تزعمون أنتم ان أجدادكم كانوا يعتقدون بالمشيئة الواحدة بالمعنى الكاثليكي. كذلك النساطرة يقولون بالاقنومين بمعنى ارثدكسي ويرفضون القول بأن مريم والدة الله بمعنى كاثليكي. واليعاقبة يعتقدون بالطبيعة الواحدة بالمعنى

الذي به نحن نقول طبيعتين . اذ كانت كلتا الملتين تعتقد ان المسيح الاه كامل وانسان كامل وانه هو بعينه ابن الله وابن الانسان وان له لهُ كل ماللاله وكل ماللانسان ماخلا الخطية وان أمه التي ولدته ميلاداً بشرياً هي مريم العذراء أليس هذا هو تعليم الكنيسة الكاثليكية . فهل يجوز اذاً ان نقول ان النساطرة واليعاقبة هم ارثدكسيون كاثليكيون ؟

ألا كأني بكم تعنون الارثدكسية والكاثليكية غير المعنى الذي تعنيه عامة الكاثليكيين . وعند ذلك ينقلب البحث بيننا و بينكم الى مسألة لاهوتية محضة . ونلتزم حينئذ ان نغلق أبواب المباحث التاريخية وتفتيش الآثار القديمة ونقصد باب المدارس اللاهوتية ونسأل اولي الرتب :

١ً — هل يجوز ان يسمى كاثليكياً قوم منسوبون الى رجل ناضل الكاثليكيين وقاومهم في كتبه .

٢ً — هل تسمى كاثليكية الشيعة التي تكونت من عصيانها على رئيسها الشرعي الذي تعترف به الكنيسة الكاثليكية

٣ً — هل يحق اسم الارثدكسية او الكاثليكية لامة شهد عليها أكثر من خمسة وثلاثين شاهداً من المعاصرين المعاينين بأنها انفصلت عن جميع الطوائف النصرانية شرقاً وغرباً لسبب تمسكها بمذهب المنوثليتية ولم يحس بكاثليكيتها أحد من المعاصرين مدة أكثر من خمس مائة سنة

٤ً — هل يحق اسم الكاثليكية لطائفة حوت ضلالا نهت عنه الكنيسة وكتبها مشحونة بأقوال هرطوقية و بتكريم أئمة الهراطقة و بدحض ملافنة الكنيسة الكاثليكية .

٥ً — هل يجوز ان يسمى بطلاً من أبطال الحق ويجعل قديساً عظيما بعد مرور نحو ألف سنة رجل شهد عنه الاولون وكتبه نفسها وكتب ملته بأنه عاش بالمنوثليتية وحامى عنها ولم يكن له عيد أو ذكر ولا صلوة فرض عند طائفته نفسها .

٦ً – هل يجوز ان يوصف بالكاثليكية شعب عاش خمس مائة سنة مستقلاً بنفسه من دون علاقة مع الكنيسة الكاثليكية ولا مع روسائها في كل حال من الاحوال .

٧ً – هل يحق اسم الكاثليكية لشعب لم يتعاط معه الاحبار الاعظمون مدة خمس مائة سنة ولا مع بطارقته واساقفته في أمر من أمور الدين أو في مصلحة من مصالح الكنيسة الكاثليكية .

٨ً – هل يجوز ان توصف بالارثذكسية طائفة شهد عنها الاحبار الرومانيون روساء الكنيسة الكاثليكية بأنها كانت هرطوقية وانها كانت كالغنم الضالة لا تفهم باستقامة ان للمسيح عروساً واحدة .

﴿ انتهى والحمد لله ﴾



ملحق

لكتاب جامع الحجج الراهنة

في

ابطال دعاوى الموارنة

قد جمعنا في هذا الملحق ما امكنا جمعه من الشهادات والمقالات التي لها علاقة كبرى بمسألة مذهب الموارنة القدماء مأخوذة عن مخطوطات او مطبوعات قديمة وحديثة او عما نشره العلماء المحققون واضفنا الى بعضها شرحاً وجيزاً توخياً لمزيد الفائدة.

١ تأييد شهادات ديونيسيوس التلمحري

التي وردت في هذا الكتاب

ورد في هذا الكتاب شهادات كثيرة (في وجه ٨٥ و ٨٦ و ٩٥ وما بعد) منقولة عن البطريرك اليعقوبي ديونيسيوس التلمحري الذي عاش في القرن التاسع. وقد اخذها المؤلف عن تواريخ ابن العبري لان تآليف ديونيسيوس لم تكن معروفة حق المعرفة عند المؤرخين. وكان الاب شابو الفرنساوي قد نشر هذه التواريخ الخطيرة بكتاب طبعه بباريس سنة ١٨٩٥ بالسريانية مترجماً الى الفرنساوية وسماه: Chroniques de Denys de Tell Mahre. قال الاب المذكور عن هذا

البطريرك لدى ايراد سيرته انه يعدُّ في مقدمة المؤلفين الذين نبغوا في القرن التاسع في ملته .

ولم تمض ايام قلائل على نشر هذه التواريخ حتى ظهر للوجود ذلك الكتاب النفيس الذي لم يسبق له مثال بين المصنفات التاريخية القديمة اذ يشمل بدء الخليقة الى سنة ١١٩٣ مسيحية ألا وهو كتاب تواريخ ميخائيل الكبير البطريرك اليعقوبي . ولم يكن يعرف من هذا الكتاب الان الا ما ندر مترجماً الى اليونانية والارمنية . وفي سنة ١٨٧٠ طبع قسمٌ منه مختصر جداً باللغة الارمنية . ومنه ما ترجم الى العربية وهو خط موجود في خزانة الكتب بلندرة تحت عدد Orient 4402 . الاَّ انه لحسن التقادير ظهر في كنيسة اليعاقبة بالرها نسخة سريانية كاملة مخطوطة باليد من كتاب البطريرك المشار اليه تحتوي على احدى وعشرين مقالة مقسومة الى فصول . وقد افرز مؤلفه التواريخ الدينية عن التواريخ المدنية . وخصص قسماً ثالثاً لمواضيع مختلفة . واسند اكثر اخباره الى ثقاةٍ منهم لا زالوا مجهولين ومنهم ما هم معروفون .

ثم ترجم الاب شابو هذا الكتاب وطبعه في باريس باللغتين السريانية والفرنساوية وسماه :

Chronique de Michel le syrine, Patriarche Jacobite d' Antioche,

ونشر منه الى الان اربعة اجزآء كبيرة . ولا زالت الهمة جارية بنشر ما تبقى منه .

ويتضح من قول هذا المصنف الجليل ان ديونيسيوس التلمحري الف تواريخه بمقالتين نقلها عنه في كتابه في الجزء ١ وجه ٣٥٧ الى وجه ٥٢٧ . وفي الجزء الثالث من وجه ١ الى ١١١ وكل ذلك بالقسم الفرنساوي . (راجع تواريخ ميخائيل الكبير الجزء ٣ وجه ٥٥٤) .

وقد قابلنا الشهادات التي اوردها المطران يوسف داود نقلاً عن ابن العبري مع نص كتاب ميخائيل الكبير فالفيناها مطابقةً لها .

فهذه الشهادات المنقولة عن مؤرخين معاصرين شهد لهم بالفضل والاستقامة تحسب من اقوى البينات التي يجب الاعتماد عليها والوثوق بصحتها .

٢ تأييد شهادة غليلم الصوري

ان مؤلف كتاب جامع الحجج الراهنة قد فند كلّ ما كتبه السيد يوسف الدبس للاعتراض على شهادة غليلم الصوري . لكنه لم ينتبه رحمه الله الى اعتراضٍ جوهري ورد في كتاب روح الردود في وجه ١٢٨ وهو قوله : « . . . . ان في حياة « غليلموس الى سنة ١١٨٢ (التي يزعم في تاريخه ان الموارنة رجعوا فيها) شبهة كبيرة « وفي وجوده في صور او اورشليم تلك السنة شبهة اكبر من الاولى . واكثر العلماء « على انه رجع من المشرق الى ايطاليا ومات هناك سنة ١١٨٠ » .

فيستدلّ من اعتراض السيد المشار اليه على ان رواية غليلم عن رجوع الموارنة الى حظيرة الكنيسة الكاثليكية على يد ايمريك في سنة ١١٨٢ لا يجب الوثوق بها لانها زيادة ادخلها في تواريخه احد المؤلفين او النساخ .

والظاهر ان المطران يوسف الدبس نقل هذه الرواية عن بعض فوائد حشاها بنغرس في مقدمته على تواريخ غليلم الصوري وذلك في طبعة منيا (Migne) سنة ١٨٥٥ واتخذها كحجة قاطعة لتكذيب شهادة هذا الاسقف الجليل الذي كان مدرّساً لبدوين ابن ملك الافرنج اموري ومسجلاً لاعمال المجمع اللاتراني وقاصداً رسولياً للكرسي الروماني الخ .

ونحن نقتصر على القول بان هذه الرواية التي نقلها صاحب روح الردود هي غير صحيحة لا بل انها ساقطة من مجرَّد الاطلاع على تواريخ غليلم التي تتضمن حوادث

ووقائع جرت في سنة ١١٨٤ . فان غليلم في كتابه الثالث والعشرين وهو ختام تواريخه يخبر بكلام موجز يشفُّ عن تأسف واكتئاب عما كانت قد آلت اليه دولة الافرنج من الانحطاط بانتصار صلاح الدين الايوبي عليها بعد ان كانت زاهرة نامية في البلاد المقدسة . ثم قال ما معناه انه غير قادرٍ على تكميل تواريخه نظرًا لما استولى عليه من الحزن والكدر . وتوقف بتأليفه عند تنصيب ريمند الثالث امير طرابلس كنائب للملك وذلك في سنة ١١٨٤ .

وقال المحققون انه في سنة ١١٨٠ جاء غليلم الى صور واودع في خزائن كنيسته المتروبوليتية اعمال المجمع اللاتراني الذي عقد في سنة ١١٧٩ وكان فيه كاتبًا لمواده . لا بل اجمع العلما المشهورون منهم باجي ومنسي وميشو وغيرهم كثيرون على ان غليلم لم يمت قبل سنة ١١٩٢ .

فنكتفي الان بهذا الرد على اعتراض المطران يوسف الدبس لتأييد شهادة غليلم المؤرخ الشهير التي وردت في وجه ٣٤٤ وما بعد من هذا الكتاب . ولدينا براهين كثيرة في هذا الشأن تدل على صحة رواية غليلم وصدقها سننشرها في وقت آخر ان شاء الله .

٣ شهادة القديس جرمانس البطريرك القسطنطيني

ان اول من اظهر للوجود شهادة القديس جرمانس بحق الموارنة هو على ما نعلم الاب مرتينس اليسوعي ذكرها في تأليفه المشهور المعروف بتاريخ لبنان وهذا التأليف الذي لا يقل عن خمسة الاف صفحة لم يزل مخطوطًا في دير الاباء اليسوعيين في بيروت . ولا يخفى ان هذا العالم المحقق نقب عن مسألة مذهب الموارنة القدماء

واستقرى اصولها وفروعها وكانت النتيجة انه ارتأى رأي المطران يوسف داود مؤلف كتابنا هذا في جميع ابواب هذه المسألة . ولا يقدر احدٌ ان ينسب الى الاب مرتينس غرضاً من الاغراض في ردّه مزاعم الموارنة نظراً لما كان متصفاً به من نزاهة النفس والتشبث بالحق كما هو مشهور لدى الخاص والعام في بلاد سورية .

فقال عند ذكره شهادة القديس جرمانس في وجه ٢٧٢٤ وما بعد من مخطوطه : ان هذا القديس ولد سنة ٦٦٠ وارتقى الكرسي البطريركي سنة ٧١٥ ومات في سنة ٧٣٣ وقد شبهه العلامة بارونيوس بنبراس ينير الكنيسة الشرقية . فاليك ما كتبه هذا القديس عن الموارنة :

« Ἕτεροι δὲ (τῶν αἱρετικῶν) τὰς δύο (ἕκτην καὶ πέμπτην) ἀποβαλλόμενοι, τὴν τετάρτην προσδέχονται, καὶ εἰσὶ μαχόμενοι μετὰ τῶν Ἰακωβιτῶν. Κἀκεῖνοι τούτους ὡς ἀνοήτους κατακρίνουσιν, τὰς ἄλλας δύο μὴ προσδέχεσθαι φιλονεικοῦσιν. Εἰσὶ δὲ αὐτοὶ οἱ λεγόμενοι Μαρωνῖται, μοναστήριον δὲ τούτων πρός αὐτὰ τὰ ὄρη τῆς Συρίας κατῳκημένον ὑπάρχει, οἱ πλεῖστοι δὲ μᾶλλον αὐτῶν παντελῶς καὶ τὴν ἕκτην ἔτι δὲ καὶ τὴν πέμπτην, καὶ τὴν τετάρτην ἀποβάλλονται. »

« وغيرهم من الهراطقة يرفضون المجمع الخامس والمجمع السادس لكنهم يقبلون
« بالرابع وينازعون اليعاقبة في ذلك مع ان هؤلاء يعدونهم قليلي العقل لقبولهم
« المجمع الرابع ورفضهم المجمعين الاخرين . فالجماعة الذين هذه صفتهم يدعون موارنة
« ولهم دير في جبال سورية . وأكثرهم يرفضون رفضاً تاماً المجمع السادس لا بل
« الخامس والرابع (١) . »

وزاد الاب مرتينس على هذه الشهادة القاطعة قوله نقلاً عن القديس جرمانس بدون ان يأتي بالنص اليوناني : « مع ان العقل السليم يدل على ان من قبل بالمجمع « الرابع يجب ان يقبل بالسادس أيضاً . » (٢)

---

(١) ان رتبة مارونا التي كان يذكر فيها ثلاثة مجامع فقط تثبت هـذه الشهادة والظاهر ان الهراطقة لم يكن بينهم اتفاق تام على هذه القضايا .

(٢) Patr. Gr. t. XCVIII. col. 82

ثم قال ان هذه الشهادة أتت مصداقاً لما كتبه طيمثاوس القسطنطيني أو لما هو مذكور في كتاب طقس الكنيسة اليونانية عند قبول الهراطقة في حضن الكنيسة المقدسة . ـ (راجع ما ذكر في هذا الكتاب وجه ٣١٦ عن طيمثاوس المذكور) .

٤ شهادة المؤرخ الشهير المعروف بابن العميد

وتأييد شهادته

ان من جملة المؤلفات القديمة المشهورة كتاب تاريخ للشيخ الفاضل المكين جرجس بن أبي الياس بن أبي المكارم بن أبي الطيب الملقب بابن العميد . وقد ترجم الى اللاتينية وطبع في باتافيا سنة ١٦٢٥ . ويستشهد بهذا المؤلف أكثر المدققين في التواريخ . وهو معروف عند الافرنج باسم El Macin أي المكين . واطلق عليه بعض العلماء لقب طبري النصرانية تشبهاً له بالمؤرخ الشهير الامام ابن جرير الطبري لدى الامة الاسلامية وتواريخه في الكتاب المطبوع تبتدئ من الفتح الاسلامي الى سنة ٦٣٦ هـ (١٢٣٨ م) .

ولهذا المؤرخ الشهير كتاب آخر لم يظهر بالطبع الى الان . ويوجد منه عدة نُسخ خطية منها في باريس استشهد بها مؤخراً القس الفاضل بطرس غبيره الغزيري الماروني . ومنها نسخة في خزانة دير الشرفة خطت في سنة ١٩٢٩ يونانية (١٦١٨ م) . ويبتدئ في تواريخه من أيام الخليقة الى زمان هرقل الملك . في هذا الكتاب ذكر المقالة نفسها التي وردت في كتاب سعيد بن بطريق عن معتقد الموارنة وعن بناء دير مارون . واليك كلامه على علاته منقولاً عن النسختين المذكورتين :

« كان في عصر موريق راهب يقال له مارون . وكان يقول ان المسيح طبيعتين

« ومشيئة واحدة واقنوماً واحداً . وتبعه على مقالته أهل حماة وقنسرين والعواصم
« وجماعة من الروم . فسمي تابعوه المارونية مشتق من اسمه : فلما مات بني أهل
« حماة ديراً على اسمه وسموه دير مارون . »

ولما جاء الى ذكر هرقل الملك قال في سياق كلامه عنه :

« وفي السنة التاسعة من ملك هرقل خرج من القسطنطينية ليجمع الاموال من
« سائر المملكة و يتفقد أحوالها . فلما وصل الى حماة طلع الى دير مارون وصلى فيه
« لانه كان مارونياً . وأعطاهم مالاً عظيماً لاجل عمارة الدير وارتحل . فلما وصل الى
« دمشق احضر النائب عليها وهو منصور بن سرجون الدمشقي وطالبه بالاموال
« فذكر انه كان يحملها الى كسرى . فعاقبه الى ان استخلص منه ثلاثة الاف دينار .
« واستمرَّ على عمله . ورحل قاصداً بيت المقدس . »

فهذه الرواية الثانية جاءت في كتاب سعيد بن بطريق بعبارة تختلف عنها قليلاً . نذكرها لزيادة الوضوح منقولة عن كتاب « نظم الجوهر » طبع اوكسونيا الجزء ٢ وجه ٢٣٨ . قال :

« وفي تسع سنين من ملك هرقل وهي السنة التاسعة من الهجرة خرج هرقل
« من القسطنطينية يريد بيت المقدس لينظر ما أخربت الفرس فيها . فلما وافا حمص
« لم يقبلوه اهلها . وقالوا له انت ماروني مخالف لديننا . فتركهم وذهب الى ديرُ مارون .
« وخرج اليه الرهبان الذين في دير مارون فاستقبلوه . وكان هرقل مارونياً . فاعطاهم
« مالاً كثيراً واعطا للدير ضياعاً وقوَّى امرهم . ثم خرج الى دمشق . وكان بدمشق
« رجل يقال له منصور بن سرجون الخ » .

ولا يخفى الان على احدٍ ان هرقل قيصر الروم شرع منذ سنة ٦١٦ يبث بدعة المنوثليتية في سائر مملكته واراد ان يستميل اليها على الخصوص الملل المنفصلة عن الروم كالارمن واليعاقبة والاقباط . فكلُّ من وافقه على ارآئه الدينية وجاراه في هذا

المعتقد حسب منوثليتياً . وبما ان رهبان دير مارون وافقوه على ذلك كانوا هم ايضاً منوثليتيين (١) . وهذا ما جعل هرقل ان يجزل لهم النعم ويعزّز شأنهم . ولبث الموارنة يكرمونه ويعظمونه حتى بعد مماته .

والدليل على ذلك اولاً صيامهم تذكاراً له كما ورد في وجه ٢٤٠ و ٤٢٦ من هذا الكتاب . ثانياً وما هو اعظم من ذلك هو انا رأينا في احد كتب طقس الموارنة المسمى طقس البرّاخ والقنديل (٢) (اي الاكليل والمسحة بالزيت) قديم جداً صلاةً في رتبة بركة الاكليل بالسريانية نقلنا عنها الفقرة الاتية وفيها ذكر هرقل معظماً مبجلاً .

(ܣܒܪܐ) ܡܫܒܚܐ ܠܟ ܐܠܗܐ ܝܠܘܕܐ ܕܡܠܟܘܬ ܡܠܟܐ̈ ܘܡܪܘܬܐ
ܕܡܠܟܘܬܟ ܠܥܠܡܝ̈ܢ . . . . ܐܠܗܢ ܘܐܦ ܠܡܠܟܝܢ ܗܢܘܢ ܕܐܠܗ ܠܥܠܡ
ܘܟܠܗ ܠܥܠܡܝܢ . ܘܐܝܟ ܕܒܪܟܬ ܐܒܘܢ ܐܒܪܡ . . . . ܐܦ ܐܠܗܐ
ܕܒܪܟ ܠܐܒܪܗܡ ܥܡ ܣܪܐ . ܐܦ ܐܠܗܐ ܕܒܪܟܬ ܠܐܝܣܚܩ ܥܡ

(١) راجع مجلة صدى الشرق سنة ١٩٠٧ عدد ٦٠ وجه ٢٦١ .

(٢) هذا الكتاب هو نسخة واحدة خطية محفوظة في خزائن دير الشرفة وناقص في أوله ولا ذكر لتاريخ كتابته والباين انه يرتقي عهده الى القرن الرابع عشر . ومن جملة الادلة على أنه من كتب طقس الطائفة المارونية (١) استعماله في بداية الصلوات ܡܠܟ ܫܠܡܐ دون سائر الطوائف الشرقية . (٢) في ورقة ١١ منـه يذكر لحن ܘܗܝ ܡܫܒܚܐ . وهذا اللحن يعرف عند السريان للا ܠܥܠܡܐ . (٣) وفي ورقة ١٤ لحن ܡܠܟܐ ܡܫܝܚܐ . (٤) في رقة ١٦ يذكر مزمور ܦܘܪܩܢܢ المستعمل كثيراً عند الموارنة . (٥) وفي رتبة الاكليل لحن ܫܠܡܘܢ ܫܘܪܐ ܫܘܒܚܐ. ومما ينفي الظن ان هذا الكتاب لليعاقبة هو ذكره النسخة البسيطة من العهد الجديد خلافاً لليعاقبة الذين يستعملون الترجمة الحرقلية .

ܡܠܟܘܬܗ ܪܒܬܐ... ܐܠܗܐ ܕܒܪܟ ܒܟܠܝܠܘܗܝ ܕܐܒܪܗܡ ܘܣܪܐ..
ܐܠܗܐ ܕܒܪܟ ܠܟܠܝܠ ܕܒ ܡܠܐ ܕܟܠܗ ܪܫܐ

ܩܘܣܛܢܛܝܢܘܣ ܘܗܪܩܠ

ܗܠܝܢ ܕܐܪܝܡܘ ܩܪܢܗ ܕܙܩܝܦܐ ܥܠ ܟܠܗܘܢ ܦܬܟܪܐ ...

« اللهمَّ المجد لك يا عارفاً بكل ما استتر وخالقاً لكل ما حضر ... اذكر عبديك
« هذين اللذين اقبلا اليك ودخلا هيكلك . فكما باركت ابانا آدم ... انت الذي
« بارك ابرهيم وساره ... انت الذي باركت اسحق مع قرينته رفقا ... انت الرب
« الذي بارك اكاليل الاربعين شاهداً ... انت الاله الذي بارك تاج الاكليل
« الذي على رأس

قسطنطين وهرقل

« اللذين رفعا شأن الصليب على كل الاصنام ... »

فلا شك اذاً في ان هرقل الملك كان عظيماً لدى الموارنة القدماء حتى ذكروه ايضاً بصفة كونه قديساً كما جاء في كتاب المقالات العشر لتوما الكفرطابي (راجع ايضاً وجه ٣٩١ من هذا الكتاب) .



٥ . من كتاب أسفار الاسرار

للكاهن صليبا بن يوحنا الموصلي كتبه في سنة ١٣٣٢ م

وهو خط كرشوني (١)

« مارون هذا كان راهباً في ايام موريقا ملك الروم ومقالته كانت في المسيح
« طبيعتين ومشيئة واحدة وفعل واحد . ولم يذكر الاقنوم بالجملة . واكثر من تبعه
«على مقالته تلاميذه واهل كفرطاب واهل مدينة حماه و بشرى (؟) (لعلها قنسرين)
« والعواصم وكثيرين من اهل الروم . فسميوا التابعين له والقائلين بمقالته مارونية
« مشتق من اسم مارون . فلما مات بنوا له اهل مدينة حماه دير يسموا على اسمه
« دير مارون وقوي امرهم بالملك هرقل » .



٦ من كتاب الاشراق

في الاصول الدينية والقواعد البيعية المقدسة اليعقوبية

لدانيال السرياني المارديني (٢)

قال موءلف هذا الكتاب في آخر باب منه عند تعريف ارباب البدع :
« والمارون ايضاً يتميزون عن الروم بشيء واحد وهو انهم يقولون ان للجوهر

(١) راجع Catalogue des manuscrits syriaques de Cambridge t. 11 page 768·

(٢) راجع ما كتبه عن هذا المصحف الموجود في ليده مجلة Revue de l' Orient chrétien 1905. 111e fascicule.-

« مشيئة واحدة وفعلاً واحداً الى زمان مكسيموس الراهب وتيودوروقي الحراني ويوحنا الدمشقي . »

٧ من كتاب تاريخ الازمنة

اعتنى بنشر هذا المصنف السرياني في سنة ١٩٠٧ غبطة السيد افرام رحماني بطريرك الطائفة السريانية . يستدل مما ذكره المؤلف في الفصل الخامس على ان تأليف هذا التاريخ تمَّ في اواخر القرن الثاني عشر . ولكن اسمه لا يزال مجهولاً .

قال في الفصل المائة والثلاثين بعد ان تكلم عن تعليم مكسيموس القائل بالمشيئتين وانتشاره في كنائس الخلقيدونيين :

ܗܕܐ ܫܩܠ ܠܬܫܥܝܬܐ : ܡܢ ܟܬܒܐ ܕܡܫܘܝܘܬܐ ܕܠܘܩܒܠ
ܡܩܣܝܡܝܢܘ : ܘܚܢܢ ܫܡܥܘܢ ܩܢܫܪܝܐ ܕܡܢ ܟܬܒܗ ܐܝܬܝܢܢ ܀

« قد اخذ هذه الاخبار شمعون القنسريني من كتب الموازنة المضادين لتباع « مكسيموس . ونحن قد نقلناها هنا عن كتابه . »



٨ من كتاب التنبيه والاشراف

للمسعودي وجه ١٥٣ طبع باريس

« العشرون موريق ملك عشرين سنة واربعة اشهر . وظهر في ايامه رجل من « اهل مدينة حماة من اعمال حمص يعرف بمارون اليه تنسب المارونية من النصارى

« الى هذا الوقت المؤرخ به كتابنا . وامرهم مشهور بالشام وغيرها واكثرهم بجبل لبنان
« وسنير (؟) وحمص واعمالها لحماة وشيزر ومعرّة النعمان . وكان له دير عظيم يعرف
« به شرقي حماة وشيزر ذو بنيان عظيم حوله اكثر من ثلثمائة صومعة فيها الرهبان .
« وكان فيه من آلات الذهب والفضة والجوهر شيء عظيم . فخرب هذا الدير وما
« حوله من الصوامع بتواتر الفتن من الاعراب وحيف السلطان (١) . وهو يقرب من
« نهر الأُرنط نهر حمص وانطاكية . وكان مارون قد احدث اراء بان بها عمن تقدمه
« من النصارى في المشيئة وغيرها وكثر متبعوه . وقد اتينا على شرح مذهبه وموافقته
« الملكية والنسطورية واليعاقبة في الثالوث ومخالفته اياهم فيما يذهب اليه من ان المسيح
« جوهران اقنوم واحد مشيئة واحدة وهذا القول متوسط بين قول النسطورية
« والملكية وغير ذلك في كتابنا في المقالات في اصول الديانات . ولبعض متبعيه من
« المارونية و يعرف بقيس الماروني كتاب حسن في التاريخ وابتداء الخليقة والانبياء
« والكتب والمدن والامم وملوك الروم وغيرهم واخبارهم انتهى بتصنيفه الى خلافة
« المكتفي (٩٠٢ - ٩٠٨ م) . ولم ارَ للمارونية في هذا المعنى كتاباً مؤلفاً غيره . وقد
« الف جماعة من الملكية والنسطورية واليعقوبية كتباً كثيرة ممن سلف وخلف منهم .
« واحسن كتاب رأيته للملكية في تاريخ الملوك والانبياء والامم والبلدان وغير ذلك
« كتاب محبوب بن قسطنطين المنبجي وكتاب سعيد بن البطريق المعروف بابن
« الفرّاش المصري بطريرك كرسي مار مرقس بالاسكندرية . وقد شاهدناه بفسطاط
« مصر انتهى بتصنيفه الى خلافة الراضي ... »

---

(١) زعم مترجم كتاب المسعودي الى اللغة الفرنساوية ان هذا السلطان هو المعروف بسيف الدولة .

٩ من كتاب المجامع

قد اطلعنا على ثلاث نسخ خطية من كتاب المجامع بالعربية : الاولى في خزائن دير الشرفة (بجبل لبنان) وهذه ناقصة في اولها وآخرها ونظنها مترجمة عن اليونانية. وعدد صفحاتها ٤٤٤ ويستدل من كتابتها وورقها ان عهدها يرتقي الى القرن الرابع عشر او الخامس عشر وتقرب كثيرًا من النسخة الثانية الموجودة في خزائن كتب الابا اليسوعيين في بيروت . اما هذه فهي كاملة وعدد صفحاتها ٥٦٦ ويبتدئ الكتاب هكذا :

« بسم الاب والابن وروح القدس اله واحد نبتدئ بمعونة الله وحسن توفيقه « بشرح ما تضمنه هذا الكتاب القوانين المقدسة ابواب مخلصه ليسهل تناولها على « من احتاج الى معرفته وهي عدة المجامع التي اجتمعت اثنا عشر مجمعًا الخ . »

ويبتدئ الكتاب بذكر المجامع الصغار ثم ينتهي الى ذكر المجمع المسكوني السادس الذي تكلم عنه مطولاً .

اما النسخة الثالثة الموجودة ايضاً في خزانة الابا اليسوعيين في بيروت فيبان انها منقولة عن احدى النسختين المذكورتين ولكن عهدها لا يرتقي الى اكثر من مائتي سنة.

وقد ورد في هذا الكتاب ثلاث شهادات تدل صريحًا على ان اسم المارونية او مارون كان يدل قديمًا على اصحاب البدعة المنوثليتية .

الشهادة الاولى

في صفحة ٣٢٣ عند ذكر المجمع السادس

« المجمع السادس من المجامع الكبار وعدد اساقفته مايتان وتسعة وثمانون اسقفًا « بالقسطنطينية مقدسه هي الجماعة السادسة مايتان وتسعة وثمانون اسقفًا من الاباء

« الاحبار القديسين وكان اجتماعهم من اجل سرجه وقورس الذين جماعة رايهم (٠)
« ان المسيح طبيعة واحدة ومشيئة واحد حدّ وصحح (٠٠) هاولآء الاباء القديسون
« وكانوا على تحقيق من كان قبلهم . واقرارهم بان المسيح بطبيعة اللاهوتية وطبيعة
« الناسوتية وكان بفعلين وقضاً واحد وملك واحـد . وانهم احرموا ولعنوا ونفوا
« سرجس وقورس واصحابهما . وكان بالقسطنطينية على يد الملك السعيد بالايمان
« المؤيد بروح القدس قسطنطين . وكان رئيس هذا المجمـع سرجس اسقف
« القسطنطينية . وثوافانس اسقف انطاكية لان مكاريوس الذي كان قبله قطع في
« هذا المجمع . فاما صاحبا الاسكندرية و بيت المقدس فلم يكن على هذين الكرسيين
« احد منهما في ذلك الزمان وذلك ان بني هاجر البدوية اعني الاعاريب
« كانوا قد ضبطوا الموضعين ولكن كان وكلا اهل الموضعين حضور مـع الجماعة .
« و بعث ايضاً اغاثون القديس بطريرك رومية وكلاه ليكونوا مكانه حضوراً . وكان
« سبب هذا المجمع انساناً يقال له قورس الاسكندراني وكان ذلك في اول ملك
« هرقل ملك الروم . وذلك انه زعم ان المسيح بمشيئة واحدة وفعل واحد دون ان
« يكون له مشيئتان وفعلان « وهذه مقالة المارونية » وان قورس هذا كان يناظر
« بهذه المقالة بمصر وغيرها من المواضع الخ . »

الشهادة الثانية

| وجه ٣٨٠ من نسخة دير الشرفة |
| » ٣٩٦ » » الآباء اليسوعيين |

« هذه تسمية جميع الارسس المخالفين للحق . اولهم سيمون الساحر الذي كان

(٠) في نسخة اليسوعيين : رأيهما .

(٠٠) في نسخة اليسوعيين : حدوا وصححوا .

« برومية على زمان السليحين بطرس وبولس واهلكه الله بصلواتهما . الثاني اريوس
« القس الاسكندراني ..... الثامن عشر قورس.التاسع عشر مقاريوس الذي احدث
« مقالة المارونية » وقال ايضاً بالمشيئة الواحدة . فليكن ملعوناً هو وتباعه .... الخ »

الشهادة الثالثة

جاء في آخر الكتاب عند ذكر القوانين الموافقة للقوانين القديمة ما نصه :
« هذه الاشياء واجبة على النصارى اصحاب كلمة الحق اعني الملكية فليحفظوها...
« ولا يزوّجوا بناتهم لاحد هو خارج عن دينهم لا يهودياً . ولا سامرياً . ولا وثنياً .
« ولا برانياً . ولا لمن هو خارج من دين المعمودية . ولا لاحد المخالفين مثل تباع
« اريوس ومكدونيوس ونسطور « ومارن » واليعقوبية . واصناف المخالفين لديانة
« الملكية . فلا يتزوّجوا منهم الّا يرجعوا عن رأيهم . »

الشهادة الرابعة

من كتاب المجامع السبعة لابي شاكر بطرس المعروف
بابن الراهب

كان ابن الراهب مصرياً يعقوبياً من كتبة القرن الثالث عشر وله تاريخ عام من اول العالم الى زمانه طبع بهمة العلاّمة يوسف السمعاني وابراهيم الحاقلاني باللاتينية . وله كتاب آخر في المجامع لا زال مخطوطاً في المكتبة الواتيكانية قال فيه عند ذكر المجمع السادس للروم :

« مائتي وتسعة وثمانون اسقفاً اجتمعوا بالقسطنطينية في السنة الثالثة عشر من
« مملكة قسطنطين بن قسطنطين وهي السنة الرابعة لمعاوية بن ابي سفيان وهي السنة
« السابعة والاربعون للهجرة يكون بينه وبين المجمع الخامس مائة وثلث عشر سنة

« بحضور سرجيوس بطريرك القسطنطينية في ثلث سنين من بطركيته وحضور «برمانيس (ولعلها ثوفانيس) بطريرك انطاكية للروم ونفوا كورس و بطرس وكل « من قال بمقالة المارونية واليعقوبية ولعنوا اصحاب المشيئة الواحدة . وفي هذا المجمع « قرروا ان لا يقيم في بلا الروم يعقوبي البتة ولا ماروني الاَّ يقتل وينفى . ولم تزل مملكة « الروم من ذلك الوقت في نقص . »

١٠ في تعريف الموارنة القدماء بصفة

هراطقة أو منشقين

(١ً) من ميمر في صحة الدين المسيحي للمعلم العامل والفيلسوف الكامل والاب الفاضل كير ثاودورس اسقف حرَّان المعروف بابي قرّة.

هو كتاب مخطوط وجده الاب قسطنطين باشا الراهب الباسيلي الملكي في مكتبة دير المخلص (بجبل لبنان) منقولاً عن النسخة الاصلية التي في دير مار سابا السيق من اعمال القدس الشريف (وتاريخ النسخة المذكورة سنة ١٠٥١ مسيحية) كما يستفاد من حاشية علقها المطران باسيليوس فينان في النسخة المخلصية .

وطبع هذا الكتاب مع ترجمته الى الفرنساوية في طرابلس الشام بهمة الراهب الملكي المذكور ثم طبعه بالعربية الاب لويس شيخو اليسوعي في سنة ١٩٠٦ . ولا حاجة لتعريف هذا المعلم الجليل الذي قال فيه الاب شيخو ان له المقام الرفيع بين اللاهوتيين و يعتبر كاعظم الكتبة الكنسيين وابرعهم في المصنفات الجدلية والابحاث الدينية . وعاش في اواخر القرن الثامن للمسيح وكان اسقفاً على حرّان المجاورة للرها . وجارى القديس يوحنا الدمشقي في محاربة البدع كالنسطورية واليعقوبية والمنوثليتية .

قال المؤلف في بداية القسم الثاني من ميمره في صحة الدين المسيحي (صفحة ١٦ من طبعة الاب قسطنطين الباشا) :

« لكن اي شيء ينتفع به معشر النصارى الا ملة الخلقيدونيين دون النسطوريين
« واليعقوبين واللوليانيين والموارنة (١) وغيرهم من الاراسيس الذين ينتحلون النصرانية
« لان كل واحد من هؤلاء الذين ذكرنا يرى ان سعينا في تثبيت النصرانية انما
« هو له لانه زعم انه النصراني الحق . »

ثم تكلم عن المجامع التي اثبتت التعليم الصحيح ورد بخطابه على اقوال نسطور واوطيخيوس وديوسقوروس واليعاقبة ثم تخلص من ذلك الى ذكر المجمع الخامس فقال في صفحة ٢٦ :

« اما المجمع الخامس فليس احد يحامي عن الاراسيس التي حرمها حتى نحاوره
« بمثل ما حاورنا به اصحابه ونلحق به مثل ما الحقنا بهم .

« ثم خرج مقاريوس وقورش وسرجيوس وقالوا ايضاً في المسيح ما قالوا .
« فانكرت الكنيسة قولهم وبارزهم ناس من الاباء يجادلونهم ويردعون قولهم . فلم
« تقبل الكنيسة منهم قبولاً صارماً لا منهم ولا ممن كان يجادلهم بل رفعتهم
« كعادتها الى المجمع . فاجتمع المجمع السادس المقدس بالقسطنطينية بامر اسقف
« رومية فطرحهم وابطل قولهم ....

« فما بالك يا ماروني قبلت المجمع الاول والثاني والثالث مسترسلاً منبسطاً ولم
« ترَ ان لك مع رأيهم رايًا كما امرك روح القدس . فلما بلغت المجمع السادس

(١) قد بدل كل من الاب قسطنطين باشا والاب لويس شيخو اسم الموارنة بالمونوثليتيين ووضعا لفظة منوثلي عوضاً عن ماروني لكنهما جعلا هذه الالفاظ بين قوسين لتنبيه القاريء اللبيب .

« كأنك قد نسيت تعليم روح القدس وسكرت سكرًا لم تصحَ بعده فاقبلت على
« رايك الذين يستحقون منك الكرامة وقد أُمرت من روح القدس ان تقيم على
« حدّهم وجعلت تستمهم كالكلب الكلب وتزيل حدهم وهتكت السياج الذي كان
« يحفظك من الشيطان. فخرجت تمكن من نفسك الذئاب. فهذا منك تفريط
« يؤدّيك الى الهلاك ... الخ.

وفي صفحة ٢٨ منه:

« وانت يا نسطوري كذلك نبدي عليك هذه الحجة كما قد لزمت اليعقوبيين
« والمارونية فليس لك ان تنقم على المجمع الذي طرحك لجمع الملك اليه وتدفع لذلك
« قضيته ... الخ »

---

(٢) من مقالات بولس الراهب اسقف صيدا.

ذكر مؤلف هذا الكتاب شهادةً من هذا الاسقف في صفحة ٢٩٤ وقال عنه انه كان عائشاً في القرن الخامس عشر وذلك نقلاً عن السمعاني الذي جعله من كتبة ذلك القرن في قائمة الكتب الواتيكانية (ص ٢٢٧). ولما كان الاب لويس شيخو صاحب الهمة في كشف العاديات قد وجد نسخة قديمة عدا النسخة الواتيكانية (راجع مجلة المشرق سنة ١٩٠٤) فقد بحث عن زمان المؤلف وتبين له انه عاش في ايام تقي الدين ابن تيمية الذي قبض في سنة ١٣٢٨ مسيحية وطبعت مؤخراً مقالاته الدينية مع مقالات بعض مشاهير الكتبة النصارى من القرن التاسع الى القرن الثالث عشر. فمن جملة مقالات بولس الراهب « شرح اسرار النصرانية وبيان اخص عقائدها وتفنيد الهراطقة الذين نقضوا تعليمها »

فقد ورد في مقالته عن الفرق النصرانية وعن شرح اعتقاد اليعاقبة في تجسد المسيح ما يأتي:

« وان كان اليعاقبة والموارنة يوجبون ذلك بقولهم « قدوس الله قدوس القوي

« قدوس الذي لا يموت الذي صلب لاجلنا » فيجعلون المصلوب الاب والابن

« والروح القدس .

« واذ قد اوضحنا فساد رأي اليعاقبة فنوضح ايضاً فساد رأي النسطور مع

« رأي الموارنة في قولهم بمشيئة واحدة الهية وفعل واحد الهي وان كان الموارنة قد

« اصابوا بقولهم قنوماً واحداً بطبيعتين . ونقول اما الفعل الواحد الذي يعتقدونه

« في السيد المسيح ويزعمون انه الهي فقد اوضحنا ما يفسد رأيهم فيه . وفي احتجاج

« الملكية بما يدل على فعلين ما فيه كفوء لردع النسطور واليعاقبة والموارنة .

« واما المشيئة التي اتفق عليها الموارنة والنسطور واليعاقبة وخالفوا الملكية وزعموا

« ان في السيد المسيح مشيئة واحدة الهيـة فنجيب عن ذلك قائلين .... الخ

وهذه المقالة كان قد سعى بنشرها جناب الاديب حبيب افندي زيات بالاسكندرية

قبل ان ينشرها الاب لويس شيخو .

---

(٣) من كراسة تأليف الشيخ الرئيس الفاضل الفيلسوف الكامل عفيف بن

الشيخ المكين ابن مومل رضى الله عنه .

هذه الكراسة ملحقة لتأليف بولس الراهب اسقف صيدا المشار اليه آنفاً وهي

منضمة الى المصحف عدد ١٠١ من خزانة كتب القبر المقدس الخطية خاصة دير

الروم العامر في اورشليم وبدءُها « فاتحة القول . الحمد لله الذي هدانا » الخ .

فكتب المؤلف في النصارى ومذاهبهم وذكر ما يذهب اليه الملكية والنساطرة

واليعاقبة والمارون . وما ذهب اليه اريوس ومكدونيوس وارغاليوس صاحب منبج

وبطرس القصار وايلاريوس وبولص المصصي كل ذلك في خمسة عشر فصلاً . ولما

وصل الى الفصل السادس قال :

فيما ذهب اليه الموارنة والرد عليهم

« اعتقد الموارنة ان للمسيح اقنوماً واحداً وطبيعتين طبيعة الهية وطبيعة بشرية

« ومشيئة واحدة وفعلاً واحداً وهو فاسد . وكان يلزم ان يقولوا بطبيعة واحدة
« ويلزمهم ما لزم اليعاقبة والنساطرة في نفيهم المشيئة والفعل البشريين . »

(٤) من مجموع رسائل لحبيب بن خدمه ابي رايطة وهو مخطوط عربي في خزانة كتب باريس بعدد ١٦٩ يتضمن

اولاً احتجاج عن الثلاث تقديسات الذي صلب لاجلنا

ثانياً رسالة في التجسد

ثالثاً رسالة في الرد على الملكية

قال ما يأتي في صفحة ٨٤ في رسالته الى ابي العباس البطريق اسوحا بن سباط الذي طلب ان يجتمع بحضرته مع ابي قرة الحكيم :

« بلغني ايها السيد طعن ابي قرة الحكيم ونقمه علينا في تقديسنا الله سبحانه ذا
«القوّة الدائم في وقت صلواتنا وختمنا ذلك بذكر صلبه المنقذ المخلص اذ نقول مراراً
«ثلاثاً : انت القدوس الله ذو القوة الذي لا يموت المصلوب دوننا فارحمنا . وعهدي
«بابي قرة الفيلسوف وهو غير منكر في فسر الكلام واظهاره ان المصلوب المولود من
«مريم البتول الهٌ متأنس قدوس طاهر قوي لا يموت. وان كان ذلك منه حيلةً ومكراً
«وتلبساً على اهل البساطة والغرة من المؤمنين لئلا يظنه نسطورياً خالصاً ـ»

وقال في وجه ٨٦ ـ ٨٧ :

« فان قالوا ان الفرق المشهورة بالنصرانية ثلاث اعني اليعقوبية والملكيـة
« والنسطورية ولسنا نجد في تقديس احدى هاتين الفرقتين الملكية والنسطورية ذكر
« الصلب البتة . قلنا بلى قد نجد الملكية الذين ثبتوا على بدعة المجمع المنافق مجمع
« خلقيدونيا المعين لهم والمقيم بشأنهم بعد الريب المظنون جهلاً البان (٥) الارطيق
« الذي احيا النسطورية بعد موتها يوربعام الثاني اعني مرقيانوس الغشوم المناصب

(٥) مركيان ؟

« الناقض لما اسست وشيدت من الايمان الصحيح والدين القيم الملوك المنصورة
« الزاكية المهلكة من الملك الحق بسابق علمه في اجتهادهم بانفسهم ومبالغتهم في تقوية
« الايمان به على حقه وصدقه من غيرهم ولا تقصير اعني قسطنطين . وثيودوسيوس
« الاول والاخير عصمنا الله بصلواتهم . ان انكر ذلك وجحده الذين قبلوا الايمان
« المبدع المصنوع في خلقيدونيا هم المكانون (كذا) لتباعهم قول مكسيمانس بعد
« قبولهم النفاق الزور الاول المجتمع عليه المختلق في خلقيدونيا . وابو قرة العالم ومن
« رأى رأيه منسوبٌ ملكياً خلقيدونياً مكسيميانوسياً والاخرون الباقون عليه الثابتون
« معهم على رجاسة المجمع المبدع يتسمون ملكيين خلقيدونيين مارونيين المخالفين
« لمكسيميانوس المتولي من ابي قرة وشيعته منهم اول دين مارون المعروف المشهور
« بارض الشام والجزيرة وغيرها من اهل القرى والمدن فقد نجد هؤلاء ايها السيد
« في تقديسهم وختمهم صلواتهم بصلب الله .... الخ .

وهذه الشهادة نشرتها مجلة صدى الشرق باللغة الفرنساوية في عددها ٦١ من سنة ١٩٠٦ واضافت اليها بعض فوائد ننقلها هنا لزيادة البيان .

Habib Abou-Raïta était métropolite jacobite de Tagrite. Il eut des démêlés théologiques et des controverses à soutenir avec Théodore Aboucara, l'évêque grec melchite dont nous avons parlé....

Aboucara avait insisté sur le fait que des trois fractions chrétiennes de Syrie et de Mésopotamie, deux les Nestoriens et les Melchites, rejetaient l'addition faite au Trisagion, tandis que les seuls Jacobites la recevaient. Or, deux doivent avoir raison contre un troisième. Abou-Raïta réfute ce raisonnement de la manière suivante:

وبعد ان ذكرت المجلة المذكورة شهادة ابي رايطة التي رأيتها آنفاً قالت :

De tout cela se dégage la conclusion que tout le monde alors distinguait parfaitement l'Eglise Maronite de l'Eglise Maximite, c. à. d. de l'Eglise catholique, bien que tout le monde constatât que, comme cette dernière, elle recevait le concile de Chalcédoine.

(٥) من كتاب العالم المحقق الفرنساوي موسيو كاترمار احد اعضاء جمعية

الفنون الملكية" وذلك في مقالة له عن النبطيين وفيه شهادة مرسلين لاتينيين جاوءا لبنان في القرن الثالث عشر وكتبوا ما رأوه بنفسهم لا نقلاً عن غيرهم.

Mémoire sur les Nabatéens

par M. Quatremère, Membre de l'Académie Royale des Inscriptions et Belles-Lettres. Paris 1835. — a la page 149 en note :

« Puisque j'ai eu occasion de nommer les Maronites, je dois ajouter « quelques mots sur les opinions religieuses que ce peuple professa « durant une partie du Moyen -âge. »

Et, après avoir fait allusion et renvoyé le lecteur aux témoignages de Guillaume de Tyr, d'Eutychius, de Massoudi et de Grégoire Bar-Hebrœus, il ajoute:

« Le missionnaire Ricold de Montcroix, qui parcourut l'Orient dans « le XIII.e siècle, s'exprime en ces termes (1):

De la vinmes an mont de Libanus; et la demourent maronites, qui sont chrêtiens mecréants et maintiennent que en Christ n' a ne eust que une simple volonté. »

« Le même religieux. descendant le Tigre (2) Depuis Mosul jusqu' à Bagdad, rencontra des Maronites dont il parle en ces ternes:

« Là Demourent maronites mescrèants chrestiens et cismaz; et ont ung Archevesque. Ilz maintiennent que Christ ful une seule volunté. - C' est leur erreur. En toutes autres choses se accordent ilz à notre foy catholicque plus que a nulle aultre secte d' Orient. »

« Le frire Rchard dans sau traité contre la religiou des .... (fol-47 v. 48 r.) assure que les Maronites admettaient en J.C. une seule volonté. Il ajoute qu' ils s' e'taient soumis à l' Eglise Romaine, et que leur patriarche assisla au concile général de Latran tenu sous le pontificat de Innocent III. nais qu' ensuite ils revinrent à leurs premières erreurs.

« Brocard (Description Terra sanctae, page 190) range aussi les Maronites avec les Nestoriens, les Jacobites, elc. au rang des hérétiqnes. »

(1) Dans son Histoire merveilleuse, plaisante et récréative du grand Chan de Tartarie, fol. 35 v.

(2) Ibid. fol.— 43 r,

ان هذه الشهادات تحسب من أقوى الادلة على اثبات ما نحن في صدده لانها وردت عن مرسلين لاتينيين ثقاة جاؤا لبنان ورأوا عياناً الامة المارونية . وهي تؤيد رأي المطران يوسف داود في كون رجوع الموارنة أول مرة الى حضن الكنيسة الكاثليكية لم يكن تاماً .

والعجب من حضرة القس برنردوس غبيره الماروني كيف انه في كتابه الذي ذكرناه « رومية والكنيسة الانطاكية السريانية » قد صادق (في صفحة ٤٥) على رواية المرسل اللاتيني « ريكلد دي منكروا » في ما خصَّ موارنة بين النهرين . لكنه (في صفحة ٨٤) نبذ رواية المرسل نفسه الذي قال « ان موارنة جبل لبنان كانوا يعتقدون أيضاً بالمشيئة الواحدة » . فكيف يتفق ان يكون ريكلد صادقاً في روايته عن موارنة بلاد بين النهرين وكاذباً في روايته عن موارنة جبل لبنان .

وان الاب المذكور لملوم على اسقاطه عبارة ذات شأن من رواية الاخ ريكردس الموردة أنفاً والتي فيها يقول : « وزاد على ذلك » انهم (أي الموارنة) كانوا دخلوا « حظيرة الكنيسة الرومانية وحضر بطريركهم المجمع اللاتراني العام في حبرية « انوكنتيوس الثالث لكنهم رجعوا فيما بعد الى ضلالهم القديم . »

(٦) من كتاب فرا سريانو رئيس الرهبان الفرنسيسيين .

ادرجت مجلة صدى الشرق في سنـة ١٩٠٤ رجـه ٩٩ مقالة رئيس الاباء الفرنسيسيين الذي سكن بلاد الشرق مدة اربع سنوات متتابعة اي من سنة ١٤٨٠ الى سنة ١٤٨٤ وكانت اقامته تارةً في مدينة بيروت بمقام حافظ دير وتارةً بمقام كاتب سر لرئيس الاباء الفرنسيسيين في الاراضي المقدسة وبعد ان عاد الى ايتاليا واقام بها مدة رجع الى الشرق بوظيفة رئيس عام للاباء الفرنسيسيين ونائب رسولي للشرق عموماً . ولبث في هذه الوظيفة الى سنـة ١٤٩٥ ثم عين مندوباً لرسالات المشرق. وفي سنة ١٥١٢ قام برئاسة دير الفرنسيسيين في الارض المقدسة الى سنة ١٥١٤

ولم تمض سنة من بعد ذلك حتى ندبه البابا لاون العاشر مرتين لدى الموارنة. وقد الف هذا الاب الفاضل كتاباً طبع سنة ١٩٠٠ في ميلان. فاقتطفت منه مجلة صدى الشرق المقالة الاتية من وجه ٦٨ الى ٧١ ترجمناها عن اصلها الايتالياني:

«والطائفة الثانية هي الطائفة المارونية وابناء هذه الطائفة قوم اتصفوا بكرم الاخلاق وشعور الانسانية يتسلسلون الى الطليان وينتسبون الى شخص يدعى مارون لانهم تمسكوا بما كان يعتقده بان في المسيح مشيئة واحدة وهم يسكنون جبل لبنان من اقليم فونيقي وليبيا ولا يدعون السراكسة ان يسكنوا بينهم لاسيما في البلاد التي يقيم بها بطريركهم وقد اشتهروا بعلوم الكلدان وهم ذوو حيل ولهم ميل الى الحروب يحسنون رمي النبال واستعمال الخناجر الطليانية.

اما بطريركهم فيلبس الخاتم والتاج ويحمل عصا الرعاية وهذه الاشياء لا يستعملها احد سواه في الكنيسة الشرقية. وفي عهد انوكنتيوس الثالث حضر بطريرك هذه الطائفة المجمع اللاتراني بصفة كونه كاثوليكياً ارثوذكسياً. وبعد ذلك العهد نقضوا الطاعة والخضوع للكرسي الرسولي وقد حكم عليهم في المجمع القسطنطيني. ثم راوحوا بين الطاعة والعصيان مرات عديدة ولبثوا على ذلك الى عهد سعيد الذكر السيد بطرس دامالفي اسقف الكنيسة المرقسية وكردينال قسيس وقاصد الكرسي الرسولي. وهذا الاسقف ارسله البابا انوكنتيوس الثالث للطائفة المارونية ولجميع الطوائف القاطنة في الموانى البحرية. فاعترف بين يديه بطريرك الطائفة المارونية بحضور كثيرين من روساء اساقفة واساقفة ووعد بالخضوع والطاعة للكرسي الرسولي. وقد اهتم القاصد الرسولي المشار اليه الذي كان متصفاً بروح الاستقامة والعلم والقداسة بتعليم ابناء الطائفة المارونية قوانين الايمان.

وفي توالي لايام انتشرت بين الطائفة المارونية اضاليل متنوّعة وهرطقات كثيرة لانه لم يكن بينهم رجال علماء يرشدونهم فلطفت بهم العناية الالهية وارسلت لهم

راهباً من رهباننا اسمه غريفون كان مقيماً بجبل صهيون التابع لاقليم القديس انطونيوس وهذا الراهب كان رجلاً قديساً عالماً زاهداً على ما اخبرني به بعض الذين عاشوا معه. فدفعته الغيرة المقدسة الى الاهتمام بخلاص الانفس وتعلم اللغة العربية ليتمكن من ارشاد الهراطقة المسيحيين الذين كثر عددهم في تلك البلاد واعادتهم الى الدين القويم. فبعد ان قضى مدة خمس سنوات درس في اثنائها اللغة العربية وبرع بادابها ذهب الى بلاد الموارنة سنة ١٤٦٤ مع رفيق له فوعظ بين ابناء هذه الطائفة وعرفهم واستأصل شأفة الهرطقات الكثيرة التي اضلتهم وعاش بينهم مدة عشر سنوات كان فيها قدوة الصلاح فكرموه وعدوه قديساً وكان ياكل خبزاً فعايراً يخبزه بين قطعتين من حديد على مثال خبز البرشان وقد عاينت القطعتين. وكان يشرب الماء صرفاً غير انه كان يقلل بعض الاحيان من هذا التقشف عند وجوده مع البطريرك. وقد ترجم الى لغة الموارنة شيئاً كثيراً من الكتاب المقدس ووضع كتاباً على شكل سوال وجواب اوضح فيه لمعلمي الاعتراف الجهلاء مشاكل تختص بالاعمال البشرية. وهو الذي هدى الموارنة الى الاقرار بوجود مشيئتين في المسيح المشيئة الالهية والانسانية. وقد سافر مراراً الى رومية في عهد كليستوس سعياً وراء صالح هذه الطائفة. وتوفاه الله برحمته في جزيرة قبرص ودُفن في دير فاما غسطا سنة ١٤٧٠. والموارنة يدعونه القديس غريفون حتى يومنا هذا وكلما ذكروا اسمه لثموا يدهم ووضعوها على رأسهم تبرّكاً به.

وقد دخل الرهبنة في عهد غريفون ثلاثة موارنة ارسلهم هو الى البندقية حيث برعوا في العلوم القانونية. وقد تعرفت بهم وكانوا من جملة مرووسي. الواحد منهم واسمه يوحنا سيم رئيس اساقفة على عاقورة من بلاد الموارنة بانتخاب جميع الشعب فاحسن الرئاسة وفعل الخير مع الرعية وكانت وفاته في عهد رئاستي الاولى. والاخر

اسمه جبرائيل سيم اسقفاً على الموارنة المقيمين بقبرص وكان كرسيه في مدينة لفكوسيا. وهذا الاسقف شيخ جليل لم يزل في قيد الحياة والثالث واسمه الاخ فرنسيس توفي دون ان ينال احدى الوظائف الكنسية.

و بعد وفاة الاخ غريفون انتشرت بعض عوائد ذميمة بين الموارنة فارسل اليهم البابا سيكستوس الاخ اسكندر اريوسنا مندوباً من قبله فعاش هذا الرجل العالم بينهم مدة ثلاث سنوات وقد انعم عليه البابا بهدايا ثمينة وثياباً من المقصب والحرير.

ولهذا السبب نفسه ارسلني اخيراً البابا لاون العاشر مندوباً من قبله مع الاب فرنسيس ديبوتنسيا من حاشيته وذلك سنة ١٥١٥ ومعي شيء كثير من القماش لعمل الملابس وثياباً من المقصب والحرير....»

---

(٧) من ديوان الشيخ الفاضل والعالم الكامل سليمان الحكيم ابن حسن الغزي (١) رضى الله عنه

(ابيات روحانية) اول ذلك

ما كلُّ معتمد بالله نصراني | غير اعتماد حياة العالم الثاني
وبالمسيح شعوب الارض اعتمدوا | ونافق البعض منهم بعد ايمان
صاروا كاعضاء جسم في طبيعته | منهم معين ومنهم غير اعوانِ
كم بطركاً غير محمودٍ بخدمته | واسقفٍ غير مغبوط ومطرانِ
من الاراطقة المشهور ميلهمُ | عن الصواب الى زورٍ وبهتانِ
. . . . | . . . .
لذاك افترقوا في شعبهم فرقاً | ولم يخافوا جميعاً كيد شيطانِ

---

(١) لا يعرف الى الآن في أي قرن عاش هذا الشاعر المفلق لكن نسخ كتبه العديدة التي اطلعنا عليها في خزائن المكتبة الشرقية للاباء اليسوعيين تدل على ان كتابتها من القرن الرابع عشر او الخامس عشر.

حتى اذا كملت لله خدمتهم ناموا فقد(١) ايقظوا نوماً ليقظانِ
وقام في عصبة الشيطان بعدهم مذاهب ذات اشراكٍ وطغيانِ
فقال اريوس نطق الله خالقنا اعني القديم حديث زائلٍ فاني
وقال مكدونيوس الروح ليس لها اقنوم في عددٍ من كان جثماني
وقال نسطور ناسوت المسيح على لاهوته جوهرين في قنومانِ
وقال يعقوب قول الله صحَّ لنا من ذات اقنوم لا من ذات اثنانِ
وقال مارونُ هل للاب من قدمٍ ابن حديث بجسمٍ كان روحاني
وقال قوم مسيح الله اكرم ان يناله ما ينال الغاشم الجاني
هذه مذاهب اقوام لكفرهم ظلوا هداهم طريقاً شبه عميانِ
فالفضل للارثدكسيين انهم تمذهبوا مذهباً لله حقانِ

والمقالة كلها ٧٧ بيتاً —



١١ ذكر مارون ومار يوحنا مارون

في كتب الرتب عند الموارنة

لدينا كتاب رتب الجنازات طبع برومية سنة ١٥٨٥ واسمه Officium Defunctorum ولا يزال مستعملاً في كنائس كثيرة بجبل لبنان وفيه صلاة عربية باحرف سريانية (كرشوني) بآخر رتبة الجناز وعنوانها مكتوب بالمداد الاحمر هكذا: «حتام الجناز يقال على القبر». فمن جملة ما يقال فيها عند طلب شفاعة القديسين هذه الكلمات: «بشفاعة روساء الملئكة جبرائيل وميخائيل وكافة جند السماويين و بطلبات

(١) وفي نسخة ثانية: فكم

الانبياء والاخيار والرسل الاطهار. والاباء الابرار. و بشفاعة القديسين المختارَين الصديقين المجيدين المعظمين مار جرجس ومار ثادروس و بشفاعة جميع القديسين الخ »

فلما جدّد سيادة المطران يوسف الدبس رحمه الله طبع الكتاب المذكور في بيروت سنة ١٨٨٤ سمى هذه الصلاة : « حتام » فقط بدون زيادة الكلمات : « الجناز يقال على القبر » و بدل اسمي القديسين جرجس وثادروس بمار مارون ومار يوحنا مارون قائلاً هكذا : « بشفاعة القديسين المختارين المعظمين مار مارون ومار حنا مارون وبشفاعة جميع القديسين الخ . »



١٢ ذكر برصوم عند الموارنة القدماء

يقرأ في فنقيث الموارنة المطبوع في رومية الطبعة الاولى في صلوة الستار ܣܘܬܪܐ يوم عيد مار سمعان العمودي في وجه ١٤١ :

ܗܢܐ ܕܐܚܪܡ ܠܐܪ̈ܛܩܘܬܐ ܣܪ̈ܝܩܬܐ ܡܢ ܡܪܥܝܬܗ . ܘܓܠܐ ܘܦܪܣ ܟܘܕܒܗܘܢ . ܗܢܐ ܕܣܘܚ ܠܦܘܓܥܗ ܕܡܪܝ ܒܪܨܘܡܐ ܟܕ ܐܬܐ ܗܘܐ ܠܫܠܡܗ ܘܐܬܢܒܝ ܗܘܐ ܥܠ ܡܐܬܝܬܗ ܩܕܡ ܬܠܬܐ ܝܘܡܝܢ ❖

« هذا هو (سمعان) الذي نفى الارطقات الباطلة عن رعيته و بين اكاذيبهم « هذا الذي اشتاق لمقابلة مار برصوم لما اتى مسلماً عليه وكان قد تنبأ عن مجيئه قبل « ثلاثة ايام . »



١٣ كتاب القداس للموارنة

ذكر المطران يوسف داود كتاب القداس للموارنة المطبوع في سنة ١٥٩٤ توجد فيه اسماء أئمة اليعاقبة كيوحنا بن شوشان البطريرك ومارونا مفريان تكريت وبرصوم بين القديسين . وقد وقع لنا نسخة من هذا الكتاب كان يستعمل في كنائس جبل لبنان فالفينا اسم يوحنا البطريرك المدعو برشوشان بنافورته مطبوعاً بالاحمر ومضروباً عليه بالحبر الاسود في ثلاثة اوراق متتابعة في وجه ١٥٤ وما بعد ثم ذكر برصوما في وجه ١٩٨ و ٢٤٥ وقد محي الاسم بخط اسود لكنه لا زال ظاهراً. وقد بقيت نسخ عديدة من هذه النافورة مستعملة في كنائس الموارنة الى الازمنة المتأخرة .

ولكي يتبين ان هذه الاسماء لم يكن وجودها من غلط الطباعين ولا من نسخة واحدة قديمة دسَّ فيها احد الدخلاء (كتوما الكفرطابي على زعم الموارنة) اسماء أئمة اليعاقبة نورد هنا شهادة الكردينال بونا (من كتابه في الليترجية المترجم الى اللغة الفرنساوية طبعة باريس سنة ١٨٧٤ وجه ٩٨) في ما يخص هذه النافورة واستعمالها قديماً عند الموارنة قاطبةً . قال :

« ان جبرائيل الصهيوني (*) في رسالته المنوّه عنها انفاً اكد لي ان لديه كتاباً « مخطوطاً باليد يحوي ستة عشرة نافورة وهي :

الاولى	:	نافورة البابا قسوسطس
الثانية	:	« مار يوحنا الانجيلي
الثالثة	:	« مار بطرس زعيم الرسل
الرابعة	:	« الرسل الاثني عشرة
الخامسة	:	« مار يعقوب اخي الرب

(*) ورد ذكر جبرائيل الصهيوني في هذا الكتاب في وجه ٤١٠ .

السادسة : « مار ماروثا

السابعة : « ديونيسيوس بن صليبي

الثامنة : « مار يوحنا فم الذهب

التاسعة : « متى الراعي

العاشرة : « البطريرك المدعو برشوشان

الحادية عشرة : « اوسطاسيوس

الثانية عشرة : « مار مرقس الانجيلي

الثالثة عشرة : « بروقلس اسقف القسطنطينية وتلميذ يوحنا فم الذهب

الرابعة عشرة : « موسى بركيفا

الخامسة عشرة : « فيلكسينوس

السادسة عشرة : « البابا يوليس

انتهى كلام الكردينال بونا.

واليك ترتيب النوافير بحسب كتاب القداس المطبوع في رومية سنة ١٥٩٤

الاولى : نافورة مار قسوسطس

الثانية : « مار ايونيس فم الذهب

الثالثة : « مار يوحنا الانجيلي

الرابعة : « بطرس بابا رومية

الخامسة : « الرسل الاثني عشر

السادسة : « القديس ديونيسيوس

السابعة : « القديس قوريلس

الثامنة : « متى الراعي

التاسعة : « يوحنا البطريرك المدعو برشوشان

العاشرة : « القديس اوسطاسيوس

الحادية عشرة : « مار ماروثا

الثانية عشرة : « القديس والرسول مار يعقوب

الثالثة عشرة : « القديس مرقس المبشر والانجيلي

الرابعة عشرة : « بطرس رئيس السليحيين

فمن هذه المقابلة ينتج : (١ً) ان كثيرين من قديسي اليعاقبة وائمتهم كانوا مكرمين عند الموارنة القدماء كما جاء في الفصل السادس من الباب السابع بهذا الكتاب . (٢ً) ان النسخة الخطية التي كانت لدى جبرائيل صهيوني كان أُضيف اليها زيادات حديثة بسبب دخول الموارنة الى حظيرة الكنيسة الكاثليكية . ومع كل ذلك ما برحت مشحونة باسماء قديسين وائمة يعقوبيين كما ذكر . (٣ً) رأيت كيف ان اسم ايونيس بقي على حاله في طبعة رومية (من سنة ١٥٩٤) وهو الذي ظنه الموارنة انه يوحنا فم الذهب مع انه هو ايونيس اسقف حاران وماردين اليعقوبي . (راجع وجه ١٦٥ من هذا الكتاب) . (٤ً) واخيراً ان اثار الضلال المنوثلي بقيت راسخة لدى الامة المارونية واقتضى زمان طويل لاستئصالها من كتبهم الدينية .

١٤ شهادة المؤرخ الانكليزي جبون

نقلنا المقالة الاتية عن كتابه المشهور المسمى : انحطاط مملكة الروم وزوالها Décadence et chute de l' Empire Romain المترجم الى اللغة الفرنساوية والمطبوع في باريس في سنة ١٨٣٦ الجزء ٢ صفحة ٢٩٧.ولا يخفى ما لهذا العلامة من

طول الباع والتضلع من فن التاريخ خصوصاً حتى عدّه الانكليز من اول طبقة من
لمؤرخين . فلما تكلم عن فرق النصارى وذكر الملة المارونية قال :

Dans le style des chrétiens de l'Orient les Monothélites de tous les siècles sont appelés Maronites (1) nom qui a passé peu à peu d'un ermite à un monastère et d'un monastère à une peuplade.... Au milieu des controverses de l'incarnation, les disciples de Maron suivirent adroitement la ligne orthodoxe, entre les sectes de Nestorius et d'Eutyches; mais leur loisir donna lieu à la malheureuse question d'une volonté ou d'une opération dans les deux natures de Jésus Christ. L'empereur Héraclius, leur prosélyte, ne pouvant entrer dans les murs d'Emése, se réfugia dans le monastère de ses frères,et, pour les payer des leçons de théologie qu il y reçut, il leur donna un vaste et riche domaine.—

Le nom et la doctrine de cette respectable école se répandirent parmi les Grecs et les Syriens; et on peut juger de leur zéle d'après la résolution de Macaire, patriarche d'Antioche, qui déclara devant le concile de Constantinople qu'il se laisserait couper en morceaux et jeter dans la mer plutôt que de reconnaitre deux volontés de Jésus-Christ. (2)

Les Maronites, après avoir abjuré au douzième siècle l'erreur des Monothélites, se réconcilièrent avec les Eglises latines d'Antioche et de Rome (3) ; et l'ambition des Papes et la détresse des chrétiens de la Syrie ont souvent renouvelé la même alliance. Mais il est permis de douter que cette réunion ait jamais été complète ou sincère, et les

---

(1) Eutychius (Annal. t. II p. 191—267—332) et d'autres passages qu'on trouve dans la table méthodique de Pocok prouve qu'on a employé indifféremment le nom de Monothélites et celui des Maronites. — Eutychius n'avait aucune prévention contre les Maronites du dixième siècle et nous pouvons en croire un Melchite dont les Jacobites et les Latins ont confirmé le témoignage.—

(2) Concil. t. VII, p. 780.— Constantin, prêtre syrien d'Apamée, défendit la cause des Monothélites avec intrépidité et avec estime (p. 1040 etc.)

(3) Le témoignage de Guillaume de Tyr (Hist. in Gestis Dei per franco, l. XXII c. 8 p. 1022) est copié ou confirmé par Jaque de Vitry (Hist. Hierosol. t. II c. 77, p. 1093, 1094); mais cette ligne peu naturelle expira avec le pouvoir des Francs, et Aboulfarage (qui mourut en 1286) regarde les Maronites comme une secte de Monothélites (Biblioth. orient. t. II p. 292).—

savants Maronites du collége de Rome se sont vainement efforcés d'absoudre leurs ancêtres du crime d'hérésie et de schisme.—

قد ذكرنا شهادة هذا الكاتب البروتستاني الذي الف كتابه نحو سنة ١٧٨٨ لانه كان خالي الغرض ولا داعٍ يحمله على التنديد بالطائفة المارونية. وترى ايضاً من كلام جبّون ان العلماء المدققين الذين لم ينقلوا عن الموارنة تواريخ طائفتهم كان رأيهم مطابقاً لرأي صاحب كتابنا العلاّمة يوسف داود.



١٥ في ذكر ما جرى بين السماعنة

والكاتب الفرنساوي رنودوت في غضون مناقشاتهم

عن أصل الملة المارونية

Extrait de l'ouvrage publié à Paris en 1904 et intitulé; « L'abbé Eusèbe Renaudot, essai sur sa vie et sur son œvre liturgique, par Ant. Villien, docteur en droit canoniqne.» page 250:

« Le Maronite Joseph Simon Assémani avait plusieurs motifs de s'élever contre l'abbé Renaudot, Orientaliste; il était quelque peu jaloux de son illustre confrère. Maronite, il ne pouvait lui pardonner d'avoir si souvent rappelé les vraies origines de la nation maronite et son constant attachement au monothélisme jusqu'à l'époque des croisades. Malgré sa profonde antipathie pour l'orientaliste français, Assémani était cependant parfois contraint de rendre hommage à sa science.

Sur les questions qui n'intéressaient point l'histoire des Maronites, il n'hésitait pas à signaler l'opinion de Renaudot conforme à la sienne...

Mais il dut en coûter beaucoup à son amour-propre lorsqu'il se vit contraint de retracter dans le second volume de sa Bibliotheca orientalis ce qu'il avait avancé dans le premier au sujet de l'orthodoxie du célèbre écrivain Jacques d'Edesse: d'autant mieux qu'il avait appuyé son

opinion sur le culte rendu de tout temps à cet évêque par l'Eglise maronite (Bibliotheca orientalis t. I, 470 et suiv. ; cf t. II p. 337).— Renaudot, contrairement à l'affirmation des écrivains maronites Stephanus Edenensis, Faustus Naironus, et d'autres qui, disait-il, « préfèrent leur patrie à la vérité », affirmait que Jacques d'Edesse était monophysite, et il en fournissait les preuves. Assemani, après avoir vivement contesté le bien fondé des arguments de Renaudot, fut obligé de reconnaitre son erreur en présence de textes qui ne laissaient aucun doute sur l'hostilité de Jacques au concile de Chalcédoine.

Joseph Aloysius Assemani, neveu du précédent, cita parfois avec éloge l'opinion de Renaudot. Mais, comme son oncle, il avait grand plaisir à le trouver en défaut, et ne manquait aucune occasion de réfuter avec amertume ce qu il jugeait erroné dans les écrits du savant français. Il en fut de même d'Etienne Evode Assemani, ce dernier même ne craignit pas de recourir à la calomnie. (1)

١٦ الموارنة واكتشاف الاب نو الفرنساوي

اكتشف الاب نو الفرنساوي منذ نحو اربع سنوات مخطوطاً سريانياً في خزانة بريتيش موزيوم بلندرة يرتقي عهده الى القرن الثامن وفيه رسائل من رهبان بيت مارون كتبت في القرن السادس الى اليعاقبة وجواب اليعاقبة لهم ونشر ملخصها في مجلة مار لويس بباريس. فزعم بعض الموارنة ان هذا الاكتشاف الحديث من شأنه ان يرفع الشبهة عن رهبان دير مارون واتباعهم بالتطاخهم بالبدعة المنوثلية ويثبت دوام ارثذكسيتهم .

والحال ان هذا المخطوط وان كان ذا قيمة وشأن لدى المؤرخين فانه لم يغير

(1) Il s agissait de 2 manuscrits syriaques que le grand Duc de Florence avait permis à Mr l'abbé Renaudot d'emporter; Assemani, en faisant allusion à ces manuscrits, accuse « une main impie » d'avoir emporté au delà des Alpes des feuillets arrachés à un manuscrit arabe.- (voir la note p. 121 de louvrage cité plus haut).—

مسألة تهوّر الموارنة القدماء في وهدة الهرطقة ولم يعلمنا شيئاً جديداً كان مجهولاً عند المحققين . وقد فندت هذا الزعم مجلة صدى الشرق ببراهين ساطعة وحجج دامغة . فمن اراد تتبع هذه المسألة عليه بمطالعة الاثني عشرة صفحة المتضمنة هذا التفنيد في المجلة المذكورة بعددها الستين من سنة ١٩٠٦ . —

جدول الكتب التي نشرها الموارنة وغيرهم

في هذه المسألة من سنة ١٨٧٢

الى اليوم

١ً تاريخ سورية : تأليف سيادة المطران يوسف الياس الدبس مطران بيروت الماروني رحمه الله . وهو ثمانية مجلدات كبيرة مشحون اكثرها بتاريخ الطائفة المارونية والمحاماة عن دوام ارثذكسيتها ولاسيما المجلد الخامس . ثم يليها الجزء التاسع وهو يتضمن ملخص ما في الاجزاء كلها عن الطائفة المارونية . — طبع في بيروت في سنة ١٨٩٣ الى سنة ١٩٠٥ .

٢ً ترجمة كتاب روح الردود : باللغة الفرنساوية للاب فازي وكان ناظراً على الدروس في مدرسة الحكمة في بيروت . طبع في فرنسا سنة ١٨٩٦ وفي ذيل هذا الكتاب أُدرجت رسالة المطران يوسف داود التي بها تصالح مع الطائفة المارونية لسبب ما قام بينه وبين المطران يوسف الدبس من الجدال واوّل الاب فازي معنى الرسالة المذكورة بتحريف بعض العبارات فيها الى رجوع المطران يوسف داود عن رأيه في مذهب الموارنة القدماء .

٣ً الحجة القاطعة الجلية على من ينكر ثبوت الموارنة في العقيدة الكاثليكية :

وهي ترجمة مقالة فرنساوية رفعها سيادة المطران يوسف الدبس الى مجمع العاديات في رومية .

عدد صفحات المقالة الفرنساوية ٦١
« « « العربية ٩٣
وكلاهما طبعا في بيروت سنة ١٩٠٠

٤ً المحاماة عن الموارنة وقديسيهم : للقس افرام الديراني بالعربية طبع سنة ١٨٩٩ وفي اوله تقدمة الكتاب بالفرنساوية الى سيادة المطران يوسف دريان . عدد صفحاته ٥٢٠

٥ً رسالة تتضمن ترجمة القديس مارون الكاهن الراهب اب الطائفة المارونية . طبع بنفقة رزق الله خضرآء في بيروت سنة ١٨٨١ . عدد صفحاتها ٧٠

٦ً رومية ازآء الكنيسة السريانية الانطاكية المارونية : باللغة الفرنساوية الفه القس برنردوس غبيرة الغزيري الماروني طبعه سنة ١٩٠٦ ولخصه بالعربية - عدد صفحاته ١٨٤ وفيه اورد القس المذكور شهادات سريانية ولاتينية وعربية وفرنساوية كثير منها يخالف زعم الموارنة . وهو أول مؤلف بين الموارنة اقرَّ بأنه كان موارنة منوثليون في بلاد بين النهرين فقط .

٧ً - تاريخ الكنيسة الانطاكية السريانية المارونية : تأليف الخوري ميخائيل عبدالله غبرئيل الشبابي الماروني اللبناني طبع في لبنان سنة ١٩٠٠ و ١٩٠٤ و ١٩٠٦ بثلاثة مجلدات كبيرة لاينقص الجزء عن ٨٥٠ صفحة ولهُ مقدمة في اللغة الفرنساوية ووعد مؤلفه باظهار جزء رابع مرتب على حروف المعجم .

ومع ما حوى هذا الكتاب الكبير الحجم من الفوائد الكلية فان مؤلفه أورد فيه شهادات كثيرة بدون انتقاد ولا فحص ليعرف القارىء هل يجب الاعتماد عليها أو لا . وأهمل أيضاً ذكر مصادر الكتب القديمة التي استشهد بها . منها الكتاب القديم العهد الذي اكتشف عليه في نافذة احد أقبية اديرة الطائفة (الجزء ١ وجه ٢٧) . فلماذا

ضرب صفحاً عن ذكر الدير الموجود فيه هذا الكتاب النفيس لكي تسهل على العلماء مطالعته .

ونقل الخوري غبرائيل (في المجلد ١ وجه ٥٨٥) صورة الصك الذي كتبه عمر بن الخطاب زاعماً انها عن نسخة قديمة وجدت في مدينـة القسطنطينية وفيها ذكر الموارنة ثم يتلوها صورة « حجة العهد لجميع النصارى » « كتبت في رق في العشر الاول من محرم الحرام سنة اثنتين (؟) بعـد الهجرة » وذلك نقلا عن تاريخ لبنان المنسوخ بيد انطون بن ميخائيل الشبطيني من دمشق الشام الخ .

وكنا نود لو ان هـذا المؤلف الذي كلفه طبع كتابه اتعاباً وافرة جزيلة ينتقد شهادات مثل هذه لا يعبأ بها قبل ان يدرجها في كتابه كأنها بينات جلية حقيقية .

٨ً — سلسلة بطاركة مدينة الله انطاكية — بالعربية للقس يوحنا نطين الراهب الحلبي اللبناني . طبعها في رومية سنة ١٨٨١ في مطبعة انتشار الايمان المقدس ملخصة عن يوسف سمعان السمعاني . وزاد عليها أسماء البطاركة الذين جلسوا بعـد موت السمعاني . ثم ترجمها الى اللاتينية .

٩ً سلسلة بطاركة الطائفة المارونية : للطيب الذكر البطريرك اسطفان الدويهي الاهدني . عني بنشرها وتعليق حواشيها المعلم رشيد الشرتوني . طبعت في بيروت سنة ١٩٠٢ .

١٠ تاريخ الطائفة المارونية : لمار اسطفان الدويهي بطريرك انطاكية وسائر المشرق . عني بطبعه وعلق حواشيه المعلم رشيد الخوري الشرتوني . عدد صفحاته ٤٧٢ . طبع في بيروت سنة ١٨٩٠ .

١١ نبذة تاريخية في المقاطعة الكسروانية : للخوري منصور طنوس الخوري الماروني من عائلة بني الحتوني — لم يذكر المؤلف تاريخ طبعه . بل يستدل انه صدر في نحو سنة ١٨٩٥ وهذا الكتاب فيه تاريخ الطائفة المارونية نقلاً عن كتاب تاريخ

الاعيان لطنوس الشدياق ونقلاً عن الدويهي والسمعاني وغيرهم - وفي هذا الكتاب بعض الفوائد عن ادیار کسروان .

١٢ كتاب البراهين الراهنة - في اصل المردة والجراجمة والموارنة : لسيادة المطران يوسف دريان رئيس اساقفة طرسوس والنائب البطريركي الماروني . طبع سنة ١٩٠٤ . وهذا الكتاب هو مجموع ما نشره هذا الاسقف الجليل في كراريس متفرّقة وقد استشهدنا به في وجه ٩٣ من كتابنا هذا .

١٣ كراريس منقولة عن جرائد علمية في باريس للاب نو العالم الفرنساوي وسماها Opuscules Maronites وفيها محاماة عن زعم الموارنة.طبعت في سنة ١٨٩٩ وصاعدًا وقد ردَّ عليها الاب سيمون فاليه الصعودي .

١٤ كراسة في حياة القديس يوحنا مارون البطريرك الاول على الطائفة المارونية تأليف الخوري بولس عويس.طبعت في مصر سنة ١٩٠٧

١٥ جغرافية سورية وتاريخ الكنيسة المارونية باللغة الانكليزية للكاهن الماروني يوسف دحداح

The Geography of Syria. followed by the history of the original Maronite church.

طبع في سدني سنة ١٨٩٩ . عدد صفحاته ٧٢ .

١٦ كراسة طبعها في باريس بالفرنساوية سيادة المطران سمعان مراد الماروني لم يذكر تاريخها وسماها

La vie et l'oeuvre de Mgr Nicolas Mourad, Archévêque de Laodicée

وفيها نبذة افتتح بها المؤلف مقالته هي غريبة في وضعها وتدلّ على تفنن علماء الموارنة في اثبات ارثذكسية اجدادهم .



وفي هذه السنين كلها اي من سنة ١٨٧٢ الى ١٩٠٨ لم يصدر ولا كتاب واحد ردًّا على زعم الموارنة سوى كراسة صغيرة عدد صفحاتها ٨٠ طبعت في مصر القاهرة مؤلفها مجهول الاسم وقد سماها : الحجة الراهنة في حقيقة اصل الموارنة للخوري يوحنا العجيمي . فقسمٌ منها هو اعادة رسالة الخوري يوحنا العجيمي المعروفة والنصف الثاني تذييل اقتبسه المؤلف عن نسخة من هذا الكتاب جامع الحجج الراهنة بدون ان يذكر مصدره .

ثم كتب الاب سيمون فاليه في المجلة الفرنساوية Les Echos d'Orient بعض مقالات عن اصل الطائفة المارونية يفند بها زعم الموارنة ببراهين سديدة قاطعة .



فهرست

صحيفة

الباب الثاني

في بيان أصل الشيعة المارونية وأحوال انشائها وفيه تسعة فصول

الباب الثالث

في يوحنا مارون وفيه تسعة فصول

الباب الرابع

في ايراد شهادات المؤلفين القدماء على ان الموارنة كانوا منوثليتيين او غير كاثليكيين وفيه تسعة وعشرون فصلا

الباب الخامس

في شهادة الجماعات وفيه ثلاثة فصول

الباب السادس

في الشهادات المتخذة من كتب الموارنة القدماء على انهم لم يكونوا ارثدكسيين وفيه ثمانية فصول

الباب السابع

في بيان عدم كاثليكية الموارنة القدماء من الاحوال التي ظهروا فيها

وفيه خمسة عشر فصلا

الباب الثامن

في حل حجج الموارنة وتفنيدها

وفيه أربعة فصول

الخاتمة

وفيها ثلاثة فصول

ملحق



